تفسير القرآن العزيز

لابن أبي زمنين

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين
(٣٢٤ - ٣٩٩هـ)

يُطبع لأول مرة محققاً على نسختين خطيتين

طبعة جديدة منقحة ومزيدة

تحقيق

أبي عبد الله حسين بن عكاشة   محمد بن مصطفى الكنز

المجلد الثالث

مريم - الشورى

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

تفسير القرآن العزيز

لابن أبي زمنين

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين

(٣٢٤ - ٣٩٩ هـ)

يطبع لأول مرة محققاً على نسختين خطيتين

طبعة جديدة منقحة ومزيدة

تحقيق

أبي عبد الله حسين بن عكاشة — محمد بن مصطفى الكنز

المجلد الثالث

مريم - الشورى

الناشر

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

تفسير القرآن العزيز

لابن أبي زمنين

الناشر : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا

ت: ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

اسم الكتاب : **تفسير القرآن العزيز**

تأليف : أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى زَمَنِين

تحقيق : حسين بن عكاشة و محمد مصطفى الكَنز

رقم الإيداع: ٢٠٠١/١٧٧٧٦

الترقيم الدولي: 977-5704-69-3

الطبعة : الثانية

سنة النشر: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

طباعة : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

تفسير سورة مريم وهي مكية كُلُّهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١ ﴾

قوله : ﴿كهيعص﴾ كان الحسن يقول : لا أدري ما تفسيره ، غير أنَّ قومًا من أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون : أسماء السور وفواتحها .

قال يحيى : [ثم ابتدأ][(١)] الكلام فقال : ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ يقول : ذكره لزكريا رحمة منه له ﴿إذ نادى ربه نداءً خفيًّا﴾ (ل ٢٠١) أي : سرًّا ﴿قال رب إني وهن العظم مني﴾ أي : ضعف ﴿واشتعل الرأس شيبًا﴾ .

قال محمدٌ : (شيبًا) منصوب على التمييز[(٢)].

﴿ولم أكن بدعائك رب شقيًّا﴾ أي : لم أزل بدعائي إياك سعيدًا ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ يعني : العصبة الذين [يرثوني][(٣)] ﴿من ورائي﴾ من بعدي ؛ فأراد أن يكون من صُلْبه من

---

(١) في الأصل : غير أنه بدأ . والمثبت من « ر »

(٢) إعراب القرآن (٢/٣٠١) ، مجمع البيان (٣/٥٠٣) ، البحر (٦/١٧٣) .

(٣) في الأصل : يرثونه . والمثبت من « ر » .

يرث ماله ؛ في تفسير قتادة ﴿وكانت امرأتي عاقرًا﴾ أي : لم تلد ﴿فهب لي من لدنك﴾ من عندك ﴿وليًّا﴾ يعني : ولدًا ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ أي : يرث ملكهم وسلطانهم ؛ كانت امرأة زكريا من ولد يعقوب ليس يعني : يعقوب الأكبر ؛ يعقوب دونه .

قال محمدٌ : من قرأ (يرثني ويرث) بالرفع[١] جعله كالنعت للوليّ ؛ المعنى : هب لي الذي يرثني .

ومن قرأها بالجزم[٢] (يرثْني ويرثْ من آل) فعلى جواب الأمر .

﴿اسمه يحيى﴾ قال قتادة[٣]: أحياه اللَّه بالإيمان ﴿لم نجعل له من قبل سميًّا﴾ قال قتادة[٤]: أي : لم يُسمَّ أحدٌ قبله يحيى ﴿قال رب أنّى يكون لي غلامٌ﴾ من أين يكون لي ولد ﴿وقد بلغت من الكبر عتيًا﴾ أي : (يُبْسًا)[٥].

قال محمدٌ : يقال لكل شيءٍ قد يبس : عتا يَعْتُو عُتيًا[٦]، وعُتُوًّا .

﴿قال كذلك قال ربك هو عليّ هين﴾ قال له الملك : ﴿كذلك قال ربك هو علي هيِّن﴾ أعطيك هذا الولد ؛ وهو كلام موصولٌ أخبر به الملك عن اللَّه ﴿قال﴾ زكريا : ﴿رب اجعل لي آية﴾ علامة ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويًّا﴾ يعني : صحيحًا لا يمنعك الكلام مرضٌ . قال قتادة[٧]: إنما عوقب ؛ لأنه سأل الآية بعد ما (شافهته الملائكة)[٨] وبشرته بيحيى ، فَأُخِذَ عليه لسانه[٩]، فجعل لا يبين الكلام ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ يعني : المسجد ﴿فأوحى إليهم﴾

---

(١) وهي قراءة السبعة إلا أبا عمرو والكسائي . ينظر : السبعة (٤٠٧) ، التيسير (١٤٨) ، النشر (٢/٣١٧) .

(٢) وهي قراءة أبي عمرو والكسائي . ينظر المراجع السابقة .

(٣) رواه الطبري (١٦/٤٩) .

(٤) رواه الطبري (١٦/٥٠) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٢٨٥) لعبد الرزاق وأحمد في الزهد وعبد بن حميد .

(٥) في « ر » : يأسًا .

(٦) بضمّ العين وكسرها لغتان . لسان العرب ، مختار الصحاح (عتو) .

(٧) رواه الطبري (١٦/٥٢) .

(٨) سقط من « ر » .

(٩) أي : أُمْسِكَ .

أشار إليهم ﴿أن سبحوا بُكرة وعشيًّا﴾ أي : صلوا لله بالغداة والعشي .

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ أي : بجدٍّ ومواظبة ﴿وآتيناه الحكم صبيًّا﴾ يعني : الفهم والعقل .

قال يحيى : بلغنا أنه كان في صغره يقول له الصبيان : يا يحيى تعال نلعب . فيقول : ليس للعب خُلقْنا!

﴿وحنانًا من لدنَّا﴾ أي : أعطيناه رحمة من عندنا .

قال محمدٌ : الحنان أصله : العَطْفُ والرحمة ؛ ومنه قول الشاعر :

فقالت حَنَانٌ ما أتى بك ها هنا   أَذُو نَسَبٍ أَمْ أنت بالحَيِّ عَارِفُ[١]؟

قوله : (حنانٌ) ؛ أي : أمرنا حنانٌ : عطفٌ ورحمةٌ[٢].

﴿وزكاة﴾ قال قتادة[٣]: الزكاة : العمل الصالح ﴿وكان تقيًّا﴾ .

يحيى : عن الربيع بن صبيح ، عن الحسن قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما من أحدٍ من ولد آدم إلا قد أصاب ذَنبًا أَوْ همَّ به ، غير يحْيَى بن زكريا لم يُصِبْ ذَنْبًا ، ولمْ يَهمَّ به »[٤].

﴿وبرًّا بوالديْه﴾ أي : مطيعًا لهما ﴿ولم يكنْ جبارًا عصيًّا﴾ أي : مستكبرًا عن عبادة الله

---

(١) البيت من بحر الطّويل ، وهو لمنذر بن درهم الكلبي . ينظر تخريجه في الكتاب (١/ ٣٢٠) ، المقتضب (٣/ ٢٢٥) ، شرح المفصل لابن يعيش (١/ ١١٨) ، همع الهوامع (١/ ١٨٩) ، لسان العرب ، تهذيب اللغة (حنن) .

(٢) أي : مرفوع على الخبرية ، والمبتدأ محذوف .

(٣) رواه الطبري (١٦/ ٥٧) .

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٥) عن معمر عن قتادة عن الحسن مرفوعًا .

ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩١) والبيهقي في السنن (١٠/ ١٨٦) وابن عساكر في تاريخه (٦٤/ ١٩٣ - ١٩٤) من طريق حبيب بن الشهيد ويونس بن عبيد وحميد عن الحسن .

وللحديث طرق عن عدة من الصحابة موصولاً مرفوعًا وموقوفًا ، وعن عدة من التابعين مرسلاً ، وأسانيدها فيها مقال ، انظر : تاريخ دمشق (٦٤/ ١٧٣ - ١٧٤، ١٩٢ - ١٩٥) والدر المنثور (٢/ ٢٤ - ٢٥) وتخريج تفسير أبي المظفر السمعاني (٣/ ٢٧٩ - ٢٨٠) فقد ذكرت طرقًا منها هناك ، والله أعلم .

﴿وسلامٌ عليه يوم ولد﴾ يعني: حين ولد ﴿ويوم يموت ويوم يبعث حيًّا﴾ يوم القيامة.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾﴾

﴿واذكر في الكتاب﴾ يقول للنبي: اقرأ عليهم أمْرَ مريم ﴿إذ انتبذت﴾ يعني: إذ انفردت ﴿من أهلها مكانًا شرقيًا ...﴾ إلى قوله: ﴿تقيًّا﴾ كان زكريا كفل مريم، وكانت أختها تحته، وكانت تكون في المحراب، فلما أدركت، كانت إذا حاضتْ أخرجها إلى منزله إلى أختها، وإذا طهرت رجعت إلى المحراب، فطهرت مرة، فلما فرغت من غُسْلها قعدت في مشرفة[1] في ناحية الدار، وعلَّقت عليها (ثوبًا)[2] سُتْرةً؛ فجاء جبريل إليها في ذلك الموضع في صورة آدمي، فلما رأته قالت: ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًّا﴾ قال الحسن: تقول: إن كنت تقيًّا للّٰه فاجتنبني ﴿قال إنما أنا رسول ربك ليهَب[3] لك غلامًا زكيًّا﴾ أي: صالحًا ﴿قالت أنى يكون﴾ من أين يكون ﴿لي غلامٌ ولَمْ يمسسني بشرٌ﴾ أي: يجامعني زوجٌ ﴿ولم أكُ بغيًّا﴾ (ل٢٠٢) أي: زانية ﴿قال كذلك قال ربكِ هو عليَّ هينٌ﴾ أن أخلقه ﴿ولنجعله آية للنَّاس ورحمةً منا﴾ أي: لمن قبل دينه ﴿وكان أمرًا مقضيًّا﴾ يعني: كان عيسى أمرًا من اللّٰه مكتوبًا في اللوح المحفوظ أنه يكون. فأخذ جبريل جيبها بأصبعه فنفخ فيه، فصار إلى بطْنها، فحملت. قال الحسن: حملته تسعة أشهر في بطنها ﴿فانتبذت به مكانًا قصيًا﴾ أي: انفردت به في مكان شاسع ﴿فأجاءها المخاض﴾ قال مجاهد:

---

(١) أي: شُرْفة.

(٢) سقط من «ر».

(٣) كذا بالأصل؛ وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب وورش، واختلفت الرواية عن قالون. وقرأ الباقون (لأهب). ينظر: النشر (٣١٧/٢).

يعني : ألجأها .

قال محمدٌ : وأصل الكلمة من : المجيء ؛ يقال : (جاءت بي)[١] الحاجة إليك ، وأَجاءتْني الحاجةُ إليك[٢]؛ قال زُهَير[٣]:

وجارٍ سارَ مُعْتمدًا عليكم أَجاءَتْهُ المخافةُ والرّجَاءُ[٤]

والمخاض : دُنو الولادة ، يقال : مُخِضَتِ المرأةُ ومَخِضَتْ[٥].

﴿قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسْيًا منسيًّا﴾ قال قتادة : تعني شيئًا لا يُعْرَف ، ولا يُذْكر ؛ قالت هذا مما خَشِيَتْ من الفضيحة .

قال محمدٌ : النِّسْيُ في كلام العرب أَصْلُه الشَّيءُ الحقير ؛ الذي إذا أُلْقي نُسِيَ غَفْلَةً عنه[٦].

﴿فناداها من تحتها﴾ قال قتادة : كنا نُحَدَّث أنه جبريل .

قال يحيى : وقال بعضهم : ﴿فناداها مَنْ تحتها﴾ يعني : عيسى .

قال محمدٌ : لم يبين لنا [يحيى][٧] كيف القراءة في قوله : (من تحتها) وذكر أبو عبيْدٍ : أنها تقرأ (مِنْ تحتِها) بكسر الميم والتاء التي بعد الحاء ، وتقرأ أيضًا بفتحهما[٨]؛ فمن قرأ بالكسْر ؛ فتأويلها : أن جبريل ناداها ، ومن قرأها بالفتح فتأويلها : عيسى هو الذي ناداها[٩].

---

(١) في « ر » : جئت في الحاجة إليك .

(٢) لسان العرب ، مختار الصحاح (جيء) .

(٣) هو زهير بن أبي سُلمى ربيعة الشاعر المشهور من المعمرين ، مات عن مائة وعشرين عامًا ، تنظر ترجمته في المعمرين لأبي حاتم السجستاني (٨٣) ، الشعر والشعراء (١٣٧) .

(٤) البيت من بحر الوافر ، وهو لزهير بن أبي سلمى ، ينظر ديوانه ، شرح ديوان الحماسة (٣٠٢/١) ، مجاز القرآن (٤/٢) ، البحر (١٨٢/٦) .

(٥) مخضت المرأة مَخاضًا فهي ماخض . لسان العرب (مخض) .

(٦) وقيل : النِّسْيُ : ما تلقيه المرأة من خرق اعتلالها . لسان العرب ، مختار الصحاح (نسى) .

(٧) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٨) قرأ الأخوان ونافع وحفص عن عاصم بكسر الميم والتاء ، وقرأ الباقون بفتح الميم والتاء . ينظر : البحر المحيط (٦/ ١٦٩) ، الدر المصون (٤٩٩/٤) والنشر (٣١٨/٢) .

(٩) ينظر تفصيل ذلك في الدر المصون (٤٩٩/٤) .

﴿ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريًّا﴾ السَّرِيُّ : الجدْوَل ، وهو النّهرُ الصغير[1] ﴿وهزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رُطَبًا جنيًّا﴾ أي : حين اجتُنِيَ ، وكان الجذع يابسًا .

﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿فكلي واشربي وقري عينًا﴾ .

قال محمدٌ : يقال : قررتُ به عينًا أقَرُّ - بفتح القاف - في المستقبل[2] قُرورًا ، وقررتُ في المكان أقِرُّ بكسر القاف[3]، و(عينًا) منصوب على التمييز[4].

﴿فإما ترين من البشر أحدًا فقولي إني نذرت للرحمن صوْمًا﴾ أي : صمْتًا ﴿فلن أكلم اليوم إنْسيًّا﴾ أذن لها في هذا الكلام ، وكانت آية جعلها الله لها يومئذ .

قال محمدٌ : يقال للممسك عن الطعام أو الكلام : صائمٌ[5].

﴿لقد جئت شيئًا فريًّا﴾ أي : عظيمًا .

---

(١) لسان العرب ، مختار الصحاح (سرى) .

(٢) أي : في الفعل المضارع .

(٣) يقال : قَرِرْتُ به عينًا أقَرُّ ، وقرِرْتُ به عينًا أقَرُّ قُرّةً وقُرورًا . ويقال : قَرِرت في المكان وبالمكان أقَرُّ قَرارًا . وقَرَرْتُ أيضًا أقِرُّ قَرارًا وقُرورًا . لسان العرب ، مختار الصحاح (قرر) .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفراء (٢/١٦٦) ، إعراب القرآن (٢/٣١١) ، مجمع البيان (٣/٥١٠) .

(٥) قال أبو عبيدة : كل مُمْسِك عن طعام أو كلام أو سَيْر فهو صائم . لسان العرب ، مختار الصحاح (صوم) .

قال محمدٌ : يقال : فلانٌ يفري الفريَّ إذا عمل عملاً أو قال قولاً فبالغ فيه ؛ كان في خير أو شرٍّ[١]، وأنشد بعضهم :

ألا رُبَّ من يدعو صديقًا ولو ترى   مَقَالَتَهُ بالغيب سَاءَكَ مَا يَفْرِي[٢]

قوله : ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ﴾ أي : ما كان زانيًا . قال قتادة[٣]: ليس بهارون أخي موسى ، ولكنه هارون آخر كان يسمّى هارون الصالح المحبَّب في عشيرته ، المعنى : يا شبيهة هارون في عبادته وفضله .

﴿فأشارت إليه﴾ بيدها قال قتادة[٤]: أَمَرتْهم بكلامه ﴿قالوا كيف نكلم﴾ أي : كيف نكلم ﴿من كان﴾ أي : من هو ﴿في المهد صبيًّا﴾ والمهد : الحِجْر ؛ في تفسير قتادة[٥].

﴿وجعلني مباركًا أينما كنت﴾ يقول : جعلني معلّمًا مؤدّبًا ﴿ولم يجعلني جبارًا﴾ أي : مستكبرًا عن عبادة الله ﴿والسلام عليَّ يوم ولدت ...﴾ الآية ، ولم يتكلم بعد ذلك بشيءٍ حتى بلغ مبلغ الغلمان ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق﴾ قال الحسن : الحق : هو الله .

قال محمدٌ : من قرأ (قوْلُ) بالرفع[٦]؛ فالمعنى : هو قول الحق[٧].

﴿الذي فيه يمترون﴾ قال قتادة[٨]: امترت فيه اليهود والنصارى ؛ أمّا اليهود ؛ فزعموا أنه ساحرٌ

---

(١) يقال : فَرَى يَفْرِي فَرْيًا والاسم : الفِرْيَة ، لسان العرب ، مختار الصحاح (فرى) .

(٢) البيت من بحر الطويل . ينظر البيان والتبيين (٥٨٩/١) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٧/٢ - ٨) والطبري (٧٧/١٦) .

وروى مسلم في صحيحه (١٦٨٥/٣ رقم ٢١٣٥) عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال : لما قدمت نجران سألوني فقالوا إنكم تقرءون ﴿يا أخت هارون﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا . فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك ، فقال : «إنهم كانوا يُسمُّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم» .

(٤) رواه الطبري (٧٩/١٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٩٧/٤) لابن أبي حاتم .

(٥) رواه الطبري (٧٩/١٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٢٩٧/٤) لابن أبي حاتم .

(٦) وهي قراءة نافع ، وأبي عمرو ، وابن كثير ، والكسائي . ينظر : الدر المصون (٥٠٥/٤) ، السبعة (٤٠٩) ، التيسير (١٤٩) ، النشر (٣١٨/٢) .

(٧) وينظر توجيه الرفع من البحر (١٨٩/٦) ، مجمع البيان (٥١٣/٣) .

(٨) رواه الطبري (٨٣/١٦) .

كذابٌ ، وأمَّا النصارى فزعموا أنه ابن الله وثالث ثلاثة [وإله][1] ﴿ما كان للَّه أن يتخذ من ولدٍ سبحانه﴾ (ل٢٠٣) ينزه نفسه عما يقولون ﴿إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾ [يعني : عيسى][3] كان في عِلْمِه أن يكون من غير أبٍ .

قال محمدٌ : قوله : ﴿أن يتخذ من ولد﴾ المعنى : أن يتخذ ولدًا ومِنْ مؤكدة[2].

﴿وإنّ اللَّه ربي وربكم ...﴾ الآية ، هذا قول عيسى لهم ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ يعني : النصارى ؛ فتجادلوا في عيسى ؛ فقالت فرقةٌ : هو ابن اللَّه ، وقالت فرقةٌ : إنّ اللَّه هو المسيح ابن مريم ، وقالت فرقةٌ : اللَّه إلهٌ ، وعيسى إلهٌ ، ومريم إله .

قال اللَّه : ﴿فويلٌ للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾ وذلك يوم القيامة يقول : ما أسمعهم يومئذٍ وما أبصرهم ؛ سمعوا حين لمْ ينفعْهم السَّمْعُ ، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر .

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾

﴿وأنذرهم يوم الحسْرة إذ قضى الأمر﴾ يعني : إذ وجب العذاب فوقع بأهل النار .

يحيى : عن صاحبٍ له ، عن سفيان[3]، عن سلمة بن كُهَيْل ، عن أبي الزعراء ، عن عبد اللَّه بن مسعود ؛ أنه ذكر حديثًا في البعْث ؛ قال : « فليس من نفسٍ إلا وهي تنظر إلى بيتٍ في الجنة وبيتٍ في النار . قال : وهو يوم الحسرة ، فيرى أهلُ النار البيت الذي في الجنة ، قال : ثم يقال لهم : لو عملْتُم ؛ فتأخذهم الحَسْرةُ ، ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار ، قال :

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) ينظر : إعراب القرآن (٢/٣١٥) ، مجمع البيان (٣/٥١٣) ، البيان (٢/١٢٦) .

(٣) في « ر » : سعيد . والحديث معروف من رواية سفيان كما سيأتي .

فيقال لهم: لولا أن منَّ الله عليكم»[١].

﴿وهمْ في غفْلةٍ﴾ في الدنيا؛ وهذا كلام مستقبلٌ ﴿وهم لا يؤمنون﴾.

﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها﴾ أي: نهلك الأرض ومن عليها ﴿وإلينا يرجعون﴾ يوم القيامة.

[٢](﴿واذْكُرْ في الكتاب إبراهيم﴾ أي: اقرأه عليهم ﴿إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبُد ما لا يسمع ولا يبصر﴾ يعني: الأصنام ﴿يا أبت لا تعبدُ الشيطان﴾ أي: إن عبادة الوثن عبادةُ الشيطان.

﴿يا أبت إني أخاف أن يمسَّك عذابٌ من الرحمن فتكون للشيطان وليًّا﴾ أيْ: إذا نزل بك العذابُ لم تقبل توبتك، ومَا لم ينزل بك فتوبتك مقبولة إن تُبْتَ.

قال محمدٌ: (يا أبت) الوقف عليه بالهاء: (يا أبَهْ) الهاء عوضٌ من ياء الإضافة[٣].

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾

﴿قال أراغبٌ أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ أن تعبدها ﴿لئن لمْ تنته﴾ عن شتمها وذمِّها ﴿لأرجمنك﴾ أي: بالحجارة فلأقتُلنك بها. وقال السدي[٤]: معنى (لأرجمنَّك): لأشتمنك.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٦٧٥/٨ - ٦٧٧ رقم ١٨٣) عن ابن نمير، ورواه العقيلي في الضعفاء (٣١٤/٢ - ٣١٦) من طريق أبي نعيم، ورواه الحاكم في المستدرك (٤٩٦/٤ - ٤٩٨) من طريق الحسين بن حفص؛ ثلاثتهم عن سفيان به في حديث طويل.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وقال العقيلي: عبد الله بن هانئ أبو الزعراء الكندي سمع ابن مسعود، وفيه كلام ليس في حديث الناس. حدثني آدم قال: سمعت البخاري قال: عبد الله بن هانئ أبو الزعراء الكندي كوفي، سمع ابن مسعود، سمع منه سلمة بن كهيل في الشفاعة، ولا يتابع على حديثه.

(٢) من أول هنا سقط من «ر».

(٣) ويقال: يا أبَتِ ويا أبَتَ لُغتان، ومن فتح أراد النُّدبة فحذف. لسان العرب، مختار الصحاح (أبو).

(٤) رواه الطبري (٩١/١٦).

قال محمدٌ : تقول العرب : فلانٌ يرمي فلانًا ، وفلانٌ يرجم فلانًا ؛ بمعنًى واحدٍ ؛ يريدون الشتم[١].

﴿واهجرني مليًّا﴾ يعني : طويلاً ﴿قال سلام عليك﴾ إبراهيم يقوله ، قال الحسن : هذه كلمة حِلْمٍ ﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيًّا﴾ . قال الكلبي : يعني : رحيمًا ، وقال بعضُهم : لطيفًا .

قال محمدٌ : حَفِيَ فلانٌ بفلان حِفوةً وحِفَاوةً ؛ إذا برَّه وألطفه[٢].

﴿عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيًّا﴾ أي : عسى أن أسْعَد به ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب ...﴾ إلى قوله : ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليًّا﴾ أي : رفيعًا ؛ يعني : الثناء عليهم من بعدهم .

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ أيمن الجبل ﴿وقرَّبناه نجيًّا﴾ يعني : حين كلمه .

قال محمدٌ : (نجيًّا) يعني : مناجيًا[٣].

﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًّا﴾ جعله الله له وزيرًا ، وأشركه معه في الرسالة)[٤].

﴿إنه كان صادق الوعد﴾ .

يحيى : عن أبان العطار « أن إسماعيل وعد رجلاً موعدًا ؛ فجاء للموعد فلم يجد الرجل ، فأقام في ذلك الموضع حَوْلاً ينتظره » .

---

(١) يقال : رَجَمه يَرْجُمه رَجْمًا ، فهو رجيم ومرجوم . لسان العرب (رجم) .

(٢) يقال : حَفِي - بالكسر - حِفْوةً وحِفْية وحِفَاية وحَفَاءً فهو حَافٍ ؛ أي : صار يمشي بلا خُفٍّ ولا نعل .
ويقال : حَفِي - بالكسر - حَفَاوة فهو حَفِيٌّ ؛ أي : بالغ في إكرامه وإلطافه . لسان العرب ، مختار الصحاح (حفي) .

(٣) أي : فعيل بمعنى فاعل . والجمع : أَنْجِية . قال الأخفش : وقد يكون النجي جماعة كالصَّديق ؛ قال الله ﴿خلصوا نجيًّا﴾ وقال الفراء : وقد يكون النجي اسمًا ومصدرًا . لسان العرب ، مختار الصحاح (نجو) .

(٤) نهاية السقط من « ر » .

﴿وكان عند ربه مرضيًا﴾ أي : قد رضي عنه [إذ ابتلاه بالذبح][1].

﴿ورفعناه مكانًا عليًا﴾ قال مجاهد : لم يمتْ إدريس ، بل رفع كما رُفِع عيسى .

﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾

﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم﴾ بالنبوة ﴿من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح﴾ وكان إدريس من ولد آدم قبل نوحٍ ، وكان إبراهيم من ذرية نوحٍ قال : ﴿ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل﴾ وهو يعقوب ﴿وممن هدينا﴾ للإيمان ﴿واجتبينا﴾ للنبوة ؛ يعني : اخترنا ﴿إذا تتلى عليهم آياتُ الرحمن خروا سُجّدًا وبكيًّا﴾ جمع : (باكٍ)[2] (ل٢٠٤) ﴿فخلف من بعدهم خلفٌ﴾ قال قتادة : يعني : اليهود ﴿أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا﴾ تفسير ابن مسعودٍ[3] (غيًّا) : وادٍ في جهنم ، وقد مضى تفسير (الخلف) في سورة الأعراف[4] ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئًا﴾ ﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ الغيب : الآخرة ؛ في قول الحسن المعنى : وعدهم في الدنيا الجنة في الآخرة .

قال محمدٌ : وتقرأ : (جناتُ) بالرفع[5] على معنى : هي جناتُ عدْنٍ ﴿إنه كان وعْدُه مأتيًّا﴾

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) لسان العرب (بكى) وفي « ر » : بكّاء .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٤/٣٠٥) للفريابي وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في البعث من طرق .

(٤) الأعراف : ١٦٩.

(٥) ينظر : إعراب القرآن (٢/٣٢٠) ، مجمع البيان (٣/٥٢٠) ، البحر (٦/٢٠١) .

قال محمدٌ: يعني: آتيًا؛ وهو مفعولٌ من الإتيان؛ في معنى فاعل[١].

﴿لا يسمعون فيها لغوًا﴾ أي: باطلاً ﴿إلا سلامًا﴾ أي: إلا خيرًا ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا﴾ أي: وفي كل ساعةٍ؛ في تفسير قتادة، والبُكرة والعشيُّ ساعتان من الساعات، وليس ثَمَّ ليلٌ[٢]. وقال مجاهدٌ[٣]: ليس فيها بكرة ولا عَشيٌّ، ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا.

﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ تفسير قتادة: قال: «هذا قول جبريل حين احتبس عن النبي ﷺ في بعضِ الوحي؛ فقال له نبي اللَّه: ما جئت حتى اشتقت إليك؛ فقال جبريل: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا﴾»[٤] يعني: من أمر الآخرة ﴿وما خلفنا﴾ من أمر الدنيا؛ أي: إذا كنا في الآخرة. ﴿وما بين ذلك﴾ قال الكلبي: يعني: البرزخ؛ ما بين النَّفْختين.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ٧٠ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢﴾

﴿هل تعلمُ له سميًّا﴾ أي: مِثْلاً؛ أي: أنك لا تَعْلَمُه، و(سميًّا) هو من: المُسَامَاة[٥] ﴿ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيًّا﴾ هو المشرك يكذب بالبعث. قال اللَّه ﴿أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا﴾ فالذي خلقه، ولم يك شيئًا قادرٌ على أن يبعثه يوم القيامة، ثم

---

(١) وهو قول الفراء. ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/١٧٠)، مجمع البيان (٣/٥٢٠).

(٢) والمراد بذلك الدار الآخرة في جنات عدن.

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٤/٣٠٥) لعبد بن حميد وهناد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) رواه الطبري (١٦/١٠٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/١٠) والطبري (١٦/١٠٣) من طريق معمر عن قتادة نحوه.

وروى البخاري (٦/٣٥٢ رقم ٣٢١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا ...﴾ الآية».

(٥) ينظر: مجمع البيان (٣/٥٢٠)، البيان (٢/١٢٩)، البحر (٦/٢٠٤)، لسان العرب (سمو).

أقسم بنفسه ؛ فقال : ﴿فو ربك لنحشرنهم﴾ يعني : المشركين ﴿والشياطين﴾ الذين دعتهم إلى عبادة الأوثان ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيًا﴾ قال قتادة : يعني : على ركبهم .

قال محمدٌ : (جثيًا) جمع (جاثٍ)[١]، وهو نَصْبٌ على الحال[٢].

﴿ثم لننزعن من كل شيعةٍ﴾ يعني : من كل أمة ﴿أيهم أشدُ على الرحمن عتيًا﴾ .

قال محمدٌ : (أيهم) بالرفع ، وهي أكثر القراءة ؛ على معنى : الذين يقال لهم : أيهم أشدُ[٣]. قيل : المعنى - واللَّه أعلم - : فإنه يبدأ بالتعذيب بأشدهم عتيًا ، ثم الذي يليه ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليًا﴾ يعني : الذين يَصْلَوْنها ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًا﴾ .

يحيى : عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه بن مسعودٍ في قوله : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال : « الصراط على جهنم مثل حدِّ السَّيف ، والملائكة معهم كَلاَلِيبُ من حديد كلما وقع رجلٌ اختطفوه ؛ فيمر الصف الأول كالبرق ، والثاني كالريح ، والثالث كأجْوَدِ الخيل ، والرابع كأجود البهائم ، والملائكة يقولون : اللَّهم سلِّمْ سلِّمْ »[٤].

وتفسير الحسن : ﴿إلا واردها﴾ إلا داخلها ، فيجعلها اللَّه على المؤمنين بردًا وسلامًا ؛ كما جعلها على إبراهيم .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ

(١) لسان العرب (جثو) .
(٢) ينظر الدر المصون (٥١٦/٤) .
(٣) ينظر : البيان (١٣٠/٢ - ١٣١) ، البحر (٢٠٨/٦) ، مجمع البيان (٥٢٢/٣ - ٥٢٣) .
(٤) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٧٠ رقم ٩٦) بإسناده إلى يحيى بن سلام به .
ورواه الطبري في تفسيره (١١٠/١٦) وآدم بن أبي إياس في تفسيره - كما في التخويف من النار (ص١٩٧) - والحاكم في المستدرك (٣٧٥/٢ - ٣٧٦) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٠٨/٤) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .
وروي هذا الحديث عن ابن مسعود موقوفًا ومرفوعًا ، انظر التخويف من النار (١٩٦ - ١٩٧) والدر المنثور (٣٠٨/٤) .

ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أيُّ الفريقين﴾ نحن أو أنتم؟ ﴿خيرٌ مقامًا وأحسن نديًّا﴾ المقام: المسكن، والنَّدِيُّ: المجلس.

قال قتادة[١]: رأوا أصحاب النبي في عيشهم خشونة، فقالوا لهم ذلك.

قال الله: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرنٍ هم أحسن أثاثًا﴾ أي: متاعًا ﴿ورئيًا﴾ أي: منظرًا؛ في قراءة من قرأها مهموزة، ومن قرأها بغير همزٍ (وريًّا)[٢] فهو من قِبَل الرَّوَاء[٣]، وإنما عيش الناس بالمطر تُنْبِتُ زروعهم، وتعيش ماشيتهم[٤] (﴿قل من كان في الضلالة﴾ هذا الذي يموت على ضلالته ﴿فليمدد له الرحمن مدًّا﴾ هذا دعاءٌ أمرَ الله النبي أن يدعُوَ به؛ (ل٢٠٥) المعنى: فأمدَّ له الرحمن مدًّا.

﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة﴾ يعني: إما العذاب في الدنيا قبل عذاب الآخرة، أو العذاب الأكبر؛ لم يبعث الله نبيًّا إلا وهو يحذِّر أمته عذاب الله في الدنيا، وعذابه في الآخرة.

قال محمدٌ: (العذاب) و(السَّاعة) منصوبان على معنى البدل[٥] من [ما][٦] يوعدون؛ المعنى: إذا رأوا العذاب أو رأوا الساعة، قال: فيسلمون عند ذلك.

﴿من هو شرٌّ مكانًا﴾ أهم المؤمنون ﴿وأضعف جندًا﴾ في النصرة والمَنَعَة؛ أي: ليس لهم أحدٌ يمنعهم من عذاب الله ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ يعني: يزيدهم إيمانًا ﴿والباقيات الصالحات﴾ قال الحسن: هي الفرائض ﴿خيرٌ عند ربك ثوابًا﴾ جزاءً في الآخرة ﴿وخيرٌ مرَدًّا﴾ يعني: خيرٌ عاقبة من أعمال الكفار.

---

(١) رواه الطبري (١٦/١١٦).
(٢) ترك الهمز قالون عن نافع وابن عامر. السبعة (٤١١ - ٤١٢) التيسير (١٤٩).
(٣) وقيل: بل هو من الرِّي ضد العطش. الدر المصون (٤/٥٢٠).
(٤) من هنا بدأ سقط آخر من «ر».
(٥) ينظر: البحر (٦/٢١٢)، إعراب القرآن (٢/٣٢٦)، مجمع البيان (٣/٥٢٥).
(٦) في «الأصل»: مما.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولدًا﴾ أي: في الآخرة ﴿أطّلع الغيب﴾ على الاستفهام؛ أي: علم ما فيه؛ أي: لم يطّلع ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهدًا﴾ أي: لم يفعَلْ، والعهْدُ: التوحيدُ؛ في تفسير بعضهم.

﴿كلاّ سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدًّا﴾ هو كقوله: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا﴾[1].

﴿ونرثه ما يقول﴾ أي: نرثه ماله وولده الذي قال ﴿ويأتينا فردًا﴾ لا شيء معه.

يحيى: عن صاحب له، عن الأعمش، عن أبي الضّحى، عن مسروق، عن خبّاب بن الأرتّ قال: «كنت قَيْنًا[2] في الجاهلية، فعملت للعاص بن وائل حتى اجتمعت لي عنده دراهم؛ فأتيته أتقاضاه فقال: واللّه لا أقضيك حتى تكفر بمحمدٍ، فقلت: واللّه لا أكفر بمحمدٍ؛ حتى تموت ثم تبعث. قال: وإني لمبعوثٌ؟! قلت: نعم. قال: فسيكون لي ثَمَّ مالٌ وولدٌ فأقضيك. فأتيت النبي ﷺ فأنزل اللّه هذه الآية إلى قوله: ﴿ويأتينا فردًا﴾»[3].

﴿واتخذوا من دون اللّه آلهةً ليكونوا لهم عزًّا﴾ هو كقوله: ﴿واتخذوا من دون اللّه آلهة لعلهم ينصرون﴾[4] وإنما يرجون منفعة أوْثانهم في الدنيا، لا يقرون بالآخرة.

---

(١) النبأ: ٣٠.

(٢) القَيْن هو الحدّاد، وهو أيضًا: العَبْد. والجمع: قُيُون: لسان العرب (قين).

(٣) رواه البخاري (٣٧٢/٤ رقم ٢٠٩١)، ومسلم (٢١٥٣/٤ رقم ٢٧٩٥) من طريق الأعمش به.

(٤) يس: ٧٤.

قال الله : ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم﴾ في الآخرة ﴿ويكونون عليهم ضدًّا﴾ [قرناء في النار][١] المعنى : يلعنُ بعضهم بعضًا ، ويتبرأ بعضهم من بعض ؛ في تفسير قتادة[٢].

﴿أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزًّا﴾ قال قتادة[٣]: يعني : تزعجهم إزعاجًا في معصية الله .

﴿فلا تعجل عليهم﴾ وهذا وعيدٌ ﴿إنما نَعُدُّ لهم عدًّا﴾ يعني : الأجل . قال سعيد بن جبير : كتب في أول الصحيفة أجلُه ، ثم يكتب أسفل من ذلك ذَهَبَ يوم كذا ، وذهب يوم كذا ؛ حتى يأتي على أجله[٤].

﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا﴾ .

يحيى : بلغني عن جُوَيبر ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن الحارث ، عن علي « أنه سأل رسول الله ﷺ فقال : هل يكون الوافدُ إلا الرَّاكب؟ فقال : والذي نفسي بيده ، إنهم إذا خرجوا من قبورهم استُقْبِلوا بنُوقٍ بيض لها أجنحة عليها رحائل الذهب ، كل خطوة منها مدّ البصر »[٥].

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من ابن كثير (٢٥٧/٥) .

(٢) رواه الطبري (١٢٤/١٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣١٢/٤) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٣) رواه عبد الرزاق (١٢/٢) والطبري (١٢٥/١٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣١٢/٤) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) نهاية السقط من « ر » .

(٥) جويبر بن سعيد متروك ؛ وقد اختلف عليه فيه :

فرواه عمرو بن هاشم الجنبي عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس « سأل عليُّ بن أبي طالب رسولَ الله ﷺ . . . فذكره .

خرجه ابن عدي في الكامل (٢٤٥/٦) .

ورواه إسماعيل بن زياد عن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي .

خرجه أبو نعيم في صفة الجنة (١٢٨/٢ رقم ٢٨١) .

ورواه العقيلي في الضعفاء (٨٦/١) من طريق إسماعيل بن عبيد الله بن سلمان ، عن أبيه ، عن الضحاك ، عن الحارث ، عن علي .

وقال العقيلي : حديث غير محفوظ .

قال محمدٌ : الوفد في كلام العرب : الرُّكبان المكرمون ، واحدهم : وافدٌ(١).

﴿ونسوق المجرمين﴾ يعني : المشركين ﴿إلى جهنم وردًا﴾ أي : عطاشًا .

قال محمدٌ : ﴿وردًا﴾ أصْلُه في اللغة : الجماعة يردون الماء(٢).

﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا﴾ قال بعضهم العهد : التَّوحيد .

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ
الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾
إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ
آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾
فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن
قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾

= ورواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند (١/١٥٥) وفي زوائد فضائل الصحابة رقم (١٢٢٨) وهناد في الزهد (٨٦) وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/١١٩) والطبري في التفسير (١٦/١٢٦) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/١٤١) - والحاكم في المستدرك (٢/٣٧٧) وابن مردويه والواحدي في تفسيريهما - كما في تخريج الكشاف (٢/٣٣٨) - وأبو نعيم في صفة الجنة (٢/١٢٩ - ١٣٠ رقم ٢٨١) والبيهقي في الشعب (٢/٢١٢ رقم ٣٥٢) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن علي موقوفًا .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

وتعقبه الذهبي بقوله : قلت : بل عبد الرحمن هذا لم يرو له مسلم ولا لخاله النعمان ، وضعفوه .

ورواه أبو بكر بن أبي داود في كتاب البعث عن عباد بن يعقوب الرواجني ، عن محمد بن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق به مرفوعًا .

ثم قال : لم يرفعه عن ابن فضيل إلا عباد . اهـ تخريج الكشاف (٢/٣٣٩) .

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/١٤١) - عن أبي معاذ البصري عن علي مرفوعًا مطولاً .

قال ابن كثير : وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثًا غريبًا جدًا مرفوعًا عن علي ...فذكره ثم قال : هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعًا ، وقد رويناه في المقدمات من كلام علي رضي الله عنه بنحوه ، وهو أشبه بالصحة ، والله أعلم .

(١) ويُجمع الوَفْد على : أَوْفَاد ، ووُفُود . لسان العرب (وفد) .

(٢) وهو ضدُّ الصَّدَر . مختار الصحاح (ورد) .

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا لقد جئتم شيئًا إدًّا﴾ قال (مجاهد)[١]: يعني: عظيمًا ﴿يكاد[٢] السموات يتفطرن منه﴾ أي: يتشققن منه ﴿وتنشقُّ الأرض وتخر الجبال هدًّا﴾ أي: سقوطًا ﴿أن دَعَوْا﴾ بأن دعوا ﴿للرحمن ولدًا﴾ قال قتادة: بلغنا أن كعبًا قال: غضبت الملائكة، وسُعِّرت جهنم حين قالوا ما قالوا.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًّا﴾ قال قتادة[٣]: يعني: في قلوب أهل الإيمان.

(ل٢٠٦) **يحيى**: عن مندل بن علي، عن سُهَيْل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنّ اللَّه إذا أحبَّ عبدًا دعا جبريل، فقال: إني أحبُّ فلانًا فأحبَّه. قال: فينادي جبريل: (يا أهل السماء)[٤] إن اللَّه يحب فلانًا؛ فأحبوه. قال: ثم يُوضع له القبول - يعني: المودة - في الأرض»[٥] قال سُهَيْل: وأحْسبُه ذكر البغض مثل ذلك.

﴿فإنما يسرناه﴾ يعني: القرآن ﴿بلسانك﴾ يا محمد ﴿لتبشر به المتقين﴾ بالجنة ﴿وتنذر به﴾ بالنار ﴿قومًا لدًّا﴾ أي: ذوي لَدَدٍ وخصومَةٍ؛ يعني: قريشًا ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ قبل قومك يا محمد ﴿من قرن هل تحسُّ منهم من أحدٍ﴾ أي: هل ترى ﴿أو تسمع لهم ركزًا﴾ يعني: صوتًا؟ أي: إنك لا ترى منهم أحدًا، ولا تسمع لهم صوتًا.

قال محمدٌ: الرِّكْزُ في اللغة: الصَّوْتُ الخفيُّ[٦].

---

(١) في «ر»: محمد.

(٢) قرأ نافع والكسائي ﴿يكاد﴾ بالياء على التذكير، وقرأ الباقون ﴿تكاد﴾ بالتاء على التأنيث. النشر (٣١٩/٢) وإتحاف الفضلاء (٣٨٠).

(٣) رواه الطبري (١٣٣/١٦).

(٤) في «ر»: في أهل السموات.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٢٠٣٠/٤ - ٢٠٣١ رقم ٢٦٣٧) من طريق سهيل بن أبي صالح به.
ورواه البخاري (٤٦٩/١٣ رقم ٧٤٨٥) من طريق عبد اللَّه بن دينار عن أبي صالح به.
ورواه البخاري (٣٥٠/٦ رقم ٣٢٠٩، ٤٧٦/١٠ رقم ٦٦٤٠) من طريق نافع عن أبي هريرة.

(٦) لسان العرب، مختار الصحاح (ركز).

تفسير سورة طه وهي مكّيّة كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾

قوله : ﴿طه﴾ قال الحسن[1]: يعني : يا رجُلُ ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ وذلك أن المشركين قالوا للنبي : إنه شقيٌّ ﴿إلا تذكرةً لمن يخشى﴾ يقول : إنما (أنزله)[2] تذكرةً لمن يخشى اللّه ، وأما الكافر فلم يقبل التذكرة ﴿تنزيلا﴾ (أي : أنزّله تنزيلاً)[3] ﴿ممّن خلق الأرض والسمٰوات العلى﴾ يعني : نفسَهُ .

قال محمدٌ : (العلى) جمع : العُليَا ؛ يقال : سماءٌ عُلْيا ، وسمٰوات عُلاً[4].

﴿له ما في السمٰوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ قال أبو رجاء العُطَاردي : الثرى : الأرض التي تحت الماء التي يستقر عليها ؛ فهو يعلم ما تحت ذلك الثّرى ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السّر وأخفى﴾ قال قتادة[5]: السّرُّ : ما حدثت به نفْسَك ، وأخفى منه : ما هو كائن مِمّا لم تحدث به نفْسك .

﴿له الأسماء الحسنى﴾ للّه تسعةٌ وتسعون اسمًا .

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٥/٢) والطبري (١٣٦/١٦) .

(٢) في « ر » : أنزلناه .

(٣) سقط من « ر » .

(٤) لسان العرب (علو) ، الدر المصون (٧/٥) .

(٥) رواه عبد الرزاق (١٥/٢) والطبري (١٤٠/١٦) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣١٨/٤) لعبد الرزاق وعبد بن حميد .

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢﴾

﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ أي: قد أتاك حديث موسى ﴿إذ رأى نارًا﴾ أي: عند نفسه (وإنما كانت نورًا)[1] ﴿فقال لأهله امكثوا إني آنست نارًا﴾ أي: رأيت ﴿لعلي آتيكم منها بقبسٍ أو أجد على النار هدًى﴾ يعني: هُدَاة يهدونه الطريق.

قال محمدٌ: القَبَسُ: ما أخذته في رأس عودٍ من النار، أو في رأس فَتِيلة[2].

قال: ﴿فلما أتاها﴾ أي: النار التي ظنها نارًا ﴿نودي يا موسى إني أنا ربك﴾.

قال محمدٌ: تقرأ: (أني) بالفتح والكَسْر[3]؛ الفتح على معنى: نودي بأني، والكسْر بمعنى: نودي: يا موسى، فقال الله له: ﴿إني أنا ربك فاخلع نعليك﴾ قال قتادة[4]: كانتا من جلد حمارٍ ميت فخلعهما ﴿إنك بالواد المقدس طوى﴾ المقدس: المبارك، وطوى: اسْمُ الوادي.

قال محمدٌ: القراءة عند أهل المدينة بضم أوله بغير تنوين[5].

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ

(١) سقط من «ر».

(٢) وهي الذُّبالة. مختار الصحاح (فتل).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالفتح على تقدير الباء؛ أي: بأني، وقرأ الباقون بالكسر. ينظر: النشر (٣١٩/٢ - ٣٢٠)، الدر المصون (٩/٥).

(٤) رواه عبد الرزاق (١٥/٢) والطبري (١٤٤/١٦).

(٥) قرأ الكوفيون وابن عامر (طُوًى) بضم الطاء والتنوين، والباقون بضمها من غير تنوين، وروي عن الحسن والأعمش بكسر الطاء منونًا، وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو بكسرها غير منونة. ينظر النشر (٣١٩/٢) الإتحاف (٣٦٥)، البحر (٦/ ٢٣١)، الدر المصون (٩/٥).

تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ
بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وأنا اخترتك﴾ أي: لرسالتي ولكلامي ﴿فاستمع لما يوحى﴾ إليك ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ في تفسير مجاهد[1]: إذا صلى العبد ذكر الله ﴿إن الساعة﴾ يعني: القيامة ﴿آتية أكاد أخفيها﴾ قال قتادة[2]: هي في قراءة أُبي: (أكاد أخفيها من نفسي)[3] ﴿لتجزى كل نفسٍ بما تسعى﴾ يقول: إنما تجيء الساعة لتجزى كل نفس بما تعمل.

﴿فلا يصدنك عنها﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿من لا يؤمن بها﴾.

﴿فتردَى﴾ أي: تهلك.

﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ سأله عن العصا التي في يده اليمنى، وهو أعلم بها. قال موسى: ﴿هي عصاي أتوكأُ عليها وأهشُّ بها على غنمي﴾ قال قتادة[4]: كان يَخْبط[5] بها ورق الشجر.

﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ قال قتادة[6]: يعني: حَوَائج.

قال محمدٌ: واحد المآرب: مَأْرُبة، ومأْرَبَة أيضًا[7].

﴿فألقاها فإذا هي حيَّة تسعى﴾ أي: تزحف على بَطْنها بِسُرْعة.

﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾ أي: هيئتها الأولى؛ يعني: عصا ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾

---

(١) رواه الطبري (١٦/١٤٨).
وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٢٢) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٢) رواه عبد الرزاق (٢/١٦) والطبري (١٦/١٤٩).
وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٢٣) لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٣) ينظر البحر (٦/٢٣٣)، الدر المصون (٥/١١).
(٤) رواه عبد الرزاق (٢/١٦) والطبري (١٦/١٥٤).
وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٢٣) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.
(٥) أي: يضرب. لسان العرب (خبط).
(٦) رواه عبد الرزاق (٢/١٦) والطبري (١٦/١٥٥).
وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٢٤) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.
(٧) ونقل الفارابي: (مَأْرِبَة) أيضًا بالكسر، وبابه طرب. ينظر مختار الصحاح (أرب).

قال مجاهد(١): أمَره أن يدخل كفَّه تحت عضده (ل٢٠٧) ﴿تخرج بيضاء من غير سوءٍ﴾ قال قتادة(٢): يعني : من غير برص(٣).

قال الحسن(٤): أخرجها - والله - كأنها مصباح ، فعلم موسى أن قد لقي ربَّهُ .

﴿آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى﴾ كانت اليد أكبر من العصا .

قال محمدٌ : (آيةً) بالنَّصْب على معنى : نريك آيةً أخرى(٥).

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾

﴿قال﴾ موسى ﴿ربِّ اشرح لي صدري﴾ دعا أن يشرح صدره للإيمان .

﴿ويسر لي أمري واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي﴾ ففعل الله به ذلك ، وكانت العقدة التي في لسانه أنه تناول لحية فرعون وهو صغير فهمَّ بقتله ، وقال : هذا عدوٌّ لي ! فقالت له امرأته : إن هذا صغيرٌ لا يعقل ؛ فإن أردت أن تعلم ذلك ، فادعُ بتمرةٍ وجمرةٍ ، فاعرضهما عليه ، فأُتي بتمرةٍ وجمرةٍ فعرضهما عليه ، فتناول الجمرة فألقاها في فيه ، فمنها كانت [تلك](٦) العُقْدة في لسانه .

قال محمدٌ : يعني بالعقدة : رُتَّة(٧).

﴿واجعل لي وزيرًا من أهلي﴾ أيْ : عونًا من أهلي ﴿هارون أخي اشدُدْ به أزري﴾ أي : ظهري .

---

(١) رواه الطبري (١٦/١٥٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٢٤) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) رواه عبد الرزاق (٢/١٦) والطبري (١٦/١٥٨) .

(٣) هو بياض يصيب الجلد . المعجم الوسيط (برص) .

(٤) رواه ابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور (٤/٣٢٤) .

(٥) ينظر : إعراب القرآن (٢/٣٣٦) ، مجمع البيان (٤/٧) ، البيان (٢/١٤١) .

(٦) سقطت من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٧) الرُّتَّة - بضم الراء - : العُجْمة في الكلام ، ورجل بَيِّن الرَّتَتِ ، وفي لسانه رُتَّة ؛ أي : عجمة . لسان العرب ، مختار الصحاح (رتت) .

قال محمدٌ : يقال : أزرت فلانًا على الأمر ؛ أي : قوّيته عليه ، فأما وازرته : فصرت له وزيرًا[١].

﴿وأشركه في أمري﴾ دعاء من موسى لربه أن يشركه في أمره .

﴿قال قد أوتيت سؤلك﴾ أي : ما سألت ﴿يا موسى﴾ .

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ فذكَّره النعمة الأولى - يعني : قوله : ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى﴾ شيء قذف في قلبها أُلهِمَتْهُ ، وليس بوحي نبوة ﴿أن اقذفيه في التابوت﴾ أي : اجعليه ﴿فاقذفيه في اليم﴾ في البحر ﴿فلْيلْقِه اليم بالساحل يأخذه عدوٌّ لي وعدوّ له﴾ يعني : فرعون ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ قال قتادة : ألقى الله عليه محبّةً منهُ ، فأحبوه حين رأوه ﴿ولتصنع على عيني﴾ أي : ولتُغذّى بمرأى مني .

﴿هل أدلكم على من يكْفُله﴾ أي : يضمُّه . قالوا : نعم . فجاءت بأمه ، فَقَبِلَ ثديها .

﴿وقتلت نفسًا﴾ يعني : القبطي الذي كان قتله خطأً ﴿فنجيناك من الغم﴾ قال الحسن : يعني : من الخوف ؛ فلم يصل إليك القومُ ، وغفرنا لك ذلك الذنب ﴿وفتنّاك فتونًا﴾ أي : ابتليناك ابتلاءً ؛ الابتلاء والاختبار بمعنى واحدٍ ﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾ أقام بمَدْيَن عشرين سنة ﴿ثم جئت

---

(١) الأَزْر : القوة ، والوِزْر : الثِّقْل ، ومنه الوزير ؛ لأنه يحمل عنه وِزْره ؛ أي : ثقله . لسان العرب ، مختار الصحاح (أزر) ، (وزر) .

على قدر يا موسى﴾ أي: على موعد؛ في تفسير مجاهد[١].

﴿واصطنعتك لنفسي﴾ اخترتك.

﴿ولا تنيا في ذكري﴾ أي: لا تضعفا في الدعاء إليَّ ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ كفر ﴿فقولا له قولاً لينًا﴾ سمعتُ بعض الكوفيين يقول في تفسير ذلك: كَنِّياه ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ قال السُّدي: الألف ها هنا صلة[٢] يقول: لعله يتذكَّر ويخشى.

قال محمدٌ: (لعلَّ) في اللغة معناها: الترجِّي والطمعُ[٣]، فالمعنى: اذهبا على رجائكما وطَمَعِكُمَا؛ وقد علم اللهُ - عز وجل - أنه لا يتذكَّر ولا يخشى.

﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ أي: يعجل علينا عقوبة منه ﴿أو أن يطغى﴾ فيقتلنا ﴿قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ يقول: ليس بالذي يصل إلى قتلكما.

﴿فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم﴾ كان بنو إسرائيل عند القبط بمنزلة أهل الجزية فينا ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ العصا واليد ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾.

قال يحيى: كان النبي ﷺ إذا كتب إلى المشركين كتب: «السلام على من اتبع الهدى»[٤].

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾

﴿قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ قال الكلبي: أعطاه

---

(١) رواه الطبري (١٦/١٦٨).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٠٠) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) يريد: أن (أو) بمعنى الواو في معنى الجمع، وانظر في دلالتها على معنى الواو - مغني اللبيب (١/٧٥).

(٣) أصل (لعل) في اللغة أنها كلمة شكٌ، وأصلها: (عَلّ)، واللام في أولها زائدة، وانظر في الكلام عليها مغني اللبيب (١/ ٣١٥ - ٣١٨).

(٤) رواه البخاري (١/٤٢ - ٤٤ رقم ٧) ومسلم (٤/١٣٩٣ - ١٣٩٧ رقم ١٧٧٣) عن أبي سفيان بن حرب ﷺ في حديث هرقل الطويل.

شكله ، أعطى الرجل المرأة ، والجمل الناقة ، والذكر الأنثى ﴿ثم هدى﴾ عرَّفه كيف يأتيها ﴿قال فما بال القرون الأولى﴾ المعنى : دعاه موسى إلى الإيمان بالبعث ، فقال له فرعون : فما بال القرون الأولى قد هلكت فلم تُبْعَثْ ﴿قال علمها عند ربي في كتابٍ لا يضلُّ ربي ولا ينسى﴾ لا يضله (ل٢٠٨) فيذهب ، ولا ينسى ما فيه ؛ هذا تفسير الحسن .

قال محمدٌ : من قرأ (يَضِل) بفتح الياء[١]، فهو من قولك : ضللت الشيء أضلهُ ؛ إذا جعلته في مكان لمْ تدرِ أين هو[٢].

ومن قرأ (يُضِل) بضم الياء[٣]، فهو من قولك : أَضْلَلْتُ الشيء ، ومعنى أضللته : أضعْتُه[٤].

﴿الذي جعل لكم الأرض مهدًا﴾ أي : بساطًا ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾ أي : جعل لكم فيها طُرُقًا ﴿وأنزل من السَّماء ماءً فأخرجنا به أزواجًا﴾ أَصْنَافًا ﴿من نباتٍ شتى﴾ أي : مختلف ، فالذي ينبت هذه الأزواجَ الشَّتَّى قادرٌ على أن يبعثكم بعد الموت .

﴿إن في ذلك لآياتٍ لأولي النُّهى﴾ العقول .

قال محمد : واحد النهى : نُهْيَة ، يقال : فلانٌ ذو نُهْيَةٍ ؛ أي : ذو عقلٍ ينتهي به عن القبائح[٥].

﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟

(١) وهي قراءة العامة .

(٢) يقال : ضَلِلْتُ الشيءَ أَضِلُّه ضَلالاً وضَلالَة ؛ وهي لغة أهل العالية ، أما لغة أهل نجد ، وهي الفصيحة : ضَلَلْتُ أَضِلُّ . مختار الصحاح (ضلل) ومعاني الفراء (١٨١/٢) .

(٣) وهي قراءة الحسن وقتادة والجحدري وغيرهم . ينظر : الإتحاف (٣٦٧) مختصر ابن خالويه (٨٧) ، الدر المصون (٢٧/٥) .

(٤) وقال ابن السكيت : أَضْلَلْت بعيري ؛ إذا ذهب منك ، وضَلَلْت المسجد والدار ؛ إذا لم تعرف موضعهما . لسان العرب ، مختار الصحاح (ضلل) وينظر الإملاء (١٢٢/١) .

(٥) وسمي العقل نُهْيَة ؛ لأنه ينهى عن القبيح . لسان العرب ، مختار الصحاح (نهى) .

عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾

﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ يعني : التسعَ .

﴿فاجعل بيننا وبينك موعدًا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانًا سوى﴾ قال مجاهد[١]: يعني : منصفًا .

قال محمدٌ : يعني : يكون النصفُ فيما بين المكانيْن .

﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ يعني : يوم عيد كان لهم يجتمعون فيه ﴿ضحى فتولى فرعون فجمع كيده﴾ يعني : ما جمع من سَحَرة ﴿فيسحتكم بعذاب﴾ أي : يستأصلكم ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ أي : تناظروا ؛ يعني : السَّحرة ﴿وأسروا النجوى﴾ أخفوا الكلام ، قالت السحرة : إن كان هذا الرجل ساحرًا ؛ فإنا سنغلبه ، وإن يك من السماء كما زعم فله أمْرٌ .

﴿إن هذان لساحران﴾ يعني : موسى وهارون .

قال محمدٌ : قوله : ﴿هذان﴾ بالرفع ؛ ذكر أبو عبيْدة أنها لُغَةٌ لكِنانة ؛ يجعلون ألف الاثنين في الرفع والخفض والنصْب على لفظٍ واحدٍ ، ولأهْل العربيَّة فيه كلام كثير ، واختلافٌ يطول ذكره ، غير الذي ذكر أبو عبيْدة[٢].

﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ أي : بعيْشكم الأمثل ؛ يعني : بني إسرائيل ، وكان بنو إسرائيل في القبط بمنزلة أهل الجزية فينا ؛ يأخذون منهم الخراج ويستعبدونهم ﴿فأجمعوا كيْدكم﴾ أي : سحركم ، يقوله بعضهم لبعضٍ ﴿ثم ائتوا صفًّا﴾ أي : تعالوا جميعًا ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ غلب .

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/١٧) والطبري (١٦/١٧٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٢٢) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) وفي ذلك تفصيل نحوى واسع ، يشمل القراءات القرآنية وتوجيهها . ينظر : إعراب القرآن (٢/٣٤٣) ، البحر (٦/ ٢٥٥) ، الخصائص (٣/٦٥) ، الهمع (١/١٣٣) .

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾

﴿يُخَيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ أي: أنها حياتٌ تسعى ﴿فأوجس في نفسه﴾ أضمَر.

﴿تلقَّف[1] ما صنعوا﴾ أي: تبتلعه بفيها.

﴿إنما صنعوا﴾ أي: أن الذي صنعوا ﴿كيدُ ساحرٍ ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ حيث كان.

﴿إنه لكبيركم﴾ في السحر؛ أيْ: عالمكم ﴿فلأُقطعنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ولتعلمن أيُّنا﴾ يعني: أنا أو موسى ﴿أشدُّ عذابًا وأبقى﴾.

﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا﴾ أي: وعلى الذي خلقنا.

﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ قال السُّدي يقول: افعَلْ في أمرنا ما أنت فاعل، إنما تفعل في هذه الحياة الدنيا ﴿والله خيرٌ﴾ منك يا فرعون ﴿وأبقى﴾.

﴿إنه من يأتِ ربه مجرمًا﴾ أي: مشركًا ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى﴾.

﴿ومن يأته مومنًا ...﴾ إلى قوله: ﴿من تزكى﴾ أي: من آمن.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا

---

(١) وهي قراءة العامة؛ أي: بفتح اللام وتشديد القاف، وقرأ حفص وحده بإسكان اللام وفتح القاف. ينظر السبعة (٤٢٠)، التيسير (١٥٢)، النشر (٢/٣٢١).

تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾
كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ
هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ
يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ
بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ
وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم
مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ
أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾
أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا﴾ قال الحسن: أتاه جبريل على فرسٍ؛ فأمره فضرب البحر بعصاه، فصار طريقًا يبسًا.

قال محمدٌ: يعني: ذا يبَسٍ.

قال يحيى: بلغني أنه صار اثني عشر طريقًا، لكل سبطٍ[1] طريقٌ.

﴿لا تخاف دركًا﴾ أن يدركك فرعون ﴿ولا تخشى﴾ الغرق أمامك ﴿فأتبعهم فرعون بجنُوده﴾ **قال محمدٌ**: يعني: لحقهم ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ يقول: فغرقوا.

﴿وواعدناكم﴾ يعني: مواعدته لموسى ﴿جانب الطور الأيمن﴾ يعني: أيمن الجبل ﴿ونزلنا عليكم المنَّ والسَّلْوى﴾ وقد مضى تفسيره[2].

﴿ولا تطغوا فيه﴾ أي: لا تعصوا اللَّه في رفع المنِّ والسَّلْوى، وكانوا أمروا ألا يأخذوا منه لغدٍ، وقد مضى تفسير هذا[1] ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ أي: (ل٢٠٩) فيجب ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ في النار.

---

(١) السِّبْط واحد الأسباط؛ وهم ولد الولد. والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب. مختار الصحاح (سبط).
(٢) البقرة: ٥٧، الأعراف: ١٦٠.

﴿وإني لغفار لمن تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى﴾ مضى بالعمل الصالح حتى يموت .

﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ قال بعضهم : يعني : السبعين الذين اختارهم ؛ فذهبوا معه للميعاد ﴿قال هم أولاء على أثري﴾ أي : ينتظرونني بالذي آتيهم به ، وليس يعني أنهم يتبعونه .

﴿قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ أي : ابتليناهم .

﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا﴾ أي : حزينًا شديد الحزن مع غضبه على ما صنع قومه من بعده ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا﴾ في الآخرة على التمسُّك بدينه ﴿أفطال عليكم العهد﴾ يعني : الموعد ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ...﴾ أي : بطاقتنا إلى قوله : ﴿فنسي﴾ .

قال يحيى : كان وعدهم موسى أربعين ليلة ، فعدوا عشرين يومًا وعشرين ليلة ، فقالوا : هذه أربعون ، فقد أخلفنا موسى الوعد ، وكانوا استعاروا من آل فرعون حُلِيًّا لهم [أظنه][(١)] ليوم العيد ، وكانوا قد أمروا أن يسري بهم ليلاً ، فكره القوم أن يردُّوا العواري[(٢)] على آل فرعون ، فيفطنوا لهم ، فأسروا من الليل والعواري معهم ؛ وهي الأوزار التي قالوا : ﴿حُمِّلْنا أوزارًا﴾ أي : أثقالاً ، فقال لهم السامري بعد ما مضت عشرون يومًا وعشرون ليلة : إنما ابتُليتم بهذا الحلي فهاتوه . وألقى ما معه من الحُلِيّ ، وألقى القوم ما معهم ، فصاغه عجلاً ، ثم ألقى في فيه التراب الذي كان أخذه من تحت حافر فرس جبريل يوم جاز بنو إسرائيل البحر فجعل يخور خُوَار[(٣)] البقرة ؛ فقال عدو اللَّه : ﴿هذا إلهكم وإله موسى فنسي﴾ أي : نسي موسى ، المعنى : أن موسى طلب هذا ولكنه (نسيه)[(٤)] وخالفه في طريق آخر ؛ قال اللَّه : ﴿أفلا يرون ألا يرجعُ إليهم قولاً﴾ يعني : العجل .

قال محمدٌ : من قرأ (ألا يرجعُ) بالرفع[(٥)]، فالمعنى : أنه لا يرجعُ ﴿ولا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا﴾ .

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) واحدها : عاريَة : وهو ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك . المعجم الوسيط (عور) .

(٣) الخوار : الصِّياح . لسان العرب (خور) .

(٤) في « ر » : نُبِّهَه .

(٥) وهي قراءة العامة ، وقرأ أبو حيوة بنصب (يرجع) . ينظر البحر (٦/٢٦٩) ، الدر المصون (٥/٤٨) .

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ أي: من قبل أن يرجع إليهم موسى حين اتخذوا العجل ﴿يا قوم إنما فتنتم به﴾ يعني: العجل ﴿وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾ ﴿قالوا لن نبرح﴾ أي: لن نَزَالَ ﴿عليه عاكفين﴾ نعبده ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾.

﴿قال يا ابن أُمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولمْ ترقبْ قولي﴾ أي: ولم تنتظر ميعادي، وقد استخلفتك فيهم.

قال محمدٌ: من قرأ (يا ابن أُمَّ) بفتح الميم[١] وموضعها جرٌّ فإنما ذلك؛ لأن (ابن وأُمّ) جُعِلا شيئًا واحدًا، وبُنِيا على الفتح مثل خمسة عشر[٢].

﴿قال﴾ ثم أقبل موسى على السَّامري؛ فقال له: ﴿فما خطبك﴾ أي: ما حُجَّتك ﴿يا سامري قال بصُرْتُ بما لمْ يبصُروا به﴾ يعني: بني إسرائيل، وكان الذي رأى: فرس جبريل.

قال محمدٌ: يقول أهل اللغة: بَصُرَ الرجلُ يَبْصُر؛ إذا صار عليمًا بالشيء، وأبْصر يُبْصِر؛ إذا نظر[٣].

(١) تقدم تخريج هذه القراءة في (الأعراف: ١٥٠).

(٢) ينظر البحر (٢٧٣/٦)، الدر المصون (٤٩/٥).

(٣) بَصُر يَبْصُر بُصْرًا؛ أي: عَلم، فهو بصير. وأَبْصَر يُبْصِر إبْصارًا؛ أي: رأى فهو مُبْصِر. لسان العرب، مختار الصحاح (بصر).

﴿فقبضتُ قبضةً من أثر الرسول﴾ يعني : من تحت حافر فرس جبريل ﴿فنبذتها﴾ أي : ألقيتها في العجل ؛ يعني : حين صاغه ، وكان صائغًا ﴿وكذلك سوّلت لي نفسي﴾ أي : وقع في نفسي أني إذا ألقيتها في العجل خار[١]. قال قتادة : وكان السّامري من عظماء بني إسرائيل ، من قبيلة يقال لها : سامرة ، ولكن نافق بعدما قطع البحر مع بني إسرائيل ﴿قال﴾ له موسى : ﴿فاذهب فإن لك في الحياة﴾ (يعني : حياة الدنيا ﴿أن تقول لا مساس﴾ يعني : لا تخالط الناس ، ولا يخالطونك)[٢] فهذه عقوبتك في الدنيا ومن كان على دينك إلى يوم القيامة ، والسامرة صِنْفٌ من اليهود .

قال قتادة : يقال : السامرة حتى الآن بأرض الشام ، يقولون : لا مساس[٣].

قوله : ﴿وإن لك موعدًا لن تخلفه﴾ يعني : يوم القيامة فيجزيك الله فيه بأسوإ عملك ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه﴾ أي : صِرْت عليه ﴿عاكفًا﴾ على عبادته (ل ٢١٠) ﴿لنحرقنه ثم لننسفنَّه﴾ .

محمدٌ : النَّسْف : التَّذْرية[٤].

قال الكلبي : ذبحه موسى ، ثم أحرقه بالنار ، ثم ذراه في البحر .

﴿وسع كل شيء﴾ قال قتادة : ملأ ربي كل شيء ﴿علمًا﴾ يقول : لا يكون شيء إلا بعلم الله .

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿كذلك نقصُّ عليك من أنباء ما قد سبق﴾ أي : من أخبار ما قد مضى ﴿وقد آتيناك﴾ أعطيناك ﴿من لدنا﴾ من عندنا ﴿ذكرًا﴾ يعني : القرآنَ ﴿من أعرض عنه﴾ عن القرآن لم يؤمن به ﴿فإنه

(١) أي : صاح . لسان العرب (خور) .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) وقيل : المعنى : لا أَمَسُّ ولا أُمَسُّ . مختار الصحاح : (مسس) .

(٤) لسان العرب (نسف) .

يحمل يوم القيامة وِزْرًا﴾ ثقلاً ؛ يعني : الإثم ﴿خالدين فيه﴾ أي : في ثواب ذلك الوزر ؛ وهي النار ﴿وساء لهم﴾ أي : وبئس لهم ﴿يوم القيامة حملاً﴾ يعني : ما يحملون على ظهورهم من الوِزْر .

قال محمد : (حملاً) منصوبٌ على التمييز[١]؛ المعنى : ساء الوِزْرُ لهم يوم القيامة حِمْلاً ، وسمى (الوِزْر حملاً)[٢]؛ لأنّ صاحبَه يحمل به ثقلاً[٣].

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ والصور : قرْنٌ ينفخ فيه صاحبُ الصور ؛ فينطلق كل روح إلى جسده ، تُجعل الأرواح كلها في الصور ؛ فإذا نُفِخَ فيه خرجت الأرواحُ مثل النحل كل روحٍ إلى جسده ﴿ونحشر المجرمين﴾ المشركين ؛ هذا حشرٌ إلى النار ﴿يومئذٍ زرقًا﴾ أي : مسودَّة وجوهُهم ﴿يتخافتون بينهم﴾ أي : يتسارُّون ﴿إن لبثتم﴾ في الدنيا ﴿إلا عشرًا﴾ يقللون لبثهم في الدنيا .

قال محمدٌ : الخُفوتُ أصْلُه في اللغة : السُّكون ؛ يقال : خفت الكلامُ وخفت الدعاء ؛ إذا سكن[٤].

﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أي : أعقلهم .

قال محمدٌ : يعني : أعْقلهم عند نفسه ، وأعْلمهم بما يقول .

﴿إن لبثتم﴾ أي : ما لبثتم ﴿إلا يومًا﴾ قال قتادة : هي مواطن ، قالوا : إلا عشرًا ، وإلا يومًا ، وقالوا : ﴿لبثنا يومًا أو بعض يوم﴾[٥] وقال : ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون﴾[٦] يحلف المجرمون ﴿ما لبثوا غير ساعة﴾ أي : في الدنيا ، وذلك لتصاغر الدنيا عندهم ، وقلتها في طول الآخرة .

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا

---

(١) ينظر : البحر (٢٧٨/٦) ، الإملاء (١٢٧/٢) ، الدر المصون (٥٤/٥) .

(٢) في « ر » : الإثم وزرًا .

(٣) ومنه سمي الوزير ؛ لأنه يَحْمِل عنه وِزْره ؛ أي : ثقله . مختار الصحاح (وزر) .

(٤) خَفَتَ الصوتُ يَخْفِتُ خُفُوتًا ، أي : سكن ، ومنه المُخَافتة ، والتخافُت . والخَفْت : إسرار المَنْطِق . مختار الصحاح (خفت) .

(٥) المؤمنون : ١١٣.

(٦) الروم : ٥٥.

وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا
هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ
ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾

﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا﴾ أي : يذريها تذرية من أصولها ، تصير الجبال كالهباء[1] المنثور . ﴿فيذرها﴾ يعني : الأرض ﴿قاعًا صفصفًا﴾ القاع : الذي لا أثر عليه ، والصَّفصف : المستوية التي ليس عليها نباتٌ ﴿لا ترى فيها عوجًا﴾ قال ابن عباس[2]: العوج : الوادي ﴿ولا أمتًا﴾ قال مجاهد[3]: يعني : ارتفاعًا ﴿يومئذٍ يتبعون الداعي﴾ صاحب الصور ؛ أي : يسرعون إليه حين يخرجون من قبورهم ﴿لا عوج له﴾ أي : لا يتعوَّجون عن إجابته يمينًا ولا شمالاً ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ أي : سكنتْ ﴿فلا تسمع إلا هَمْسًا﴾ قال الحسن[4]: يعني صوت الأقدام .

قال محمدٌ : الهَمْسُ في اللغة : الشيء الخفي[5].

﴿يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾ يعني : التوحيد .

﴿يعلَمُ ما بين أيديهم﴾ من أمر الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الدنيا ؛ أي : إذا صاروا في الآخرة ﴿ولا يحيطون به علمًا﴾ أي : ويعلم ما لا يحيطون به علمًا ؛ أي : ما لا يعلمون ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾ أي : ذلَّت ، والقيُّوم : القائم على كل نفسٍ .

---

(١) الهباء : دُقاق التراب . وقيل : هو الشيء المنبثُّ الذي تراه في البيت من ضوء الشمس . لسان العرب ، مختار الصحاح (هبو) .

(٢) رواه الطبري (٢١٢/١٦) .

(٣) رواه الطبري (٢١٢/١٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٣٨/٤) لعبد بن حميد .

(٤) رواه الطبري (٢١٤/١٦) .

(٥) وهَمْسُ الأقدام أخفَى ما يكون من صوت القَدَم ، وبابه : ضرب . لسان العرب ، مختار الصحاح (همس) .

قال محمدٌ : يقال : عنا يَعْنُو ؛ إذا خضع[١].

﴿وقد خاب من حمل ظلمًا﴾ أي : شركًا .

﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمنٌ فلا يخاف ظلمًا﴾ يعني : أن يُزَاد عليه في سيئاته ﴿ولا هضمًا﴾ أن ينقص من حسناته .

﴿وصرفنا فيه من الوعيد﴾ أي : بيّنا ؛ من يعمل كذا فله كذا ﴿لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرًا﴾ تفسير السدي : المعنى : لعلهم يتقون ، ويُحدث لهم ذكرًا ؛ الألف ها هنا صلة[٢].

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا (١١٤) وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا (١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ (١٢٧)﴾

﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيُه﴾ أي : لا تتْلُه ؛ حتى نتمه لك ؛ كان النبي إذا نزل عليه الوحي يقرؤه ويُدْئِبُ[٣] فيه نفْسه ؛ مخافة أن ينْسَى .

﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل﴾ يعني : ما أُمِرَ به : ألاَّ يأكل من الشجرة ﴿فنسي﴾ يعني : فترك

---

(١) عَنَا يَعْنُو عُنُوًّا : خضع وذلَّ ، وهو عانٍ ، وهم عُناة ، وهُنَّ عَوَانٍ . مختار الصحاح ، القاموس المحيط (عنو) .

(٢) يريد أن (أو) في قوله تعالى : ﴿أو يحدث﴾ بمعنى الواو ؛ وينظر في دلالة (أو) على معنى الواو – مغني اللبيب (٧٥/١) .

(٣) أي : يجدُّ ويتعب . لسان العرب (دأب) .

ما أُمِرَ به . ﴿ولم نجدْ له عزمًا﴾ أي : صبرًا .

﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ في الدنيا ، يعني : الكدّ فيها ﴿إنّ لك ألا تجوع فيها﴾ يعني : في الجنة ﴿ولا تعرى﴾ كانا كُسِيا الظُّفر ﴿وأنك لا تظمَأُ فيها﴾ أي : لا تعطش ﴿ولا تضحى﴾ أي : لا تصيبك شَمْسٌ .

قال محمدٌ : يقال : ضَحِيَ الرجل يَضْحَى ؛ إذا برز إلى الضحى ، وهو حرُّ الشمس(١).

﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ (ل ٢١١) يعني : جعلا يرقعانه كهَيْئة الثوب .

﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ ولم يبلُغ بمعصيته الكفر ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه﴾ من ذلك الذنب ﴿وَهَدَىٰ﴾ أي : مات على الهدى .

﴿فمن اتبع هداي﴾ يعني : رُسُلي وكتبي ﴿فلا يضل﴾ (في الدنيا)(٢) ﴿ولا يشقى﴾ في الآخرة ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ فلم يؤمن ﴿فإن له معيشةً ضنكًا﴾ .

يحيى : عن عبد الله بن عرادة ، عن محمد بن عَمْرو ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : قال رسولُ الله ﷺ : ﴿معيشةً ضنكًا﴾ « يعني : عذاب القبر »(٣).

قال محمدٌ : أصل الضَّنْك في اللغة : الضيق والشدة ، يقال : ضَنُك عيْشُهُ ضَنْكًا ، وضَنَكًا ، وقالوا : ﴿معيشة ضنكًا﴾ أي : شديدة(٤).

---

(١) ضَحِيَ للشمس يَضْحَى ، وضَحَى يَضْحَى ضَحَاءً أي : برز لها . لسان العرب (ضحى) .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) هذا مرسل ، وعبد الله بن عرادة ضعفه البخاري وغيره ، وقد خالفه حماد بن سلمة فرواه عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة موصولاً ، خرجه الطبري في تفسيره (٢١٥/١٣) وفي تهذيب الآثار مسند عمر (٥٠٥/٢ رقم ٧٢٧) وابن حبان (٣٨٨/٧ - ٣٨٩ رقم ٣١١٩) والحاكم في المستدرك (٣٨١/١) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٥٩ رقم ٥٧، ٥٨) وقال الحاكم : صحيح . كما في إتحاف المهرة (١٦/١/ ١٨٣ رقم ٢٠٦١٠) .
وروي من طرق عن حماد بن سلمة وغيره ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة مطولاً مرفوعًا وموقوفًا . خرجه عبد الرزاق في المصنف (٥٦٧/٣ - ٥٦٩ رقم ٦٧٠٣) والطبري في تفسيره (٢١٥/١٣ - ٢١٦) وفي تهذيب الآثار (٥٠٦/٢ - ٥٠٧ رقم ٧٢٨، ٧٢٩) وابن حبان (٣٨٠/٧ - ٣٨٢ رقم ٣١١٣) والحاكم (١/ ٣٧٩ - ٣٨١) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٦١ - ٦٢ رقم ٦٧) وغيرهم .
وقال ابن كثير في تفسيره (١٧٤/٣) : إسناد جيد .

(٤) ينظر لسان العرب (ضنك) .

يحيى : عن أبي أميَّة ، عن يونس بن خباب ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب « أن رسول الله ﷺ اتبع جنازة رجل من الأنصار ؛ فلما انتهى إلى قبره وجده لم يُلْحَدْ ؛ فجَلسَ وجَلسْنا حَوْلَهُ كأنما على رءوسنا الطيرُ وبيده عودٌ وهو ينكت به في الأرض ، ثم رفع رأسَهُ فقال : اللّهم إني أعوذ بك من عذاب القبر - قالها ثلاثًا - إن المؤمن إذا كان في قُبُلٍ من الآخرة ، وانقطاع من الدنيا أتَتْه ملائكةٌ وجوهُهُم كالشمس بحَنُوطه وكفنه ، فجلسوا بالمكان الذي يراهم (منه)[1]؛ فإذا خرج روحه صلى عليه كل مَلَكٍ بين السماء والأرض ؛ وكل مَلَك في السموات ، وفتحت أبوابُ السماء كل باب منها يُعْجبه أن يصعد روحُه منه ، فينتهي المَلَكُ إلى ربه ، فيقول : يا رب ، هذا رُوح عبدك ، فيصلي عليه اللّه وملائكته ، ويقول : ارجعوا بعبدي فأروه ماذا أعددت له من الكرامة ؛ فإني عهدت إلى عبادي أني منها خلقتكم وفيها نعيدكم . فيُرَدّ إليه روحه حين[2] يوضع في قبره ، فإنه ليَسْمَع قرع نعالِكُمْ حين تنصرفون عنه ، فيقال له : ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول : اللّه ربي ، والإسلام ديني ، ومحمدٌ نبيي . فينتهرانه انتهارًا شديدًا ، ثم يقال له : ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول : اللّه ربي ، والإسلام ديني ، ومحمدٌ نبيي . فيناديه منادٍ : ﴿يثبت اللّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾[3] فيأتيه عملُه في صورةٍ حسنة وريح طيبة ، فيقول : أبشرْ (بجنات)[4] فيها نعيمٌ مقيم ؛ فقد كنت سريعًا في طاعة اللّه بطيئًا عن معصية اللّه . فيقول : وأنت بشّرك اللّه بخيرٍ فمثلُ وجهك يبشر بالخيْر ، ومن أنت؟ فيقول : أنا عملك الحسن . ثم يفتح له بابٌ من أبواب النار ، فيقال له : كان هذا منزلك فأبدلك اللّه خيرًا منه . ثم يفتح له في جانب قبره فيرى منزله في الجنة ، فينظر إلى ما أعدَّ اللّه له من الكرامة فيقول : يا رب ، متى تقومُ السّاعة كي أرجع إلى أهلي ومالي؟! فيوسع عليه في قبره ويرقد . وأما الكافر فإذا كان في قُبُلٍ من الآخرة وانقطاع من الدنيا ، أتتْه ملائكةٌ (سودُ الوجوه)[5] بسرابيل من قطرانٍ ، ومقطَّعات من نارٍ ، فجلسوا منه بالمكان الذي يراهم منه ، فينزعُ روحه - كما ينتزع

(١) في « ر » : فيه .

(٢) في « ر » : حتى .

(٣) إبراهيم : ٢٧.

(٤) في « ر » : حياة .

(٥) سقط من « ر » .

السَّفُّود[١] الكثير شعبه من الصوف المبتلِّ - من عروقه وقلبه ؛ فإذا خرج روحُه لعنه كل مَلَك بين السماء والأرض ، وكل ملك في السموات ، وغلقت أبواب السموات دونه ، كل باب يكره أن يصعد روحه منه ، فينتهي الملك إلى ربه فيقول : يا رب هذا روحُ عبْدك فلان لا تقبله أرضٌ ولا سماء! فيلعنه اللّه وملائكته ، فيقول : ارجعوا بعبدي فأروه ماذا أعددتُ له من الهوان ؛ فإني عهدت إلى عبادي أني منها خلقتكم ، وفيها أعيدكم . فتُرَدُّ[٢] إليه روحُه حين يوضع في قبره ، وإنه ليَسْمَعُ قرع نعالكم حينَ تنصرفون (ل٢١٢) عنه ، (فيقال له : ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول : اللّه ربي ، والإسلام ديني ، ومحمدٌ نبي)[٣]. فينتهرانه انتهارًا شديدًا ، ثم يقال له : ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول : لا أدري! فيقال له : لا دريْت . ويأتيه عملُه في صورة قبيحة وريح منتنة ، فيقول : أبشر بعذاب مقيم . فيقول : وأنت فبشرك اللّه بشرٍّ فمثلُ وجهك يبشِّر بالشر . ومن أنت؟! فيقول : أنا عملك الخبيث . ثم يفتح له بابٌ من أبواب الجنة ، فيقال له : كان هذا منزلك لو أطعْت اللّه ، ثم يفتح له منزله من النار ، فينظر إلى ما أعده اللّه له من الهوان ، ويقيَّض له أصمُّ أعمى ، في يده مرزبَّةٌ[٤] لو توضع على جبلٍ لصار رُفاتًا[٥]، فيضربه ضَربَةً فيصير رفاتًا ، ثمّ يعاد فيضربه بين عينيه ضربة يصيح منها صيحة يسمعها من على الأرض إلا الثقلينْ ، وينادي منادٍ أن أَفْرِشوه لَوْحَيْنْ من النار ، فَيَفْرِش له لَوْحَين من نار ، ويضيق عليه قبره ؛ حتى تختلف أضلاعه »[٦].

---

(١) هي الحديدة التي يُشوى بها اللحم . لسان العرب ، مختار الصحاح (سفد) .

(٢) في « ر » : فيرد اللّه .

(٣) كذا وقعت هذه العبارة في الأصل و «ر» والمعروف في رواية هذا الحديث أن الكافر لا يهتدي لجوابٍ ، وهو الذي يشهد له ظاهر القرآن الكريم ، واللّه تعالى أعلم .

(٤) ويقال فيها أيضًا : الإرزَبّة ؛ وهي التي يُكسَر بها المَدَر . وقال صاحب مختار الصحاح : فإن قلتها بالميم - أي : المرزبة - خففْت الباء . ينظر : لسان العرب ، مختار الصحاح (رزب) .

(٥) أي : حطامًا ؛ تقول : رُفِتَ الشيء - على ما لم يُسمَّ فاعله - فهو مرفوت . مختار الصحاح (رفت) .

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/٢٩٥ - ٢٩٦) وعبد الرزاق في المصنف (٣/٥٨٠ - ٥٨٢ رقم ٦٧٣٧) وعبد اللّه ابن أحمد في زوائد المسند (٤/٢٩٦) وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٧٥ رقم ١٧٦) وأبو عوانة في صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٢/٤٥٩) - والطبري في تفسيره (١٣/٢١٥) وفي تهذيب الآثار (٢/٤٩٧ - ٥٠٠ رقم ٧٢٢) والحاكم في المستدرك (١/٣٩) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٤٠ رقم ٢٣، ٢٤) من طريق يونس بن خباب به . ورواه الإمام أحمد (٤/٢٨٧ - ٢٨٨) والطيالسي (١٠٢ - ١٠٣ رقم ٧٥٣) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/٣٨٠ - ٣٨٢) وهناد بن السري في الزهد (٣٣٩) وأبو داود (٥/٢٥٠ - ٢٥١ رقم ٤٧٢٠ - ٤٧٢١) والمروزي في =

= زوائد الزهد لابن المبارك (٤٣٠ - ٤٣٣ رقم ١٢١٩) والدارمي في الرد على الجهمية (٥٨ رقم ١١٠) والطبري في تفسيره (٢١٥/١٣) وفي تهذيب الآثار (٤٩١/٢ - ٤٩٧ رقم ٧١٨ - ٧٢١) وابن خزيمة في التوحيد (٢٧٣/١ - ٢٧٤ رقم ١٧٥) وأبو عوانة في صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٤٥٩/٢) - والآجري في الشريعة (١٩٠/٢ - ١٩٢ رقم ٩١٩ - ٩٢١) وابن منده في الإيمان (٩٦٢/٢ - ٩٦٤ رقم ١٠٦٤) وفي التوحيد (٢٧٨/٣ رقم ٨٥٠) والحاكم في المستدرك (٣٧/١ - ٣٩) واللالكائي في أصول الاعتقاد (١١٣٥/٦ - ١١٣٧ رقم ٢١٤٠) والبيهقي في الشعب (٣١٦/٢ - ٣١٩ رقم ٣٩٠) وفي عذاب القبر (٣٧ - ٣٩ رقم ٢٠، ٢١، ٤٠ - ٤١ رقم ٢٥ - ٢٧، ٥٠ - ٥٢ رقم ٤٤) من طريق الأعمش عن المنهال بن عمرو به.

ورواه الطبري في تهذيب الآثار (٥٠٠/٢ - ٥٠١ رقم ٧٢٣) وأبو عبد الله بن منده في كتاب الروح - كما في الروح لابن القيم (ص٤٦) - والبيهقي في الشعب (٣٢١/٢ - ٣٢٢ رقم ٣٩١) من طريق عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء.

ورواه ابن منده من طريق مجاهد عن البراء. كما في كتاب الروح لابن القيم (ص٤٧).

وقال ابن منده: هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء، وكذلك رواه عدة عن الأعمش وعن المنهال بن عمرو، والمنهال أخرج عنه البخاري ما تفرد به، وزاذان أخرج عنه مسلم، وهو ثابت على رسم الجماعة، وروي هذا الحديث عن جابر وأبي هريرة وأبي سعيد وأنس بن مالك وعائشة رضي الله عنهم اهـ.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين؛ فقد احتجا جميعًا بالمنهال بن عمرو، وزاذان أبي عمر الكندي، وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة وقمع للمبتدعة، ولم يخرجاه بطوله. اهـ.

وقال أبو نعيم الأصبهاني: وأما حديث البراء؛ رواه المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء، فحديث مشهور؛ رواه عن المنهال الجم الغفير، ورواه عن البراء: عديُّ بن ثابت ومحمدُ بن عقبة وغيرهما، ورواه عن زاذان عطاءُ بن السائب. قال: وهو حديث أجمع رواة الأثر على شهرته واستفاضته. انتهى، نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص٢٦٨).

وقال البيهقي في الشعب: هذا حديث صحيح الإسناد.

وقال البيهقي في إثبات عذاب القبر (ص٣٩): هذا حديث كبير صحيح الإسناد.

وقال المنذري في الترغيب (٣٦٩/٤): هذا الحديث حديث حسن، ورواته محتج بهم في الصحيح كما تقدم، وهو مشهور بالمنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء. كذا قال أبو موسى الأصبهاني - رحمه الله - والمنهال روى له البخاري حديثًا واحدًا، وقال ابن معين: المنهال ثقة. وقال أحمد العجلي: كوفي ثقة. وقال أحمد بن حنبل: تركه شعبة على عمد. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: لأنه سمع من داره صوت قراءة بالتطريب. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: أبو بشر أحب إلي من المنهال، وزاذان ثقة مشهور ألانه بعضهم، وروى له مسلم حديثين في صحيحه. اهـ.

وقال القرطبي في التذكرة (ص١١٩): وهو حديث صحيح له طرق كثيرة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٩٠/٤): وهو حديث حسن ثابت.

وقال الذهبي في العلو (٥١٩/١): إسناده صالح.

قوله : ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ عن حجته ﴿قال رب لم حشرتني أعمي﴾ عن الحجة ؛ في تفسير قتادة ﴿وقد كنت بصيرًا﴾ عالمًا بحجتي في الدنيا؟! وإنما علمه ذلك عند نفسه ؛ أنه كان يحاجُّ في الدنيا جاحدًا لما جاءه من الله . قال الله : ﴿كذلك أتتك آياتنا﴾ في الدنيا ﴿فنسيتها﴾ أي : فتركتها لم تؤمن بها ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ أي : تُتْرك في النار ﴿وكذلك نجزي من أسرف﴾ على نفسه بالشرك[1] ﴿ولعذاب الآخرة أشدُّ﴾ من عذاب الدنيا ﴿وأبقى﴾ أي : لا ينقطع أبدًا .

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿أفلم يَهْدِ لهم﴾ قال الحسن : يعني : نبين لهم ؛ مُقْرأةٌ بالنون[2] ﴿كم أهلكنا قبلهم من

= وأعله ابن حزم في المحلى (٢٢/١) وابن حبان في صحيحه (٣٨٧/٧) ورد قولهما ابن القيم في تهذيب السنن (١٣/ ٩٠ - ٩٣) وفي الروح (ص٤٦) وقال في الروح : فالحديث صحيح لا شك فيه ، وقد رواه عن البراء بن عازب جماعة غير زاذان ، منهم عدي بن ثابت ومحمد بن عقبة ومجاهد .

وقال ابن القيم في الروح (ص٤٨) : هذا حديث ثابت مشهور مستفيض صححه جماعة من الحفاظ ، ولا نعلم أحدًا من أئمة الحديث طعن فيه ، بل رووه في كتبهم وتلقوه بالقبول وجعلوه أصلاً من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه ومساءلة منكر ونكير وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدي الله ثم رجوعها إلى القبر ، وقول أبي محمد : لم يروه غير زاذان . فوهم منه ؛ بل رواه عن البراء غير زاذان ، ورواه عنه عدي بن ثابت ومجاهد بن جبر ومحمد بن عقبة وغيرهم ، وقد جمع الدارقطني طرقه في مصنف مفرد ، وزاذان من الثقات روى عن أكابر الصحابة كعمر وغيره ، وروى له مسلم في صحيحه قال يحيى بن معين : ثقة . وقال حميد بن هلال - وقد سُئل عنه - : هو ثقة ؛ لا تسأل عن مثل هؤلاء . وقال ابن عدي : أحاديثه لا بأس بها إذا روى عن ثقة . اهـ .

وقال ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٤٦) : وهو صحيح ، صححه جماعة من الحفاظ .

وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٥٠) : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

(١) في « ر » : فأشرك .

(٢) وهي قراءة ابن عباس والسلمي وغيرهما ، كما في تفسير القرطبي (١١/ ٢٦٠) .

القرون﴾ يحذرهم ويخوفهم العذاب إن لمْ يؤمنوا ﴿يمشون في مساكنهم﴾ تمشي هذه الأمة في مساكنهم؛ يعني: من مضى ﴿إن في ذلك لآياتٍ لأولي النهى﴾ العقول، وهم المؤمنون.

﴿ولولا كلمةٌ سبقت من ربك﴾ ألا يعذب كفار آخر هذه الأمة إلا بالنَّفْخة ﴿لكان لزامًا﴾ أي: لأُلزِموا عقوبة كفرهم فأُهْلِكوا جميعًا؛ لجحودهم ما جاء به النبي ﷺ ﴿وأجلٌ مسمى﴾ فيها تقديمٌ وتأخير: ولولا كلمةٌ سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزامًا.

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ أنك ساحر، وأنك شاعرٌ، وأنك مجنون، وأنك كاهن، وأنك كاذب ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس﴾ قال قتادة[١]: يعني: صلاة الصبح ﴿وقبل غروبها﴾ الظهر والعصر ﴿ومن آناء الليل﴾ يعني: ساعات الليل ﴿فسبح﴾ يعني: المغرب والعشاء. [**قال محمد**:][٢] واحد الآناء إنى[٣] ﴿وأطراف النهار﴾ قال الحسن: يعني: التطوع ﴿لعلك ترضى﴾ أي: لكي ترضى في الآخرة ثواب عملك.

﴿ولا تمدنَّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا﴾ أصنافًا منهم؛ يعني: الأغنياء.

﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ يعني: زينة ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي: نختبرهم؛ أمره أن يزهد في الدنيا.

قال محمدٌ: (زهْرة) منصوبٌ بمعنى: جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة[٤].

﴿ورزق ربك﴾ في الجنَّة ﴿خير﴾ من الدنيا ﴿وأبقى﴾ يقول: لا نفاد له ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ أهله: أُمَّته ﴿لا نسألك رزقًا﴾ أن ترزق نفسك ﴿والعاقبة للتقوى﴾ أي: لأهل التقوى، والعاقبة: الجنة.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ

(١) رواه الطبري (١٦/٢٣٤).
وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٤٣) لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٣) قال الأخفش: واحدها: إنْى؛ مثل: مِعْى. وقيل: واحدها: إنْوٌ وإنْيٌ؛ يقال: مضى من الليل: إنْوان، وإنْيان.
ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (أنى).
(٤) وفي نصبه أقوال نحوية أخرى. ينظر: إعراب القرآن (٢/٣٦٢)، البحر (٦/٢٩١)، البيان (٢/١٥٥).

وَنَخۡزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾

﴿وقالوا لولا﴾ هلاّ ﴿يأتينا بآيةٍ من ربه﴾ قال الله : ﴿أو لمْ تأتهم بينةُ﴾ **قال محمدٌ** : يعني : آيات ﴿ما في الصحف الأولى﴾ يعني : التوراة والإنجيل ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذابٍ من قبله﴾ يعني : من قبل القرآن ﴿لقالوا ربنا لولا﴾ هلاّ ﴿أرسلت إلينا رسولاً﴾ .

﴿قل كل متربصٌ﴾ نحن وأنتم ؛ كان المشركون يتربَّصون بالنبي أن يموت ، وكان النبي يتربَّص بهم أن يجيئهم العذاب ﴿فستعلمون من أصحاب الصِّراط السوي﴾ يعني : الطريق المعتدل ﴿ومن اهتدى﴾ أي : فستعلمون أنّ النبي والمؤمنين كانوا على [الصراط السوي ، وأنهم ماتوا على الهدى][١].

---

(١) سقطت من الأصل . والمثبت من « ر » .

(ل٢١٣) تفسير سورة الأنبياء
وهي مكيَّةٌ كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾

قوله : ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ أي : أن ذلك قريب .

يحيى : عن خداش ، عن أبي عامر ، عن أبي عمران الجوني قال : قال رسولُ اللّه ﷺ : « حين بُعِثَ إليّ بُعِث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه ، وقدَّم رِجلاً وأخَّر رجلاً ، ينتظر متى يؤمر ينفخ ؛ ألا فاتقوا النفخة »[(١)].

﴿وهم في غفلةٍ﴾ يعني : المشركين عن الآخرة ﴿معرضون﴾ عن القرآن ﴿ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم محدثٍ﴾ يعني : القرآن ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ يسمعونه بآذانهم ، ولا تقبله قلوبهم ﴿لاهيةً قلوبهم﴾ أي : غافلة[(٢)].

قال محمدٌ : المعنى : استمعوه لاعبين لاهية قلوبهم .

﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ أشركوا ؛ يقول بعضهم لبعضٍ ، وأسروا ذلك فيما بينهم ﴿هل

(١) رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٤/٧٦٤ - ٧٦٥ رقم ٣٧٧، ٦/١٢٨٢ - ١٢٨٣ رقم ٧١٨) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به .

(٢) في « ر » : في غفلة .

هذا﴾ يعنون : محمدًا ﴿إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر﴾ يعنون : القرآن ؛ أي : تصدقون به ﴿وأنتم تبصرون﴾ أنه سحرٌ .

قال محمدٌ : قوله : ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ فيه وجهان : يجوز أن يكون (الذين ظلموا) رفعًا على معنى : هم الذين ظلموا أنفسهم ، وقد يجوز أن يكون المعنى : أعني الذين ظلموا(١).

﴿قل(٢) ربي يعلم القول﴾ السرّ ﴿في السماء والأرض﴾ .

﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ أي : أخلاط أحلامٍ ؛ يعنون : القرآن ﴿بل افتراه﴾ يعنون : محمدًا ﴿بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أُرسل الأولون﴾ كما جاء موسى وعيسى ؛ فيما يزعم محمدٌ .

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾

﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهُمْ يؤمنون﴾ أي : أن القوم إذا كذَّبوا رسلهم ، وسألوه الآية فجاءتهم ولمْ يؤمنوا - أهلكهم الله ؛ أفهم يؤمنون إن جاءتهم آية ؛ أي : لا يؤمنون إن جاءتهم .

﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر﴾ قال قتادة(٣): يعني : من آمن من أهل التوراة والإنجيل ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ وهم لا يعلمون ﴿وما جعلناهم جسدًا﴾ يعني : النبيِّين ﴿لا يأكلون الطعام﴾ أي : ولكن جعلناهم جسدًا يأكلون الطعام ؛ قال هذا لقول المشركين ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾(٤).

---

(١) وفيها تفصيل نحوي واسع ينظر من : إعراب القرآن (٢/٣٦٦) ، مجمع البيان (٤/٣٨) ، البحر (٦/٢٩٦) ، الكتاب (١/٢٣٦) .

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿قال﴾ بألف على الخبر ، وقرأ الباقون ﴿قل﴾ بغير ألف على الأمر . النشر (٢/٣٢٣) وإتحاف الفضلاء (٣٩١) .

(٣) رواه الطبري (١٧/٥) .

(٤) سورة الفرقان : ٧.

﴿وما كانوا خالدين﴾ في الدنيا لا يموتون .

قال محمدٌ : قوله : ﴿جسدًا﴾ هو واحدٌ يُنْبِئ عن جماعة[(١)]؛ المعنى : وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي أجسادٍ لا تأكل الطعام ولا تموت ؛ فنجعله كذلك .

﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ كانت الرسل تحذر قومها عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لمْ يؤمنوا ، فلما لم يؤمنوا صدق الله رسله الوعْدَ ، فأنزل العذاب على قومهم .

قال : ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ يعني : النبي[(٢)] والمؤمنين ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ المشركين .

﴿لقد أنزلنا إليكم كتابًا﴾ القرآن ﴿فيه ذكركم﴾ فيه شرفكم - يعني : قريشًا - لمن آمن به ﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله للمشركين .

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَارْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

(﴿وكمْ قصمنا﴾ أهلكنا ﴿من قرية كانت ظالمة﴾ مشركة)[(٣)] يعني : أهلها ﴿وأنشأنا﴾ خلقنا .

﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ رأوا عذابنا ؛ يعني : قبل أن يهلكوا ﴿إذا هم منها﴾ من القرية ﴿يركضون﴾ يفرون ، قال الله : ﴿لا تركضوا﴾ لا تفروا . ﴿وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه﴾ أي : إلى دنياكم التي أُترفتم فيها ﴿ومساكنكم لعلكم تُسْألون﴾ من دنياكم شيئًا ؛ أي : لا تقدرون على ذلك ، ولا يكون ذلك ؛ يقال لهم هذا استهزاءً بهمْ .

﴿قالوا يا ويلنا﴾ وهذا حين جاءهم العذاب ﴿إنا كنا ظالمين﴾ قال الله : ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أي : فما زال ذلك قولهم ؛ يعني : ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ .

---

(١) لسان العرب (جسد) .

(٢) في حاشية الأصل : (النبيين) .

(٣) سقط من « ر » .

﴿حتى جعلناهم حصيدًا خامدين﴾ أي : قد هلكوا وسكنوا .

﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ أي : إنما خلقناهما (ل٢١٤) للبعث والحساب ، والجنة والنار ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوًا﴾ قال الحسن[١]: اللَّهو [المرأة][٢] بلسان اليمن ﴿لاتَّخذناه من لدنا﴾ أي : من عندنا ﴿إن كنا فاعلين﴾ أي : وما كنا فاعلين وذلك أن المشركين قالوا : إنَّ الملائكة بنات اللَّه ﴿بل نقذف بالحق﴾ بالقرآن ﴿على الباطل﴾ يعني : (الشرك)[٣] ﴿فيدْمغه فإذا هو زاهق﴾ ذاهبٌ .

قال محمدٌ : قوله : ﴿فيدْمغُه﴾ أي : يكسره ، وأصل هذا إصابةُ الرأس والدماغ بالضرب ، وهو مقتلٌ[٤].

﴿ولكم الويْل﴾ العذاب ﴿مما تصفون﴾ قال قتادة : لقولهم : إنَّ الملائكة بنات اللَّه .

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

---

(١) رواه الطبري (١٧/١٠) وعزاه السيوطي في الدر (٣/٣٤٦) لابن أبي حاتم .

وروى عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن في قوله ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا﴾ قال النساء . كما في الدر المنثور (٣/٣٤٦) .

(٢) طمس في الأصل والمثبت من « ر » ، وينظر تفسير ابن كثير (٥/٣٢٩) .

(٣) في « ر » : المشركين .

(٤) يقال : دَمَغَه - من باب قطع - : شَجَّه حتى بلغت الشَّجَّة الدِّماغ ، واسمها : الدَّامِغة « وهي عاشرة الشِّجاج . لسان العرب ، مختار الصحاح (دمغ) . وفي « ر » : مقتول .

﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده﴾ يعني: الملائكة. ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ أي: يعيون[١].

﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون﴾ أي: يُحْيُون الموتى (هذا على الاستفهام؛ أي: أنهم قد اتخذوا آلهة لا يحيون الموتى)[٢].

قال محمدٌ: يقال: أنشر اللَّه الموتى فنشروا[٣].

﴿لو كان فيهما﴾ يعني: في السموات والأرض ﴿آلهة إلا اللَّه﴾ غير اللَّه ﴿لفسدتا﴾ لهلكتا ﴿فسبحان اللَّه رب العرش﴾ ينزّه نَفْسَهُ ﴿عما يصفون﴾ يقولون: ﴿لا يُسْأل عما يفعل﴾ بعباده ﴿وهمْ يُسْألون﴾ والعباد يسألهم اللَّه عن أعمالهم ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾ على الاستفهام؛ أي: قد فعلوا، وهذا[٤] الاستفهام وأشباهُهُ استفهام على معرفة.

﴿قل هاتوا برهانكم﴾ يعني: حجتكم على ما تقولون: إن اللَّه أمركم أن تتخذوا من دونه آلهة؛ أي: ليست عندهم بذلك حجَّةٌ.

﴿هذا ذكر من معي﴾ قال قتادة[٥]: يعني: القرآن ﴿وذكر من قبلي﴾ يعني: أخبار الأمم السالفة وأعمالهم؛ ليس فيها اتخاذ آلهة دون اللَّه ﴿بل أكثرهم﴾ يعني: جماعتهم ﴿لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ عن الحق.

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا﴾ قال قتادة[٦]: قالت اليهود: إن اللَّه صاهر إلى الجن، فكانت من بينهم الملائكة. قال اللَّه: ﴿سبحانه﴾ ينزّه نفسه عما قالوا ﴿بل عبادٌ مكرمون﴾ يعني: الملائكة هم كرامٌ على اللَّه ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ فيقولون شيئًا لم يقبلوه عن اللَّه ﴿يعلم ما بين أيديهم وما

---

(١) أي: يتعبون ويملُّون. ينظر لسان العرب (عيي)، وابن كثير (٣٢٩/٥).

(٢) سقط من «ر».

(٣) وفي مختار الصحاح(نشر): أَنْشرهم اللَّه تعالى فَنَشَرُوا هم.

(٤) زاد بعدها في الأصل: على. وهي زيادة مقحمة.

(٥) رواه الطبري (١٥/١٧).

وعزاه السيوطي في الدر (٣٤٨/٤) لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) رواه عبد الرزاق (٢٣/٢) والطبري (٦٦/١٧).

وعزاه السيوطي في الدر (٣٤٨/٤) لابن المنذر وابن أبي حاتم.

خلفهم﴾ تفسير السُّدي: يعني: يعلم ما كان قبل خلق الملائكة، وما كان بعد خلقهم ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ أي: لمن رضي.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ومن يقل منهم إني إلهٌ من دونه ...﴾ الآية، قال قتادة(١): هذه في إبليس خاصّة لمّا دعا إلى عبادة نفْسه، وقال الحسن: ومن يقل ذلك منهم إن قاله، ولا يقوله أحدٌ منهم؛ وكان يقول: إن إبليس لم يكن منهم.

﴿أو لم ير الذين كفروا أن السمٰوات والأرض كانتا رتقًا﴾ [قال السدي: أو لم يعلم](٢) قال الحسن: يعني: مُلتزقتيْن إحداهما على الأخرى ﴿ففتقناهما﴾ يقول: فوضع الأرض، ورفع السماء.

قال محمدٌ: قوله: ﴿كانتا رتقًا﴾ لأن السمٰوات يعبر عنها بالسماء بلفظ الواحد، وكذلك الأرض(٣)، ومعنى (رتقًا) أي: شيئًا واحدًا ملتحمًا(٤)؛ وهو معنى قول الحسن.

---

(١) رواه الطبري (١٧/١٧) وابن أبي حاتم (٨/٢٤٥٠ رقم ١٣٦٣٧).
وعزاه السيوطي في الدر (٣٤٨/٤) لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) وتجمع (السماء) على: سَمٰوات، وأَسْمِيَة؛ وهي تذكَّر وتؤنَّث. أما الأرض فهي مؤنَّثة، وهي اسم جنْس، وكان حق الواحدة منها أن يقال: أَرْضَة، ولكنهم لم يقولوا. وتجمع على: أَرَضات وأَرَضُون، وأَرْضُون، وأُرُوض، وآراض. لسان العرب، مختار الصحاح (أرض، وسمو).

(٤) الرَّتْق: ضد الفَتْق، والرَّتَق مصدر قولك: امرأة رَتْقاء؛ وهي التي لا يُستطاع جماعها لارتتاق ذلك الموضع منها. لسان العرب، مختار الصحاح (رتق) وفي «ر»: شيئًا واحدًا ملتئمًا.

﴿وجعلنا من الماء كل شيءٍ حي﴾ أي: أن كل شيءٍ حي فإنما خلق من الماء.

﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ يعني: الجبال ﴿أن تميد بهم﴾ لئلا تحرَّك بهم ﴿وجعلنا فيها فجاجًا سبلاً﴾ يعني: أعلامًا طرقًا ﴿لعلهم يهتدون﴾ لكي يهتدوا الطرق ﴿وجعلنا السماء سقفًا﴾ على من تحتها ﴿محفوظًا﴾ يعني: من كل شيطانٍ رجيم. ﴿وهم عن آياتها معرضون﴾ أي: لا يتفكّرون فيما يرون؛ فيعرفون أنَّ لهم معادًا فيؤمنون.

﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلكٍ يسبحون﴾ أي: يَجْرُون، تفسير الحسن: إن الشمس والقمر والنجوم في طاحونة بين السماء والأرض كهيئة فَلْكة المغزل[1] تدور فيها، ولو كانت ملتزقة بالسماء لم تَجْرِ.

﴿أفإين متَّ فهم الخالدون﴾ على (ل٢١٥) الاستفهام: أفهم الخالدون؟ أي: لا يخلدون.

﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ يعني: الشدة والرخاء ﴿فتنةً﴾ أي: اختبارًا.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وإذا رآك الذين كفروا﴾ يقوله للنبيّ ﴿إن يتخذّونك إلا هزوًا أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أي: يعيبها ويشتمها، يقوله بعضهم لبعضٍ. قال الله: ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾.

﴿خلق الإنسان من عجلٍ﴾ تفسير مجاهد: خلق عَجُولاً.

قال الله: ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ وذلك لما كانوا يستعجلون به النبي عليه السلام من العذاب استهزاءً منهم وتكذيبًا.

﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ هذا قول المشركين للنبي؛ متى هذا الذي تعدنا به

(١) القطعة المستديرة من الخشب ونحوه تجعل في أعلاه، وتُثبت الصِّنارة من فوقها، وعود المغزل من تحتها. ينظر المعجم الوسيط (فلك).

من أمر القيامة؟! قال الله : ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ...﴾ الآية (وفيها تقديم ؛ أي : أن الوعد الذي كانوا يستعجلون به في الدنيا هو يوم لا يكفون عن وجوههم النار)[١] ﴿ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ لو يعلم الذين كفروا ﴿بل تأتيهم بغتةً﴾ يعني : القيامة ﴿فتبهتُهُم﴾ أي : تحيرهم ﴿فلا يستطيعون ردَّها ولا هم ينظرون﴾ يؤخَّرون .

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ولقد استهزئ برسلٍ من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم﴾ أي : كذَّبوهم واستهزءوا بهم ﴿ما كانوا به يستهزءون﴾ يعني : العذاب الذي كانوا يكذبون به .

﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن﴾ أي : هُمْ من الرحمن ؛ في تفسير قتادة ؛ كقوله : ﴿يحفظونه من أمر الله﴾[٢] أي : هم من أمر الله ، وهم ملائكة حَفَظَة لبني آدم ولأعمالهم ، وقد مضى تفسيره[٣].

﴿أمْ لهم آلهةٌ تمنعهم من دوننا﴾ أي : قد اتخذوا آلهة لا تمنعهم من دوننا .

قال الحسن : يعني : لا تمنعهم من الله إن أراد عذابهم ، وكان يقول : إنما تُعذَّب الشياطين التي دعتهم إلى عبادة الأصنام ، ولا تُعذَّب الأصنام .

﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم﴾ يقول : لا تستطيع تلك الأصنام نصر أنفسها إن أراد أن يعذِّبها ﴿ولا هم منا يصحبون﴾ قال الكلبي : يقول : ولا مَنْ عبدها منا يُجَارُون .

﴿بل متعنا هؤلاء﴾ يعني : قريشًا ﴿وآباءهم حتى طال عليهم العمر﴾ لم يأتهم رسول حتى جاءهم محمدٌ ﷺ ﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ تفسير الحسن : أفلا يرون أن

---

(١) سقط من «ر».

(٢) الرعد : ١١.

(٣) عند تفسير سورة الرعد ، الآية : ١١.

رسول الله كلما بعث إلى أرض ظهر عليها ؛ أي : ينقصها بالظهور عليها أرضًا فأرضًا ﴿أفهم الغالبون﴾ أي : ليسوا بالغالبين ، ولكن رسول الله هو الغالب .

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾ بالقرآن ، أنذركم به عذاب الدنيا وعذاب الآخرة - يعني : المشركين ﴿ولا يسمع الصم الدعاء﴾ يعني : النداء ﴿إذا ما ينذرون﴾ والصم ها هنا : الكفار[١]؛ صموا عن الهدى ﴿ولئن مسَّتْهم نفحةٌ من عذاب ربك﴾ قال قتادة[٢]: يعني : عقوبة .

قال يحيى : يعني : النفخة الأولى التي يهلك بها كفار آخر هذه الأمة .

﴿ونضع الموازين القسط﴾ (يعني : العدل)[٣] ﴿ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئًا﴾ لا تنقص من ثواب عملها ﴿وإن كان مثقال حبةٍ﴾ أي : وزن حبةٍ ﴿من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ قال الحسن : لا يعلم حساب مثاقيل الذر والخردل إلا الله ، ولا يحاسب العباد إلا هو .

﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾ يعني : التوارة ؛ وفُرْقانها أنه فرق فيها حلالها وحرامها .

﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي : يذكر الرجل منهم ذَنْبه في الخَلاء ؛ فيستغفر الله منه .

﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ خائفون من شرِّ ذلك اليوم وهم المؤمنون .

﴿وهذا ذكرٌ مباركٌ﴾ يعني : القرآن .

﴿أفأنتم له منكرون﴾ يعني : المشركين على الاستفهام ؛ يعني : قد أنكرتموه .

---

(١) في « ر » : الكفر .

(٢) رواه الطبري (١٧/٣٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٥١) لابن المنذر أيضًا .

(٣) سقط من « ر » .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾ يعني: النبوة ﴿وكنا به عالمين﴾ أنه سيبلغ عن الله الرسالة.

﴿ما هذه التماثيل﴾ يعني: الأصنام ﴿التي أنتم لها عاكفون﴾ (ل٢١٦) مقيمون على عبادتها.

﴿قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴾ يعني: المستهزئين.

﴿الذي فطرهُنّ﴾ خلقهن ﴿وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾ أنه ربكم ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم ...﴾ الآية.

قال قتادة[1]: [نرى][2] أنه قال ذلك حيث لا يسمعون استدعاه قومه إلى عيدٍ لهم؛ فأبى وقال: ﴿إني سقيم﴾ اعتلَّ لهم بذلك، ثم قال لما ولَّوا: ﴿تالله لأكيدن أصنامكم ...﴾ الآية.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿فجعلهم جذاذًا﴾ أي: قطعًا؛ قطع أيديها وأرجلها، وفقأ أعينها، ونجر وجوهها ﴿إلا كبيرًا

---

(١) رواه الطبري (١٧/٣٧).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٥٢) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا.

(٢) في الأصل: يريد. والمثبت من «ر».

لهم﴾ للآلهة ؛ يعني : أعظمها في أنفسهم ، ثم أوثق الفأس في [يد][١] كبير تلك الأصنام ؛ كادَهُمْ بذلك ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ أي : يبصرون فيؤمنون .

فلما رجعوا رأوْا ما صُنِع بأصنامهم ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا﴾ ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾ أي : يعيبهم ﴿يقال له إبراهيم﴾ .

قال محمدٌ : (إبراهيم) رفعٌ بمعنى يقال له : يا إبراهيمُ ، أو المعروف به إبراهيم[٢].

﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون﴾ أنّه كسرها ، قال قتادة[٣]: كرهوا أن يأخذوه إلا ببينة ، فجاءوا به فقالوا : ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾ .

﴿قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ قال قتادة[٤]: وهي هذه المكيدة ﴿ثم نُكسوا على رءوسهم﴾ أي : خزايا قد حجَّهم ؛ فقالوا : ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ .

﴿أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله﴾ .

قال محمدٌ : (أفٍّ) معناه : التغليظ في القول والتبرُّم ، وقيل : إن أصلها النَّتْنُ ؛ فكأنه قال : نتنًا لكُم[٥].

﴿قالوا حرقوه ...﴾ الآية ، قال الحسن : فجمعوا الحطب زمانًا ، ثم جاءوا بإبراهيم ، فألقوه في تلك النار .

قال يحيى : بلغني أنهم رمَوْا به في المنجنيق ؛ فكان ذلك أول ما صنع المنجنيق .

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من « ر » ..

(٢) وفيه أوجه نحوية أخرى تنظر من : الإملاء (١٣٤/٢) البحر (٣٢٤/٦) ، الهمع (١٥٧/١) ، الدر المصون (٩٦/٥) .

(٣) رواه الطبري (٤٠/١٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٥٢/٤) لابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) رواه الطبري (٤١/١٧) .

(٥) قال صاحب مختار الصحاح : يقال : أُفًّا له ، وأُفَّةٍ ؛ أي : قَذَرًا له . وفيه ست لغات : أفَّ ، أفِّ ، أفُّ ، أفٍّ ، أفًّا ، أفٌّ . مختار الصحاح (أفف) .

وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا﴾ تفسير السدي: سلامة من حر النار، ومن بَرْدها. قال قتادة[١]: إن كعبًا قال: ما انتفع بها يومئذٍ أحدٌ من الناس، وما أحرقَتْ منه إلا وَثَاقه[٢].

﴿وأرادوا به كيدًا﴾ يعني: حرقَهُمْ إياه ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾ في النار خسروا أنفسهم وخسروا الجنة ﴿ونجيناه ولوطًا إلى الأرض التي باركْنا فيها﴾ يعني: الأرض المقدسة ﴿للعالمين﴾ قال السدي: يعني: جميع العالمين ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة﴾ قال الحسن: أي: عطيّةً.

﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ قال قتادة[٣]: أي يُهْتدى بهم في أمر الله.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿ولوطًا آتيناه حكمًا وعلمًا﴾ يعني: النبوة ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ يعني: أن أهلها كانوا يعملون الخبائث ﴿إنهم كانوا قوم سوءٍ فاسقين﴾ مشركين.

﴿ونوحًا إذ نادى من قبل﴾ وهذا حين أُمر بالدعاء على قومه ﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله﴾ قال قتادة: نُجِّي مع نوحٍ: امرأته وثلاثة بنين له ونساؤهُمْ؛ وجميعُهم ثمانية ﴿من الكرب العظيم﴾ يعني: الغرق.

قال محمدٌ: (نوحًا) منصوبٌ على معنى: اذكر نوحًا، وكذلك داود وسليمان[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/٢٤ - ٢٥) والطبري (١٧/٤٤).

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٥٤) لعبد بن حميد أيضًا.

(٢) هو القَيْد، وفيه لغة أخرى الوِثاق بكسر الواو. لسان العرب، المعجم الوسيط (وثق).

(٣) رواه الطبري (١٧/٤٩).

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٥٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا.

(٤) ينظر: الإملاء (٢/١٣٥)، الدر المصون (٥/١٠٠)، الكتاب (٢/١٧٠).

﴿ونصرناه﴾ يعني: نوحًا ﴿من القوم﴾ يعني: على القوم؛ في تفسير السدي.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشَتْ فيه﴾ أيْ: وقعتْ فيه ﴿غنمُ القوم﴾ النَّفْشُ بالليل(١).

قال الكلبي: إن أصحاب الحرث استعْدَوْا على أصحاب الغنم، فنظر داود ثمن الحرث، فإذا هو قريب من ثمن الغنم، فقضى بالغنم لأهل الحرث فمروا بسليمان فقال: كيف قضى فيكم (نبيُّ اللَّه)(٢)؟ فأخبروه، قال لهم. [نعم](٣) ما قضى، وغيره كان أرفق بالفريقين كليهما، فدخل أصحاب الغنم على داود؛ فأخبروه فأرسل إلى سليمان، فقدم عليه لما حدثتني كيف رأيت فيما قضيتُ؟ قال: تدفع الغنم إلى أهل الحرث، فينتفعون بلبنها وسمنها وأصوافها عامهم هذا، وعلى أهل الغنم أن يزرعوا لأهل الحرث مثل الذي أفسدت غنمهم فإذا (بلغ)(٤) مِثْلَهُ حين أُفسد قبضوا غنمهم؛ فقال له داود: نِعْم الرأي رأيت(٥).

(ل٢١٧) ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ كانت جميع الجبال وجميع الطير تسبح مع داود بالغداة والعشي، ويفقه تسبيحها ﴿وكنا فاعلين﴾ أي: قد فعلنا ذلك.

قال محمدٌ: يجوز نصب (الطير) من جهتيْن: إحداهما على معنى: وسخرنا الطير، والأخرى

---

(١) قال صاحب مختار الصحاح: ولا يكون النَّفَش إلا بالليل، والهَمَل يكون ليلاً ونهارًا. وقيل: نفشت الإبل والغنم؛ أي: رعت ليلاً بلا راعٍ. مختار الصحاح (نفش).

(٢) سقط من «ر».

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) في «ر»: كان.

(٥) في «ر»: نعم ما قضيت.

على معنى : يسبحن مع الطير(١).

﴿وعلمناه صنعة لبوسٍ لكم﴾ يعني : دروع الحرب ﴿لتحصنكم من بأسكم﴾ يعني : القتال .

قال قتادة(٢): كانت قبل داود صفائح ، وأول من صنع هذه الحلق وسمَّرها(٣): داود .

قال محمدٌ : تقرأ ﴿ليحصنكم﴾ بالياء والتاء ؛ فمن قرأ بالياء فالمعنى : ليحصنكم اللَّبوس ، ومن قرأ بالتاء(٤) فكأنه على الصنعة ؛ لأنها أنثى .

﴿ولسليمان الريح﴾ أي : وسخرنا لسليمان الريح ﴿عاصفة﴾ لا تؤذيه ﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ يعني : أرض الشام .

﴿ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك﴾ (سوى ذلك)(٥) الغوص ، وكانوا يغوصون في البحر فيخرجون له اللؤلؤ ، وقال في آية أخرى : ﴿كل بناء وغواصٍ﴾(٦).

﴿وكنا لهم حافظين﴾ حفظهم الله عليه ألا يذهبوا ويتركوه .

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسَّني الضُر﴾ المرض ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ قال الحسن : إن أيوب لم يبلغه شيءٌ يقوله الناسُ كان أشدَّ عليه من قولهم : لو كان نبيًا ما ابتُلي بالذي ابتلي به ، فدعا اللَّه فقال : اللَّهم إن كنت تعلم أني لم أعمل حسنة في العلانية إلا عملت في

---

(١) ينظر الدر المصون (٥/١٠٢) .

(٢) رواه عبد الرزاق (٢/٢٧) والطبري (١٧/٥٤ - ٥٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٥٨) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة .

(٣) شدُّها بالمسمار وثبَّته بدقة فيها . لسان العرب ، المعجم الوسيط (سمر) .

(٤) قرأ بالياء : ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي وأبو عمرو ، وقرأ بالتاء عاصم وابن عامر . وفيها قراءات أخرى غير هاتين . ينظر : السبعة (٤٣٠) ، التيسير (١٥٥) ، البحر (٦/٣٣٢) .

(٥) سقط من « ر » .

(٦) ص : ٣٧.

السر مثلها؛ فاكشف ما بي من ضرٍّ وأنت أرحم الراحمين، فاستجاب الله له، فوقع ساجدًا، وأمطر عليه فراش الذهب، فجعل يلتقطه ويجمعُه ﴿[وآتيناه][١] أهله ومثلهم معهم﴾ هذا مفسّر في سورة «ص»[٢] ﴿رحمةً من عندنا وذكرى للعابدين﴾ أي: أن الذي كان ممن ابْتُلِيَ به أيُّوب لم يكن من هوانه على الله، ولكن الله أراد كرامته بذلك، وجعل ذلك عزاءً للعابدين[٣] بعده.

﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكِفْل﴾ تفسير قتادة[٤]: أن ذا الكفل لمْ يكن نبيًّا، ولكنه كان عبدًا صالحًا تكفل بعمل رجلٍ صالحٍ عند موته كان يصلي لله كل يوم مائة صلاة؛ فأحسن اللهُ عليه الثناء.

وتفسير مجاهد[٥]: أنه تكفَّل لنبي أن يقوم في قومه بعده بالعدل.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وذا النون﴾ يعني: يونس، قال قتادة وغيره: النون: الحوت.

قال محمدٌ: قوله: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾ منصوبٌ على معنى: واذكر[٦]، وكذلك قوله: ﴿وذا النون﴾.

---

(١) في الأصل و «ر». ﴿ووهبنا له﴾ وهذا نص آية ص: ٤٣.

(٢) عند قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ ص آية: ٤٣.

(٣) في «ر»: للعالمين.

(٤) رواه عبد الرزاق (٢/٢٧).

(٥) رواه الطبري (١٧/٧٤).

(٦) انظر الدر المصون (٥/١٠٤).

﴿إذ ذهب مغاضبًا﴾ [لقومه][(١)]: ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ قال قتادة[(٢)]: يعني : أن لن نعاقبه بما صنع .

قال محمدٌ : أصل الكلمة : الضيق ؛ كقوله : ﴿فقدر عليه رزقه﴾[(٣)] أي : ضيِّق ، ومن هذا قولهم : فلانٌ مقدَّر عليه ومُقتَّر[(٤)].

﴿فنادى في الظلمات﴾ يعني : في ظلمة البحر ، وظلمة الليل ، وظلمة بطن الحوت ﴿أن لا إله إلا أنت ...﴾ الآية .

يحيى : عن يونس بن أبي إسحاق ، عن إبراهيم بن محمد بن سعد بن مالك ، عن أبيه ، عن جده سعدٍ ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « دعوةُ ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت : ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ فإنه لم يَدْعُ بها مسلمٌ ربَّه قط في شيءٍ إلا استجاب له »[(٥)].

---

(١) في الأصل : لقوله . والمثبت من « ر » .

(٢) رواه الطبري (٧٨/١٧) .

(٣) الفجر : ١٦.

(٤) لسان العرب ، مختار الصحاح (قدر) .

(٥) رواه الإمام أحمد (١٧٠/١) والترمذي (٤٩٥/٥ رقم ٣٥٠٥) والنسائي في الكبرى (١٦٨/٦ رقم ١٠٤٩٢) وأبو يعلى (١١٠/٢ - ١١١ رقم ٧٧٢) والبزار (٢٥/٤ رقم ١١٨٦) والطبراني في الدعاء (٥٦ رقم ١٢٤) والحاكم في المستدرك (٥٠٥/١، ٣٨٢/٢ - ٣٨٣) والبيهقي في الشعب (٥٢١/٢ - ٥٢٢ رقم ٦١١) والضياء في المختارة (٢٣٣/٣ - ٢٣٥ رقم ١٠٤٠ - ١٠٤٢) وفي العدة للكرب والشدة (٥١ رقم ٢٠) من طريق يونس بن أبي إسحاق به .

وقال الترمذي : وقد روى غير واحدٍ هذا الحديث عن يونس بن أبي إسحاق عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن سعد ، ولم يذكر فيه عن أبيه ، وروى بعضهم عن يونس بن أبي إسحاق فقالوا : عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن سعد ، وكان يونس بن أبي إسحاق ربما ذكر في هذا الحديث عن أبيه ، وربما لم يذكره .

وقال البزار : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن محمد بن سعد إلا من رواية إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن جده . ولا يُروى عن النبي ﷺ إلا من رواية سعد عنه ، وقد رُوي عن سعدٍ من وجهين .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

ورواه النسائي (١٦٨/٦ رقم ١٠٤٩١) والحاكم (٥٠٥/١) من طريق عبيد بن محمد عن محمد بن مهاجر عن إبراهيم بن سعد به .

ورواه أبو يعلى (٦٥/٢ رقم ٧٠٧) والبزار (٣٦٣/٣ - ٣٦٤ رقم ١١٦٣) وابن عدي في الكامل (٢٠٦/٧) =

وتفسير قصة يونس (مذكور)[١] في سورة الصَّافات[٢].

﴿وأصلحنا له زوجه﴾ قال قتادة[٣]: كانت عاقرًا ؛ فجعلها الله وَلُودًا ﴿ووهبنا له﴾ منها ﴿يحيى﴾ .

﴿ويدعوننا رغبًا﴾ أي : طمعًا ﴿وَرَهَبًا﴾ أي : خوفًا .

﴿والتي أحصنت فرجها﴾ جيْبَ درعها عن الفواحش ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ تناول جبريل بأصْبُعِه جيبها فنفخ فيه ؛ فسار إلى بطنها فحملت ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ يعني : أنها ولدته من غير رجل .

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ قال قتادة[٤]: أي : دينكم دينًا واحدًا .

= والحاكم (٢/٥٨٤) من طريق أبي خالد الأحمر ، عن كثير بن زيد ، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن مصعب ابن سعد عن أبيه بنحوه .

وقال البزار : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا عن سعد عنه ، وقد روي عن سعد من وجه آخر ، وهذا الحديث لا نعلمه رواه عن كثير بن زيد إلا أبو خالد الأحمر ، ولا روى المطلب عن أبيه - كذا - إلا هذا الحديث .

ورواه الحاكم (١/٥٠٥ - ٥٠٦) من طريق أحمد بن عمرو بن بكر السكسكي عن أبيه عن محمد بن يزيد عن سعيد ابن المسيب عن سعد ﷺ بنحوه .

ورواه الطبري في تفسيره (١٧/٨٢) من طريق علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن سعد ﷺ بنحوه .

ورواه أبو يعلى في معجمه (٢٦٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٦٦ رقم ٣٤٣) وابن عدي (٦/٢٥٧) والضياء في العدة للكرب والشدة (٤٧ رقم ١٨) من طريق عمرو بن الحصين العقيلي عن معتمر بن سليمان عن معمر عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن سعد عن سعد ﷺ .

وقال ابن عدي : عمرو بن الحصين مظلم الحديث .

(١) في الأصل : مذكورة .

(٢) الصافات : ١٣٩ - ١٤٨.

(٣) رواه الطبري (١٧/٨٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٦٧) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٤/٣٦٨) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

قال محمدٌ : من قرأ ﴿أمتُكم﴾ بالرفع ، ونصب (أمةً واحدةً)[١] - فأمتكم رفعٌ خبر (هذه) ، ونصب (أُمّةً) لمجيء النكرة بعد تمام الكلام ؛ هذا قول أبي عبيدة[٢].

﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ يعني : أهل الكتاب ؛ أي : فرقوا دينهم الذي أمروا به ، يعني : الإسلام [فدخلوا في][٣] غيره .

﴿فلا كفران لسعيه﴾ لعمله ﴿وإنا له كاتبون﴾ نحسب حسناته (ل٢١٨) حتى يُجْزَى بها الجنة .

قال محمدٌ : تقول العرب : غفرانك لاكفرانك ؛ المعنى : لا نجحد[٤].

﴿وحرامٌ على قريةٍ أهلكناها﴾ أي : واجب عليها ﴿أنهم لا يرجعون﴾ قال الحسن : [المعنى][٥]أنهم لا يتوبون ، ولا يرجعون عن كفرهم .

وتقرأ أيضًا ﴿وحِرْم[٦] على قرية﴾.

قال محمدٌ : حِرْم وحرامٌ عند أهل اللغة بمعنًى واحدٍ ؛ أي : واجبٌ[٧]. قال الشاعر :

فإن حرامًا لا أرى الدهر باكيًا ... على شَجوه إلا بكيتُ على عمرِو[٨]

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ

---

(١) وهي قراءة السبعة إلا أبا عمروفي رواية عنه ؛ فقد قرأ (أمةٌ واحدةٌ) على الرفع . ينظر : إتحاف الفضلاء (٣١٢) ، البحر (٣٣٧/٦) ، المحتسب (٦٥/٢) ، تفسير القرطبي (٣٣٨/١١ - ٣٣٩) .

(٢) وفيه تفصيل نحوي واسع . ينظر : الدر المصون (١٠٧/٥) .

(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) الكُفْران والكُفْر ضد الشُّكر : جحود النعمة . لسان العرب ، مختار الصحاح (كفر) .

(٥) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٦) بكسر الحاء وإسكان الراء ، من غير ألف ، وهذه قراءة أبي بكر وحمزة والكسائي ، ينظر السبعة (٤٣١) ، النشر (٣٢٤/٢) ، إتحاف الفضلاء (٣٩٤) ، تفسير القرطبي (٣٤٠/١١) .

(٧) ينظر في ذلك كلام ابن منظور ؛ فقد استوفى هذه القراءة ، ومعناها اللغوي لسان العرب (حرم) ، وينظر حاشية تفسير ابن كثير (٣٦٦/٥) .

(٨) البيت لعبد الرحمن بن جُمانة المحاربي شاعر جاهلي ، وهو من بحر الطويل .
وورد في الأصل : (فإن حرامك ....إلخ) وهو غير مستقيم الوزن . ينظر لسان العرب (حرم) .

ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

قوله : ﴿حتى إذا فتحت﴾ أي : أُرْسِلَتْ ﴿يأجوج ومأجوج وهم من كل حدَبٍ ينسلون﴾ قال قتادة[١]: يعني : من كل أكمة[٢] يخرجون .

قال محمدٌ : النَّسَلانُ في اللغة : مقاربَةُ الخَطْوِ مع الإسراع[٣].

﴿واقترب الوَعْدُ الحق﴾ يعني : النفخة الآخرة ﴿فإذا هي شاخصةٌ أبصار الذين كفروا﴾ إلى إجابة الداعي .

﴿يا ويلنا﴾ يقولون : يا ويلنا ﴿قد كنا في غفلةٍ من هذا﴾ يعنون : تكذيبهم بالساعة ﴿بل كُنَّا ظالمين﴾ لأنفسنا ﴿إنكم وما تعبدون من دون اللَّه﴾ قال الحسن : يعني : الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان ؛ لأنهم بعبادتهم الأوثان عابدون للشياطين ﴿حصبُ جهنم﴾ أي : يُرْمَى بهم فيها .

قال محمدٌ : ﴿حصبُ جهنم﴾ ما ألقي فيها ؛ تقول : حصَبْتُ فلانًا حَصْبًا بتسكين الصاد ؛ أي : رميته ، وما رميت فهو حَصَبٌ[٤].

﴿أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها﴾ (يعني : الشياطين)[٥] ﴿وكل فيها خالدون﴾ العابدون والمعبودون ﴿لهم فيها زفيرٌ﴾ قد مضى تفسير الزفير والشهيق[٦] ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/٢٧) والطبري (٩١/١٧) .
وعزاه السيوطي في الدر (٣٦٨/٤) لابن المنذر أيضًا .
(٢) الأكمة : التل ، والمراد المكان المرتفع ، والجمع : أكَم وإكام وآكام . المعجم الوسيط (أكم) وفي « ر » : أكنة . والمراد : مَن كل مكان خفي يسترهم .
(٣) وهو أيضًا النَّسَل والنَّسْل بمعنى العَدْوِ . لسان العرب ، القاموس المحيط (نسل) .
(٤) لسان العرب (حصب) .
(٥) سقط من « ر » .
(٦) في تفسير سورة هود عند الآية : ١٠٦ .

قال ابن مسعودٍ[١]: إذا بقي في النار من يُخَلَّدُ فيها جُعلوا في توابيت من نار فيها مسامير من نار، ثم جعلت التوابيت في توابيت أُخر، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخر؛ فلا يرون أن أحدًا يعذب في النار غيرهم. ثم قرأ ابن مسعودٍ: ﴿لهم فيها زفيرٌ وهم فيها لا يسمعون﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ يعني: الجنة ﴿أولئك عنها﴾ (يعني: النار)[٢] ﴿مُبْعَدون﴾ قال الكلبي: قام رسولُ الله ﷺ مقابل باب الكعبة، ثم اقترأ هذه الآية: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنم﴾ فوجَدَ منها أهل مكة وَجْدًا شديدًا[٣]، فقال ابن الزِّبَعْرَى: يا محمدُ؛ أرأيت الآية التي قرأت آنفًا أفينا وفي آلهتنا خاصة، أمْ في الأمم وآلهتهم؟ قال: لا؛ بل فيكم وفي آلهتكم وفي الأمم وآلهتهم. فقال: خَصَمْتُك والكعبة؛ قد عَلِمت أن النصارى يعبدون عيسى وأمه، وإن طائفةً من الناس يعبدون الملائكة، أفليس هؤلاء مع آلهتنا في النار؟! فسكت رسول الله، وضحكت قريش ولجُّوا؛ فأنزل الله جواب قولهم: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ يعني: عُزَيْرًا وعيسى والملائكة ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ يعني: صوتها إلى قوله: ﴿الفزعُ الأكبر﴾ قال الحسن: يعني: النفخة الآخرة ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ قال الحسن: تتلقاهم بالبِشَارة حين يخرجون من قبورهم، وتقول: ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾.

﴿يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب[٤]﴾ قال قتادة: يعني: كطي الصحيفة فيها الكتاب

---

(١) رواه الطبري (١٧/٩٥).

ورواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٤٤ رقم ٧٢) بإسناده عن يحيى بن سلام قال وبلغني عن ابن مسعود فذكره.

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٧٢) لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في صفة النار والطبراني والبيهقي في البعث.

(٢) سقط من «ر».

(٣) أي: حُزْنًا شديدًا. لسان العرب (وجد).

(٤) هكذا في الأصل و «ر»: (للكتاب) وهي قراءة: ابن كثير، وابن عامر، ونافع، وأبي عمرو، وأبي بكر عن عاصم، وقرأ الباقون ﴿للكتب﴾ على الجمع ينظر: السبعة (٤٣١)، النشر (٢/٣٢٥)، التيسير (١٥٥)، إتحاف الفضلاء (٣٩٥).

﴿كما بدأنا أول خلقٍ نعيده﴾ قال الكَلْبي : إذا أراد أن يبعث الموتى ، عاد الناس كلهم نُطَفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظَامًا ثم لحمًا ، ثم ينفخ فيهم الروح ، فكذلك بدأهم .

وقال ابن مسعود : يرسل الله ماءً من تحت العرش منيًّا كمني الرجال فتنبت به جُسْمَانهم ولحمانهم ؛ كما تنبت الأرض من الثَّرى .

﴿وعدًا علينا﴾ (يعني : البدء)(١) ﴿إنا كنا فاعلين﴾ أي : نحن فاعلون .

قال محمدٌ : (وعدًا) منصوبٌ على المصدر ؛ بمعنى : وعدناهم [هذا](٢) وعدًا(٣).

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿ولقد كتبنا في الزَّبُور﴾ قال مجاهد : يعني : الكتب : التوراة والإنجيل والقرآن ﴿من بعد الذكر﴾ يعني : اللوح المحفوظ ﴿أن الأرض﴾ يعني : أرض الجنة ﴿يرثها عبادي الصَّالحون إن في هذا﴾ يعني : القرآن ﴿لبلاغًا﴾ إلى الجنَّة ﴿لقوم عابدين﴾ الذين يصلون [الصلوات الخمس](٤) ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (ل٢١٩) تفسير سعيد بن جبير قال : من آمن بالله ورسوله تمت عليه الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن كفر بالله ورسوله عُوفِيَ مما عذِّبت به الأمم ؛ وله في الآخرة عذابُ النار .

قال يحيى : [إلا أن](٥) تفسير الناس أن الله أخّر عذاب كفار آخر هذه الأمة بالاستئصال إلى النفخة الأولى ، ثم يكون هلاكُهم بعد هذا .

---

(١) سقط من «ر».

(٢) سقط من الأصل.

(٣) وقد سبق الكلام على مثله آنفًا ؛ فلا حاجة لتكراره .

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) طمس في الأصل والمثبت من «ر».

﴿فقل آذنتكم على سواءٍ﴾ قال الحسن: يقول: من كذب بي فهو عندي سواء؛ أيْ: جهادكم كلكم عندي سواء.

قال محمدٌ: ومعنى (آذنتكم): أعلمتكم[1].

﴿وإن أدْري أقريبٌ أمْ بعيدٌ ما توعدون﴾ يعني: الساعة ﴿وإن أدري لعله فتنةٌ لكم﴾ تفسير الحسن يقول: وإن أدْري لعل ما أنتم عليه من السَّعة والرخاء وهو منقطعٌ زائل ﴿فتنة﴾ بليَّة لكُمْ ﴿ومتاعٌ﴾ تستمتعون به؛ يعني: المشركين ﴿إلى حينٍ﴾ قال قتادة: يعني: إلى الموت.

قال محمدٌ: ومعنى (وإن أدري): وما أدري[2].

﴿قل[3] رب احكم بالحق﴾ قال الحسن: أمره الله أن يدعُوَ أن ينصُرَ أولِيَاءه على أعدائه، فنصره الله عليهم ﴿وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ أي: تكذبُون.

---

(١) وآذَن وتأذَّن بمعنًى مثل أيْقَن وتيقَّن. مختار الصحاح (أذن).

(٢) حيث تأتي (إن) المكسورة المخفَّفة بمعنى (ما) في النفي. انظر مغني اللبيب (١/ ٣٠).

(٣) قرأ حفص ﴿قال﴾ بالألف على الخبر، وقرأ الباقون ﴿قل﴾ على الأمر من غير ألف. النشر (٢/ ٣٢٥) وإتحاف الفضلاء (٣٩٥).

تفسير سورة الحجّ

وهي مدنية كلها إلا أربع آيات مكّيات : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ...﴾ إلى قوله : ﴿عذاب يومٍ عقيم﴾[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾

قوله : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيءٌ عظيم﴾ يعني : النفخة الآخرة ﴿يوم ترونها تذهل﴾ أي : تُعْرِضُ ﴿كل مرضعةٍ عما أرضعت ...﴾ الآية .

يحيى : عن أبي الأشهب ، عن الحسن قال : « بينا رسولُ اللّٰه في مسيرٍ له قد فرّق بين أصحابه السَّيْرُ ؛ إذْ رفع صوته فقال : ﴿يا أيها الناسُ اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيءٌ عظيمٌ ...﴾ حتى انتهى إلى قوْله : ﴿ولكنَّ عذاب اللّٰه شديدٌ﴾ فلما سمعوا صوت نبيهم اعْصوصبوا[٢] به . فقال : هل تدرون أي يومٍ ذاكم؟ قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : ذاكُم يوم يقول اللّٰه لآدمَ : يا آدَمُ ، قُمْ ابْعَثْ بعْث النار . فيقول : يا رب وما بعث النار؟ قال : من كلِ ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إنسانًا إلى النار وواحدٌ إلى الجنة . فلما سمعوا ما قال نبيُّهم أبْلسوا[٣] حتى ما يجلى رجل منهم عن واضحة ، فلما رأى ذلك في وجوههم ، قال : اعملوا وأبشروا فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالرَّقْمة[٤] في ذراع الدابة ، أو كالشَّامة[٥] في جنب

---

(١) الآيات من (٥٢ إلى ٥٥) .

(٢) أي : اجتمعوا وصاروا عصابةً واحدةً . النهاية في غريب الحديث (٣/٢٤٦) .

(٣) أي : أسكتوا وتحيروا . لسان العرب (بلس) .

(٤) الرقمة : هنة ناتئة تشبه الظفر في ذراع الدابة من الداخل . المعجم الوسيط (رقم) .

(٥) هي العلامة في البدن يخالف لونها لون سائره . المعجم الوسيط (شيم) .

البعير، وإنكم مع خليقتين[1] ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج، ومن هلك - يعني: ومن كفر - من بني إبليس، وتُكمَلُ العِدَّة من المنافقين»[2].

---

(١) أي: مخلوقين.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١١/١٧) وفي تهذيب الآثار مسند ابن عباس (٤٠٢/١ رقم ٧١٠) من طريق عوف عن الحسن بنحوه.

ورواه الإمام أحمد (٤/ ٤٣٢، ٤٣٥) والحميدي (٣٦٧/٢ رقم ٨٣١) والطيالسي (١١٢ رقم ٨٣٥) والترمذي (٥/ ٣٠٢ - ٣٠٣ رقم ٣١٦٨، ٣١٦٩) والنسائي في الكبرى (٤١٠/٦ رقم ١١٣٤٠) والطبري في تفسيره (١٧/ ١١١) وفي تهذيب الآثار (٤٠٠/١ - ٤٠٢ رقم ٧٠٧، ٧٠٨) والطبراني في المعجم الكبير (١٤٤/١٨ رقم ٣٠٦) والحاكم في المستدرك (٢٨/١ - ٢٩، ٢٣٣/٢ - ٢٣٤، ٣٨٥، ٥٦٧/٤) من طريق الحسن عن عمران بن حصين بنحوه.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد رُوي من غير وجهٍ عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ.

وقال الحاكم في الموضع الأول: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بطوله، والذي عندي أنهما قد تحرجا من ذلك خشية الإرسال، وقد سمع الحسن عن عمران بن حصين، وهذه الزيادات التي في هذا المتن أكثرها عند معمر عن قتادة عن أنس.

ورواه الطبري في تفسيره (١١١/١٧) وفي تهذيب الآثار (٤٠٢/١ رقم ٧٠٩) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٢١٠/٣) - والطبراني في الكبير (٢١٨/١٨ رقم٥٤٦) من طريق العلاء بن زياد العدوي عن عمران ابن حصين.

ورواه الطبري (١١١/١٧) وفي تهذيب الآثار (٣٩٩/٢ رقم ٧٠٦) من طريق قتادة عن صاحب له عن عمران.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٣١/٢) وعبد بن حميد (٣٥٨ رقم ١١٨٧) وأبو يعلى (٤٣٠/٥ - ٤٣١ رقم ٣١٢٢) والطبري في تفسيره (١١٢/١٧) وابن خزيمة في الأهوال من صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٢٥٤/٢) - وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٢١٠/٣) - وابن حبان (٣٥٢/١٦ رقم ٧٣٥٤) والحاكم (١/ ٢٩، ٤/ ٥٦٦ - ٥٦٧) من طريق معمر عن قتادة عن أنس بن مالك ﷺ.

وقال الحاكم: هو صحيح على شرطهما جميعًا، ولم يخرجاه ولا واحد منهما.

وقال في الموضع الثاني: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

ثم أسند الحاكم عن محمد بن يحيى الذهلي الإمام قوله: هذا الحديث عندنا غير محفوظ عن أنس، ولكن المحفوظ عندنا حديث قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين.

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢١٩/٨ رقم ٧٨٢٣): رواه أبو يعلى الموصلي بسند صحيح، وأحمد بن حنبل والحاكم وصححه.

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٢١٠/٣) والبزار - كشف الأستار (١٨٣/٤ - ١٨٤ رقم ٣٤٩٧) - والطبري في تهذيب الآثار (٣٩٦/١ رقم ١٦) والحاكم في المستدرك (٥٦٨/٤) من طريق هلال بن =

قال محمدٌ : ومعنى قوله : ﴿وترى الناس سُكَارى﴾ أي : ترى أنت أيها الإنسان الناس سُكَارى من العذاب والخوف ﴿وما هم بسكارى﴾ من الشراب .

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ يعني : المشرك يلحدُ في الله ، فيجعل معه إلهًا بغير علم أتاه من الله ﴿ويتبع كل شيطانٍ مريد﴾ أي : جريء على المعصية ، والشياطين هي التي أمرتهم .

﴿كُتِبَ عليه﴾ أي : قُضي على الشيطان ﴿أنه من تولاَّه﴾ اتبعه ﴿فأنه يضله﴾ .

قال محمدٌ : (أنه من تولاَّه) (أنه) في مؤضعِ رفع ، (فأنه يضله) عطفٌ عليه ، وموضعه رفعٌ أيضًا ، وحقيقته أنها مكررة على جهة التوكيد ؛ المعنى : كتب عليه أنه من تولاه أضله[1].

= خباب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وقال البزار : لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد .

وقال الطبري : وهذا خبر عندنا صحيح سنده ، وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيمًا غير صحيح لعلتين : إحداهما : أنه خبر لا يُعرف له مخرج عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ يصح إلا من هذا الوجه ، والخبر إذا انفرد به عندهم منفرد وجب التثبت فيه .

والثانية : أنه من نقل عكرمة عن ابن عباس ، وفي نقل عكرمة عندهم نظر يجب التثبت فيه من أجله . اهـ .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح بهذه الزيادة ، ولم يخرجاه .

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٩٤) : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب ، وهو ثقة .

ورواه ابن مردويه في تفسيره - كما في تخريج أحاديث الكشاف (٢/٣٧٨) - من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما .

ورواه الطبري في تهذيب الآثار (١/٤٠٤ - ٤٠٥ رقم ٧١٤) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٧٧) لابن مردويه عن أبي موسى رضي الله عنه بنحوه .

وروى البخاري (٦/٤٤٠ رقم ٣٣٤٨) ومسلم (١/٢٠١ - ٢٠٢ رقم ٢٢٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه نحوه مختصرًا .

وروى البخاري (١١/ ٥٢٣ رقم ٦٦٤٢) ومسلم (١/ ٢٠٠ - ٢٠١ رقم ٢٢١) عن ابن مسعود رضي الله عنه نحوه مختصرًا .

وروى البخاري (١١/ ٣٨٥ رقم ٦٥٢٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه مختصرًا أيضًا .

وروى الإمام أحمد (٦/٤٤١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه نحوه مختصرًا أيضًا .

(١) ينظر : إعراب القرآن (٢/٣٨٩) ، مجمع البيان (٤/٧٠) ، البحر (٦/٣٥١) .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ۝٥﴾

﴿يا أيها الناسُ إن كنتم في ريب﴾ أي: في شكٍّ ﴿من البعث فإنا خلقناكم من تراب﴾ وهذا خلق آدم ﴿ثم من نطفةٍ﴾ يعني: نسل آدم ﴿ثم من علقة ثم من مضغة مخلَّقة وغير مخلقة﴾ تفسير مجاهد[1]: هما جميعًا: السقط[2] مخلق وغير مخلق.

قال محمدٌ: ومعنى ﴿مخلَّقة وغير مخلَّقة﴾ أي: من الخلق من تتم مضغتُه بخلق الأعضاء، ومنهم من لا يتم الله خَلْقَهُ.

﴿لنبيِّنَ لكم﴾ أي: خلقكم ﴿ونقر في الأرحام﴾ أرحام النساء ﴿ما نشاء إلى أجل مسمى﴾ (ل ٢٢٠) يعني: منتهى الولادة.

قال محمد: تقرأ بالرفع على القطع[3] [مما قبله][4].

يحيى: عن صاحبٍ له، عن الأعمش عن [أبي وائل][5] عن عبد الله بن مسعودٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن خلق أحدكم يُجْمَع في بطن أمِّه نطفة أربعين يومًا، ثم يكون علقةً أربعين

(١) رواه الطبري (١١٧/١٧) وابن أبي حاتم (٢٤٧٥/٨ رقم ١٣٧٨٤).
وعزاه السيوطي في الدر (٣٧٩/٤): لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) السَّقط - بكسر السين وضمها وفتحها ثلاث لغات - هو ما يسقط من الولد قبل تمامه. لسان العرب (سقط).

(٣) هكذا في الأصل، و «ر» ولعل المراد بالرفع على القطع؛ أي بالرفع على الخبرية، والتقدير: (ما نشاء إلى أجل هو مسمى). ولم أجد هذه القراءة وكل ما قيل في قراء هذا الحرف هو قراءة (مسمى) بالإمالة وقفًا، وهي قراءة حمزة والكسائي. ينظر: الغيث للصفاقسي (٢٩٥) وإن كان المراد بالرفع على القطع قراءة نقرُّ، فهي قراءة العامة، والرفع لأنه مستأنف، وليس علة لما قبله فينصب نسقًا على ما تقدم. ينظر الدر المصون (١٢٥/٥). والله أعلم.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

يومًا ، ثم يكون مضغة أربعين يومًا ، ثم يؤمر الملك - أو قال : يأتي الملك - فيؤمر أن يكتب أربعًا : رزقه وعمله وأثره وشقيًا أو سعيدًا »[١].

﴿ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم﴾ يعني : الاحتلام .

﴿ومنكم من يتوفَّى﴾ وفيها إضمارٌ ؛ أي : يُتَوَفَّى من قبل أن يبلغ أرذل العمر ﴿ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذل العمر﴾ يعني : الهرم ﴿لكي لا يعلم من بعد علمٍ شيئًا﴾ أي : يصير بمنزلة الصبي الذي لا يعلم شيئًا .

قال محمدٌ : (طفلاً) في معنى : أطفال[٢]؛ كأن المعنى : يخرج كل واحدٍ منكم طفلاً .

وقوله : (لكي لا) هو بمعنى حتى لا[٣].

﴿وترى الأرض هامدةً﴾ قال قتادة[٤]: يعني : (غبراء)[٥] مُتَهَشِّمَةً .

قال محمدٌ : هامدة حقيقتها جافة ، ومن ذلك : همودُ النار إذا طُفِئتْ فذهبتْ ، وهو معنى قول قتادة .

﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزَّت وربت﴾ وفيها تقديم ، وربت للنبات ؛ أي : انتفختْ ، واهتزّتْ بالنبات ؛ إذا أنبتت ﴿وأنبتت من كل زوجٍ﴾ أي : من كل لونٍ ﴿بهيجٍ﴾ أي : حسن .

قال محمدٌ : (بهيج) في معنى باهج ؛ تقول العرب : امرأة ذات خلق باهج[٦].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ

---

(١) لم أجده من هذا الطريق ، ورواه البخاري (٤٨٦/١١ رقم ٦٥٩٤) ومسلم (٢٠٣٦/٤ رقم ٢٦٤٣) من طريق الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود ﷺ .

(٢) الطفل : المولود ، والجمع أطفال ، وقد يكون واحدًا وجمعًا ؛ مثل الجُنب . مختار الصحاح (طفل) .

(٣) ينظر : الدر المصون (١٢٦/٥ - ١٢٧) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٣٧٩/٤) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) في « ر » : غير .

(٦) أي : فعيل بمعنى فاعل ، ويقال : بهيج ، وبَهِج . لسان العرب (بهج) .

مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾

﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى ...﴾ الآية ، يقول : إن الذي أخرج من هذه الأرض الهامدة ما أخرج من النبات قادر على أن يحيي الموتى .

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدًى﴾ أتاه من الله ﴿ولا كتابٍ منير﴾ مضيء لعبادة الأوثان ﴿ثاني عطفه﴾ أي : عنقه . تفسير مجاهد : يقول : هو معرضٌ عن الله .

قال محمدٌ : (ثاني) منصوبٌ على الحال ؛ المعنى : لاويًا عنقَهُ[1]؛ وهذا مما يوصف به المتكبِّر .

﴿له في الدنيا خزيٌ﴾ يعني : القتل ، قال الكلبي : نزلت في النَّضْر بن الحارث ؛ فقتل يوم بدر .

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾

﴿ومن الناس من يعبد الله على حرفٍ﴾ تفسير مجاهد[2] وقتادة[3]: على شكٍّ .

﴿فإن أصابه خيرٌ اطمأن به﴾ أي : رضي ﴿وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ أي : ترك ما كان عليه ، هو المنافق ؛ إن رأى في الإسلام رخاءً وطمأنينة طابتْ نفسه بما يصيب من ذلك الرخاء ، وقال : أنا منكم وأنا معكم ، وإذا رأى في الإسلام شدة أو بليّة لم يصبر على مصيبتها ، وانقلب على

---

(١) ينظر إعراب القرآن (٢/٣٩١) ، مجمع البيان (٤/٧٢) ، البحر (٦/٣٥٤) .

(٢) رواه الطبري (١٧/١٢٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٨٠) لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) رواه عبد الرزاق (٢/٣٣) والطبري (١٧/١٢٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٨٠) لعبد بن حميد وعبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم .

وجهه كافرًا ، وترك ما كان عليه .

﴿يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعُه﴾ يعني : الوثن ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ .

﴿يدعو لمن ضرُّه أقرب من نفعه﴾ يعني : الوثن أيضًا ؛ يعني : أنه ينفق عليه وهو كَلٌّ عليه ﴿لبئس المولى﴾ يعني : الوثن ﴿ولبئس العشير﴾ .

﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة﴾ يعني : المنافق ؛ أي : أنه أيس من أن ينصُرَ اللهُ محمدًا ، لا يصدق بما وعد الله رسوله من نصره في الدنيا والآخرة ، ونصره في الآخرة : الجنة ﴿فليمدد بسبب﴾ أي : بحبلٍ ﴿إلى السماء﴾ يقول : فليعلِّق حبلاً من السماء ؛ يعني : سقف البيت ثم لْيقطع ليختنق حتى يموت ﴿فلينظر هل يذهبن كيده﴾ أي : فعله ﴿ما يغيظ﴾ أي : أن ذلك لا يذهب غيظه .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وكذلك أنزلناه﴾ يعني : القرآن ﴿آياتٍ بينات﴾ أي : بيِّنٌ فيه الحلال والحرام .

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾ تهودوا ﴿والصابئين﴾ وهم قومٌ يعبدون الملائكة ، ويقرءون الزبور ﴿والنصارى والمجوس﴾ وهم عبدة الشمس والقمر والنيران ﴿والذين أشركوا﴾ وهم عبدة الأوثان ﴿إن الله يفصل بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه﴾ في الدنيا فيُدخل المؤمنين الجنة ، ويُدخل [جميع هؤلاء النار على ما أعدّ لكل قوم .

﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض﴾ يعني : جميع أهل السماء يسجدون وبعض أهل الأرض . كان الحسن لا يعدّ السجود إلا من المسلمين][1] ﴿والشمس والقمر والنجوم﴾ كلها ﴿والجبال﴾ [كلها][1] ﴿والشجر﴾ [كله][1] ﴿والدواب﴾ كلها ثم رجع

(١) طمس في الأصل في آخر اللوحة (٢٢٠) وأول اللوحة (٢٢١) والمثبت من « ر » .

إلى صفة الإنسان، فاستثنى فيه، فقال ﴿وكثير من الناس﴾ يعني: المؤمنين ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ من لم يؤمن.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ تفسير قتادة[١]: اختصم المسلمون وأهل الكتاب؛ فقال أهل الكتاب: نبيُّنا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن خيرٌ منكم. وقال المسلمون: كتابنا يقضي على الكتب كلها، ونبيُّنا خاتم النبيين، ونحن أولى بالله منكم، فأفلج[٢] الله أهل الإسلام؛ فقال: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قُطعت لهم ثيابٌ من نار ...﴾ إلى آخر الآية. وقال: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ...﴾ الآية، وقال: ﴿خصمان﴾: أهل الكتاب خصمٌ، والمؤمنون خصمٌ، ثم قال: اختصموا[٣] يعني: الجميع.

﴿يُصَبُّ من فوق رءوسهم الحميم﴾ وهو الحار الشديد الحر.

﴿يصهر به﴾ أي: يذاب به ﴿ما في بطونهم والجلود﴾ أي: وتحرق به الجلود ﴿ولهم مقامع من

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٣٨٣/٤) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أي: فضَّلهم وأظهرهم. لسان العرب (فلج).

(٣) ولفظ (الخصم) يستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث والجمع؛ لأنه في الأصل: مصدر، ومن العرب من يثنيه ويجمعه، فيقول: خَصْمان وخُصُوم.

وينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (١٣٤/٥).

حديد﴾ من نار ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أُعيدوا فيها﴾ قال الحسن : ترفعهم بلهبها ؛ فإذا كانوا في أعلاها قمعتْهم الملائكة بمقامع من حديد من نارٍ فيهْوون فيها سبعين خريفًا .

﴿إن اللَّه يدخل الذين آمنوا ...﴾ إلى قوله : ﴿من أساور من ذهبٍ ولؤلؤًا﴾ .

قال محمدٌ : من قرأ : ﴿لؤلؤًا﴾ بالنصب[١] فالمعنى : ويحلون لؤلؤًا[٢].

﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ هو لا إله إلا اللَّه ﴿وهدوا﴾ أي : في الدنيا ﴿إلى صراط الحميد﴾ وهو اللَّه .

﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل اللَّه والمسجد الحرام﴾ أي : ويصدون عن المسجد الحرام ﴿الذي جعلناه للناس﴾ (قبلةً)[٣] ﴿سواء العاكف فيه﴾ يعني : أهل مكة ﴿والبادي﴾[٤] يعني : من ينتابه من سائر الناس للحج والعمرة ؛ يقول : هم سواءٌ في حرمه ومساكنه وحقوقه .

قال محمدٌ : (سواءٌ) القراءة فيه بالرفع ؛ على الابتداء[٥].

﴿ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلمٍ﴾ أي : بشركٍ ، والإلحاد : الميل ، المعنى : ومن يرد أن يعبد غير اللَّه فيه .

قال محمدٌ : ﴿بإلحادٍ﴾ الباءُ فيه زائدة[٦].

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

---

(١) وهي قراءة نافع وعاصم ، وقرأ باقي السبعة بالجر . ينظر : السبعة (٤٣٥) ، البحر (٦/٣٦١) ، التيسير (١٥٦) ، النشر (٢/٣٢٦) .

(٢) أي : بالنصب على المفعولية . البحر (٦/٣٦١) .

(٣) سقط من « ر » .

(٤) أثبت الياء في الوصل أبو جعفر وأبو عمرو وورش ، وأثبتها في الحالين ابن كثير ويعقوب . النشر (٢/٣٢٧) .

(٥) وهي قراءة السبعة إلا حفصًا ؛ فقد قرأها ﴿سواءً﴾ بالنصب . ينظر : السبعة (٤٣٥) ، التيسير (١٥٧) ، النشر (٢/٣٢٦) ، إتحاف الفضلاء (٣٩٨) ، تفسير القرطبي (١٢/٣٤) .

(٦) ينظر : إعراب القرآن (٢/٣٩٦) ، البحر (٦/٣٦٢) ، مجمع البيان (٤/٧٩) .

﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ أي: أعلمناه.

﴿وطهر بيتي﴾ أي: من عبادة الأوثان وقول الزور والمعاصي ﴿وطهر بيتي للطائفين والقائمين﴾ قال قتادة: يعني بالقائمين: أهل مكة ﴿والركع السجود﴾ هم الذين يصلون إليه.

﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا﴾ أي: مُشاةً ﴿وعلى كل ضامر﴾ أي: وركبانًا على ضُمَّر[1] من طول السَّفَر ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ بعيد.

قال محمدٌ: (رجالاً) جمع راجل، مثل صاحب وصحاب[2]، وقال (يأتين) على معنى جماعة الإبل[3].

يحيى: عن إبراهيم بن محمدٍ، عن صالح مولى التوءمة، عن ابن عباس قال: «قام إبراهيم النبي عليه السلام عند البيت؛ فأذن في الناس بالحج، فسمع أهل المشرق وأهل المغرب»[4].

وفي تفسير قتادة: أن إبراهيم نادى: يا أيها الناس، إن لله بيتًا فحجوه.

﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ يعني: الأجر في الآخرة، والتجارة في الموسم ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ وهي عشر ذي الحجة، آخرها يوم النحر.

---

(١) واحدها: ضامر وضامرة؛ وهي الناقة قليلة اللحم الرقيقة. ويجمع أيضًا على: ضوامر. لسان العرب (ضمر).

(٢) والراجل: ضد الفارس، ويُجمع على رَجْل، ورجّالة ورُجّال ورِجَال. لسان العرب (رجل).

(٣) ينظر البحر (٣٦٤/٦)، البيان (١٧٤/٢)، إعراب القرآن (٣٩٩/٢).

(٤) روى الطبري (١٤٤/١٧) من طريق مجاهد عن ابن عباس نحوه.

[﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ يعني : إذا نحر وذبح .

قال محمد : وقيل : إن الأيام المعلومات : يوم النحر][١]، ويومان بعده .

﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ قال الحسن : ولا بأس أن يطعم منها قبل أن يأكل ، وإن شاء لم يأكل منها وتصدَّق بها .

قال محمدٌ : البائس الذي نالَهُ بؤس ، وهو [شديد][١] الفقر يقال : قد بؤس الرجل وبئس إذا صار ذا بؤس ؛ أي : شدة[٢].

﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ تفسير الحسن : التفث : تقشف الإحرام ، وبرميهم الجمرة يوم النحر يحل لهم [كل شيء .

قال محمد : معنى تقشف الإحرامِ : كل ما لا يجوز للمحرم فعله مثل][٣] (ل ٢٢٢) قص الشارب وتقليم الأظفار [ونتف الإبطين ، وحلق العانة][٤] وغير ذلك مما نهي عنه المحرم من الطيب وغيره .

﴿وليوفوا نذورهم﴾ تفسير مجاهد[٥]: ما نذر الإنسان على نفسه من شيءٍ يكونُ في الحج ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ تفسير قتادة[٦]: أعتقه اللَّه من الجبابرة ؛ كمْ من جبار صار إليه يريد أن يهدمه ؛ فحال اللَّه بينه وبينه ﴿ومن يعظم حرمات اللَّه﴾ تفسير مجاهد[٧]: الحرمات : مكّة والحج والعمرة ، وما نهى اللَّه عنه من معاصيه كلها ﴿وأُحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾ في سورة المائدة وقد مضى تفسيره[٨].

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من « ر » .

(٢) يقال : بَؤُس الرجلُ فهو بَئِيس ، وبَئِس فهو بائس ؛ اشتدت حاجته . لسان العرب (بئس) .

(٣) سقط من الأصل والمثبت من « ر » .

(٤) طمس في الأصل والمثبت من « ر » .

(٥) انظر تفسير الطبري (١٧/ ١٥٠، ١٥١) .

(٦) انظر تفسير الطبري (١٧/١٥١) .

(٧) رواه الطبري (١٧/١٥٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٩٣) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨) المائدة : ٣.

﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ يقول : اجتنبوا الأوثان ؛ فإنها رجس ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ يعني : الشرك ﴿حنفاء لله﴾ أي : مخلصين .

﴿ومن يشرك بالله ...﴾ الآية ، قال الحسن : شبه الله أعمال المشركين بالذي يخر من السماء ؛ فتخطفه الطير ، فلا يصل إلى الأرض ﴿أو تهوى به الريح في مكان سحيق﴾ بعيد ، فيذهب فلا يوجد له أصلٌ ، ولا يرى له أثر . يقول : ليست لأعمال المشركين عند الله قرارٌ لهم به عنده خير في الآخرة .

﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ تفسير مجاهد[1]: يعني : استعظام البُدْن ، واستسمانها .

﴿لكم فيها منافع إلى أجَلٍ مسمى﴾ تفسير ابن عباس قال : الأجل المسمى : إلى أن تُقَلَّد وتُشْعر ﴿ثم محلها﴾ إذا قلدت وأُشْعِرتْ ﴿إلى البيت العتيق﴾ .

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ولكل أُمَّة﴾ (ولكل قوم)[2] ﴿جعلنا منسكًا﴾ قال قتادة : يعني : حجًا وذبحًا .

﴿وبشر المخبتين﴾ يعني : الخاشعين .

قال محمدٌ : واشتقاق الكلمة من : الخبْت ؛ وهو المكان المنخفض من الأرض[3].

﴿الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي : خافت ﴿والمقيمي الصلاة﴾ يعني : المفروضة ﴿ومما

---

(١) رواه الطبري (١٧/١٥٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/٣٩٤) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) وقيل : هو المتّسع من بطون الأرض ، ومنه أُخِذ الإخبات ، وهو الخشوع . القاموس المحيط (خبت) .

رزقناهم ينفقون﴾ يعني : الزكاة المفروضة .

﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خيرٌ﴾ أي : أَجْر في نحرها ، والصدقة منها يتقربون بها إلى الله .

قال محمدٌ : من قرأ (البدن) بالنصب[١] فعلى فعل مضمر ؛ المعنى : وجعلنا البدن[٢].

﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾ تفسير مجاهد[٣] يعني : معقلة قيامًا . وهي في قراءة ابن مسعودٍ (صوافن)[٤].

قال محمدٌ : من قرأ (صوافّ) مشدّدة[٥]؛ فالمعنى : صُفَّتْ قوائمها ، والنصب فيها على الحال ، ولا تنوَّن ؛ لأنها لا تنصرف[٦] ومن قرأ (صوافن) فالصافن : الذي يقوم على ثلاث ؛ يقال : صفن الفرس ؛ إذا رفعَ إحْدَى رجليه ؛ فقام على طرف الحافر ، والبعيرُ إذا أُرادوا نحره تُعقل إحْدَى يدْيه فهو الصافن والجميع : صوافن[٧]. وقُرِئت (صوافي) بالياء والفتح بغير تنوين[٨]، وتفسيره : خوالصُ[٩]؛ أي : خالصة لله لا يشرك بالله - جلَّ وعزَّ - في التَّسْمِية على نحرها أحدٌ . وقد ذكر يحيى هذه القراءات ولمْ يلخصها هذا التلخيص .

قال : ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي : أسقطت للموت ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾ قال

---

(١) وهي قراءة الجمهور . ينظر : إتحاف الفضلاء (٣١٥) ، الإعراب للنحاس (٤٠٣/٢) ، جامع القرطبي (٦٠/١٢) .

(٢) أي : بالنصب على المفعولية . البحر (٣٦٩/٦) .

(٣) انظر تفسير القرطبي (١٦٤/١٧) .

(٤) وهي أيضًا قراءة ابن عمر وابن عباس وقتادة وغيرهم . ينظر : المحتسب (٨١/٢) ، البحر (٣٦٩/٦) ، الإعراب للنحاس (٤٠٣/٢) .

(٥) وهي قراءة الجمهور .

(٦) ينظر : لسان العرب (صفف) ، البحر (٣٦٩/٦) ، إعراب القرآن (٤٠٣/٢) ، مجمع البيان (٨٦/٤) ، والدر المصون (١٤٩/٥ - ١٥٠) .

(٧) وقيل : هو القائم على ثلاث قوائم ، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر . مختار الصحاح (صفن) .

(٨) أي وفتح الياء ، وهي قراءة الحسن ، وأبي موسى الأشعري ومجاهد ، وغيرهم . ينظر : البحر (٣٦٩/٦) ، المحتسب (٨١/٢) ، الإملاء (٧٩/٢) .

(٩) يقال : أصفاه الود : أخلصه له ، وصافاه وتصافيا : تخالصا . لسان العرب (صفو) .

الحسن[١]: القانِعُ: السّائل، والمعتر: الذي يتعرّضُ ويقبل إن أُعْطي شيئًا.

قال محمدٌ: يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ من السؤال، وقَنِع يَقْنَع من الرضا[٢] والمُعْتَرُّ: الذي يعتريك؛ أي: يُلمُّ لتُعْطِيَهُ ولا يسألُ[٣].

﴿لن ينال اللَّه لحومها ولا دماؤها﴾ يقول: لا يصعد إلى اللَّه لحومها ولا دماؤها، وقد كان المشركون يذبحون لآلهتهم، ثم ينضحون دماءها حول البيت.

﴿لكن يناله التقوى منكم﴾ يصْعَدُ إليه؛ يعني: ممّن آمن.

﴿لتكبروا اللَّه على ما هداكم﴾ السُّنَّةُ إذا ذبح أو نحر أن يقول: بسم اللَّه واللَّه أكبر[٤].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿إن اللَّه يدافع عن الذين آمنوا﴾ تفسير الحسن: يدافع عنهم، فيعصمهم من الشيطان [في دينهم][٥] ﴿إن اللَّه لا يحب كل خوان كفور﴾.

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ قال قتادة: هم [أصحاب نبي اللَّه، أذن لهم بالقتال؛ بعد ما أخرجهم المشركون، وشددوا عليهم، حتى لحق طوائف منهم بالحبشة.

قال محمد: ﴿[أذن][٦] (ل٢٢٣) للذين يقاتلون﴾ أن يقاتلوا. وقيل: إنها أول آية نزلت في (الجهاد)[٧].

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٧/ ١٦٨، ١٦٩).

(٢) قَنَع يَقْنَعُ قُنوعًا: سأل وتذلّل فهو قانع وقَنِيعٌ، وقَنِعَ يَقْنَعُ قَنَاعَة: رضي بالقسمة فهو قَنِع وقَنُوع. لسان العرب (قنع).

(٣) ينظر: مختار الصحاح (عرر).

(٤) رواها البخاري (١٠/ ٢٠ رقم ٥٥٥٨) ومسلم (٣/ ١٥٥٦ - ١٥٥٧ رقم ١٩٦٦) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٥) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٦) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٧) في «ر»: القتال.

﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ أي : أنهم أخرجوا ؛ لأنهم قالوا : ربنا الله ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعضٍ لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد﴾ قال قتادة[1]: الصوامِعُ (للصَّابئين)[2]، والبِيَعُ للنصارى؛ يعني : الكنائس، والصلوات لليهود، ومساجد؛ يعني : مساجد المسلمين ﴿يذكر فيها اسم الله كثيرًا﴾ يعني : المساجد ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أي : من ينصر دينه . معنى (وصلوات) أي : بيوت صلواتٍ ﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ يعني : أصحاب النبي ﴿أقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف﴾ بعبادة الله ﴿ونهوا عن المنكر﴾ عن عبادة الأوثان .

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿فأمليت للكافرين﴾ أي : لم أهلكهم عند تكذيبهم رسلهم حتى جاء الوقت الذي أردتُ أن أهلكهم فيه ﴿ثم أخذتهم﴾ بالعذاب حين جاء الوقتُ ﴿فكيف كان نكيري[3]﴾ أي : عقابي ، أي : كان شديدًا - يحذِّر بذلك المشركين .

﴿فكأين من قرية﴾ أي : فكمْ من قرية ﴿أهلكناها وهي ظالمة﴾ يعني : أهلكنا أهلها ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ سُقُفها ، فصار أعلاها أسفلها ﴿وبئر معطَّلة﴾ [أي : قد باد أهلها][4] ﴿وقصر مشيد﴾ قال الكلبي : أي : حصين .

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/٣٩) والطبرى (١٧/ ١٧٦، ١٧٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٤/ ٤٠٠) لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) في « ر » : للنصارى .

(٣) أثبت الياء في الوصل ورش ، وأثبتها يعقوب وصلاً ووقفًا ، وقرأ الباقون بغير ياء . النشر (٢/٣٢٧) .

(٤) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

قال محمدٌ : يقال : هو ما بُني بالشِّيد ، وهو الجص[١]. وقيل : معنى (مشيد) مُطُول[٢].

﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ يعني : المشركين ﴿فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها﴾ أي : لو صاروا فتفكروا فحذروا ما نزل بإخوانهم من الكفار ، فيتوبون لو كانت لهم قلوبٌ يعقلون بها ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ أي : إنما أُوتُوا من قِبَل قلوبهم .

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ وذلك منهم تكذيبٌ واستهزاءٌ بأنه لا يكون ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ تفسير الحسن : يعني : هلاكهم بالساعة قبل عذاب الآخرة .

﴿وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ يومٌ من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ أي : كذبوا ﴿معاجزين﴾ أي : يظنون أنهم يُعْجزوننا فيسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم ؛ هذا تفسير الحسن . وتفسير مجاهد : (معاجزين) : مبطئين للناس عن الإيمان .

قال محمدٌ : لم يبيِّنْ يحيى قراءة مجاهد ، والقراءة على تفسيره : (معجِّزين) مثقَّلة[٣].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ

---

(١) وقيل : الشِّيدُ : هو كل شيء طليت به الحائط من جص أو بلاط . مختار الصحاح (شيد) .

(٢) قيل : المَشِيد - بالتخفيف - : المعمول بالشِّيد ، والمُشَيَّد - بالتثقيل - : المُطوَّل . وقال الكسائي : المَشِيد للواحد ، ومنه قوله تعالى : ﴿وقصر مشيد﴾ ، والمُشيَّد للجمع ، ومنه قوله تعالى : ﴿في بروج مشيَّدة﴾ لسان العرب ، مختار الصحاح (شيد) .

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو من السبعة . ينظر السبعة (٤٣٩) النشر (٢/٣٢٧) ، التيسير (١٥٨) ، إتحاف الفضلاء (٤٠٠) .

فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبي إلا إذا تمنّى﴾ أي: تلا؛ في تفسير قتادة. قال قتادة[١]: بينا رسول اللّه يصلي عند المقام إذ نعس، فألقى الشيطان على لسانه كلمةً؛ فتكلم بها فتعلّقها المشركون عليه؛ فإنه قرأ ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ فألقى الشيطان على لسانه ونعس: (فإن شفاعتها هي المُرْتجى وإنها لمن الغرانيق العلى) فحفظها المشركون، وأخبرهم الشيطان أن نبيَّ اللّه قد قرأها فزلَّتْ ألسنتهم بها، وأنزل اللّه: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبي إلا إذا تمنى ...﴾ الآية[٢].

قال محمدٌ: قيل: إن (تمنى) بمعنى تلا[٣] وأنشد [بعضهم][٤]:

تَمنَّى كتابَ اللّهِ آخِرَ ليلةٍ   تمنِّي داود الزَّبور على رِسْلِ[٥]

قوله: ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾ يعني: المشركين ﴿وإن الظالمين﴾ المشركين ﴿لفي شقاقٍ﴾ أي: فراق ﴿بعيد﴾ عن الحق ﴿وليعلم الذي أوتوا العلم﴾ يعني: المؤمنين.

---

(١) رواه الطبري (١٩١/١٧).
وعزاه السيوطي في الدر (٤٠٣/٤) لابن أبي حاتم.

(٢) قصة الغرانيق قصة مشهورة وفيها نكارة ظاهرة، وقد أنكرها كثير من أهل العلم، وقد توسع في تفسير هذه الآية الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان» (٧٢٧/٥ - ٧٣٥) توسعًا حميدًا فراجعه فإنه نفيس، وللشيخ الألباني - رحمه الله - «نصب المنجنيق لنسف قصة الغرانيق».

(٣) وبمعنى (قرأ). لسان العرب (منى).

(٤) سقط من الأصل.

(٥) البيت من بحر الطويل، وهو غير منسوب لأحد في اللسان (منى)، وينظر: شواهد القرطبي (٦/٢)، وشواهد الزمخشري (٩٩/٤) منسوبًا إلى حسان بن ثابت، ولم أجده في ديوانه.

﴿أنه الحق من ربك فيؤمنوا به﴾ أي : يصدقوا به قوله : ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ أي : تخشع ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه﴾ [أي : شك ؛ يعني : من القرآن][١] ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ [يعني الذين تقوم عليهم الساعة ، الدائنين][٢] (ل ٢٢٤) بدين أبي جهل و[أصحابه][٢] ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ أي : عذاب يوم بدر .

قال محمدٌ : [أصل العقم][٣] في الولادة ؛ يقال : امرأة عقيم ، ورجل عقيم إذا كان لا يولد له ، وريحٌ عقيم التي لا تأتي [بسحاب فتمطر][٤].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا﴾ في سبيل الله بعد الهجرة [﴿أو ماتوا﴾ على فروحهم بعد الهجرة][٥] ﴿ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا﴾ يعني : الجنة .

﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) في الأصل : أصل العقيم ، والمثبت من « ر » .

(٤) طمس في الأصل ، وفي لسان العرب (عقم) : ريح عقيم التي لا تأتي بمطر .

(٥) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عُوقب به ثم بُغي عليه﴾ يعني: مشركي العرب أنهم عوقبوا؛ فقتلهم الله بجحودهم النبي وظلمهم إياه وأصحابه وبغيهم عليهم ﴿لينصرنه الله﴾ النصر في الدنيا: الظهور[1] على المشركين، والحجة عليهم في الآخرة.

﴿ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ وهو أخذ كل واحدٍ منهما من صاحبه ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة﴾ أي: بالنَّبات إذا أنبتت، وليس يعني من ليلتها ﴿وإن الله لهو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ استوجب على خلقه أن يحمدوه ﴿ويمسك السماء أن تقع﴾ يعني: لئلا تقع ﴿وهو الذي أحياكم﴾ من النطف ﴿ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ يعني: البعث ﴿لكل أمةٍ جعلنا منسكًا﴾ أي: حجًّا وذبحًا ﴿هم ناسكوه فلا ينازعنّك في الأمر﴾ أي: لا يحولنك المشركون عن هذا الذي أنت عليه يقوله للنبي عليه السلام.

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ يعني: ما اختلف فيه المؤمنون والكافرون، فيكون حكمه أن يدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار.

﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أي: هيِّنٌ حين كتبه ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانًا﴾ يعني: حجة لعبادتهم ﴿وما ليس لهم به علمٌ﴾ أن الأوثان خلقت مع الله شيئًا، ولا رزقت شيئًا ﴿يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ أي: يكادون يقتلون أنبياءهم ﴿قل أفأنبئكم بشرٍّ من

(١) في «ر»: الظفر.

ذلكم﴾ بشرٌ من قتل أنبيائهم ﴿النار﴾ هي شرٌ مما صنعوا[١] (بأنبيائهم ؛ يعني : من قتلهم إياهُمْ .

قال محمدٌ : من قرأ (النار) بالرفع[٢]، فعلى معنى : هي النارُ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾

﴿يا أيها الناسُ ضربَ مثلٌ﴾ أي : وُصِفَ ﴿فاستمعوا له﴾ يعني : المشركين ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ يعني : الأوثان ﴿لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه﴾ .

إن الذباب يقع على تلك الأوثان فينقر أعينها ووجوهها فيسلبها ما أخذ من وجوهها وأعينها .

وسمعتُ بعضهم يقول : إنهم كانوا يطلونها بخلوق[٣]. قال الله : ﴿ضعف الطالب﴾ يعني : الوثن ﴿والمطلوب﴾ يعني : الذباب ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ أي : ما عظموه حق عظمته ؛ بأن عبدوا الأوثان من دونه التي إن سلبها الذباب الضَّعيف لمْ تستطع أن تمتنع منه ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ من أمر الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الدنيا إذا كانوا في الآخرة .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

---

(١) من هنا بدأ سقط من نسخة « ر » حتى الآية : ٢ من سورة المؤمنون .

(٢) وهي قراءة الجمهور . ينظر البحر (٦/٣٨٩) القرطبي (١٢/٩٦) .

(٣) الخَلُوق : ضَرْب من الطِّيب . لسان العرب (خلق) .

﴿وجاهدوا في اللّه حقَّ جهاده﴾ هي مثل قوله : ﴿اتقوا اللّه حق تقاته﴾[١] وهما منسوختان ؛ نسختهما الآية التي في التغابن ﴿فاتقوا اللّه ما استطعتم﴾[٢].

﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي : من ضيق .

﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين﴾ يقول اللّه : سمَّاكم المسلمين من قبل ؛ أي : من قبل هذا القرآن في الكتب كلها وفي الذكر ، ﴿وفي هذا﴾ القرآن .

قال محمدٌ : (ملة أبيكم) المعنى : اتبعوا ملَّة أبيكم[٣].

﴿ليكون الرسول شهيدًا عليكم﴾ بأنه قد بلغ ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ بأن الرسل قد بلَّغت قومها .

﴿واعتصموا باللّه﴾ أي : بدين اللّه ﴿هو مولاكم﴾ وليُّكم ﴿فنعم المولى﴾ الولي ﴿ونعم النصير﴾ وعدهم النصر على أعدائهم من المشركين .

---

(١) آل عمران : ١٠٢.

(٢) التغابن : ١٦. وذهب قوم إلى أن الآية محكمة غير منسوخة . انظر تفسير القرطبي (٩٩/١٢) ونواسخ القرآن (٤٦٦ - ٤٦٧).

(٣) أي : بالنصب على المفعولية . ينظر : إعراب القرآن (٤١١/٢ - ٤١٢) ، مجمع البيان (٩٦/٤) ، البحر (٣٩١/٦) ، معاني القرآن للفراء (٢٣١/٢) .

تفسير سورة المؤمنين
وهي مكّيّة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾

(ل ٢٢٥) قوله: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ يعني: بالله [...][1].

يحيى: عن سعيد، عن قتادة: قال: ذُكِرَ لنا أن كعبًا قال: «إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثًا: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الجنة بيده، ثم قال لها: تكلمي. فقالت: قد أفلح المؤمنون»[2].

قوله: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾.

يحيى: عن خداش، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين قال)[3]: «كانوا يلتفتون في صلاتهم حتى نزلت هذه الآية، فغضوا أبصارهم، فكان أحدهم ينظر إلى موضع سجوده»[4].

---

(١) طمس في الأصل.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٣/٢) - ومن طريقه الطبري في تفسيره (١/١٨) - عن معمر عن قتادة عن كعب. وقد روي مرفوعًا، وقد أشرت إلى بعض طرقه في تخريج أحاديث تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/ ٤٦٥/٣، ٢١٤).

(٣) إلى هنا ينتهي السقط من نسخة «ر»، والذي بدأ من الآية (٧٢) من سورة الحج.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢/١٨) من طريق الحجاج الصواف عن ابن سيرين بنحوه. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ اللغو: الباطل ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ يعني: يؤدون الزكاة المفروضة ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ من الزنا.

﴿إلا على أزواجهم﴾ يتزوّج أربعًا - إن شاء - ولا يحل له ما فوق ذلك ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ يطأ بملك يمينه كمْ شاء ﴿فإنهم غيرُ ملومين﴾ أي: لا لَوْم عليهم فيما أحل لهم ﴿فمنْ ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ يعني: الزناة؛ يتعدَّوْن الحلال إلى الحرام ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ يقول: يؤدون الأمانة ويوفون بالعهد ﴿والذين همْ على صلواتهم﴾ [يعني: الصلوات الخمس][(١)] ﴿يحافظون﴾ على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ﴿أولئك هم الوارثون﴾ ليس من أحدٍ إلا وقد أعدّ الله له منزلاً وأهْلاً في الجنة؛ فإن أطاع الله صار إلى ما أعدَّ الله له، وإن عصى الله صرف الله ذلك المنزل عنه؛ فأعطاه المؤمن مع ما أعدّ الله للمؤمنين، فورَّث

= ورواه أبو داود في المراسيل (٩٦رقم ٤٥) والطبري في تفسيره (٢/١٨) والبيهقي في السنن (٢٨٣/٢) من طريق ابن عون عن محمد بن سيرين قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام في الصلاة نظر هكذا وهكذا، فلما نزلت: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ نظر هكذا - بيصره نحو الأرض».

قال البيهقي: وروي ذلك عن أبي زيد سعيد بن أوس عن ابن عون عن ابن سيرين موصولا. والصحيح هو المرسل.

ثم رواه البيهقي موصولا من هذا الطريق.

ورواه الطبري في تفسيره (٢/١٨) وسعيد بن منصور - ومن طريقه البيهقي في سننه (٢٨٣/٢) - من طريق إسماعيل ابن علية عن أيوب عن محمد «نبئت أن رسول الله ...» بنحوه.

وقال البيهقي: هذا هو المحفوظ مرسل، وقد روي عن إسماعيل بن إبراهيم - هو ابن علية - موصولا، ورواه حماد بن زيد عن أيوب مرسلا، وهذا هو المحفوظ.

ورواه من هذا الطريق موصولا: الحاكم (٣٩٣/٢) والبيهقي (٢٨٣/٢) والواحدي في أسباب النزول (ص٢٣١).

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد؛ فقد قيل عنه مرسلاً، ولم يخرجاه.

ورواه الطبري في تفسيره (٢/١٨) من طريق خالد عن ابن سيرين مرسلا نحوه.

ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٤٠/٤ رقم ٤٠٨٢) من طريق حبرة الإسكندراني، عن ابن وهب، عن جرير بن حازم، عن ابن عون، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة.

وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن ابن عون إلا جرير، ولا عن جرير إلا ابن وهب، تفرد به حبرة.

قال الحافظ ابن رجب في فتح الباري (٣٣٨/٤): خرجه الطبراني من رواية ابن سيرين عن أبي هريرة، والمرسل أصح.

ومال ابن التركماني في الجوهر النقي (٢٨٣/٢ - ٢٨٤) لتصحيح الموصول.

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

المؤمنين تلك المنازل والأزواج ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ .

يحيى : عن إبراهيم بن محمد ، عن صالح مولى التوءمة ، عن أبي هريرة قال : الفردوس جبل في الجنة تتفجّرُ منه أنهار الجنّة .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طينٍ﴾ خلق اللّٰه آدم من طين (ثم جعل نَسْلَه بعدُ من سلالةٍ من ماءٍ مهين ؛ يعني : النطفة)[1] ﴿ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين﴾ يعني : الرحم ﴿ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً﴾ يكون في بطن أمه نطفةً أربعين ليلة ، ثم يكون علقة أربعين ليلة ، ثم يكون مضغة أربعين ليلة ﴿فخلقنا المضغة عظامًا﴾ يعني : جماعة العظام .

قال محمدٌ : (علقة) واحدةُ : العلق ؛ وهو الدم[2]، و(المضغة) : اللحمة الصغيرة سميت بذلك ؛ لأنها بقدر ما يمضغ[3].

﴿ثم أنشأناه خلقًا آخر﴾ يعني : ذكرًا أو أنثى ؛ في تفسير الحسن ﴿فتبارك اللّٰه﴾ هو من باب البركة ﴿أحسن الخالقين﴾ إن العباد قد يخلقون ، ويُشبهون بخلق اللّٰه ، ولا يستطيعون أن ينفخوا فيه الروح .

يحيى : عن الربيع بن صُبَيْح[4]، عن الحسن قال : قال رسولُ اللّٰه ﷺ : « المصوِّرون يعذَّبون يوم القيامة ، ويقال لهم : أحيوا ما خلقتُمْ »[5] من حديث يحيى بن محمدٍ .

---

(١) سقط من « ر » .

(٢) أي : الدم الغليظ . لسان العرب (علق) .

(٣) لسان العرب (مضغ) .

(٤) كذا في الأصل مقيدًا بضم الصاد ، وتكرر كذلك في مواضع ، وجاء في « ر » في مواضع مقيدًا بفتح الصاد وقد ضبطه عبد الغني الأزدي في المؤتلف (ص ٨١) بالفتح . انظر حاشية الإكمال (١٦٦/٥) .

(٥) روى البخاري (٣٩٦/١٠ رقم ٥٩٥١) ومسلم (١٦٦٩/٣ - ١٦٧٠ رقم ٢١٠٨) عن عبد الله بن عمر أن =

يحيى : عن أبي أُميَّة بن يعلى الثقفي ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله : « قال الله : من أظلم ممن يخلق كخلْقي[١]، فليخْلقوا ذُبابًا أو ذرّةً أو بعوضةً »[٢].

﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ تفسير مجاهد[٣]: يعني : سبعَ سمٰوات بعضها فوق بعضٍ .

قال محمدٌ : (طرائق) جمع : طريقة ؛ يقال : طارقت الشيء ؛ إذا جعلت بعضه فوق بعض ، ومنه قولهم . ريشٌ طراقٌ[٤].

﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ يعني : أن ننزل عليهم ما يحييهم ، وما يصلحهم من هذا المطر ؛ في تفسير الحسن .

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وأنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ﴾ تفسير الكلبي : يعني : الأنهار والعيون والآبار . ﴿فأنشأنا لكم به﴾ أي : أنبتنا ﴿جناتٍ من نخيل ...﴾ الآية ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾ و[هي الزيتونة][٥]، والطور [الجبل][٣] و﴿شَجَرَةً﴾ معطوف (ل٢٢٦) على قوله : ﴿فأنشأنا لكم به جنات﴾[٦].

= رسول الله ﷺ قال : «إن الذين يصنعون هذه الصور يُعذّبون يوم القيامة ، يُقال لهم أحيوا ما خلقتم» .

وفي الباب عن غير واحدٍ من الصحابة ﷺ وقد جمع أحاديث الباب الشيخ حمود التويجري - رحمه الله - في مصنف سماه «إعلان النكير على المفتونين بالتصوير» فراجعه فإنه فريد في بابه .

(١) في « ر » : فمن ادعى بخلق كخلقي .

(٢) رواه البخاري (١٠/٣٩٨ رقم ٥٩٥٣) ومسلم (٣/١٦٧١ رقم ٢١١١) من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة بنحوه .
ورواه الإمام أحمد (٢/ ٢٥٩، ٤٥١، ٥٢٧) من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه .
وفي الباب عن غير واحدٍ من الصحابة رضوان الله عليهم ، والله أعلم .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥/٦) لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) لسان العرب ، القاموس المحيط (طرق) .

(٥) طمس بالأصل ، والمثبت من « ر » .

(٦) ينظر : مجمع البيان (٤/١٠٢) ، البحر (٦/٤٠١) ، البيان (٢/١٨٢) .

قوله : ﴿تنبتُ بالدهن﴾ قال مجاهد[١]: يعني : تثمر به .

قال محمد : يقال : نبت الشجر وأنبت في معنًى واحد[٢].

﴿وصبغ للآكلين﴾ أي : يأتدمون به ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ (لحجة)[٣] ﴿نسقيكم مما في بطونها﴾ يعني : اللَّبن ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ يعني : ما ينتفع به من ظهورها وغير ذلك .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ما هذا إلا بشرٌ مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ أي : بالرسالة .

﴿ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ أنّ رجلاً ادَّعى النبوة ﴿إن هو إلا رجل به جنةٌ﴾ أي : جُنونٌ ﴿فتربصوا به حتى حين﴾ أي : حتى يموت ؛ في تفسير بعضهم .

﴿فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين﴾ قد مضى تفسيره في سورة هود[٤].

﴿وأهلك﴾ أي : واحمل فيها أهلك ﴿إلا من سبق عليه القول منهم﴾ يعني : الغضب ﴿ولا تخاطبني﴾ أي : لا تراجعني ﴿في الذين ظلموا﴾ أشركوا .

﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ

---

(١) رواه الطبري (١٧/١٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٩) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) لسان العرب (نبت) .

(٣) في « ر » : يعني لآية .

(٤) عند تفسير قوله تعالى : ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين﴾ هود : ٤٠ .

أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وقل رب أنزلني منزلاً مباركًا﴾ قال هذا لنوحٍ حين نزل من السفينة.

قال محمدٌ: تقرأ ﴿مُنْزَلاً﴾ و﴿مَنْزِلاً﴾[١]؛ فالمَنْزِل: اسمٌ لما نَزَلْت فيه[٢]، والمُنْزَلُ: المصدرُ؛ بمعنى الإنزال[٣].

﴿إن في ذلك﴾ في أمر قوم نوحٍ وغرقهم ﴿لآيات﴾ لمن بعدهم.

﴿وإن كنا لمبتلين﴾ يعني: ما أرسل به الرسل من عبادته، ومعنى الابتلاء: الاختبار.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿وأترفناهم في الحياة الدنيا﴾ يقول: وسَّعْنا عليهم في الرزق ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ تباعد البعثُ في أنْفُس القوم.

قال محمدٌ: من كلام العرب: هيهات لما قلت؛ يعنون: بُعْدًا لقولك، ويقال: أيْهات؛ بمعنى: هيهات[٤].

﴿عما قليل ليُصبِحنَّ نادمين﴾ يعني: عن قليل والميم صِلةٌ، في تفسير السدي.

---

(١) قرأ السبعة إلا أبا بكر عن عاصم (مُنزلاً) بضم الميم، وقرأ أبو بكر عن عاصم (مَنزلا) بفتحها. ينظر: السبعة (٤٤٥)، التيسير (١٥٩)، البحر (٦/٤٠٢).

(٢) أي: اسم مكان من الفعل (نزل) ينظر: الدر المصون (٥/١٨٠ - ١٨١)، لسان العرب (نزل).

(٣) أي: مصدر ميمي. ينظر: الدر المصون (٥/١٨٠ - ١٨١).

(٤) وهي مبنيَّةٌ على الفتح دائمًا، والبعض يكسرونها على كل حال. ينظر لسان العرب (هيه)، مختار الصحاح (أيه، هيه).

قال محمدٌ : هي صلة زائدة ؛ بمعنى التوكيد .

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ يعني : العذاب ؛ في تفسير الحسن ﴿فجعلناهم غُثاءً﴾ يعني : مثل النبات إذا تهشَّم بعد إذ كان أخضر .

قال محمدٌ : الغُثاء في اللغة : هو ما علا السَّيْل من ورق الشجر[١].

المعنى : جعلناهم هَلْكى كالغثاء ؛ لأن الغثاء يتفرَّقُ ويذهبُ .

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿ما تسبق من أمةٍ أجلها﴾ يعني : الوقت الذي يهلكها فيه ﴿وما يستأخرون﴾ عن الوقت ساعة ، ولا يستقدمون ساعة قبل الوقت ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ قال قتادة : يعني : تباعًا ؛ بعضهم على إثر بعضٍ .

قال محمدٌ : وهو من التواتر ، وقيل : الأصل في تترى : وَتْرَى ؛ فقلبت الواو تاءً ؛ كما قلبوها في التخمة والتكلان[٢].

﴿كل ما جاء أمة رسولها كذَّبوه فأتبعنا بعضَهم بعضًا﴾ يعني : العذاب الذي [أهلكناهم][٣] به أُمَّة بعد أُمَّةٍ ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ لمن بعدَهُمْ .

﴿وكانوا قومًا عالين﴾ أي : مستكبرين في الأرض على الناس ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا

---

(١) ويقال فيه أيضًا : الغُثَّاء - بالتشديد . ينظر لسان العرب (غثى) .

(٢) و(تترى) فيها لغتان : تُنوَّن ، ولا تُنوَّن ، فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها للتأنث ، وهو أجود . ومن نونها جعل ألفها ملحقة . ينظر : لسان العرب (وتر) ، (وخم - وكل) ، البحر (٤٠٧/٦) ، إعراب القرآن (٤١٩/٢) .

(٣) في الأصل : جاءهم . والمثبت من « ر » .

وقومهما لنا عابدون﴾ وكانوا قد استعبدوا بني إسرائيل ، ووضعوا عليهم الجزية ، وليس يعني : أنهم يعبدوننا .

﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ عبرةً خُلِقَ لا والدَ له ﴿وآويناهما إلى ربوةٍ﴾ قال قتادة[١]: الرَّبْوَة ها هنا : بيت المقدس . قال يحيى : ذكر لنا أن كعْبًا كان يقول : هي أدنى الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً .

قال محمدٌ : كل ما ارتفع وزاد فقد رَبَا[٢].

﴿ذات قرارٍ﴾ قال ابن المسيب : ذات جِنَان[٣] ﴿ومعينٍ﴾ قال عكرمة : المعين : الظَّاهر .

قال محمدٌ : هو على هذا التفسير مفعولٌ من العينْ ، والأصل فيه : مَعْيُون[٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله : ﴿يأيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ [يعني : الحلال من الرزق][٥] ﴿واعملوا صالحاً ...﴾ الآية .

قال محمد : خاطب [بهذا النبيَّ ، على مذهب العرب في مخاطبة الواحد خطاب الجميع ، وتضمن (ل٢٢٧) هذا][٦] الخطابُ إلى الرسل جميعًا ؛ كذا أُمِروا .

﴿وإن هذه أمتكم أمةً واحدة﴾ أي : ملَّةً واحدة ؛ يعني : الإسلام .

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/٤٥) والطبري (١٨/٢٧) .
وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٠ - ١١) لعبد بن حميد وعبد الرزاق وابن جرير وابن عساكر .

(٢) وتُسَمَّى أيضًا : الرَّابية ، والرَّباوة ، أما الربوة فهي بضم الراء وفتحها وكسرها . مختار الصحاح (ربو) .

(٣) بكسر الجيم ، وواحدها : جَنَّة ، أما الجَنان بفتح الجيم فهو الفؤاد . ينظر لسان العرب (جنن) . وفي « ر » : ذات منازل .

(٤) يقال : حفر حتى عان ، من باب باع ؛ أي : بلغ العيون ، والماء معين ، ومعيون ، وأعينت الماء : مثله . لسان العرب ، مختار الصحاح (عين) .

(٥) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٦) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

قال محمدٌ : من قرأ : ﴿وأنَّ هذه﴾ بفتح الألف فالمعنى : لأن هذه أمتكم(١).

﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ يعني : دينهم الذي أمر الله به ﴿زبُرًا﴾ وهي تقرأ على وجهين ﴿زُبرًا﴾ بفتح الباء ورفعها ؛ فمن قرأها بالفتح(٢) فالمعنى : قطعًا ، ومن قرأها بالرفع(٣) فالمعنى : كُتبًا ، يقول : فرقوا كتاب الله فحرَّفوه وبدَّلوه ، وكتبوه على ما حرَّفوا ﴿كل حزبٍ﴾ أي : قوم منهم ﴿بما لديهم﴾ بما عندهم مما اختلفوا فيه ﴿فرحون﴾ أي : راضون ﴿فذرهم في غمرتهم﴾ أي : غفلتهم ﴿حتى حين﴾ يعني : إلى آجالهم . وهي منسوخة بالقتال .

﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مالٍ﴾ أي : نعطيهم من مالٍ ﴿وبنين نسارع لهم في الخيرات﴾ أي : ليس لذلك نمدهم بالمال والبنين ﴿بل لا يشعرون﴾ أنا لا نعطيهم ذلك مُسَارعَةً لهم في الخيرات ، وأنهم يصيرون إلى النار ؛ يعني : المشركين .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ ممدودة(٤) ﴿وقلوبهم وجلة﴾ أي : خائفة ﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾ تفسير الحسن قال : كانوا يعملون ما عملوا من أعمال البر ، ويخافون ألا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم .

---

(١) قرأ بفتح الهمزة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ، وقرأ الباقون بكسرها ، وخفف ابن عامر وحده النون ، فقرأ (أن) وشددها الباقون . ينظر السبعة (٤٤٦) ، التيسير (١٥٩) .

(٢) وهي قراءة ابن عامر وأبي عمرو ، في رواية عنه . ينظر : الحجة (٢٥٧) ، جامع القرطبي (١٢/١٣٠) ، الإملاء (٢/٨٢) .

(٣) وهي قراءة الباقين . ينظر المراجع السابقة .

(٤) وهي قراءة الجمهور . وقُرئت (أَتَوْا) بالقصر ، ورُوِيَ ذلك عن : عائشة ، وابن عباس ، وقتادة ؛ وغيرهم . ينظر البحر (٦/٤١٠) ، المحتسب (٢/٩٥) ، القرطبي (١٢/١٣٢) .

قال محمدٌ : ومعنى أنهم إلى ربهم راجعون : أنهم يوقنون بأنهم يرجعون إلى ربهم .

﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ قال الحسن : يعني : فيما افترض الله عليهم ﴿وهم لها سابقون﴾ أي : وهم بالخيرات سابقون .

﴿ولا نكلف نفسًا إلا وسعها﴾ إلا طاقتها ﴿ولدينا﴾ عندنا ﴿كتابٌ ينطق بالحق﴾ يريد : الكتاب الأوَّل .

﴿بل قلوبهم في غمرةٍ من هذا﴾ قال قتادة[١]: يعني : في غفلةٍ مما ذكر من أعمال المؤمنين في الآية الأولى ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ يقول : لهم أعمال لم يعملوها سيعملونها .

قال محمدٌ : المعنى على هذا التفسير : أن الله أعلم أنّهم سيعملون أعمالاً تُبْعِدُ من الله غير الأعمال التي ذُكِروا بها .

﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب﴾ يعني : أبا جهلٍ وأصحابه الذين قتلوا يوم بدر ﴿إذا هم يجأرون﴾ قال الحسن : يصرخون إلى اللهِ بالتَّوْبة فلا تُقبل منهم .

﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ أي : تستأخرون عن الإيمان بالله ﴿مستكبرين به﴾ أي : بالحرم ﴿سامرًا تهجرون﴾ أي : تتكلمون بهجر القول[٢] ومنكره .

قال قتادة[٣]: يعني بهذا : أهل مكة ؛ كان سامرهم لا يخاف شيئًا ؛ كانوا يقولون : نحن أهل الحرم ؛ فلا نُقْرب - لما أعطاهم الله من الأمن ، وهم مع ذلك يتكلمون بالشرك والبهتان .

والقراءة على تفسير قتادة : بضم التاء وكسر الجيم[٤]. وكان الحسن يقرؤها : (تَهْجُرون) بنصب التاء ورفع الجيم[٥]؛ وتأويلها : الصَّدُّ والهُجْران . يقول : قد بلغ من أمانكم أن سامركم [يسْمُر][٦]

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (١٣/٥) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم .

(٢) الهُجْر من القول : الفاحش الرديء . لسان العرب (هجر) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٤٧/٢) والطبري (٤٠/١٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٤/٥) لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم .

(٤) وهي قراءة نافع . ينظر : البحر (٤١٣/٦) ، السبعة (٤٤٦) ، النشر (٣٢٩/٢) .

(٥) وهي قراءة الباقين . ينظر المراجع السابقة .

(٦) في الأصل : يسمرنا . ولعله انتقال نَظَرٍ بما بعده ، والمثبت من « ر » .

بالبطحاء ؛ يعني : سمر الليل ، والعرب يقتل بعضها بعضًا ، ويَسْبي بعضها بعضًا ، وأنتم في ذلك تهجرون كتابي ورسولي .

قال محمدٌ : يقال : هذا سامر الحي ؛ يراد المتحدثون منهم ليلاً(١).

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿أفلم يدبروا القول﴾ يعني : القرآن ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ أي : لم يأتهم إلا ما أتى آباءهم الأولين .

﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ يعني : محمدًا ﴿فهم له منكرون﴾ بل يعرفون وجهه ونسبه ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ يعني : جماعة من لم يؤمن منهم ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ يعني : أهواء المشركين ﴿لفسدت السموات والأرض﴾ تفسير الحسن يقول : لو كان الحق في أهوائهم لوقعت أهواؤهم على إهلاك السموات والأرض ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ أي : بشرفهم ؛ هو شرف لمن آمن به ﴿فهم عن ذكرهم﴾ [عن شرفهم](٢) ﴿معرضون﴾ .

﴿أم تسألهم خرجًا﴾ [أي : أجرًا على ما جئتهم به ، لأنك لا تسألهم أجرًا ﴿فخراج ربك﴾](٢) (ل٢٢٨) يعني : ثوابهم في الآخرة خير من أجرهم لو أعطوك في الدنيا أجرًا ﴿وهو خير الرازقين﴾ وقد يجعل اللّٰه رزق العباد بعضهم من بعض يُرْزق هذا على يدي هذا يرزق اللّٰه إياهم ﴿وهو خير الرازقين﴾ يعني : أفضلهم .

﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾ أي : تاركون له .

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم

---

(١) مأخوذ من السَّمَر والمُسَامرة . ويُطلق السَّامر على الواحد والجماعة . لسان العرب (سمر) .

(٢) سقط من الأصل والمثبت من «ر» .

بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرّ﴾ نزلت في أهل مكّة ؛ وذلك حين أُخِذوا بالجوع سبع سنين ؛ حتى أكلوا الميتة والعظام وأجهدُوا ؛ حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء دخانًا ، وهو قوله : ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾(١) نزلت هذه الآية قبل أن يؤخذوا بالجوع ، ثم أُخذوا به ، فقال الله (وهم في ذلك الجوع : ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضُرّ للجوا في طغيانهم يعمهون﴾ يتردَّدون ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ يعني : ذلك الجوع في السَّبْع السنين)(٢) ﴿فما استكانوا لربهم وما يتضرّعون﴾ يقول : لم يؤمنوا ، وقد سألوا أن يرفع ذلك عنهم فيؤمنوا ، فقالوا : ﴿ربنا اكشف عنا العذاب﴾(٣) وهو ذلك الجوع ﴿إنا مؤمنون﴾(٣) فكشف عنهم ، فلم يؤمنوا ﴿حتى إذا فتحنا عليهم بابًا ذا عذابٍ شديدٍ﴾ يعني : يوم بدرٍ قُتلوا بالسَّيف ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾ يئسوا من كل خير .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وهو الذي أنشأ لكم﴾ أي : خلق .

﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أقلُّكم من يشكر ؛ أي : يؤمن .

---

(١) الدخان : ١٠.

(٢) وقع تقديم وتأخير في «ر» .

(٣) الدخان : ١٢.

﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله للمشركين، يذكرهم نعمته عليهم - يقول: فالذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة، ويحيي ويميت، وله اختلاف الليل والنهار قادرٌ على أن يحيي الموتى ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ ثم أخبر بذلك القول؛ فقال: ﴿قالوا أئذا متنا وكنا ترابًا ...﴾ إلى قوله: ﴿أساطير الأولين﴾ أي: كَذِبُ الأولين وباطلهم؛ فأمر اللّٰه نبيَّه أن يقول لهم: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾ وقال: ﴿سيقولون لِلّٰه﴾ أي: فإذا قالوا ذلك فـ﴿قل أفلا تذكرون﴾ فتؤمنوا، وأنتم تقرون أن الأرض ومن فيها للّٰه ﴿قل من رب السمٰوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لِلّٰه﴾ فإذا قالوا ذلك فـ﴿قل أفلا تتقون﴾ وأنتم تقرون أن اللّٰه خالق هذه الأشياء وربها، وقدْ كان مشركو العرب يقرون بهذا.

قال محمدٌ: قراءة يحيى (سيقولون اللّٰهُ) وهي قراءة أهل البصرة - فيما ذكر أبو عُبَيْد[1]. قال: وعامة القراء يقرءونها: (سيقولون للّٰه)[2].

قال: وكان الكسائي[3] يحكي عن العرب أنه يقال للرجل: من رب هذه الدار؟ فيقول: لفلانٍ؛ بمعنى: هي لفلان[4].

﴿قل من بيده ملكوت كل شيءٍ﴾ أي: ملك كل شيءٍ ﴿وهو يجير﴾ من يشاء، فيمنعه فلا يوصل إليه ﴿ولا يجار عليه﴾ أي: من أراد أن يعذبه لمْ يستطع أحدٌ منعه ﴿سيقولون لِلّٰه﴾.

قال محمدٌ: واختلف القراء أيضًا في قوله: ﴿سيقولون للّٰه﴾ وهي في التأويل مثل التي قبلها.

﴿فأنى تسحرون﴾ أي: فكيف تسحرون عقولكم؟ فشبههم بقوم مسحورين.

قال محمدٌ: وقيل: المعنى: كيف تُخْدعون وتُصْرَفون عن هذا؟!

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ

---

(١) وهي قراءة أبي عمرو من السبعة. ينظر: البحر (٦/٤١٨)، السبعة (٤٤٧)، النشر (٢/٣٢٩).

(٢) وهي قراءة الباقين. ينظر المراجع السابقة.

(٣) في «ر»: الكلبي.

(٤) الرب في اللغة: المالك، ولا يقال في غير اللّٰه - تعالى - إلا بالإضافة، وأطلق الرب في الجاهلية على الملك. لسان العرب (ربب).

فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾

﴿بل أتيناهم بالحق﴾ يعني: القرآن ﴿وإنهم لكاذبون﴾ وهي تقرأ: (بل أَتَيْتَهم)[١] يقوله للنبي ﴿ما اتخذ اللَّه من ولدٍ وما كان معه من إله إذًا لذهب كل إله بما خلق﴾ يقول: لو كان معه آلهةٌ إذًا لذهب كل إله بما خلق ﴿ولعلا بعضهم على بعضٍ﴾ يقول: لطلب بعْضُهم مُلك بعضٍ حتى يَعْلُوَ عليه؛ كما يفعل ملوك الدنيا.

﴿عالمُ[٢] الغيب والشهادة﴾ قال الحسن: الغيب ها هنا: ما لم [يَجِئْ من غيب الآخرة، والشهادة: ما أعلم به العباد. قل يا محمد: ﴿فتعالى عما يشركون﴾][٣] (ل٢٢٩) ﴿ما يوعدون﴾ من العذاب ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ تفسيره: أي: [لا تهلكني][٤] معهم إن أريْتني ما يوعدون ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ تفسير السُّدِّي: يقول: ادفع بالعفو والصفح القولَ القبيحَ؛ وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم[٥].

﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ وهو الجنون ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ فأطيع الشيطان فأُهْلَكَ؛ أمره اللَّه أن يدعُوَ بهذا.

قال محمدٌ: وقيل: (همزاتُ الشياطين): نَخْسُها وطعْنُها بالوسوسة؛ حتى تشغل عن أمر اللَّهِ. والقراءة (ربِّ) بكسر الباء[٦] [وحذف الياء][٧]؛ حذفت الياء للنداء؛ المعنى: أعوذ بك يا رب،

---

(١) بفتح التاء الثانية، وهي قراء ابن أبي إسحاق، ونسبها ابن خالويه في مختصره (٩٨) إلى أبي حيوة، وأبي البرهسم، وابن قطيب. ينظر: البحر (٤١٨/٦)، الكشاف (٤٠/٣).

(٢) بضم الميم وهي قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف وأبي بكر، واختلف عن رويس حالة الابتداء، وقرأ الباقون ﴿عالمِ﴾ بكسر الميم. النشر (٣٢٩/٢)، إتحاف الفضلاء (٤٠٦).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من: «ر».

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من: «ر».

(٥) ينظر الناسخ والمنسوخ (٦٧).

(٦) وهي قراءة العامة، وليس فيها قراءات أخرى.

(٧) طمس في الاصل، والمثبت من: «ر».

وإثبات الياء جائزٌ .

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ قال رب ارجعون﴾ قال الحسن : ليس أحدٌ من خلق اللهِ ، ليس لله بولي إلا وهو يسأل الرَّجعة إلى الدنيا عند الموت بكلام يتكلم به وإن كان أخرس لم يتكلم في الدنيا بحرفٍ قط ؛ وذلك إذا استبان له أنه من أهل النار ، سأل الرجعة ولا يسمعه من يليه ﴿لعلِّي أعمل صالحًا فيما تركت﴾ يعني : فيما ضيَّعتُ . قال الله : لست براجعٍ إلى الدنيا ، ثم قال : ﴿كلا إنها كلمةٌ هو قائلها﴾ يعني : هذه الكلمة : ﴿رب ارجعون لعلي أعمل صالحًا فيما تركت﴾ .

﴿ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون﴾ قال السُّدي : البرزخ : ما بين النفختين .

قال محمدٌ : وكل شيءٍ بين شيئينْ فهو بَرْزَخ[١].

﴿فإذا نفخ في الصور﴾ قد مضى تفسيره[٢] ﴿فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾ تفسير الحسن : يقول : فلا أنساب بينهم يتعاطفون عليها ؛ كما كانوا يتعاطفون عليها في الدنيا ، ولا يتساءلون عليها أن يحمل بعضُهم عن بعضٍ ؛ كما كانوا يتساءلون في الدنيا بأنسابهمْ ؛ كقول الرجل : أسألك بالله وبالرَّحم .

﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾ .

يحيى : عن صاحبٍ له ، عن يحيى بن عبد الله المزني ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ : « شفته السفلى ساقطةٌ على صدره ، والعليا قالصةٌ[٣] قد غطَّتْ وجْهَه »[٤].

---

(١) وهو أيضًا ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ . مختار الصحاح (برزخ) .

(٢) الأنعام : ٧٣، الكهف : ٩٩، وطه : ١٠٢.

(٣) أي : مرتفعة ، وقيل : شفة قالصة ؛ أي : ناقصة . لسان العرب (قلص) . وفي « ر » : قائمة .

(٤) لم أقف عليه من حديث أبي هريرة ﷺ.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ التي كُتبت علينا ﴿ربنا أخرجنا منها فإنْ عُدْنا فإنا ظالمون﴾ فيسكت عنهم قدر عمر الدنيا مرتين، ثم يَرُدُّ عليهم ﴿اخسئوا فيها ولا تكلّمون﴾ أي: اصْغروا؛ في تفسير الحسن. قال: فوالله ما تكلم القوم بعدها بكلمةٍ، وما هو إلا الزفير والشهيق.

قال محمدٌ: معنى ﴿اخْسَئُوا﴾ في اللغة: تباعدوا، ويقال: خَسَأْتُ الكلب أَخْسَؤُه؛ إذا زجرته ليتباعد(١).

﴿وأنت خير الراحمين﴾ يعني: أفضل من رحم، وقد يجعل الله الرحمة في قلب من يشاء؛ وذلك من رحمة الله.

﴿فاتخذتموهم سخريًّا﴾ كانوا يسخرون بأصحاب الأنبياء، ويضحكون منهم.

= وروى ابن المبارك في الزهد (٨٤ رقم ٢٩٢) عن سعيد بن يزيد أبي شجاع، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: «تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته حتى تضرب سرته».

ورواه الإمام أحمد (٨٨/٣) والترمذي (٦١٠/٤ رقم ٢٥٨٧، ٣٠٧/٥ رقم ٣١٧٦) وأبو يعلى (٥١٦/٢ رقم ١٣٦٧) والحاكم (٢/ ٢٤٦، ٣٩٥) وأبو نعيم في الحلية (١٨٢/٨) والبغوي في تفسيره (٤٣٠/٥) وفي شرح السنة (١٥/ ١٥١ - ١٥٢ رقم ٤٤١٦) وغيرهم من طريق ابن المبارك به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح من إسناد المصريين، ولم يخرجاه.

وقال أبو نعيم: تفرد به أبو شجاع عن أبي السمح.

وقال البغوي: هذا حديث حسن غريب.

(١) خسأت الكلب: طردته، من باب قطع، وخسأ هو بنفسه من باب خضع. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (خسأ).

قال محمدٌ : الأجودُ في قراءة (اتخذتموهم) إدْغام الذال في التاء[١]؛ لقرب المخرجَيْن في الذال والتاء، وإن شئت أظهرت . وتقرأ : (سخْريًا) بالضم والكسْر في معنى الاستهزاء[٢]، وقد قال بعضُ أهل اللغة : ما كان من الاستهزاء فهو بالكَسْر، وما كان من جهة التسخير فهو بالضم[٣].

﴿حتى أنسوكمْ ذكري﴾ ليس يعني : أن أصحاب الأنبياء أنْسَوْهُمْ ذكر الله ؛ فأمروهم ألاّ يذكروه، ولكن جحودهم واستهزاؤهم، وضَحِكهم منهم هو الذي أنساهم ذكر الله .

﴿إني جزيْتُهم اليَوْم بما صبروا﴾ في الدنيا ﴿أنهم﴾ بأنهم ﴿هم الفائزون﴾ الناجون من النار، وتقرأ بالكسْر ﴿إنهم﴾[٤].

قال محمد : ومن كسر فالمعنى : أني جزيتهم بما صبروا، ثم أخبر فقال : إنهم هم الفائزون .

﴿قال كم لبثتم﴾ يقوله لهم في الآخرة ﴿في الأرض عدد سنين﴾ أي : كم عددُ السنين التي لبثتم في الأرض [يريد بذلك أن يعلمهم قلة][٥] (ل ٢٣٠) بقائهم في الدنيا [فتصاغرت الدنيا][٥] عندهم ﴿قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم﴾ وذلك لتصاغر الدنيا عندهم ﴿فاسأل العادين﴾ قال قتادة[٦]: يعني : الحُسَّاب الذين كانوا يحسبون آجالنا . مثل قوله : ﴿إنما نعد لهم عدًّا﴾[٧] وهي آجالهم ﴿قال إن لبثتم إلا قليلاً﴾ أي : أن لُبثكم في الدنيا في طول ما أنتم لابثون في النار كان قليلاً ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ يقول : لو أنكم كنتم علماء لم تدخلوا النار .

قال محمدٌ : (عددَ) منصوبٌ بِكَمْ[٨]، وقوله : ﴿إن لبثتم﴾ معناه : ما لبثتم .

---

(١) قراءة الإدغام هي قراءة السبعة إلا ابن كثير وحفصًا . ينظر النشر (٢/١٥ - ١٦)، إتحاف الفضلاء (٣٢٠) .

(٢) قرأ بالضم : نافع، وحمزة، والكسائي، وقرأ بالكسر الباقون . ينظر البحر (٦/٤٢٣)، السبعة (٤٤٨)، النشر (٢/٣٢٩ - ٣٣٠) .

(٣) ينظر لسان العرب (سخر) .

(٤) وهي قراءة حمزة، والكسائي، ونافع . ينظر : البحر (٦/٤٢٣) السبعة (٤٤٩)، النشر (٢/٣٢٩ - ٣٣٠) .

(٥) طمس في الأصل والمثبت من : « ر » .

(٦) رواه عبد الرزاق (٢/٤٩) والطبري (١٨/٦٣) وابن أبي حاتم (٨/٢٥١١ رقم ١٤٠٦٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٩) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٧) مريم : ٨٤.

(٨) ينظر : البحر (٦/٤٢٤)، مجمع البيان (٤/١٣٠)، إعراب القرآن (٢/٤٣٠) .

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا﴾ أي: لغير بَعْثٍ ولا حساب ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ وهو على الاستفهام؛ أي: قد حسبتم ذلك؛ ولم نَخْلقكم عبثًا، إنما خلقناكم للبعث والحساب ﴿فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ على الله. وبعضهم يقرؤها بالرفع[١] يقول: اللهُ الكريمُ.

﴿ومن يدعُ مع الله إلهًا آخر لا برهان له به﴾ أي: لا حُجَّة له بذلك ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ يعني: فإنما جزاؤه عند ربه ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ وهي تقرأ: (إنه) بالكسر[٢] على معنى: فإنما حسابه عند ربه أن يدخله النار، ثم قال: ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾.

قال محمدٌ: ومن قرأها بالفتح[٣]، فالمعنى: بأنه.

﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خيرُ الراحمين﴾ يعني: وأنت أفضلُ من يرحم؛ أمر الله النبي ﷺ بهذا الدعاء.

---

(١) رُويت عن ابن كثير من السبعة. ينظر إتحاف الفضلاء (٣٢١)، البحر (٦/٤٢٤)، جامع القرطبي (١٢/١٥٧).
(٢) وهي قراءة العامة. ينظر: الإملاء (٢/٨٣)، الكشاف (٣/٤٥)، البحر (٦/٤٢٥)، المحتسب (٢/٩٨).
(٣) ورويت هذه القراءة عن الحسن وقتادة. ينظر المراجع السابقة.

تفسير سُوْرَةِ النّور وهي مدنيّة كلّها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾

قوله : ﴿سورة أنزلناها﴾ (أي : هذه سورة أنزلناها)(١) ﴿وفرضناها﴾ يعني : ما فرض في هذه السورة ، وحُدَّ فيها من حدوده ، وتقرأ : (فرّضناها) بالتثقيل(٢)؛ يعني : بيّناها ﴿وأنزلنا فيها آياتٍ بينات لعلكم تذكرون﴾ لكي تذكَّروا ﴿الزانيةُ والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة﴾ هذا في الأحرار إذا لم يكونا محصنين ؛ فإن كانا محصنين رُجما .

قال محمدٌ : من قرأ (الزانيةُ) بالرفع فتأويله الابتداء(٣).

قال الحسنُ : والرجم في مصحف أُبيِّ بن كعب ، وهو في مصحفنا أيضًا في سورة المائدة في قوله : ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار﴾(٤)حيث رجم رسول الله اليهوديين حين ارتفعوا إليه(٥).

---

(١) تكررت هذه العبارة في الأصل .

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو من السبعة . ينظر السّبعة (٤٥٢) النشر (٣٣٠/٢) التيسير (١٦١) .

(٣) وهي قراءة العامة ، وقرأ عيسى الثقفي ويحيى بن يعمر وغيرهما بالنصب . ينظر : البحر (٤٢٧/٦) ، المحتسب (١٠٠/٢) ، الإملاء (٨٣/٢) .

(٤) المائدة : (٤٤) .

(٥) رواه البخاري (٢٣٧/٣رقم ١٣٢٩) ومسلم (١٣٢٦/٣ - ١٣٢٧ رقم ١٦٩٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما .
ورواه مسلم (١٣٢٧/٣رقم ١٧٠٠) عن البراء بن عازب ﷺ .
ورواه مسلم (١٣٢٨/٣رقم ١٧٠١)عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .
وفي الباب عن عدة من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين .

يحيى : عن المعلى ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبيش قال : « قال لي أبي بن كعب : يا زرُّ ، كم تقرءون سورة الأحزاب؟ قلت : ثلاثًا وسبعين آية . قال : قط؟ قلت : قط . قال : فوالله إن كانت لتوازي سورة البقرة ، وإن فيها لآية الرَّجم . قلت : وما آية الرجم يا أبا المنذر؟ قال : « إذا زنى الشيخ والشَّيخة فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم »[1].

---

(١) رواه الطيالسي (٧٣رقم ٥٤٠) وعبد الرزاق في مصنفه (٣/٣٦٥رقم ٥٩٩٠، ٧/٣٢٩ - ٣٣٠ رقم ١٣٣٦٣) وأحمد بن منيع - كما في إتحاف الخيرة (٦/٢٥٧رقم ٢/٥٧٩٢) - وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ١٣٢) والنسائي في الكبرى (٤/٢٧١ - ٢٧٢رقم ٧١٥٠) والطبري في تهذيب الآثار (٢/٨٧٢ - ٨٧٤ رقم ١٢٢٦ - ١٢٣١) وابن حبان (١١/٢٧٣ - ٢٧٤ رقم ٤٤٢٨، ٤٤٢٩) والحاكم (٢/ ٤١٥، ٤/٣٥٩) والبيهقي في السنن (٨/٢١١) وابن حزم في المحلى (١١/٢٣٤ - ٢٣٥) والضياء في المختارة (٣/٣٧٠ - ٣٧١ رقم ١٦٦٤ - ١٦٦٦) وابن حجر في موافقة الخبر الخبر (٢/ ٣٠٣ - ٣٠٤) من طرق عن عاصم ابن أبي النجود به .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وقال ابن حزم : هذا إسناد صحيح كالشمس لا مغمز فيه .

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/٤٨١) : وهذا إسناد حسن .

وقال ابن حجر في الموافقة : هذا حديث حسن .

وله شاهد من حديث زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة . فقال عمر : لما أنزلت أتيت رسول الله ﷺ فقلت : أكتبنيها - فكأنه كره ذلك قال عمر : ألا ترى أن الشيخ إذا لم يُحصن جُلد ، وأن الشاب إذا زنى وقد أحصن رُجم » .

رواه الإمام أحمد (٥/١٨٣) والطيالسي - كما في إتحاف الخيرة (٦/٢٥٧ رقم ٥٧٩٣) - والنسائي في الكبرى (٤/ ٢٧٠ رقم ٧١٤٥) والدارمي (٢/٢٣٤ رقم ٢٣٢٣) والطبري في تهذيب الآثار (٢/٨٧٠ رقم ٣٧) والحاكم (٤/ ٣٦٠) والبيهقي في الكبرى (٨/٢١١) وابن حزم في المحلى (١١/٢٣٥) وغيرهم .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وقال ابن حزم : هذا إسناد جيد .

وقال الطبري : هذا خبر عندنا صحيح سنده لا علة فيه توهنه ولا سبب يضعفه ؛ لعدالة من بيننا وبين رسول الله ﷺ من نقلته ، وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيمًا غير صحيح ، لعلل :

إحداهما : أن هذا الحديث لا يعرف له مخرج عن عمر عن رسول الله ﷺ بهذا اللفظ ، إلا من هذا الوجه .

والثانية : أن قتادة من أهل التدليس ، ولا يحتج عندهم من حديث المدلس في الدين إلا بما قال فيه « سمعت » أو « حدثنا » وما أشبه ذلك ، وليس ذلك كذلك في هذا الخبر .

والثالثة : أن فيه مما أنزل من القرآن الذي كان يُقرأ ، ولو كان ذلك كذلك لكان موجودًا في مصاحف المسلمين ، وفي عدم ذلك في مصاحفهم الدليل الواضح على وهائه . اهـ

=

المسعودي : عن القاسم بن عبد الرحمن «أن عمر بن الخطاب حمدَ اللَّه ثم قال : أمّا بعد ؛ فإن هذا القرآن نزل على رسول اللَّه فكنا نقرأ : «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ، وآية الرجم، وإني قد خفت أن يقرأ القرآن قومٌ يقولون : لا رجمَ! وإن رسول اللَّه قد رجم ورجمنا ؛ واللَّه لولا أن يقول الناس : إن عمر زاد في كتاب اللَّه لأثبتُّها، ولقد نزلت وكتبناها»[1].

= وقد أفاض الطبري في بيان ما تضمنه هذا الحديث من الأحكام في تهذيب الآثار (٢/٨٧٥ - ٨٨٠) وكان فيما قال رحمه الله : أما خبر زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ في أمره برجم الشيخ والشيخة «فارجموهما ألبتة إذا زنيا» فإن معناه : فارجموهما ألبتة إذا كانا قد أحصنا . فإن قالوا : وما البرهان على أن ذلك كذلك، وليس ذلك موجودًا في الخبر؟ قيل : البرهان على أن ذلك كذلك إجماع الجميع من أهل العلم - قديمهم وحديثهم - على أن حكم الشيخ والشيخة إذا زنيا قبل الإحصان الجلد دون الرجم، وفي إجماع جميعهم على ذلك أوضح البيان على أن معنى ما ذكرنا عن زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ في الشيخ هو ما قلناه دون غيره .

وأما قول عمر : «لما أنزلت أتيت رسول الله ﷺ فقلت : أكتبنيها - وكأنه كره ذلك» ففيه بيان واضح أن ذلك لم يكن من كتاب الله المنزل كسائر آي القرآن ؛ لأنه لو كان من القرآن لم يمتنع ﷺ من إكتابه عمر ذلك، كما لم يمتنع من إكتاب من أراد تعلم شيء من القرآن ما أراد تعلمه، وفي إخبار عمر عن رسول الله ﷺ أنه كره كتابة ما سأله إلا كتابه إياه من ذلك ؛ الدليل البين على أن حكم الرجم وإن كان من عند الله - تعالى ذكره - فإنه من غير القرآن الذي يُتلى ويصطر في المصاحف . اهـ

وروى الإمام مالك في الموطأ (٢/٦٢٨ - ٦٢٩ رقم ١٠) عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عمر قال : «إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، أن يقول قائل : لا نجد حدين في كتاب الله! فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا، والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس : زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله - تعالى - لكتبتها : «الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة» فإنا قد قرأناها» .

قال مالك : قوله الشيخ والشيخة يعني : الثيب والثيبة .

قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/٩٣) : هذا حديث مسند صحيح .

وذهب إلى أن هذا الحديث يستند من وجوه صحاح ثابتة من حديث ابن عباس عن عمر .

وقال نحوه في الاستذكار (٢٤/٦٨) وقال ابن حجر في الموافقة : هذا حديث حسن صحيح .

وروى الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٣٥٠ رقم ٨٦٧) والحاكم (٤/٣٥٩) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٣٤٠٣) عن العجماء رضي الله عنها قالت : «لقد أقرأنا رسول الله ﷺ آية الرجم : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة بما قضيا من اللذة» .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة .

وجوَّد إسناده ابن كثير في تحفة الطالب (٣٨٤) وحسَّنه ابن حجر في الموافقة (٢/٣٠٤) .

(١) رواه البخاري (١٢/١٤٠ رقم ٦٨٢٩) ومسلم (٣/١٣١٧ رقم ١٦٩١) من طريق عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب بنحوه .

﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ في حكم الله ، قال قتادة : يعني : أن يجلد الجلد الشديد .

يحيى : عن الخضر بن مرّة ، عن يحيى بن أبي كثير « أن رسول الله ﷺ أتاه رجلٌ فقال : أصبت حدًّا ؛ فأقمهُ عليّ! فدعا بسوط ، فأُتي بسوط شديد . فقال : سوط دون هذا . فأُتي بسوط منكسر العجز ، فقال : فوق هذا . فأُتي بسوط بين السوطين فأمر به فجلد [جلدًا بين الجلدين] »[(١)].

﴿وليشهد عذابهما﴾ أي : جلدهما ﴿طائفة من المؤمنين﴾ يقال : (ل ٢٣١) الطائفة رجل فصاعدًا .

﴿الزاني لا ينكح إلا زانية ...﴾ الآية ، تفسير بعضهم يقول : نزلت في كل زانٍ وزانية ، ثم نُسِخت .

يحيى : عن نصر بن طريف قال : قال سعيد بن المسيب : « نسختها ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾[(٢)] »[(٣)].

[﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ يريد لا يحل للمؤمن أن يتزوج زانية مشهورة بالزنا ، ولا عبدة الأصنام ، ولا يحل لمؤمنة أن تتزوج مشركًا من عبدة الأصنام ، ولا مشهورًا بالزنا][(٤)].

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣٦٩/٧ رقم ١٣٥١٥) ومن طريقه ابن حزم في المحلى (١٧١/١١) عن معمر عن يحيى بن أبي كثير به . وما بين المعكوفين مطموس في الأصل و « ر » .

(٢) النور (٣٢) .

(٣) رواه سفيان الثوري في تفسيره (٢٢١ رقم ٧١٢) وعبد الرزاق في تفسيره (٥١/٢) والطبري في تفسيره (١٤/١٨ - ١٥) والبيهقي في السنن (١٥٤/٧) وابن الجوزي في نواسخ القرآن (٤٦٩ - ٤٧٠)من طريق يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب .
ورواه ابن أبي حاتم (٢٥٨١/٨ رقم ١٤٤٤٤) من طريق أبي جعفر الرازي عن قتادة عن سعيد بن المسيب .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٢/٥) لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبي داود وأبي عبيدة وابن المنذر .

(٤) سقط من الأصل والمثبت من « ر » .

﴿أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝٦ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٨ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٩ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾

﴿والذين يرمون﴾ أي: يقذفون بالزنا ﴿المحصنات﴾ يعني: الحرائر المسلمات ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ يجيئون جميعًا يشهدون عليها بالزنا ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ يجلد بالسوط ضربًا بين ضربين، وكذلك من قذف حرًّا مسلمًا. ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون﴾ العاصون، وليس بفسق الشرك؛ وهي من الكبائر ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك ...﴾ الآية، تفسير الحسن وسعيد بن المسيب قالا[1]: توبته فيما بينه وبين الله ولا شهادة له.

﴿والذين يرمون أزواجهم ...﴾ إلى قوله: ﴿ والخامسة أَنْ غضِبَ اللهُ[2] عليها إن كان من الصادقين﴾ **قال يحيى**: هذا إذا ارتفعا إلى الإمام، وثبت على قذفها؛ قال أربع مرات عند الإمام: أشهد بالله إني لصادق، ثم يقول في الخامسة: لعنة الله عليَّ إن كنت من الكاذبين، وتقول هي أربع مرات: أشهد بالله إنه لكاذب - تعني زوجها - ثم تقول في الخامسة: غضب الله عليَّ إن كان من الصادقين.

قال محمدٌ: من قرأ (أربعَ) بالنصب، فالمعنى: فعليهم أن يشهد أحدهم أربع شهادات[3] وهي تقرأ بالرفع على خبر الابتداء[4]؛ المعنى: فشهادة أحدهم التي تدرأُ حدَّ القذف أربع شهادات.

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ تفسير السُّدي: يقول: لولا فضل[5] الله عليكم ونعمته

---

(١) رواه الطبري (٧٩/١٨).

وعزاه السيوطي (٢٣/٥) لعبد بن حميد.

(٢) قرأ نافع بإسكان النون مخففة، وكسر الضاد من ﴿غضب﴾ ورفع لفظ الجلالة بعده، وقرأ باقي السبعة بتشديد النون ونصب ﴿غضب﴾ مضافًا إلى لفظ الجلالة. النشر (٢/٣٣٠ - ٣٣١) وإتحاف الفضلاء (٤٠٩).

(٣) وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبي عمرو، وعاصم. ينظر السبعة (٤٥٢)، البحر (٤٣٤/٦)، النشر (٢/ ٣٣٠).

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي. ينظر المراجع السابقة.

(٥) في «ر»: لولا ما منَّ.

لأهلك الكاذب من المتلاعنين ﴿وأن الله توابٌ حكيم﴾ توّاب على من تاب من ذنبه ، حكيمٌ في أمره .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ﴾ جماعة ﴿منكم﴾ تفسير قتادة : قال : هذا كان في شأن عائشة ، وما أُذيع عليها أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفرٍ ، فأخذ الناس في الرحيل ، وانقطعت قلادةٌ لها ؛ فطلبتها في المنزل ومضى الناس ، وقد كان صفوان بن معطل تخلف عن المنزل قبل ذلك ، ثم أقبل فوجد الناس قد ارتحلوا وهو على بعيره ، وإذا هو بعائشة فجاء ببعيره وولّاها ظهره حتى ركبت ، ثم قادها فجاء وقد نزل الناس ، فتكلم في ذلك قومٌ فاتّهموها[1].

قال يحيى : « بلغني أن عبد الله بن أبي ابن سلول وحسان بن ثابت ومسطحًا وحمنة بنت جحش هم الذين تكلموا في ذلك ، ثم شاع ذلك في الناس ؛ فزعموا أن رسول الله ﷺ لما أنزل الله عذرها جلد كل واحدٍ [منهم][2] الحدَّ »[3].

---

(١) حديث الإفك رواه البخاري (٢٦٣٧، ٢٦٦١، ٢٨٧٩، ٤٠٢٥، ٤١٤١، ٤٦٩٠، ٦٦٦٢، ٧٥٠٠، ٧٥٤٥) ومسلم (٢٧٧٠) عن عائشة رضي الله عنها مطولاً .

(٢) في «الأصل» : منهما . والمثبت من «ر» .

(٣) روى الإمام أحمد (٣٥/٦) وأبو داود (١١٨/٥ رقم ٤٤٦٩) والترمذي (٣١٤/٥ رقم ٣١٨١) والنسائي في الكبرى (٣٢٥/٤ رقم ٧٣٥١) وابن ماجه (٨٥٧/٢ رقم ٢٥٦٧) وغيرهم عن عائشة قالت : « لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك ، وتلا القرآن ، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربهم حدهم » .

وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

ورواه أبو داود (١١٨/٥ رقم ٤٤٧٠) عن عمرة مرسلاً ، فسمي حسّان بن ثابت ومسطح بن أثاثة ، وقال النفيلي : ويقولون : المرأة حمنة بنت جحش .

﴿لا تحسبوه﴾ يعني : عائشة وصفوان ﴿شرًا لكم﴾ يعني : ما قيل فيهما ﴿بل هو خير لكم لكل امرئ منهم﴾ يعني : الذين قالوا ما قالوا ﴿ما اكتسب من الإثم﴾ على قدر ما أشاع ﴿والذي تولى كبره﴾ يعني : بدأ به منهم ﴿له عذاب عظيم﴾ قال بعضهم : هو عبد اللّه بن أبي ابن سلول المنافق ﴿له عذاب عظيم﴾ جهنم .

﴿لولا﴾ هلا ﴿إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم﴾ أي : بإخوانهم ﴿خيرًا وقالوا هذا إفك﴾ كذبٌ ﴿مبين﴾ بيِّنٌ ﴿ولولا فضل اللّه عليكم ورحمته [في الدنيا والآخرة][(١)] لمسّكم فيما أفضتم فيه عذابٌ عظيم﴾ فيها تقديم ؛ يقول : ولولا فضلُ اللّه عليكم ورحمته لمسكم فيما أفضتم فيه عذابٌ عظيم في الدنيا والآخرة ، والإفاضة فيه كان إذا لقي الرجُل الرجل ، فيقول : أما بلغك ما قيل من أمر عائشة وصفوان ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ يعني : يرويه بعضكم عن بعض .

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ أي : كذبٌ .

(ل٢٣٢) ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ يعني : أن تنتشر[(٢)] ﴿في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة﴾ وهم المنافقون ؛ كانوا يحبون ذلك ، ليعيبوا به النبي عليه السلام ويغيظوه ، وعذاب الدنيا للمنافقين أن تؤخذ منهم الزكاة وما ينفقون في الغزو كرهًا ﴿ولولا فضل اللّه عليكم ورحمته﴾ أي : لأهلككم ؛ فاستأصلكم ؛ يعني : الذين قالوا ما قالوا ، وليس يعني بالفضل وبالرحمة : عبد اللّه بن أبي ابن سلول فيهم ، وقد ذكر بعد هذه الآية أنه في النار . قال : ﴿وأن اللّه رءوف رحيم﴾ بالمؤمنين .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ

(١) سقط من الأصل .
(٢) في « ر » : أن يظهر الزنا .

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أمر الشيطان ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه﴾ فإن الشيطان ﴿يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ .

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ولا يأتل﴾ أي : ولا يحلف ﴿أولو الفضل منكم والسعة﴾ يعني : الغني ﴿أن يؤتوا أولي القربى ...﴾ الآية ، تفسير قتادة : قال : « أنزلت في أبي بكر الصديق ومِسطح ، وكان بينه وبين أبي بكر قرابة ، وكان يتيمًا في حِجره ، وكان ممَّن أذاع على عائشة ما أُذيع ؛ فلما أنزل الله براءتها وعُذرها تألَّى[1] أبو بكر ألَّا يوليه خيرًا أبدًا ، فأنزل الله هذه الآية ، وذكر لنا أن نبي الله دعا أبا بكر فتلاها عليه ، ثم قال : ألا تحب أن يعفو الله عنك؟ قال : بلى . قال : فاعف وتجاوز . فقال أبو بكر : لا جرم ، والله لا أمنعه معروفًا كنت أوليه إياه قبل اليوم »[2].

﴿إن الذين يرمون المحصنات﴾ يعني : العفائف ﴿الغافلات﴾ يعني : أنهن لم يفعلن ما قذفن به ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة ...﴾ إلى قوله : ﴿بما كانوا يعملون﴾ .

قال يحيى : بلغني أنه يعني بذلك : عبد الله بن أبي ابن سلول في أمر عائشة .

﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ تفسير السدي : يعني : حسابهم العدل .

﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات﴾ [تفسير قتادة[3]: الخبيثات من القول والعمل

(١) أي : حلف ، ومثله : أتَلَى ، وآلَى بمعنى حلف ، مأخوذ من الألِيَّة ، وهو اليمين . لسان العرب (ألو) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٥٠/٢٣ رقم ٢٢٤) وقال الهيثمي في المجمع (٩٩/٧) : وإسناده جيد .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٨/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) رواه الطبري (١٠٨/١٨) وابن أبي حاتم (٢٥٦١/٨ رقم ١٤٣١١) .

للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل][١] ﴿والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾ مثل ذلك؛ وهذا في قصة عائشة ﴿أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة﴾ لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ الجنة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧﴾

قوله: ﴿تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ حتى تستأذنوا؛ في تفسير قتادة[٢]. وفيها تقديم وتأخير: حتى تسلموا [وتستأنسوا][٣].

قال محمدٌ: الاستئناس في اللغة معناه: الاستعلام؛ تقول: استأنستُ فما رأيت أحدًا؛ أي: استعلمت وتعرَّفت[٤]. قال النابغة:

كأن رَحْلي وقد زال النهار بنا ... بذي الجَليلِ على مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ[٥]

يعني: ثورًا أبصر شيئًا فخافه فهو فزع[٦].

يحيى: عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير قال: «سئل جابر بن عبد الله أيستأذن الرجل على والدته وإن كانت عجوزًا، أو على أخته؟! قال: نعم».

يحيى: عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب؛ أن عليًا قال: «يستأذن الرجل على كل امرأةٍ إلا على امرأته».

﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ

= وعزاه السيوطي في الدر (٥/٤٠) لعبد بن حميد وابن جرير والطبراني.

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) رواه الطبري (١٨/١١٠).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٤٣) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) في الأصل: وتستأذنوا.

(٤) ويقال فيه: استأنس وتأنّس. لسان العرب (أنس)

(٥) البيت من بحر البسيط، ينظر ديوان النابغة (١٧)، الخصائص(٢/٢٦٦)، شرح المفصل لابن يعيش (٦/١٦).

(٦) انظر خزانة الأدب (٣/١٨٧ - ١٨٨).

لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فإن لم تجدوا فيها أحدًا﴾ يعني: البيوت المسكونة ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ قال قتادة: لا تقف على باب قوم قد ردُّوك عن بابهم؛ فإن للناس حاجاتٍ ولهم أشغال ﴿ليس عليكم جناحٌ أن تدخلوا بيوتًا غير مسكونة﴾ يعني: الفنادق ﴿فيها متاع لكم﴾ قال السُّدي: يعني: منافع لكم من الحر والبرد؛ فليس عليه (أن يستأذن)[١] فيها؛ لأنه ليس لها أهل يسكنونها.

﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ يعني: يغضون أبصارهم عن جميع المعاصي، (مِنْ) ها هنا صلةٌ زائدةٌ[٢].

يحيى: عن حماد بن سلمة، عن يونس بن عبيد، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير البجلي، عن أبيه قال: «سألت رسول الله ﷺ عن النظر فجأة، فقال: اصرف بصرك»[٣].

---

(١) في «ر»: إذن.

(٢) وفيه أوجه نحوية أخرى، تنظر من الدر المصون (٥/٢١٦).

(٣) هكذا وقع هذا الإسناد في الأصل و «ر»: «عن يونس بن عبيد عن أبي زرعة» والحديث معروف برواية «يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة»، وقوله هنا: «عن أبيه» يعني جده جريرًا جعله أبًا تجاوزًا، والله أعلم.
والحديث رواه الطيالسي في مسنده (٩٣ رقم ٦٧٢) - ومن طريقه الخطيب في الموضح (٢/٣٢١ - ٣٢٢) - عن حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد عن سعيد الأصلع عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير.
قال أبو حاتم الرازي: هذا خطأ، إنما هو يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن =

قوله : ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ عما لا يحلُّ لهم .

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ عما لا يحل لهن من النظر ﴿ويحفظن فروجهن﴾ مما لا يحل لهن وهذا في الأحرار والمماليك (ل٢٣٣) ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ وهذا في الحرائر . تفسير ابن عباس[١] وقتادة[٢]: ما ظهر منها : هو الكحل والخاتم . وتفسير ابن مسعود[٣] والحسن[٤]: هي الثياب .

= جرير عن النبي ﷺ . علل ابن أبي حاتم (٢/٣٤٤ - ٣٤٥ رقم ٢٥٥٨) .

ورواه الإمام أحمد (٤/ ٣٥٨، ٣٦١) ومسلم (٣/١٦٩٩ رقم ٢١٥٩) ووكيع في الزهد (٤٨١) وهناد في الزهد (١٤١٧) وابن أبي شيبة (٤/٣٢٤) وأبو داود (٣/٤٩ رقم ٢١٤١) والترمذي (٥/٩٣ - ٩٤ رقم ٢٧٧٦) والنسائي في الكبرى (٥/٣٩٠ رقم ٩٢٣٣) وأبو عوانة في صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٤/٦٧) - والطحاوي في شرح المعاني (٣/١٥) وفي شرح المشكل (٥/١٢٤ - ١٢٦ رقم ١٨٦٨ - ١٨٧١) وابن حبان (١٢/٣٨٣ رقم ٥٥٧١) والطبراني في المعجم الكبير (٢/٣٣٧ رقم ٢٤٠٤ - ٢٤٠٦، ٢٤٠٨) والحاكم (٢/٣٩٦) والبيهقي في السنن (٧/ ٨٩ - ٩٠) وغيرهم من طرق عن يونس بن عبيد ، عن عمرو بن سعيد ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن جرير به .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، وقد أخرجه مسلم .

وقال الدارقطني بعد أن ذكر اختلافًا في هذا الحديث في علله (٤/ق١٠٤ - أ) : والصحيح حديث الثوري ومن تابعه عن يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة عن جرير . اهـ

ورواه الطبراني في الكبير (٢/٣٣٧ رقم ٢٤٠٧) عن المقدام بن داود عن أسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن يونس ابن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبيه « أن جريرًا سأل . . . » فزاد في إسناده « عن أبيه » .

ورواه الطبراني في الكبير (٢/٣٣٧ رقم ٢٤٠٣) وتمام في الفوائد (٧٣٩) من طريق أشعث بن سوار عن علي بن مدرك عن أبي زرعة عن جرير .

ورواه مصعب بن المقدام عن الثوري عن يونس عن الحسن عن جرير . خرجه الدارقطني في العلل (٤/ق١٠٤ - ب) وخطأه .

(١) رواه الطبري (١٨/١١٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٤٥) لسعيد بن منصور وابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي .

(٢) رواه عبد الرزاق (٢/٥٦) والطبري (١٨/١١٨) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٢/٥٦) والطبري (١٨/١١٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٤٥) لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه .

(٤) رواه ابن أبي حاتم (٨/٢٥٧٤ رقم ١٤٤٠٠) .

قال يحيى : وهذه في الحرائر ، وأما الإماء فقد حدَّثنا سعيد وعثمان ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك « أن عمر بن الخطاب رأى أمَةً عليها قناعٌ ، فضربها بالدرّة - في حديث سعيد . وقال عثمان : فتناولها بالدرّة - وقال : اكشفي عن رأسك . وقال سعيد : ولا تشبهي بالحرائر »[١].

﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ تسدل الخمار على جيبها تستر به نحرها ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ وهذه الزينة الباطنة ﴿إلا لبعولتهن﴾ يعني : أزواجَهُنّ إلى قوله : ﴿أو نسائهن﴾ يعني : المسلمات يرين منها ما يرى ذو المحرم ، ولا ترى ذلك منها اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسيّة ﴿أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة﴾ يعني : الحاجة إلى النساء ، تفسير قتادة[٢]: هو الرجل الأحمق الذي لا تشتهيه المرأة ، ولا يغار عليه الرجل .

قال محمدٌ : من قرأ (غير) بالخفض[٣]، فعلى أنه صفة للتابعين[٤]؛ المعنى : لكل تابع غير أولي الإربة ، ومن نصب (غير)[٥] فعلى الحال[٦]؛ المعنى : أو التابعين لا مريدين النساء في هذه الحال .

قال يحيى : فهذه ثلاثُ حُرمٍ بعضها أعظم من بعض ، منهن الزوج الذي يحل له كل شيء [منها][٧] فهذه حرمَةٌ ليست لغيره .

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٣٦/٢ رقم ٥٠٦٤) عن معمر عن قتادة .
ورواه ابن أبي شيبة (٢٣٠/٢ - ٢٣١) من طريق شعبة عن قتادة .
ورواه ابن أبي شيبة (٢٣١/٢) من طريق الزهري عن أنس .
ورواه ابن أبي شيبة (٢٣١/٢) من طريق المختار بن فلفل عن أنس بنحوه .
ورواه ابن أبي شيبة (٢٣١/٢) عن أبي قلابة قال : « كان عمر بن الخطاب لا يدع في خلافته أمة تقنع . قال : قال عمر : إنما القناع للحرائر ؛ لكيلا يؤذين » .
ورواه عبد الرزاق (١٣٦/٣ رقم ٥٠٦٢) والبيهقي (٢٣٦/٢ - ٢٣٧) من طريق صفية بنت أبي عبيد عن عمر مطولا .
وقال البيهقي : والآثار عن عمر بن الخطاب ﷺ في ذلك صحيحة ، وإنها تدل على أن رأسها ورقبتها وما يظهر منها في حال المهنة ليس بعورة .
(٢) رواه ابن أبي حاتم (٢٥٧٨/٨ رقم ١٤٤٢٧) .
(٣) وهي قراءة السبعة إلا ابن عامر وعاصم . ينظر البحر (٤٤٩/٦) ، السبعة (٤٥٥) ، النشر (٣٣٢/٢) .
(٤) أو على البدل . ينظر البحر (٤٤٩/٦) ، إعراب القرآن (٤٣٩/٢) معاني القرآن للفراء (٢٥٠/٢) .
(٥) وهي قراءة ابن عامر وعاصم كما تقدم .
(٦) أو الاستثناء . ينظر البحر (٤٤٩/٦) ، إعراب القرآن (٤٣٩/٢) .
(٧) من « ر » .

ومنهن الأبُ، والابنُ، والأخ، والعم، والخال، وابن الأخ، وابن الأخت، والرضاع في هذا بمنزلة النسب؛ فلا يحل لهؤلاء - في تفسير الحسن - أن ينظروا إلى الشّعر والصدر والساق وأشباه ذلك. وقال ابن عباس[١]: ينظرون إلى موضع القرطين والقلادة والسوارين والخلخالين.

وحرمةٌ ثالثة فيهم أبو الزوج، وابن الزوج، والتابع غير أولي الإربة ومملوك المرأة؛ لا بأس أن تقوم بين يدي هؤلاء في درع صفيق وخمار صفيق بغير جلبابٍ.

قوله: ﴿أوالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ قال قتادة[٢]: يعني: من لم يبلغ الحُلم ولا النكاح.

﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ قال قتادة[٣]: كانت المرأة تضرب برجليها إذا مرّت بالمجلس ليُسمع قعقعة الخلخالين، فنهين عن ذلك.

﴿وتوبوا إلى الله جميعًا﴾ من ذنوبكم ﴿أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ لكي تفلحوا فتدخلوا الجنة.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ يعني: كل امرأة ليس لها زوج.

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٨/ ١٢٠).

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٨) لعبد بن حميد.

(٣) رواه عبد الرزاق (٢/ ٥٨).

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٨) لعبد بن حميد.

قال محمدٌ : يقال : امرأة أيمٌ ، ورجلٌ أيمٌ(١)، ورجلٌ أرملٌ ، وامرأةٌ أرملةٌ(٢).

﴿والصالحين من عبادكم﴾ يعني : المملوكين المسلمين ﴿وإمائكم﴾ المسلمات ، وهذه رخصةٌ وليس على الرجل بواجب أن يُزَوِّج أمته وعبده ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ .

(**يحيى** : عن عبد العزيز بن أبي روَّاد ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « اطلبوا الغنى في هذه الآية : ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ »(٣))(٤).

يحيى : عن سعيد ، عن قتادة ؛ أن عمر بن الخطاب كان يقول : « ما رأيت مثل رجلٍ لم يلتمس الغنى في الباءة ، والله يقول : ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ »(٥).

﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا﴾ تفسير الحسن(٦): إن علمتم عندهم مالاً . وقال قتادة : إن علمتم عندهم صدقًا ووفاءً وأمانةً .

قوله : ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ قال قتادة : أن يترك لهم طائفة من مكسبته ﴿ولا تكرهو فتياتكم على البغاء إن أردن تحصُّنًا﴾ [البغاء : الزنا](٧) ﴿تحصنًا﴾ أي : عفة وإسلامًا .

وبلغنا عن الزهري قال : نزلت في أمةٍ كانت لعبد الله بن أبي ابن سلول كان يكرهها على رجلٍ من قريش يريدها لنفسه رجاء أن تلد منه ، فيفدي ولده ، فذلك (ل٢٣٤) الغرض الذي كان ابن أبي [ابن](٨) سلول يبتغي ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ وكذلك هي في حرف ابن مسعود ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ يعني : القرآن ﴿ومثلاً من الذين خلوا من

---

(١) الأيم : الذي لا زوج له من الرجال والنساء ، سواء كان تزوج من قبل أو لم يتزوج ، وامرأة أيم بكرًا كانت أو ثيبًا . مختار الصحاح (أيم) .

(٢) لسان العرب (رمل) .

(٣) لم أقف عليه من هذا الطريق المعضل ، وله طرق أخرى بنحوه ، انظر تخريج الكشاف (٢/٤٤٣ - ٤٤٤) .

(٤) سقط من « ر » .

(٥) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٦/١٧٣ رقم ١٠٣٩٣) عن معمر عن قتادة به .
ورواه أيضًا (٦/١٧٠ - ١٧١ رقم ١٠٣٨٥) عن هشام بن حسان عن الحسن عن عمر رضي الله عنه .

(٦) رواه ابن أبي حاتم (٨/٢٥٨٤ رقم ١٤٤٩٣) .

(٧) سقط من الأصل . والمثبت من « ر » .

(٨) سقط من الأصل و «ر» .

قبلكم﴾ يعني: أخبار الأمم السابقة.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿الله نور السموات والأرض﴾ يعني: بنوره يهتدي من في السموات والأرض ﴿مثل نوره﴾ الذي أعطى المؤمن في قلبه ﴿كمشكاة﴾ تفسير ابن عمر[1] قال: المشكاة: الكُوَّة[2] في البيت التي ليست بنافذة ﴿فيها مصباح﴾ يعني: السِّراج ﴿المصباح في زجاجة﴾ يعني: القنديل ﴿الزجاجةُ كأنها كوكب دريٌّ﴾ أي: منير ضخم.

قال محمدٌ: من قرأ (دريٌّ) بلا همزٍ، فهو منسوبٌ إلى الدُّر[3]، ومن قرأ (دِرِّيء) بالهمز وكسر الدال[4]؛ فهو من النجوم الدراري[5].

قوله: ﴿يُوقَدُ﴾ يعني: المصباح ﴿من شجرة مباركة زيتونةٍ لا شرقية ولا غربية﴾ قال قتادة[6]: يعني: لا يفيء عليها ظلُّ شرقٍ ولا غربٍ هي ضاحية للشمس، وهي أصفى الزيت وأعذبه قال بعضهم: هي في سفح جبلٍ ﴿يكاد زيتها﴾ يعني: الزجاجة ﴿يضيء ولو لم تمسسه نارٌ﴾ وهذا مثل قلب المؤمن، يكاد يعرف الحق من قبل أن يتبينّ له فيما يذهب إليه من موافقة الحق فيما أُمر به، وفيما يذهب إليه من كراهيته ما يُنهى عنه ﴿نورٌ على نورٍ﴾ قال مجاهد: نور الزجاجة ونور الزَّيت ونور المصباح؛ فكذلك قلب المؤمن إذا تبينَّ له الحق صار نورًا على نورٍ.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٥/٥٤) لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) في حاشية الأصل: الفتحة. وفي لسان العرب: الكوة: ثقب البيت، وهي بفتح الكاف وضمها، والجمع كِوَاء بالمد والقصر. لسان العرب (كوى).

(٣) واحدها: دُرَّة؛ وهي اللؤلؤة، وتجمع أيضًا على دُرَّات، ودُرر. لسان العرب (درر).

(٤) وهي قراءة أبي عمرو، والكسائي. ينظر السبعة (٤٥٦) البحر (٦/٤٥٦)، النشر (٢/٣٣٢).

(٥) وواحدها: (دُرّي)؛ وهو الثاقب المضيء. لسان العرب (درر).

(٦) رواه عبد الرزاق (٢/٦٠).

﴿في بيوتٍ أذن الله أن ترفع﴾ تفسير مجاهد(١): أن تُبْنَى ؛ يعني : المساجد .

يحيى : عن مندل بن علي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « من بنى مسجدًا لله ولو مثل مفحص قطاة بُني له بيتٌ في الجنة »(٢).

---

(١) رواه الطبري (١٤٤/١٨) وابن أبي حاتم (٢٦٠٥/٨ رقم ١٤٦٣٣) .

(٢) تابع مندل بن علي عليه جماعةٌ :

منهم : قطبة بن عبد العزيز ، عند ابن أبي شيبة في مسنده - كما في المطالب العالية (١٧٢/١ رقم ٥/٣٦٢) - وأبي يعلى - كما في المطالب العالية (١٧٢/١ رقم ٨/٣٦٢) - والطبراني في الصغير (١٣٨/٢) وابن حبان في صحيحه (٤٩٠/٤ رقم ١٦١٠) وأبي نعيم في الحلية (٢١٧/٤) والبيهقي في السنن (٤٣٧/٢) .

ومنهم : أبو بكر بن عياش ، عند البزار (٤١٢/٩ رقم ٤٠١٧) وأبي يعلى - كما في إتحاف الخيرة (١٢/٢ رقم ٩٣٨/ ٧) - والطحاوي في المشكل (٢١٠/٤ رقم ١٥٥٠) والروياني - كما في المطالب (١٧١/١ رقم ٣/٣٦٢) - والبيهقي (٤٣٧/٢) والقضاعي في مسند الشهاب (٢٩١/١ رقم ٤٧٩) من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبي بكر بن عياش .

وقال أحمد بن يونس : ما رفعه أحد من أصحاب الأعمش غير أبي بكر . قال أحمد : فقيل لأبي بكر : إنه لم يرفعه غيرك! قال : سمعته من الأعمش وهو شاب .

ومنهم : يعلى بن عبيد ، من رواية أخيه محمد بن عبيد عنه ، عند ابن حبان (٤٩١/٤ رقم ١٦١١) والطحاوي في المشكل (٢١١/٤ رقم ١٥٥٢) .

قال الدارقطني في الأفراد : غريب من حديث الأعمش مرفوعًا إلى النبي ﷺ وغريب من حديث يعلى بن عبيد عنه ، تفرد به أخوه محمد ، وعنه محمد بن حرب . أطراف الغرائب (٥٤/٥) .

ومنهم : سفيان الثوري ، من رواية سلم بن جنادة عن وكيع عنه ، عند البزار (٤١٢/٩ رقم ٤٠١٦) .

قال البزار : وهذا الحديث لا نعلم أحدًا رواه عن سفيان مرفوعًا إلا سلم بن جنادة عن وكيع ، ولا نعلم أن سلم بن جنادة توبع على هذا الحديث ، وإنما يعرف هذا الحديث مرفوعًا من حديث أحمد بن يونس عن أبي بكر بن عياش ، ورواه يحيى بن آدم عن يزيد بن عبد العزيز .

وقال الدارقطني : غريب من حديث الثوري عن الأعمش عنه مرفوعًا ، وغريب من حديث وكيع عنه ، تفرد به أبو السائب سلم بن جنادة . أطراف الغرائب (٥٤/٥) .

ورواه مؤمل عن سفيان الثوري عن الأعمش مرفوعًا ، عند الطحاوي في المشكل (٢٠٩/٤ رقم ١٥٤٩) .

ومنهم : شريك من رواية علي بن حكيم عنه ، عند الطحاوي في المشكل (٢١٠/٤ رقم ١٥٥١) .

قال أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان : هكذا رواه عدة من أصحاب شريك فلم يرفعوه ، والصحيح عن أبي ذر من حديث شريك موقوف . قال أبو حاتم : ورواه أبو بكر بن عياش عن الأعمش ورفعه ، ونفس الحديث موقوف ، وهو أصح . قال ابن أبي حاتم : وحدثني أبي قال : حدثنا حماد بن زاذان قال : سمعت ابن مهدي قال : حديث الأعمش « من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة » ليس من صحيح حديث الأعمش . علل ابن أبي حاتم (٩٧/١ رقم ٢٦١) . =

﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾ الغدوُّ : صلاة الصبح ، والآصال : العشي : الظهر والعصر ، وقد ذكر في غير هذه الآية المغرب والعشاء ، وجميع الصلوات الخمس .

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ﴾ التجارة : الجالبُ [للمتاع][1] والبيع : الذي يبيع على يديه ﴿عن ذكر اللَّه﴾ ذكر اللَّه في هذا الموضع : الأذان ؛ كانوا إذا سمعوا المؤذن تركوا بيعهم وقاموا إلى الصلاة ﴿وإقام الصلاة﴾ يعني : الصلوات الخمس ﴿وإيتاء الزكاة﴾ يعني : المفروضة ﴿يخافون يومًا تتقلَّب فيه القلوب والأبصار﴾ يعني : قلوب الكفار وأبصارهم ، وتقلب القلوب : أن القلوب

= ومنهم : سفيان بن عيينة من رواية مؤمل بن إسماعيل عنه ، عند الطبراني في المعجم الصغير (٢/١٢٠) .
وقال الطبراني : لم يروه عن ابن عيينة إلا مؤمل .
وخالفهم جماعة كثيرة فأوقفوه ، رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/٣٠٩ - ٣١٠) عن أبي معاوية ، ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب (١/١٧١ رقم ٣٦٢) - عن عيسى بن يونس وجرير وأبي معاوية ، ورواه الطيالسي في مسنده (٦٢ رقم ٤٦١) عن قيس بن الربيع ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٤/٢١٧) من طريق الفريابي وأبي حذيفة النهدي عن الثوري ، ورواه البيهقي (٢/٤٣٧) من طريق يعلى بن عبيد ، كلهم عن الأعمش به موقوفًا .
ورواه الحكم بن عتيبة عن يزيد بن شريك عن أبي ذر ﷺ موقوفًا ، خرجه أحمد بن منيع في مسنده - كما في المطالب (١/١٧١ رقم ٣/٣٦٢) - والطحاوي في المشكل (٤/٢١٢) .
ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (١/١٧٣ رقم ٤/٣٦٢) - عن المعتمر بن سليمان ، عن حجاج عن الحكم بن عتيبة عن إبراهيم التيمي مرسلًا .
وبسط الدارقطني في العلل (٦/٢٧٤ - ٢٧٦ رقم ١١٣٤) الاختلاف فيه ، ثم قال : والموقوف أشبههما بالصواب . اهـ
قلت : وهذا المتن متواتر ؛ قال ابن حجر في المطالب (١/١٧٢) : وقد جمعت طرقه في جزء كبير ، كتبت فيه عن نيف وثلاثين صحابيًا .

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

انتزِعَت من أماكنها ، فغصَّت بها الحناجر فلا هي ترجع إلى أماكنها ولا هي تخرج ، وأما تقلُّب الأبصار فالزُّرقُ بعد الكحلِ ، والعمى بعد البصر ﴿ليجزيهم اللَّه أحسن ما عملوا﴾ (ثواب ما عملوا)[١] يجزيهم به الجنة ﴿ويزيدهم من فضله﴾ فأهل الجنة أبدًا في مزيد ﴿واللَّه يرزق من يشاء بغير حسابٍ﴾ تفسير بعضهم : يقول : لا يحاسبهم أبدًا بما أعطاهم اللَّه .

﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ قال مجاهد : وهو القاعُ القرقرة[٢] ﴿يحسبه الظمآن﴾ العطشان ﴿ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا﴾ والعطشان مثل الكافر ، والسراب (مثل عمله ؛ يحسب أنه يُغني عنه شيئًا حتى يأتيه الموت ؛ فإذا جاءه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئًا)[٣] إلا كما ينفع السراب العطشان .

قال محمدٌ : القيعة والقاع عند أهل اللغة : ما انبسط من الأرض ، ولم يكن فيه نبات[٤] - وهو الذي أراد مجاهدٌ - فالذي (يصير)[٥] فيه نصف النهار يرى كأن فيه ماءً يجري ، وذلك هو السراب .

قوله : ﴿ووجد اللَّه عنده فوفاه حسابه﴾ يعني : ثواب عمله ، وهو النار يوم القيامة ﴿واللَّه سريع الحساب﴾ أي : قد جاء الحساب ﴿أو كظلماتٍ في بحر لجي﴾ أي : عميق[٦] (ل٢٣٥) ﴿يغشاه موجٌ من فوقه موج من فوقه سحاب ظلماتٌ بعضها فوق بعض﴾ يعني : ظلمة البحر وظلمة السحاب وظلمة الليل ، هذا مثل الكافر ؛ يقول : قلبه مظلم في صدرٍ مظلم في جسدٍ مظلم ﴿إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ من شدَّة الظلمة .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى

---

(١) سقط من « ر » .

(٢) أي : المنخفض اللين ، وقيل : الأملس الذي لا شجر فيه ولا حجارة . لسان العرب (قرق) .

(٣) سقط من « ر » .

(٤) ويجمع على : أقوع ، وأقواع ، وقيعان . وقيل : القيعة مثل القاع ، وبعضهم يقول : هو جمع (قاعة) . مختار الصحاح (قوع) .

(٥) كذا في الأصل و «ر» .

(٦) يقال : غمره الماء ؛ أي : علاه ، والغَمْر : الكثير منه ، والغُمَر : الشدائد . لسان العرب (غمر) .

سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ
بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ألم تر أن اللَّه يسبح له من في السمٰوات والأرض والطير صافات﴾ بأجنحتها ﴿كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه﴾ تفسير مجاهد[1]: الصلاة للمؤمنين، والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق.

﴿ألم تر أن اللَّه يُزجي﴾ أي: ينشئ ﴿سحابًا ثمَّ يؤلف بينه﴾ أي: يجمع بعضه إلى بعض ﴿ثم يجعله ركامًا﴾ بعضه على بعض ﴿فترى الودق﴾ يعني: المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ من خلال السَّحاب ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من بَرَدٍ﴾ ينزل من تلك الجبال التي هي من بَرَدٍ[2] ﴿فيصيب به من يشاء﴾ فيُهْلك الزرع ﴿ويصرفه عمن يشاء﴾ يصرف ذلك البرد ﴿يكاد سنا برقه﴾ أي: ضوء برقه.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن
يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾
وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ
بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ
ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن
يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾

---

(١) رواه الطبري (١٥٢/١٨) وابن أبي حاتم (٢٦١٦/٨ رقم ١٤٧٠٢) وأبو الشيخ في العظمة (١٧٣/٥ رقم ١٢١٣).
وعزاه السيوطي في الدر (٥٨/٥ - ٥٩) لابن أبي شيبة وابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(٢) البَرَدُ: حبُّ الغمام، ويقال: سحاب برد؛ أي: صار ذا بَرَدٍ، وسحابة بردة أيضًا. لسان العرب (برد).

﴿يقلب اللّه الليل والنهار﴾ كقوله : ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾[١] هو أخذ كل واحدٍ منهما من صاحبه .

﴿واللّه خلق كل دابة من ماءٍ﴾ يعني : النطفة ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ الحيّة ﴿ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق اللّه ما يشاء﴾ أي : ومنهم من يمشي على أكثر من ذلك .

﴿ويقولون آمنا باللّه ...﴾ إلى قوله : ﴿معرضون﴾ يعني : المنافقين يظهرون الإيمان ، ويسرون الشرك ﴿وإن يكن لهم الحق ...﴾ الآية ، تفسير الحسن[٢] قال : كان الرجل يكون له على الرجل الحق على عهد النبي ؛ فإذا قال له : انطلق معي إلى النّبي ، فإن عرف أن الحق له ذهب معه ، وإن عرف أنه يطلب باطلاً أبَى أن يأتي النبي ﷺ فأنزل اللّه : ﴿وإذا دعوا إلى اللّه ...﴾ إلى قوله : ﴿مذعنين﴾ أي : سراعًا ﴿أفي قلوبهم مرضٌ﴾ وهو الشرك ﴿أم ارتابوا﴾ شكُّوا في اللّه وفي رسوله ؛ قاله على الاستفهام ؛ أي : قد فعلوا ذلك ﴿أم يخافون أن يحيف اللّه﴾ أي : يجور اللّه ﴿عليهم ورسوله﴾ أي : قد خافوا ذلك ﴿ومن يطع اللّه ورسوله ويخش اللّه﴾ فيما مضى من ذنوبه ﴿ويتقه﴾ فيما بقي ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ أي : الناجون .

﴿وأقسموا باللّه جهد أيمانهم﴾ يعني : المنافقين ﴿لئن أمرتهم ليخرجن﴾ إلى الجهاد ، قال اللّه : ﴿قل لا تقسموا﴾ ثم استأنف الكلام فقال : ﴿طاعةٌ معروفةٌ إن اللّه خبيرٌ بما تعملون﴾ أي : طاعة معروفة خيرٌ مما تسرون من النفاق ، وهذا من الإضمار .

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾

(١) الحج : ٦١، ولقمان : ٢٩، وفاطر : ١٣، والحديد : ٦.

(٢) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٨/٢٦٢٢ رقم ١٤٧٤٠).

﴿قل أطيعوا اللَّه وأطيعوا الرسول﴾ يعني: المنافقين، ثم قال: ﴿فإن تولوا﴾ يعني: فإن أعرضتم عنهما ﴿فإنما عليه﴾ يعني: الرسول ﴿ما حُمِّل﴾ من البلاغ ﴿وعليكم ما حمِّلتم﴾ من طاعته ﴿وإن تطيعوه﴾ يعني: النبي ﷺ ﴿تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ كقوله: ﴿وما جعلناك عليهم حفيظًا﴾[1] تحفظ عليهم أعمالهم حتى تجازيهم بها.

﴿وعد اللَّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾ من الأنبياء والمؤمنين ﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ أي: سينصرهم بالإسلام؛ حتى يظهرهم على الدين كله؛ فيكونوا الحكام على أهل الأديان[2].

يحيى: عن عبد الرحمن بن يزيد، عن [سليم][3] بن عامر الكلاعي قال: سمعت المقداد بن الأسود يقول: سمعت رسول اللَّه يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدرٍ[4] ولا وَبَر[5]، إلا أدخله اللَّه كلمة الإسلام بعزِّ عزيز أو ذُلِّ ذليل؛ إما يعزهم اللَّه فيجعلهم من أهلها، وإما يذلهم[6] فيدينون لها»[7] من حديث يحيى بن محمد.

---

(١) الأنعام: ١٠٧.

(٢) في «ر»: الأوثان.

(٣) تشبه أن تكون في الأصل و«ر»: سليمان. والمثبت هو الصواب، سليم بن عامر الكلاعي هو أبو يحيى الحمصي، ترجمته في تهذيب الكمال (١١/٣٤٤ - ٣٤٦) والحديث حديثه وسيأتي من رواه من طريقة، والاختلاف عليه فيه، وسيأتي على الصواب في تفسير سورة الصف، الآية: ٩.

(٤) واحدها: مدرة؛ وهي القرية المبنية بالطين واللبن. وأهل المدر: سكان البيوت المبنية خلاف البدو سكان الخيام. ينظر لسان العرب (مدر).

(٥) وأهل الوبر: هم أهل البادية؛ لأنهم يتخذون بيوتهم من الوبر، وهو الصوف. لسان العرب (وبر).

(٦) في «ر»: يضلهم.

(٧) رواه الإمام أحمد (٦/٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٢/١٥١) والطبراني في الكبير (٢٠/٢٥٤ - ٢٥٥ رقم ٦٠١) وفي مسند الشاميين (١/٣٢٤ - ٣٢٥ رقم ٥٧٢) وابن حبان في صحيحه (١٥/٩١ - ٩٢ رقم ٦٦٩٩) والحاكم في المستدرك (٤/٤٣٠) وابن منده في الإيمان (٢/٩٨١ - ٩٨٢ رقم ١٠٨٤) والبيهقي في السنن (٩/١٨١) وأبو القاسم الأصبهاني في دلائل النبوة (١/٢١٩ رقم ٣٠٣) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سليم بن عامر عن المقداد به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وخالف صفوانُ بن عمرو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر؛ فرواه عن سليم بن عامر عن تميم الداري.

﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [يقول: من أقام على كفره بعد هذا الذي أنزلت][1] يعني: فسق الشرك (ل٢٣٦) ﴿لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض﴾ أي: لا تحسبنهم يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنحاسبهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ

= خرجه الإمام أحمد (١٠٣/٤) والبخاري في التاريخ الكبير (١٥٠/٢) ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٣١) والطحاوي في مشكل الآثار (٤٥٨/١٥ - ٤٥٩ رقم ٦١٥٥) والطبراني في مسند الشاميين (٧٩/٢ - ٨٠ رقم ٩٥١) والحاكم (٤٣٠/٤ - ٤٣١) وابن منده في الإيمان (٩٨٢/٢ رقم ١٠٨٥) والبيهقي (١٨١/٩).

وقال الحاكم: وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وتابع معاويةَ بن صالح صفوان عليه.

خرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥٨/٢ رقم ١٢٨٠).

وله شاهد يرويه أبو فروة يزيد بن سنان عن عروة بن رويم عن أبي ثعلبة الخشني. خرجه الحاكم (٤٨٨/١ - ٤٨٩) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٠، ١٢٣/٦ - ١٢٤) وقال الحاكم: هذا حديث رواته مجمع عليهم بأنهم ثقات إلا أبو فروة يزيد ابن سنان.

وقال أبو نعيم: غريب من حديث عروة تفرد به أبو فروة.

ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٣٧/٤٠) من طريق يحيى بن سعيد القرشي عن أبي فروة يزيد بن سنان عن عروة بن رويم عن عقبة بن يريم عن أبي ثعلبة الخشني.

قال البخاري في تاريخه الكبير (٤٣٦/٦) عقبة بن يريم عن أبي ثعلبة، روى عنه عروة بن رويم الشامي، في صحة خبره نظر. اهـ

وقال ابن عساكر: روى إبراهيم بن سعيد الجوهري هذا الحديث عن يحيى بن سعيد الأموي عن أبي فروة عن عقبة بن يريم الدمشقي. اهـ

قلت: رواه الحاكم (١٥٥/٣) من طريق البغوي عن يحيى بن سعيد الأموي حدثني أبي، حدثني يزيد بن سنان، ثنا عقبة بن رويم، قال سمعت أبا ثعلبة الخشني به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. فتعقبة الذهبي فقال: قلت: يزيد بن سنان هو الرهاوي، ضعفه أحمد وغيره، وعقبة نكرة، لا يُعرف. اهـ

وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٣/٨): رواه الطبراني، وفيه يزيد بن سنان أبو فروة، وهو مقارب الحديث مع ضعف كثير.

(١) طمس في حاشية الأصل، والمثبت من « ر ».

عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ هم المملوكون من الرجال [والنساء](١) الذين يخدمون الرجل في بيته ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ يعني : الأطفال الذين يحسنون الوصف إذا رأوا شيئًا ﴿ثلاث مراتٍ من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ وهو نصف النهار عند القائلة(٢) ﴿ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم﴾ فلا ينبغي لهؤلاء الكبار والذين يحسنون الوصف أن يدخلوا إلا بإذن ، إلا ألا يكون للرجل إلى أهله حاجة ، ولا ينبغي له إذا كانت له إلى أهله الحاجة أن يطأ أهله ومعه في البيت من هؤلاء أحد ؛ فلذلك لا يدخلون في هذه الثلاث الساعات إلا بإذن ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناحٌ بعدهن﴾ من بعد هذه الثلاث ساعات ، أن تدخلوا بغير إذن ﴿طوافون عليكم بعضكم على بعض﴾ أي : يطوف بعضكم على بعض ؛ أي : يدخلون بغير إذن .

قال محمدٌ : (طوافون) مرفوع بمعنى : هم طوافون عليكم بعضكم على بعض ؛ أي : يطوف بعضكم على بعض(٣).

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾ يعني : من احتلم ﴿كذلك﴾ أي : هكذا ﴿يبينُ الله لكم آياته والله عليمٌ﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في أمره ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحًا﴾ أي : قد كبرن عن ذلك ولا يردنه ﴿فليس عليهن جناحٌ أن يضعن ثيابهن غير متبرجاتٍ بزينة﴾

---

(١) في الأصل : والإماء . والمثبت من « ر » .

(٢) القائلة : الظهيرة ، والقيلولة : النوم الظهيرة ، ويقال : قيلولة ، ومَقيل . لسان العرب (قيل) .

(٣) ينظر : إعراب القرآن (٢/٤٥٣) ، مجمع البيان (٢/١٩٩) ، البحر (٦/٤٧٢) .

يعني : غير متزينة ولا متشوِّفة[١].

قال قتادة[٢]: رخص للتي لا تحيض ، ولا تحدث نفسها بالأزواج أن تضع جلبابها ، وأما التي قد قعدت عن المحيض ولم تبلغ هذا الحدّ فلا ﴿وأن يستعففن﴾ يعني : اللاتي لا يرجون نكاحًا عن ترك الجلباب ﴿خيرٌ لهن﴾ .

قال محمدٌ : القواعد واحدتها : قاعدٌ بلا هاء ؛ ليدل بحذف الهاء على أنه قعود الكِبَر[٣]، كما قالوا : امرأةٌ حاملٌ بلا هاءٍ ليدل بحذف الهاء على أنه حمْلُ حبلٍ ، وقالوا في غير ذلك : قاعدةٌ في بيتها ، وحاملةٌ على ظهرها[٤].

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿ليس على الأعمى حرجٌ﴾ تفسير قتادة[٥] قال : منعت البيوت زمانًا كان الرجل لا يتضيّف أحدًا ولا يأكل في بيت غيره تأثُّمًا من ذلك .

قال يحيى : بلغني أن ذلك حين نزلت هذه الآية : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾[٦] قال قتادة : فكان أول من رخص الله له الأعمى والأعرج والمريض ، ثم رخص الله

---

(١) أي : مُتزيِّنة ، ومُتطلِّعة . لسان العرب (شوف) .

(٢) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٨/٢٦٤٠ رقم ١٤٨٣٤) .

(٣) أي : القعود عن الولد والحيض . أما القعود الذي هو من القيام ؛ فالمفرد : قاعدة ، والجمع : قاعدات . لسان العرب (قعد) .

(٤) ينظر لسان العرب (حمل) .

(٥) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٨/٢٦٤٤ رقم ١٤٨٦١) .

(٦) النساء : ٢٩.

لعَّامة المؤمنين ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم .. ﴾ إلى قوله : ﴿أو صديقكم﴾ فقوله : ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ قال بعضهم : هم المملوكون الذين هم خزنةٌ على بيوت مواليهم . وقوله : ﴿صديقكم﴾ قيل للحسن : الرجل يدخل على الرجل - يعني : صديقه - فيخرج الرجل من بيته ويرى الآخر الشيء من الطعام في البيت ؛ فيأكل منه؟ فقال : كُلْ من طعام أخيك .

قال يحيى : لم يذكر الله في هذه الآية بيت الابن ، فرأيت أن النبي ﷺ إنما قال : « أنت ومالك لأبيك »[(١)] من هذه الآية .

قال محمدٌ : وقيل في قوله : ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾ : أنه أراد من أموال نسائكم ومن ضيعة[(٢)] منازلكم والله أعلم .

﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا أو أشتاتًا﴾ تفسير قتادة[(٣)]: قال : كان بنو كنانة يرى أحدهم أن محرّمًا عليه أن يأكل [وحده][(٤)] في [الجاهلية][(٤)] حتى إن كان الرجل ليسوق [الذود الحفل][(٤)] وهو جائع حتى يجد من (ل٢٣٧) يؤاكله ويشاربه ، وكان الرجل يتخذ الخيال إلى جنبه إذا لم يجد من يؤاكل ويشارب ، فأنزل الله هذه الآية .

---

(١) روي هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص وجابر بن عبد الله وعائشة أم المؤمنين وعمر بن الخطاب وسمرة بن جندب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ.
أما حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فرواه الإمام أحمد (٢/ ١٧٩، ٢٠٤، ٢١٤) وأبو داود (٤/١٩١ رقم ٣٥٢٤) وابن ماجه (٢/٧٦٩ رقم ٢٢٩٢) وابن الجارود في المنتقى (٩٩٥) والطحاوي في شرح المعاني (٤/١٥٨) والبيهقي في السنن (٧/٤٨٠) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .
وأما حديث عائشة رضي الله عنها فرواه ابن حبان في صحيحه (٢/١٤٢ رقم ٤١٠) قال ابن الملقن في البدر المنير (٥/ ق٢٨٢ - ب) هذا الحديث مروي من طرق أصحها طريق عائشة .
قلت : باقي أحاديث الباب الكلام عليها مستفيض ، انظر البدر المنير (٥/ق٢٨٢ - ٢٨٤) ونصب الراية (٣/٣٣٧ - ٣٣٩) وغيرهما .
(٢) وفي مختار الصحاح (ضيع) : قال الأزهري : الضيعة عند الحاضرة : النخل والكرم والأرض ، والعرب لا تعرف الضيعة إلا الحرفة والصناعة .
(٣) رواه الطبري (١٨/١٧٢) وابن أبي حاتم (٨/٢٦٤٩ رقم ١٤٨٨٨) .
وعزاه السيوطي في الدر (٥/٦٤) لعبد بن حميد أيضًا .
(٤) ما بين المعقوفات مطموس في الأصل ، وأثبته من « ر » .

﴿فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم﴾ أي : يسلم بعضكم على بعض ، وإذا دخل الرجل بيته سلّم عليهم ، وإذا دخل بيتًا لا أحد فيه فليقل : سلامٌ علينا وعلى عباد الله الصالحين .

قال قتادة[١]: حُدِّثنا أن الملائكة تردُّ عليه ، وإذا دخل على قوم سلم عليهم ، وإذا خرج من عندهم سلم وإن مرَّ بهم أو لقيهم سلم عليهم ، وإن كان رجلًا واحدًا سلم عليه وإذا دخل المسجد قال : بسم الله سلامٌ على رسول الله ، اللّهم اغفر لي ذنبي ؛ وافتح لي باب رحمتك ، فإن كان مسجدًا كثير الأهل سلم عليهم يسمعُ نفسه ، وإن كانوا قليلاً أسمعهم التسليم وإن لم يكن فيه أحدٌ قال : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام علينا من ربنا .

يحيى : عن الخليل بن مرَّة ، أن ابن مسعودٍ قال : « إن السلام اسمٌ من أسماء الله وضعه في الأرض ؛ فأفشوه بينكم ، فإن المرء المسلم إذا مرَّ بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه (كانت له عليهم فضيلة درجة ؛ فإنه ذكرهم السلام ، فإن لم يردوا عليه ردّ عليه)[٢] من هو خير منهم وأطيب : الملائكة »[٣].

---

(١) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٢٦٥١/٨ رقم ١٤٩٠٢) .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٧٤ رقم ١٠٤١) وابن أبي شيبة في المصنف (٤٣٨/٨ رقم ٥٧٩٦) وابن عبد البر في التمهيد (٢٩٢/٥ - ٢٩٣) والخطيب في الموضح (٤٠٩/١ - ٤١٠) والبيهقي في الشعب (٤٣٢/٦ رقم ٨٧٧٩) من طرق عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود ﷺ موقوفًا .

ورواه البزار (١٧٤/٥ - ١٧٥ رقم ١٧٧٠) والطبراني في الكبير (١٨٢/١٠ رقم ١٠٣٩٢) وابن حبان في روضة العقلاء (ص٧٤) والبيهقي في الشعب (٤٣٢/٦ رقم ٨٧٨٠) من طريق ورقاء بن عمر اليشكري عن الأعمش به مرفوعًا .

وضعفه البيهقي من هذا الوجه .

ورواه البزار (١٧٤/٥ - ١٧٥ رقم ١٧٧١) والبيهقي في الشعب (٤٣٢/٦ رقم ٨٧٨٢) من طريق عبد الرحمن بن شريك عن أبيه عن الأعمش به مرفوعًا .

ورواه الطبراني في الكبير (١٨٢/١٠ رقم ١٠٣٩١) والبيهقي في الشعب (٤٣٢/٦ - ٤٣٣ رقم ٨٧٨١، ٨٧٨٣) من طريق أيوب بن جابر عن الأعمش به مرفوعًا .

وضعفه البيهقي من هذا الوجه أيضًا .

وقال البزار : وهذا الحديث قد رواه غير واحد موقوفًا ، وأسنده ورقاء وشريك وأيوب بن جابر .

وقال الدارقطني في العلل (٧٦/٥) : والموقوف أصح .

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لمْ يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ يستأذنوا الرسول ﴿إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ أي : مخلصين غير منافقين ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ وذكر قتادة : أنها نسخت الآية في براءة ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾[1] وهي عنده في الجهاد ؛ فرخص الله للمؤمنين أن يستأذنوا إذا كان لهم عذرٌ .

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا﴾ قال مجاهدٌ[2]: أمرهم أن يدعوه : يا رسول الله ؛ في لينٍ وتواضع ، ولا يقولوا : يا محمد ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذًا﴾ يعني : المنافقين ؛ يلوذ بعضهم ببعضٍ استتارًا من النبي حتى يذهبوا .

قال محمدٌ : اللواذ مصدر : لاوذتُ (فعل اثنين)[3] ولو كان مصدرًا للذتُ لكان لِياذًا[4].

= وقال ابن حجر في الفتح (١٥/١١) : أخرجه البزار والطبراني من حديث ابن مسعود موقوفًا ومرفوعًا ، وطريق الموقوف أقوى .

(١) التوبة : ٤٣ ، وينظر الناسخ والمنسوخ ص ٥٢ .

(٢) رواه الطبري (١٧٧/١٨) وابن أبي حاتم (٢٦٥٥/٨ رقم ١٤٩٢٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٦٦/٥) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) في « ر » : على اثنين .

(٤) يقال : لاذ يلوذ لوْذًا ولِياذًا . ولاوذ : مُلاوَذة ، ولِواذًا . لسان العرب (لوذ) .

﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ عن أمر اللَّه ، يعني : المنافقين ﴿أن تصيبهم فتنةٌ﴾ بليَّةٌ ﴿أو يصيبهم عذابٌ أليمٌ﴾ أن يستخرج اللّٰه ما في قلوبهم من النفاق حتى يظهروه شركًا ؛ فيصيبهم بذلك القتل ﴿ألا إن للّٰه ما في السمٰوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه﴾ يعني : المنافقين ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ يرجع إليه المنافقون يوم القيامة ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من النفاق والكفر ﴿واللّٰه بكل شيءٍ عليم﴾ .

تفسير سورة الفرقان وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝٢ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾

قوله: ﴿تبارك﴾ [هو من][1] البركة.

قال محمدٌ: ومعنى البركة عند أهل اللغة: الكثرة في كل ذي خير[2].

﴿الذي نزل الفرقان﴾ يعني: القرآن، وفرقانه: حلاله وحرامه.

قال محمدٌ: وقيل: سمي فرقانًا؛ لأنه فرَّق بين الحق والباطل، وهو معنى قول يحيى.

﴿على عبده﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿ليكون للعالمين﴾ يعني: الإنس والجن ﴿نذيرًا﴾ ينذرهم عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا ﴿واتخذوا من دونه﴾ من دون الله ﴿آلهة﴾ يعني: الأوثان ﴿لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون﴾ أي: يصنعونها بأيديهم كقوله: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾[3] ﴿ولا يملكون لأنفسهم﴾ يعني: الأوثان ﴿ضرًا ولا نفعًا...﴾ الآية.

﴿إنْ هذا﴾ يعنون: القرآن ﴿إلا أفك﴾ كذبٌ ﴿افتراه﴾ اختلقه؛ يعنون: محمدًا ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾ قال الكلبي: يعنون عبد ابن الحضرمي وعدَّاسًا غلام عُتْبة. قال: ﴿فقد جاءوا ظلمًا﴾

---

(١) غير واضحة في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) لسان العرب، القاموس المحيط (برك).

(٣) الصافات: ٩٥.

أي : شركًا ﴿وزورًا﴾ كذبًا .

(ل٢٣٨) **قال محمدٌ** : نصب (ظلمًا وزورًا) على معنى : فقد جاءوا بظلمٍ وبزور ، فلما سقطت الباء عُدِّي الفعل فنصب[١].

﴿وقالوا أساطير الأولين﴾ أي : أحاديث الأولين ﴿اكتتبها﴾ محمد من عبد ابن الحضرمي وعدَّاس ﴿فهي تملى عليه بكرة وأصيلًا﴾ .

قال محمدٌ : (أساطير) خبر ابتداء محذوف ؛ المعنى : وقالوا : الذي جاء به أساطير الأولين[٢]، وواحد الأساطير : أُسطورة[٣].

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾

﴿وقالوا مال هذا الرسول﴾ فيما يدعي ﴿يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا﴾ هلاَّ ﴿أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرًا﴾ يصدِّقه بمقالته ﴿أو يلقى إليه كنزٌ﴾ فإنه فقير ﴿أو تكون له جنةٌ يأكل منها﴾ .

قال محمدٌ : تأويل هذا الاستفهام[٤] ونُصِبَ (فيكون) على الجواب بالفاء[٥]، ولا يجوز النصب في ﴿تكون له﴾ لأنه عطف على الاستفهام[٦]؛ المعنى : لولا أنزل إليه ملكٌ أو يلقى إليه كنزٌ أو تكون له جنة .

---

(١) ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٥/٢٤٢) ، البحر المحيط (٦/٤٨١)

(٢) ينظر : البحر (٦/٤٨٢) ، مجمع البيان (٤/١٦١) .

(٣) الأساطير : الأباطيل . الواحدة : أسطورة ، وإسطارة . لسان العرب (سطر) .

(٤) أي : أن تأويل هذه الآية يكون على الاستفهام .

(٥) أي : نصب بعد فاء السببية .

(٦) أي : أنه مرفوع ؛ لأنه ليس معطوفًا على (فيكون) المنصوب . ينظر : إعراب القرآن (٢/ ٤٥٨)، البحر (٦/ ٤٨٣) .

﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ يعني: قولهم: إن هذا إلا إفكٌ افتراه، وقولهم: ﴿أساطير الأولين﴾ وقولهم: ﴿مال هذا الرسول ...﴾ إلى قوله: ﴿مسحورًا﴾.

﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلًا﴾ يعني: مخرجًا من الأمثال التي ضربوا لك؛ في تفسير مجاهد(١).

﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك جناتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾ وإنما قالوا: هي جنةٌ واحدةٌ ﴿ويجعل لك قصورًا﴾ مشيَّدة في الدنيا، وهذا على مقرإ من لم يرفعها، ومن قرأها بالرفع؛ فالمعنى: وسيجعل لك قصورًا في الآخرة(٢).

قال محمدٌ: من قرأ بالجزم، فهو على جواب الجزاء؛ المعنى: إن يشأ يجعل لك جنات، ويجعل لك قصورًا في الآخرة(٣).

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾

﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾ مسيرة خمسمائة سنة(٤) ﴿سمعوا لها تغيظًا﴾ عليهم ﴿وزفيرًا﴾ صوتًا ﴿وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين﴾ تفسير قتادة(٥): ذُكر لنا أنَّ عبد الله بن عمرو كان يقول: «إن جهنم لتُضَيَّق على الكافر؛ كضيق الزُّج(٦) على الرمح».

---

(١) رواه الطبري (١٨/١٨٥) وابن أبي حاتم (٨/٢٦٦٥ رقم ١٤٩٨٩).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٦٩) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) قرأ بالرفع ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر، وقرأ الباقون بالجزم. ينظر السبعة (٤٦٢)، التيسير (١٦٣)، النشر (٢/٣٣٣).

(٣) ينظر تفصيل ذلك نحويًا من إعراب القرآن (٢/٤٥٩)، البحر (٦/٤٨٤)، مجمع البيان (٤/١٥٩ - ١٦٠).

(٤) في «ر»: مائة سنة.

(٥) رواه ابن أبي حاتم (٨/٢٦٦٨ رقم ١٥٠٠٦).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٧٠) لابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) الزج: الحديدة التي في أسفل الرمح والجمع: زِجَجة، وزِجاج. لسان العرب (زجج).

ومعنى (مقرنين) : يقرن هو وشيطانه الذي كان يدعوه إلى الضلالة في سلسلةٍ واحدة ، يلعن كل واحدٍ منهما صاحبه ، ويتبرأ كل واحدٍ منهما من صاحبه ﴿دَعوا هنالك ثبورًا﴾ يعني : ويلًا وهلاكًا .

قال محمدٌ : (ثبورًا) نصب على المصدر ؛ كأنهم قالوا : ثُبِرنا ثبورًا[1] .

﴿لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرًا﴾ .

قال محمدٌ : (ثبورًا) للقليل والكثير على لفظ الواحد ؛ لأنه مصدرٌ[2] .

﴿أذلك خيرٌ أم جنة الخلد﴾ قاله على الاستفهام ؛ أي : أن جنة الخلد خيرٌ من ذلك .

﴿كان على ربك وعدًا مسئولًا﴾ سأل المؤمنون اللَّه الجنة ؛ فأعطاهم إياها .

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون اللَّه فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾ على الاستفهام ، وقد علم أنهم لم يضلوهم . قال مجاهد[3] : يقوله لعيسى وعزير والملائكة ﴿أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك﴾ ينزهون اللَّه عن ذلك ﴿ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ أي : لم نكن نواليهم على عبادتهم إيانا ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ في عيشهم في الدنيا بغير عذابٍ ﴿حتى نسوا الذكر﴾ حتى تركوا الذكر لمَّا جاءهم في الدنيا ﴿وكانوا قومًا بورًا﴾ أي : هلكًا .

(١) ينظر : الدر المصون (٥/٢٤٦) .

(٢) لسان العرب (ثبر) .

(٣) رواه الطبري (١٨/١٨٩) وابن أبي حاتم (٨/٢٦٧٢ رقم ١٥٠٢٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٧١) للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

قال محمدٌ : يقال : رجلٌ بورٌ ، وقومٌ بورٌ ؛ لا يجمع ولا يثنَّى . هذا الاختيار فيه[١]، وأصل البائر : الفاسد ؛ يقال : أرضٌ بائرة ؛ أي : متروكة من أن يزرع فيها شيء ، وبارت الأيم : إذا لم يُرغَبْ فيها[٢].

﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ أنهم آلهةٌ ﴿فما يستطيعون[٣] صرفًا ولا نصرًا﴾ لا تستطيع لهم آلهتهم صرفًا للعذاب ولا نصرًا .

﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ وهذا جوابٌ للمشركين (ل٢٣٩) حين قالوا : مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟!

﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ تفسير بعضهم : يعني : الأنبياء وقومهم ﴿أتصبرون﴾ يعني : الرسل على ما يقول لهم قومهم .

قال محمدٌ : في هذا إضمارٌ : أتصبرون اصبروا ؛ كذلك قال ابن عباس .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ يعني : لا يخشون البعث ﴿لولا﴾ هلا ﴿أنزل علينا الملائكة﴾ فيشهدوا أنك رسول الله ﴿أو نرى ربنا﴾ معاينةً ؛ فيخبرنا أنك رسول الله قال الله : ﴿لقد استكبروا في أنفسهم ...﴾ الآية .

﴿يوم يرون الملائكة﴾ وهذا عند الموت ﴿لا بشرى يومئذٍ للمجرمين﴾ للمشركين بالجنة

---

(١) وقيل : (بور) جمع (بائر) مثل حائل وحول . وقيل : إنه لغة لا جمع لبائر ، كما يقال : أنت بشر ، وأنتم بشر . لسان العرب (بور) .

(٢) ينظر لسان العرب (بور) .

(٣) قرأ حفص بالخطاب ﴿تستطيعون﴾ وقرأ الباقون بالغيب ﴿يستطيعون﴾ . النشر في القراءات العشر (٢/٣٣٤) .

﴿ويقولون حجرًا محجورًا﴾ تفسير قتادة[١]: حرامًا محرمًا على الكافرين البشرى يومئذ بالجنة .

قال محمدٌ : (يوم يرون) منصوبٌ على معنى : يقولون يوم يرون الملائكة[٢]، ثم أخبر فقال : ﴿لا بشرى ...﴾ الآية ، وإنما قيل للحرام : حجر[٣]؛ لأنه حجر عليه بالتحريم ، ثم يقال : حجرت حجرًا ، واسم ما حجَرْت عليه حجر .

﴿وقدمنا﴾ أي : عمدنا ﴿إلى ما عملوا من عمل﴾ أي : حسنٍ ﴿فجعلناه هباءً منثورًا﴾ في الآخرة . تفسير مجاهد[٤]: هو الشعاع الذي يخرج من الكُوَّة .

قال محمدٌ : واحد الهباء : هباءةٌ ، والهبَاء : المنبثُّ ما سطع من سنابك الخيل ، وهو من الهبوةُ والهَبْوة : الغبار[٥].

﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا﴾ من مستقر المشركين ﴿وأحسن مقيلًا﴾ ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ هذا بعد البعث فتراها واهية متشقِّقة كقوله : ﴿وفتحت السماء فكانت أبوابًا﴾[٦] ويكون الغمام سُترةً بين السماء والأرض ﴿ونزل الملائكة تنزيلا﴾ مع الرحمن ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ يقول : تخضع الملائكة يومئذ لملك الله ، والجبابرة لجبروت الله .

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ

---

(١) رواه عبد الرزاق (٦٧/٢) والطبري (٢/١٩) وابن أبي حاتم (٢٦٧٨/٨ رقم ١٥٠٦٤) .
وعزاه السيوطي في الدر (٧٢/٥) لعبد بن حميد وابن جرير .

(٢) ينظر إعراب القرآن (٤٦٢/٢ - ٤٦٣) ، البحر (٤٩٢/٦) .

(٣) الحجر - بكسر الحاء وضمها وفتحها - الحرام . والكسر أفصح . لسان العرب (حجر) .

(٤) رواه الطبري (٤/١٩) وابن أبي حاتم (٢٦٧٩/٨ رقم ١٥٠٧١) .
وعزاه السيوطي في الدر (٧٣/٥) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

(٥) وقيل : الهباء : دقاق التراب ، والهبوة : الغبرة . لسان العرب (هبو) .

(٦) النبأ : ١٩.

جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿ويوم يعض الظالم﴾ يعني : أُبيّ بن خلف ﴿على يديه﴾ أي : يأكلها ندامةً .

قال مجاهد : كان أُبيُّ بن خلف يحضر النبي ﷺ فزجره عقبة بن أبي مُعَيْطٍ عن ذلك ، فهو قول أبي بن خلف في الآخرة .

﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول﴾ يعني : محمدًا ﴿سبيلًا﴾ إلى الله باتِّباعه ﴿يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا﴾ يعني : عقبة بن أبي معيط ﴿لقد أضلني عن الذكر﴾ يعني : القرآن ﴿بعد إذ جاءني﴾ قال الله : ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾ يأمره بمعصية الله ، ثم يخذله في الآخرة ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي﴾ يعني : من لم يؤمن به ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجورًا﴾ تفسير مجاهد[١]: يقول : يهجرون بالقول فيه .

قال محمدٌ : معنى قول مجاهد : جعلوه بمنزلة الهُجرِ ، والهُجر : الهذيان وما لا ينتفع به من القول ؛ يقال : فلان يهْجُر في منامه ؛ أي : يهذي[٢].

﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا من المجرمين﴾ يعني : المشركين يعزِّي نبيه ﴿وكفى بربك هاديًا﴾ إلى دينه ﴿ونصيرًا﴾ للمؤمنين على أعدائهم ﴿وقال الذين كفروا لولا﴾ هلاَّ ﴿نُزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ أي : كما نزل على موسى وعلى عيسى ، قال الله : ﴿كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلًا﴾ يعني : وبينَّاه تَبيينًا . قال قتادة : نزل في ثلاثٍ وعشرين سنة . .

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ

(١) رواه الطبري (٩/١٩) وابن أبي حاتم (٨/٢٦٨٧ رقم ١٥١١٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٧٦) للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) والهجر بفتح الهاء وضمها : الهذيان . وبضم الهاء : الاسم من الإهجار ، وهو الخنى والإفحاش في المنطق . لسان العرب ، القاموس المحيط (هجر) .

ﭐلرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿ولا يأتونك بمثل﴾ يعني: المشركين فيما كانوا يحاجُّونه به ﴿إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا﴾ تبيينًا.

﴿أولئك شرٌّ مكانًا﴾ من أهل الجنة ﴿وأضل سبيلًا﴾ طريقًا في الدنيا؛ لأن طريقهم إلى النار وطريق المؤمنين إلى الجنة.

﴿وجعلنا معه أخاه هارون وزيرًا﴾ أي: عونًا وعضُدًا وشريكًا في الرسالة.

﴿فدمَّرناهم﴾ أي: فكذبوهما فدمرناهم ﴿تدميرًا﴾ أهلكناهم إهلاكًا ﴿وقوم نوح﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿لمَّا كذبوا الرسل﴾ يعني: نوحًا.

﴿وعادًا وثمودًا﴾[١] أي: وأهلكنا عادًا وثمودًا ﴿وأصحاب الرَّسِّ﴾ قال مجاهد[٢]: الرسُّ بئر كان عليها ناسٌ[٣].

قال يحيى: وبلغني أن الذي أرسل إليهم شعيبٌ [وأنه][٤] أرسل إلى أهل مدين، وإلى [أهل][٤] الرّس جميعًا.

﴿وقرونًا بين ذلك كثيرًا﴾ أي: وأهلكنا قرونًا يعني: أممًا. قال قتادة[٥]: القرن: سبعون سنة[٦] ﴿وكلاًّ﴾ يعني: من ذكر ممن مضى (ل٢٤٠) ﴿ضربنا به الأمثال﴾ أي: خوفناهم العذاب ﴿وكلاً تبرنا﴾ أهلكنا ﴿تتبيرًا﴾ إهلاكًا بتكذيبهم رسلهم.

---

(١) قرأ حفص وحمزة ويعقوب ﴿ثمودَ﴾ بغير تنوين، وقرأ الباقون ﴿ثمودًا﴾ بالتنوين. النشر (٢/٢٨٩ - ٢٩٠) وإتحاف الفضلاء (٤١٧).

(٢) رواه الطبري (١٩/١٤) وابن أبي حاتم (٨/٢٦٩٥ رقم ١٥١٧٤).
وعزاه السيوطي في الدر (٥/٧٧) للفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) والرس في اللغة: هو البئر المطوية بالحجارة. لسان العرب (رسس).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٥/٧٨) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) وقيل: ثمانون سنة. وقيل: ثلاثون سنة. وقيل: مائة سنة. وقيل: غير ذلك. مختار الصحاح، المعجم الوسيط (قرن).

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿ولقد أتوا﴾ يعني: مشركي العرب ﴿على القرية التي أُمطرت مطر السوء﴾ يعني: قرية قوم لوطٍ، ومطر السوء: الحجارة التي رُمِي بها من السماء من كان خارجًا من المدينة، وأهل السفر منهم قال: ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ فيتفكروا ويحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم؛ أي: بلى قد أتوا عليها ورأوها.

﴿بل كانوا لا يرجون﴾ لا يخافون ﴿نشورًا﴾ بعثًا ولا حسابًا.

﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ على عبادتها، قال الله: ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ إذ يرون العذاب في الآخرة ﴿من أضل سبيلًا﴾ أي: من كان أضل سبيلًا في الدنيا؛ أي: سيعلمون أنهم كانوا أضل سبيلًا من محمد ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾.

قال محمدٌ: يقول: يتبع هواه ويدع الحق؛ فهو له كالإله ﴿أفأنت تكون عليه وكيلًا﴾ حفيظًا تحفظ عليه عمله حتى تجازيه به؛ أي: أنك لست بربٍّ، إنما أنت نذير.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون﴾ يعني: جماعة المشركين ﴿إن هم إلا كالأنعام﴾ فيما يعبدونه ﴿بل هم أضل سبيلًا﴾ يعني: أخطأ طريقًا ﴿ألم تر إلى ربك كيف مدَّ الظل﴾ مدَّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ﴿ولو شاء لجعله ساكنًا﴾ أي: دائمًا لا يزول ﴿ثم جعلنا الشمس

عليه﴾ أي : على الظلِّ ﴿دليلًا﴾ أي : تتلوه وتتبعه حتى تأتي عليه [كله][1] ﴿ثم قبضناه﴾ يعني : الظل ﴿إلينا قبضًا يسيرًا﴾ أي : يسيرًا علينا ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباسًا﴾ يعني : سكنًا يسكن فيه الخلق ﴿والنوم سُباتًا﴾ يسبت النائم حتى لا يعقل.

قال محمدٌ : أصل السَّبْتِ : الراحة[2].

﴿وجعل النهار نشورًا﴾ ينشر فيه الخلق لمعايشهم وحوائجهم ﴿وهو الذي أرسل الرياح نُشُرًا[3] بين يدي رحمته﴾ يعني : المطر.

قال محمدٌ : (نُشُرًا) بالضم جمع : نَشُور ؛ مثل : رسُول ورُسُل[4].

﴿وأنزلنا من السماء ماءً﴾ يعني : المطر ﴿طهورًا﴾ للمؤمنين يتطهرون به من الأحداث والجنابة ﴿لنحيي به بلدةً ميتًا﴾ يعني : اليابس التي لا نبات فيها.

قال محمدٌ : (ميتًا) ولفظ (البلدة) مؤنث ؛ لأن معنى البلد والبلدة واحد[5].

﴿ونسقيه مما خلقنا أنعامًا وأناسي كثيرًا﴾

قال محمدٌ : (أناسي) جمع إنسي ؛ مثل : كرسي وكراسي[6].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى
كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) سقطت من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وكذلك السُّبات، ويجمع السَّبت على سُبوت، وأسْبُت. لسان العرب(سبت).

(٣) هكذا في الأصل، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع، ويؤيد هذه القراءة (نُشُرا) بضم النون والشين ما ورد بعدها من قول محمد. ويحتمل أن تكون القراءة (نشْرا) بضم النون وإسكان الشين ؛ لأن رسول يجمع على رُسُل ورُسْل ؛ بضم السين وإسكانها، وهذه قراءة ابن عامر. وكذلك القول في آية الأعراف : ٥٧.

(٤) ومفرد(نشر) : نَشُر وناشر ؛ مثل شاهد وشهد وشهود. ينظر لسان العرب (نشر).

(٥) الدر المصون (٥/٢٥٧) وقد تقدم مثل هذا.

(٦) والإنسيُّ نِسبة إلى الإنْس، وهو أيضًا واحد الإنس. لسان العرب (أنس).

مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿ولقد صرفناه بينهم﴾ أي : قسمناه ؛ يعني : المطر ؛ مرّة لهذه البلدة ، ومرّة لبلدةٍ أخرى ﴿ليذكروا﴾ بهذا المطر ؛ فيعلموا أن الذي أنزل من المطر الذي يعيش به الخلق ، وينبت به النبات في الأرض اليابسة - قادر على أن يحيي الموتى ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفورًا﴾ قال سفيان الثوري : يقولون : مُطِرنا بنوء كذا .

﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا﴾ رسولاً ﴿فلا تطع الكافرين﴾ فيما ينهونك عنه من طاعة الله ﴿وجاهدهم به﴾ بالقرآن ، وهذا الجهاد باللسان من قبل أن يؤمر بقتالهم .

﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أي : أفاض أحدهما في الآخر ﴿هذا عذب فرات﴾ أي : حلوٌ ﴿وهذا ملح أجاجٌ﴾ أي : مُرٌّ ﴿وجعل بينهما برزخًا﴾ أي : حاجزًا لا يرى ؛ لا يغلب المالح على العذب ، ولا العذب على المالح . ﴿وحجرًا محجورًا﴾ حرامًا محرمًا أن يغلب أحدهما على الآخر(١).

﴿وهو الذي خلق من الماء بشرًا﴾ خلق من النطفة إنسانًا ﴿فجعله نسبًا وصهرًا﴾ .

قال محمدٌ : يعني : قرابة النسب وقرابة النكاح .

﴿وكان الكافر على ربه ظهيرًا﴾ أي : عوينًا ؛ يقول : يظاهر الشيطان على ترك أمر ربه .

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿وما أرسلناك إلا مبشرًا﴾ بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ من عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا ﴿قل لا أسألكم عليه﴾ على القرآن ﴿من أجرٍ إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ يقول : إنما جئتكم

---

(١) الحجر - بضم الحاء وفتحها وكسرها - : الحرام ، والكسر أفصح . لسان العرب (حجر) .

بالقرآن ليتخذ به من آمن بربه سبيلاً بطاعته ﴿الرحمن فاسأل به خبيرًا﴾ أي : خبيرًا [بالعباد][١].

قال محمدٌ : من قرأ (الرحمنُ) بالرفع[٢] فعلى الابتداء[٣] [والخبر ﴿فاسأل به﴾ .

﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورًا﴾ أي : زادهم قولهم اسجدوا للرحمن][٤] (ل٢٤١) نفورًا عن القرآن .

﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجًا﴾ [أي : نجومًا ؛ يعني : نفسه جلّ وعزّ][٤] ﴿وجعل فيها سراجًا﴾ يعني : الشمس ﴿وقمرًا منيرًا﴾ مضيئًا ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا﴾ تفسير الحسن[٥]: يقول : من عجز في الليل كان له في النهار مستعتب ، ومن عجز في النهار كان له في الليل مستعتب .

قال محمدٌ : قوله : ﴿خلفة﴾ يعني : يخلف هذا هذا ، ومثله قول زهير :

بها العِينُ والآرامُ يمشين خِلفَةً وأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ من كلِّ مَجْثَمِ[٦]

الريم : ولد الظبي ، وجمعه : آرامٌ[٧]، يقول : إذا ذهب فوجٌ جاء فوجٌ .

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا﴾ تفسير الحسن : مدح الله المؤمنين وذم المشركين ؛ فقال : ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا﴾ أي : حلمًا ، يعني : المؤمنين ،

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) وهي قراءة العامة ، وقرأ زيد بن علي بالجر . ينظر : البحر (٦/٥٠٨) ، الكشاف (٣/٩٨) .

(٣) ينظر : البحر (٦/٥٠٨) ، مجمع البيان (٢/٢٠٧) ، الدر المصون (٥/٢٦٠) .

(٤) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٥/٨٢) لعبد بن حميد .

(٦) البيت من بحر الطويل . ينظر ديوان زهير (١٠٣) .

(٧) وأيضًا أرآم . لسان العرب (رأم) .

وأنتم أيها المشركون لستم بحُلَمَاء، والهوْن في كلام العرب: اللين والسكينة[١].

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا﴾ تفسير مجاهد[٢] قالوا: سدادًا ﴿والذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا﴾ يعني: يصلون، وأنتم أيها المشركون لا تصلون.

قال يحيى: بلغني أنه من صلى من الليل ركعتين، فهو من الذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا.

﴿إنَّ عذابها كان غرامًا﴾ أي: لزامًا.

قال محمدٌ: الغرام في اللغة: أشدُّ العذاب، ومنه قولهم: فلان مغرمٌ بالنساء؛ أي: مهلكٌ بهن[٣].

﴿إنها ساءت مستقرًا ومقامًا﴾ أي: بئس المستقر هي والمنزل.

قال محمدٌ: (مستقرًا ومقامًا) منصوبان على التمييز؛ المعنى: أنها ساءت في المستقر والمقام[٤].

﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ تفسير قتادة[٥]: الإسراف: النفقة في معصية الله، والإقتار: الإمساك عن حق الله.

﴿وكان بين ذلك قوامًا﴾ وهذه نفقة الرجل على أهله.

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾

﴿والذين لا يدعون﴾ أي: لا يعبدون ﴿مع الله إلهًا آخر﴾ قال الحسن: خاف قومٌ أن يؤخذوا

---

(١) لسان العرب (هون).

(٢) رواه الطبري (١٩/٣٥) وابن أبي حاتم (٨/٢٧٢٢ رقم ١٥٣٥٣).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٨٣) لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) لسان العرب (غرم).

(٤) ينظر: الدر المصون (٥/٢٦٣)، البحر (٦/٥١٤).

(٥) عزاه السيوطي في الدر (٥/٨٤) لعبد بن حميد.

بما عملوا في الجاهلية ؛ فأتوا رسول اللَّه وذكروا الفواحش ، وقالوا : قد قتلنا وفعلنا ؛ فأنزل اللَّه ﴿والذين لا يدعون﴾ أي : لا يعبدون ﴿مع اللَّه إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرَّم اللَّه إلا بالحق﴾ يعني : بعد إسلامهم ﴿ولا يزنون﴾ يعني : بعد إسلامهم ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثامًا﴾ قال قتادة[1]: يعني : نكالاً ﴿يضاعف له العذاب﴾ .

قال محمدٌ : تأويل الأثام في اللغة : المجازاة على الشيء ، يقال : قد لقي أثام ذلك ؛ أي جزاء ذلك ، ومن قرأ ﴿يضاعف له العذاب﴾ بالجزم فلأن مضاعفة العذاب لقي الأثام . ومن قرأ : (يضاعفُ)[2] بالرفع فعلى معنى التفسير ؛ كأن قائلاً قال : ما لقي الأثام ، فقيل : يضاعف للآثم العذاب .

﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا﴾ [قال قتادة[3]: ﴿إلا من تاب﴾ أي : رجع من ذنبه ﴿وآمن﴾ بربه ﴿وعمل عملاً صالحًا﴾][4] فيما بينه وبين اللَّه ﴿فأولئك يبدل اللَّه سيئاتهم حسنات﴾ فأمَّا التبديل في الدنيا : فطاعة اللَّه بعد عصيانه ، وذكر اللَّه بعد نسيانه .

﴿ومن تاب وعمل صالحًا فإنه يتوب إلى اللَّه متابًا﴾ أي : يقبل توبته إذا تاب قبل الموت .

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ الشرك ﴿وإذا مروا باللغو﴾ الباطل وهو ما فيه المشركون ﴿مروا كرامًا﴾ أي : ليسوا من أهله ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم﴾ يعني : القرآن ﴿لم يخروا عليها صُمًّا

---

(١) رواه الطبري (١٩/٤٥) .

(٢) قرأ ابن عامر وأبو بكر برفع الفاء ، وقرأ الباقون بجزمها . النشر (٢/٣٣٤) ، وإتحاف الفضلاء (٤١٨ - ٤١٩) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم (٨/٢٧٣٢ رقم ١٥٤٢١) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٨٧) لعبد بن حميد .

(٤) سقط من «الأصل» والمثبت من «ر» .

وعميانًا﴾ أي : لم يصمُّوا عنها ، ولم يعمَوْا عنها .

﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ أي : يرونهم مطيعين للّٰه ﴿واجعلنا للمتقين إمامًا﴾ يؤتم بنا في الخير . ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ كقوله : ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾[١]. ﴿ويلقون فيها تحيةً وسلامًا﴾ التحية : السلام .

﴿قل ما يعبؤا بكم﴾ ما يفعل بكم ﴿ربي لولا دعاؤكم﴾ لولا توحيدكم ﴿فقد كذبتم﴾ يعني : المشركين ﴿فسوف يكون لزامًا﴾ أي : أخذًا بالعذاب يعدهم يوم بدر ؛ فألزمهم اللّٰه يوم بدر عقوبة كفرهم وتكذيبهم فعذبهم بالسَّيف .

❁ ❁ ❁

(١) سبأ : ٣٧.

(ل٢٤٢) تفسير سورة طسم الشعراء
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾

قوله : ﴿طسم﴾ قال الحسن : لا أدري ما تفسيرها ، غير أن قومًا من السلف كانوا يقولون فيها : أسماء السور وفواتحها ﴿تلك آيات الكتاب﴾ هذه آيات القرآن ﴿المبين﴾ البيِّن ﴿لعلك باخع نفسك﴾ أي : قاتل نفسك إن لم يؤمنوا بهذا القرآن ؛ أي : فلا تفعل ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم﴾ يعني : فصارت أعناقهم ﴿لها خاضعين﴾ قال مجاهد : وذلك أنهم كانوا يسألون النبي أن يأتيهم بآية ، فهذا جوابٌ لقولهم .

قال محمدٌ : (فظلت) معناه : فتظل أعناقهم ؛ لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل ؛ تقول : إن تأتني أكرمتك ؛ معناه : أكرمك(١).

﴿وما يأتيهم من ذكر﴾ يعني : القرآن ﴿من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين﴾ يقول : كلما نزل من القرآن شيءٌ جحدوا به ﴿فقد كذبوا فسيأتيهم﴾ في الآخرة ﴿أنباء﴾ أخبار ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ في الدنيا ؛ يقول : فسيأتيهم تحقيق ذلك الخبر بدخولهم النار ﴿أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوجٍ كريم﴾ يعني : من كل صنف حسن ؛ فالواحد منه زوجٌ ﴿إن في ذلك لآية﴾ لمعرفة بأن الذي أنبت هذه الأزواج في الأرض قادرٌ على أن يحيي الموتى ﴿وما كان أكثرهم

(١) ينظر معاني القرآن للفراء (٢/٢٧٦ - ٢٧٧) ، البحر (٧/٥ - ٦) مجمع البيان (٤/١٨٤) .

مؤمنين﴾ يعني : من مضى من الأمم ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ في نقمته ﴿الرحيم﴾ بخلقه ، فأما المؤمن فتتم عليه الرحمة في الآخرة ، وأما الكافر فهو ما أعطاه في الدنيا ، فليس له إلا رحمة الدنيا ؛ فهي زائلةٌ عنه .

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري﴾ ولا ينشرح بتبليغ الرسالة فشجعني ؛ حتى أبلغها . ﴿ولا ينطلق لساني﴾ للعقدة التي كانت فيه . يقرأ بالرفع : (ويضيقُ صدري ولا ينطلقُ لساني) ، وبالنصب : (ويضيقَ صدري ولا ينطلقَ لساني)[1] أي : إني أخاف أن يكذبون ، وأخاف أن يضيق صدري ولا ينطلق لساني .

قال محمدٌ : ومن قرأهما بالرفع فعلى الابتداء[2].

﴿فأرسل إلى هارون﴾ [كقوله][3] ﴿وأشركه في أمري﴾ ﴿ولهم عليّ ذنبٌ﴾ أي : ولهم عندي ؛ يعني : القبطي الذي قتله خطأ حيث وكزه ، قال الله : ﴿كلا﴾ أي : ليسوا بالذين يصلون إلى قتلك ؛ حتى تبلغ عني الرسالة ، ثم استأنف الكلام فقال : ﴿فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ يقوله لموسى وهارون ، وهي كلمةٌ من كلام العرب ، يقول الرجل للرجل : من كان رسولك إلى فلانٍ؟ فيقول : فلانٌ ، وفلانٌ ، وفلانٌ .

قال محمدٌ : الرسول قد يكون بمعنى الجميع ؛ وإلى هذا ذهب يحيى ، وقد يكون أيضًا بمعنى الرسالة[4]؛ ومنه قول الشاعر :

---

(١) قرأ العامة بالرفع ، وقرأ بالنصب يعقوب والأعرج وطلحة وغيرهم . ينظر البحر (٧/٧) ، النشر (٢/٣٣٥) ، الإملاء (٢/٩٠) .

(٢) البحر (٧/٧ - ٨) ، مجمع البيان (١٨٦/٤) ، القرطبي (٩٢/١٣) .

(٣) من « ر » ، والآية من سورة طه ، رقم : ٣٢.

(٤) ينظر لسان العرب (رسل) .

لقد كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا فُهْت عندهم بسوءٍ ولا أرسَلْتهم بِرسُولِ[1]

أي : برسالة ؛ فمن تأول : (إنَّا رسولُ) على معنى : رسالة ، يقول : المعنى : إنا ذَوَا رسالةِ رب العالمين .

﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ فلا تمنعهم من الإيمان ، ولا تأخذ منهم الجزية ﴿قال ألم نربك فينا وليدًا﴾ أي : عندنا صغيرًا .

قال ابن عباس : لمَّا دخل موسى على فرعون عرفه عدوُّ الله ، فقال : ألم نربك فينا وليدًا ولبثت فينا من عمرك سنين لم تدَّع هذه النبوة .

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ يعني : وقتلت النفس التي قتلت .

قال محمدٌ : الأجود في القراءة والأكثر : (وفعلت فعلتك) بفتح الفاء[2]؛ لأنه يريد : قتلت النفس قتْلتك ؛ على مذهب المرَّة الواحدة[3].

﴿وأنت من الكافرين﴾ يعني : لنعمتنا ، أي : إنا ربَّيناك صغيرًا ، وأحسنَّا إليك ﴿قال فعلتها إذًا وأنا من الضالين﴾ (ل٢٤٣) تفسير قتادة[4]: يعني : من الجاهلين ، وكذلك هي في بعض القراءة[5].

﴿فوهب لي ربي حكمًا﴾ يعني : النبوة ﴿وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها عليَّ أن عبَّدت بني إسرائيل﴾ موسى يقوله لفرعون ، أراد : ألاّ يسوغ عدو الله ما امتن به عليه ؛ يقول : أتَمُنُّ عليَّ بأن

(١) البيت من بحر الطويل ، وهو لكثير عزة . ويروى ...(ما بُحت) ...إلخ . بدل (ما فهت) . ويروى (بسِرّ) بدل (بسوء) . ينظر ديوانه (١١٠) ، واللسان (رسل) وروي فيه (بليلى) بدل (بسر) ، وفي الديوان (برسيل) مكان (برسول) .

(٢) وهي قراءة العامة ، وقرأ الشعبي بكسر الفاء . ينظر : البحر (٧/١٠) ، المحتسب (٢/١٢٧) ، الجامع للقرطبي (١٣/٩٤) .

(٣) أي : اسم المرَّة . ينظر الدر المصون (٥/٢٧٠) .

(٤) رواه الطبري (١٩/٦٧) وابن أبي حاتم (٨/٢٧٥٥ رقم ١٥٥٦٥) .

(٥) وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس . ينظر البحر (٧/١١) معاني القرآن للفراء (٢/٢٧٩) ، جامع القرطبي (١٣/٩٥) .

اتخذت قومي عبيدًا وكانوا أحرارًا ، وأخذت أموالهم فأنفقت عليّ مِنها وربَّيْتني بها ، فأنا أحقُّ بأموال قومي منك .

قال محمدٌ : قوله : ﴿عبّدت﴾ يقال منه : عبْدٌ معبَّدٌ ومُسْتَعْبَدٌ ، وعبَّدتُ الغلام وأعْبَدته ؛ أي : اتخذته عبدًا(١). وقال حاتم(٢):

إِذَا كَانَ بَعْضُ المَالِ رَبًّا لِأَهْلِهِ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَالِي مُعَبَّدُ(٣)

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

---

(١) لسان العرب (عبد) .

(٢) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني أبو عدي شاعر جاهلي ، فارسي جواد ، يضرب به المثل في الجود ، توفي حوالي (٤٦ق هـ) ينظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (١٥١/٢)

(٣) ينظر : ديوانه (ص١٤) ، والأغاني (٣٨٧/١٧) .

قوله : ﴿قال﴾ فرعون ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم﴾ فيما يدّعي ﴿لمجنون﴾ .

﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبانٌ مبين...﴾ إلى قوله : ﴿ولأصلبنكم أجمعين﴾ قد مضى تفسير قصتهم في سورة الأعراف[١] .

﴿قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون﴾ .

قال محمدٌ : ﴿لا ضَيْرَ﴾ وهو من : ضاره يضوره ويضيره ؛ بمعنى : ضرّه ؛ أي : لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا[٢].

﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا﴾ بأن كُنَّا ﴿أول المؤمنين﴾ من السَّحرة .

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون﴾ أي : يتبعكم فرعون وقومه ﴿إن هؤلاء لشرذمةٌ قليلون﴾ أي : هم قليلٌ في كثير .

قال محمدٌ : معنى ﴿شرذمة﴾ : طائفة ، وأصل الكلمة : القِلَّة[٣].

قال قتادة[٤]: ذكر لنا أن بني إسرائيل الذين قطع موسى بهم البحر كانوا ستمائة ألف مقاتل .

قال الحسن : سوى الحشم . وكان مُقَدِّمةُ فرعون ألف ألف حصان ، ومائتي ألف حصان

---

(١) الأعراف : ١٢٣ - ١٢٧.

(٢) لسان العرب (ضور) .

(٣) أي الجماعة القليلة ، والجمع : شراذم . لسان العرب (شرذم) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٥/٩٢) لعبد بن حميد .

﴿وإنهم لنا لغائظون وإنَّا لجميع حَذِرون[١]﴾ وتقرأ : ﴿حاذِرُون﴾ .

قال محمدٌ : والحاذر عند أهل اللغة : المستَعِدُّ ، والحَذِرُ : المتيقِّظُ[٢].

﴿فأخرجناهم من جناتٍ وعيون وكنوز﴾ أي : أموال ﴿ومقام كريم﴾ منزل حسن ﴿كذلك﴾ أي : هكذا كان الخبر . ثم انقطع الكلام ، ثم قال : ﴿وأورثناها بني إسرائيل﴾ رجعوا إلى مصر بعد ما أهلك الله فرعون وقومه ؛ في تفسير الحسن ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ يعني : حين أشرقت الشمْسُ ؛ رجع إلى أوَّل القصة .

قال محمدٌ : معنى ﴿أتبعوهم﴾ : لحقوهم[٣]، ويقال : أشرقنا ؛ أي : دخلنا في الشروق ؛ كما يقال : أمسينا وأصبحنا : دخلنا في المساء والصباح ، ويقال : شَرَقَتْ الشمس إذا طلعت ، وأشرقت إذا أضاءت وصَفَت[٤].

﴿فلما تراءى الجمعان﴾ جمع موسى وجمع فرعون ﴿قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾ ﴿قال﴾ موسى ﴿كلاَّ إن معي ربي سيهدين﴾ إلى الطريق ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر﴾ جاءه جبريل على فرسٍ ، فأمره أن يضرب البحر بعصاه ؛ فضربه ﴿فانفلق﴾ البحر ﴿فكان كل فرقٍ كالطود العظيم﴾ والطَّوْدُ : الجبل[٥].

قال قتادة : صار اثني عشر طريقًا لكل سِبْطٍ طريقٌ ، وصار ما بين كل طريقين منه مثل القناطير ينظر بعضهم إلى بعضٍ ﴿وأزلفنا ثَمَّ الآخرين﴾ قال قتادة[٦]: يقول : أَدْنَيْنَا فرعون وجنوده إلى البحر . قال قتادة[٧]: يقال : أزلفني كذا ؛ أي : أدناني منه[٨] ﴿إن في ذلك لآية﴾ لعبرة لمن اعتبر

---

(١) بغير ألف وهي قراءة ابن عامر ، ونافع ، وأبي عمرو ، وابن كثير . وقرأ الباقون (حاذرون) .
ينظر : السبعة (٤٧١) ، النشر (٢/٢٣٥) ، التيسير (١٦٥) .
(٢) ويقال أيضًا : رجل حَذُر وحاذورة ؛ أي : متيقظ . لسان العرب (حذر) .
(٣) لسان العرب (تبع) .
(٤) ينظر ذلك كله من لسان العرب (شرق) .
(٥) أي : الجبل العظيم الذاهب صُعُدًا في الجو ، ويشبه به غيره من كل مرتفع أو عظيم أو راسخ ، والجمع : أطواد ، وطِوَدَة . لسان العرب (طود) .
(٦) رواه عبد الرزاق (٢/٧٤) والطبري (١٩/٨١) وابن أبي حاتم (٨/٢٧٧٤ رقم ١٥٦٨٠) .
(٧) في « ر » : محمد . ولعله الصواب ، والله أعلم .
(٨) ينظر لسان العرب (زلف) .

وحذر أن ينزل به ما نزل بهم .

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿فنظل لها عاكفين﴾ أي : نصير مقيمين على عبادتها .

﴿قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون﴾ أي : أنها لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ﴿فإنهم عدوٌّ لي إلا رب العالمين﴾ أي : إلا من عبد رب العالمين من آبائكم الأوَّلين ؛ فإنه ليس لي بعدوٍّ ؛ هذا تفسير الحسن ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ يعني : الذي خلقني وهداني ﴿والذي أطمع﴾ وهذا طمع يقين ﴿أن يغفر لي خطيئتي﴾ يعني : قوله : ﴿إني سقيمٌ﴾[(١)] وقوله : ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾[(٢)] وقوله لسارة : إن سألوك فقولي أنك أختي ﴿يوم الدين﴾ يريد : يدين اللَّهُ الناسَ فيه بأعمالهم (ل٢٤٤) أي : يجازيهم ﴿رب هب لي حكمًا﴾ أي : ثبتني على النبوة ﴿وألحقني بالصالحين﴾ يعني أهل الجنَّة .

﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ

(١) الصافات : ٨٩.

(٢) الأنبياء : ٦٣.

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿واجعل لي لسان صدقٍ في الآخرين﴾ فليس من أهل دينٍ إلا وهم يتولَّونه ويحبُّونه ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ وهو اسمٌ من أسماء الجنة .

﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ قال هذا في حياة أبيه ، وكان في طمع من أن يؤمن ، فلما تبيَّنَ له أنه من أهل النار لم يدعُ له ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ من الشرك .

﴿وأزلفت الجنة﴾ أي : أُدنيت ﴿وبُرزت الجحيم﴾ أظهرت ﴿للغاوين﴾ للمشركين .

﴿(وقيل لهم)(١) أين ما كنتم تعبدون من دون الله﴾ يعني : الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة من عبدوا من دون الله ﴿هل ينصرونكم﴾ يعني : هل يمنعونكم من عذاب الله؟ ﴿أو ينتصرون﴾ يمتنعون .

﴿فكُبكبوا فيها﴾ أي : قذفوا فيها ؛ يعني : المشركين ﴿هم والغاوون﴾ يعني : الشياطين .

قال محمدٌ : ﴿فكبكبوا﴾ أصله : كُبِبُوا ؛ من قولك : كبَبْت الإناء ، فأبدل من الباء الوُسْطي كافًا ؛ استثقالاً لاجتماع ثلاث باءات(٢).

﴿قالوا﴾ قال المشركون للشياطين ﴿وهم فيها يختصمون﴾ وخصومتهم تبرُّؤُ بعضهم من بعض ، ولعْن بعضهم بعضًا ﴿تالله إن كنا﴾ في الدنيا . أي : لقد كنا في الدنيا ﴿لفي ضلالٍ مبين﴾ بيِّن .

﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾ أي : نتخذكم آلهة ﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾ يعني : الشياطين ﴿فما لنا من شافعين﴾ يشفعون لنا اليوم عند الله ﴿ولا صديق حميم﴾ قريب القرابة ، فيحمل عنا ؛ كما كان يحمل الحميم عن حميمه في الدنيا ؛ قالوا هذا حين شُفِع للمذنبين من المؤمنين ؛ فأخرجوا منها ﴿فلو أن لنا كَرَّة﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فنكون من المؤمنين﴾ .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

(١) ما بين القوسين مكرر في الأصل .

(٢) ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٥/ ٢٨٠) .

وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ
حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ
تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى
وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ يعني: نوحًا ﴿إذ قال لهم أخوهم نوحٌ﴾ أخوهم في النَّسَبِ، وليس بأخيهم في الدين.

﴿وما أسألكم عليه﴾ على ما جئتكم به من الهدى أجرًا.

﴿إن أجري﴾ ثوابي ﴿إلا على رب العالمين﴾.

﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ يعني: السَّفلة ﴿قال وما علمي بما كانوا يعملون﴾ أي: بما يعملون، إنما نقبل منهم الظاهر، وليس لي بباطن أمرهم علمٌ.

﴿قالوا لئن لمْ تنته يا نوحُ لتكونن من المرجومين﴾ قال قتادة[١]: يعني: بالحجارة فلنقتلنَّك بها.

﴿فافتح بيني وبينهم فتحًا﴾ أي: اقض بيني وبينهم قضاءً؛ وهذا حين أُمِرَ بالدعاء عليهم، فاسْتُجِيب له فأهلكهم الله.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً
تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ
هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (٢٧٨٩/٨ رقم ١٥٧٧٨).
وعزاه السيوطي في الدر (٩٩/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

﴿أتبنون﴾ على الاستفهام ؛ أي : قد فعلتم ﴿بكل ريع﴾ بكل فجٍّ ﴿آية﴾ أي : علمًا ﴿تعبثون﴾ أي : تلعبون .

قال محمدٌ : الريعُ : الارتفاعُ من الأرض(١).

قال الشماخُ(٢):

سقى دار سُعْدَى حيثُ شطَّ بها النوى فأنعم منها كل ريعٍ وفَدْفَد(٣)

قوله : ﴿وتتخذون مصانع﴾ يعني : القصور ؛ ويقال : مصانع (للماء)(٤) ﴿لعلكم تخلدون﴾ في الدنيا ؛ أي : لا تخلدون فيها ، وفي بعض القراءة (كأنكم خالدون)(٥).

﴿وإذا بطشتم﴾ بالمؤمنين ﴿بطشتم جبارين﴾ يعني : قتَّالين بغير حق .

﴿إن هذا إلا خُلُق الأوَّلين﴾ يقول : خُلُقهم الكذب ، وتقرأ : ﴿إن هذا إلا (خَلْق(٦) الأوَّلين﴾ أي : هكذا كان الخَلْق قبلنا ونحن مثلهم ، عاشوا ما عاشوا ، ثم ماتوا ولا بعث عليهم ولا حساب .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا
هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ
ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ

(١) وقيل : المرتفع من الأرض . والجمع : رُيُوع وأرْياع ، ورِياع . ينظر : لسان العرب (ريع) .

(٢) هو الشماخ بن ضرار الذبياني من طبقة النابغة ، كان من أرجز الناس على البديهة (ق٢هـ) تنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام (١٧٥/٣) .

(٣) لم أجده في ديوان الشماخ ، والبيت من بحر الطويل .

(٤) في « ر » : مصانع لها .

(٥) هي ليست منسوبة إلى قارئ فيما وقفت عليه من مصادر ، ينظر : البحر (٣٢/٧) ، جامع القرطبي (١٢٤/١٣) .

(٦) (خَلْق) بفتح الخاء وإسكان اللام ، وهي قراءة أبي عمرو ، وابن كثير ، والكسائي . ينظر : السبعة (٤٧٢) ، التيسير (١٦٦) ، النشر (٣٣٥/٢) .

فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿أتتركون فيما ها هنا آمنين﴾ على الاستفهام ؛ أي : لا تتركون فيه .

﴿ونخل طلعها هضيم﴾ هشيمٌ ؛ أي : إذا مُسّ تهشم للينه[١]؛ هذا تفسير مجاهد[٢] ﴿وتنحتون من الجبال بيوتًا فارهين﴾ قال مجاهد[٣]: يعني : شرهين وهو من شَرَهِ النَّفْس .

﴿إنما أنت من المسحَّرين﴾ تفسير الحسن[٤] ومجاهد[٥]: يعني : من المسحورين .

قال محمدٌ : كأنه فُعِل ذلك به مرّة بعد مرة ، ولذلك شُدِّد[٦].

﴿ما أنت إلا بشرٌ مثلنا فأتِ بآية إن كنت من الصادقين﴾ قالوا له : إن كنت صادقًا فأخرجْ لنا من هذه الصخرة ناقةً ، وكانت صخرة يحلبون عليها اللَّبَن في سنتهم ؛ فدعا الله فتصدَّعت الصّخرة (ل٢٤٥) فخرجت منها ناقة عُشَراء فنتجت فصيلاً .

قال محمدٌ : (عُشراء) يعني : حاملاً قريبة الولادة[٧].

﴿قال هذه ناقة لها شربٌ ولكم شرب يوم معلوم﴾ كانت تشرب الماء يومًا ويشربونه يومًا ؛ حتى إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ، وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ومواشيهم وأرضهم ، وكان سبب عقرهم إياها : كانت تضر بمواشيهم كانت المواشي إذا رأتها هربت منها ؛ فإذا كان الصَّيْف صافَت الناقة بظهر الوادي في برده وخصبه ، وهبطت مواشيهم إلى بطن الوادي في جدْبه

---

(١) لسان العرب (هضم) .

(٢) رواه الطبري (١٩/ ٩٩، ١٠٠) وابن أبي حاتم (٩/٢٨٠٢ رقم ١٥٨٥٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٠٠) للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) رواه الطبري (١٩/١٠١) وابن أبي حاتم (٩/٢٨٠٢ رقم ١٥٨٥٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٠١) للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) رواه الطبري (١٩/١٠٢) .

(٥) رواه الطبري (١٩/١٠٢) وابن أبي حاتم (٩/٢٨٠٤ رقم ١٥٨٦٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٠١) للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) يقال : سحَّر فلانًا : أي : سحره مرةً بعد مرة حتى تخبَّل عقله . لسان العرب (سحر) .

(٧) وقيل : العُشَراء : ما مضى على حملها عشرة أشهر . والجمع : عِشار . لسان العرب (عشر) .

وحرّه ، وإذا كان الشتاء شتّت الناقة في بطن الوادي في دفئه وخصبه ، وصعدت مواشيهم إلى ظهر الوادي في جذبه وبَرْده ؛ حتى أضرَّ ذلك بمواشيهم للأمر الذي أراد الله ، فبينما قوم منهم يومًا يشربون الخمر ، ففني الماء الذي يمْزُجُون به ، فبعثوا رجلاً ؛ ليأتيهم بالماء ، وكان يوم شِرْب الناقةِ فرجع إليهم بغير ماء ، وقال : حالت الناقة بيني وبين الماء! ثم بعثوا آخر ؛ فقال مثل ذلك . فقال بعضهم لبعض : ما تنتظرون ؛ فقد أضرّتْ بنا وبمواشينا؟! فانبعث أَشْقَاها فقتلها ، وتصايحوا وقالوا : عليكم الفصيل[١]. وصعِدَ الفصيلُ الجبلَ فقال لهم صالح : ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾[٢].

قال قتادة : ذكر لنا أن صالحًا حين أخبرهم أن العذاب يأتيهم لبسوا الأنطاع[٣] والأَكْسِية واطَّلَوْا[٤]، وقال لهم : آية ذلك أن تصْفرّ وجوهُكم في اليوم الأول ، وتحمرّ في الثاني ، وتسْوَدّ في اليوم الثالث . فلما كان في اليوم الثالث استقبل الفصيل القبلة ، فقال : يا رب ، أمي! يا رب ، أُمي! يا رب ، أُمي! فأرسل الله عليهم العذابَ عند ذلك .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾

قوله : ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ يعني : أقبال[٥] النساء ﴿بل أنتم قومٌ عادون﴾ أي : مجاوزون لأمر الله ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾ من قريتنا ؛ أي :

---

(١) المراد : ولد الناقة . لسان العرب (فصل) .

(٢) هود : ٦٥.

(٣) واحدها : نطع - بفتح النون وكسرها ، وبإسكان الطاء وفتحها وكسرها ؛ لغات فيه - وهو بساط من الجلد ، وهو أيضًا نوع من الأكسية ويجمع على : أنطاع ونُطوع وأَنْطُع . لسان العرب (نطع) .

(٤) أي : ادهنوا . لسان العرب (طلى) .

(٥) أي : فروجهن ، الواحد : قُبُل . لسان العرب (قبل) .

نقتلك ﴿قال إني لعملكم من القالين﴾ يعني : المبغضين .

﴿إلا عجوزًا في الغابرين﴾ يعني : الباقين في عذاب الله .

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

﴿كذب أصحاب ليكة المرسلين﴾ والأيكة : الغيْضَةُ[١].

قال محمدٌ : قراءة أهل المدينة في هذه السورة ، وفي سورة « ص »[٢] بغير ألف ، وقد ذكرت ما قاله أبو عبيد[٣] في الفرق ، بين ليكة والأيكة في سورة الحجر[٤].

﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ يعني : المنتقصين لحقوق الناس ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ يعني : العدل ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي : لا تنقصوهم الذي لهم ، وكانوا أصحاب نقصان في الميزان ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ قد مضى تفسيره[٥].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾

﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأوّلين﴾ يعني : الخليقة .

---

(١) وهي الشجر الكثير الملتف ، والجمع : أيْك . لسان العرب (أيك) .

(٢) ص : ١٣.

(٣) كذا في الأصل وفيما تقدم في تفسير سورة الحجر ، وفي « ر » هنا : أبو عبيدة .

(٤) عند تفسير الآية ٧٨ وقد ذكر الآلوسي (١١٧/١٩) أن أبا عبيدة قال : وجدنا في بعض كتب التفسير أن (ليكة) اسم للقرية ، و(الأيكة) البلاد كلها كمكة وبكة . وقد قرأ نافع وابن كثير وابن عامر : (ليكة) ، وقرأ الباقون : (الأيكة) . ينظر : السبعة (٤٧٣) ، النشر (٣٣٦/٢) وقد سبق التعليق على هذه القراءة .

(٥) البقرة : ٦٠، والأعراف : ٧٤، وهود : ٨٥.

﴿فأسقِطْ علينا كسفًا من السماء﴾ أي: قطعًا.

﴿فأخذهم عذابُ يوم الظُّلَّة﴾ قال قتادة: كانوا أهل غيضةٍ وشجر، وكان أكثر شجرهم الدّوم[1]، فسلط الله عليهم الحرّ سبعة أيام، فكان لا يكنُّهم[2] ظلٌّ، ولا ينفعهم منه شيءٌ، فبعث الله عليهم سحابة فلجئوا تحتها يلتمسون الرَّوْح؛ فجعلها الله عليهم عذابًا، جعل تلك السحابة نارًا، فاضطرمت عليهم، فأهلكهم بذلك.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ
عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ
نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ يعني: القرآن ﴿نزل به الروح الأمين﴾ يعني: جبريل ﴿على قلبك﴾ يا محمدُ.

﴿وإنه لفي زُبر الأولين﴾ كتُب الأولين؛ يقول: نعت محمدٍ وأُمّته في كتبهم؛ يعني: التوراة والإنجيل ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ يعني: من آمن منهم؛ أيْ: قد كان لهم في إيمانهم به آية.

(يكن) تقرأ بالتاء والياء[3]. فمن قرأها بالتاء، قال: (آيةٌ) بالرفع؛ أي: قد كانت لهم آية، ومن جعلها عملاً في باب كان[4].

قال محمدٌ: من قرأ: (آية) بالنصب، جعلها عملاً لكان، والاسمُ (أن يعلمه) (ل٢٤٦) ومن

---

(١) وهو شجر عظام من الفصيلة النخيلية، ويعرف بالمُقْل والأَبْلم، وثمرته في غلظ التفاحة ذات قشر صلب أحمر. المعجم الوسيط (دوم).

(٢) لا يسترهم ولا يحفظهم. المعجم الوسيط (كنن).

(٣) قرأ بالتاء ورفع (آية): ابن عامر، وقرأ الباقون بالياء ونصب (آية). ينظر: السبعة (٤٧٣)، النشر (٢/٣٣٦)، التيسير (١٦٦)، البحر (٧/٤١).

(٤) ينظر التفصيل النحوي لذلك من إعراب القرآن (٢/٥٠١)، البحر (٧/٤١)، مجمع البيان (٤/٢٠٣).

قرأ ﴿آيةٌ﴾ بالرفع جعلها اسمًا لكان و (أن يعلمه) خبرها وعملها ، وهذا الذي أراد يحيى .

﴿ولو نزَّلناه على بعض الأعجمين﴾ يقول : لو أُنزلناه بلسانٍ أعجمي إذًا لم يفقهوه .

قال محمدٌ : الأعجمين جمعُ أعجم ، والأنثى عجماء ؛ يقال : رجُلٌ أعْجَم ؛ إذا كانت في لسانه عُجْمَةٌ ، وإن كان عربي اللسان[(١)]، ورجلٌ أعجمي إذا كان من العَجَم وإن كان فصيح اللسان[(٢)].

﴿كذلك سلكْناه﴾ أي : سلكنا التكذيب به ﴿في قلوب المجرمين﴾ المشركين ﴿لا يؤمنون به﴾ بالقرآن ﴿حتى يَرَوا العذاب الأليم﴾ يعني : قيام الساعة ﴿فيقولوا﴾ عند ذلك : ﴿هل نحن منظرون﴾ أي : مردودون إلى الدنيا فنؤمن ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ أي : قد استعجلوا به .

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ يعني : العذاب ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يُمتَّعون﴾ .

﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ أي : إلا من بعد الحجَّة والرُّسل والإعْذار ﴿ذكرى وما كنا ظالمين﴾ أي : ما كنا لنعذبهم إلا من بعد البيِّنة والحُجَّة .

قال محمدٌ : ﴿ذكرى﴾ قد تكون نَصْبًا وتكون رفْعًا ، فالنَّصْبُ على المصْدر على معنى : ﴿إلا لها منذرون﴾ ؛ أي : مذكرون ذِكْرًا ، والرفع على معنى : إنذارُنا ذكرى ؛ أي : تذكرةٌ[(٣)]؛ يقالُ : ذكرتُه ذكْرى بألف التأنيث ، وذِكْرًا وتذكيرًا وتَذْكِرةً[(٤)].

---

(١) في « ر » : عربي النسب .

(٢) ينظر لسان العرب (عجم) ، وكشف المشكلات (٢/٩٩٨) .

(٣) ينظر تفصيل ذلك من البحر المحيط (٧/٤٤ - ٤٥) ، الدر المصون (٥/٢٩١) .

(٤) إنما يقال : ذَكَرْتُه ذِكْرى وذِكْرًا وذُكْرًا وتَذْكارًا . ويقال : ذكَّرْته تذكيرًا وتذكرة . لسان العرب ، القاموس المحيط (ذكر) .

﴿وما تنزلت به﴾ يعني : القرآن ﴿الشياطين وما ينبغي لهم﴾ أن ينزلوا به ؛ أي : لا يستطيعون ذلك .

﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ وكانوا من قبل أن يبعث النبي يستمعون أخبارًا من [أخبار][1] السماء ، فأما الوحي فلمْ يكونوا يقدرون على أن يسمعوه ؛ فلما بُعِث النبي ﷺ مُنعوا من تلك المقاعد التي كانوا يستمعون فيها ، إلا ما يسترق أحدهم فيُرمى بالشهاب ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ تفسير الكلبي : « أن رسول الله ﷺ خرج حتى قام على الصَّفَا وقريشٌ في المسجد ، ثم نادى : يا صباحاه[2]! ففزع الناس فخرجوا ، فقالوا : ما لك يا ابن عبد المطلب؟! فقال : يا آل غالب . قالوا : هذه غالبٌ عندك . ثم نادى يا آل لؤي . ثم نادى يا آل مُرَّةَ . ثم نادى يا آل كعْب . ثم نادى يا آل قصي . فقالت قريش : أنذر الرجل عشيرته الأقربين انظروا ماذا يريد ، فقال له أبو لهب : هؤلاء عشيرتك قد حضروا فما تريد؟ فقال رسول الله : أرأيتم لو أنذرتكم أنَّ جيشًا يصبحونكم أصَدَّقتموني؟ قالوا : نعم . قال : فإني أنذركم النار ، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيبًا ، إلا أن تقولوا : لا إله إلا الله . فقال أبو لهب : تبًّا لك[3]! فأنزل الله ﴿تبتْ يدا أبي لهب﴾ فتفرقت عنه قريش وقالوا : مجنونٌ يَهْذِي من أمِّ رأسه »[4].

﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ كقوله : ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾[5].

قال محمدٌ : من كلام العرب : اخفضْ جناحك ؛ يعني : ألن جناحك[6].

---

(١) من « ر » .

(٢) هذه كلمة يقولها المستغيث ، وأصلها إذا صاحوا للغارة ؛ لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح ، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح ؛ فكأن القائل : يا صباحاه يقول : قد غشينا العدو . وقيل : إن المتقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال ؛ فإذا عاد النهار عاودوه ، فكأنه يريد بقولة : يا صباحاه : قد جاء وقت الصباح ، فتأهبوا للقتال . ينظر لسان العرب (صبح) ، النهاية في غريب الحديث (٧/٣) .

(٣) أي : خُسْرانًا وهَلاكًا . لسان العرب (تبب) .

(٤) روى البخاري (٣٦٠/٨ رقم ٤٧٧٠) ومسلم (٢٠٢/١ رقم ٢٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه . وفي الباب عن غير واحدٍ من الصحابة ﷺ ، انظر الدر المنثور (١٠٤/٥ - ١٠٦) .

(٥) آل عمران : ١٥٩.

(٦) وتواضع لهم . لسان العرب (خفض) .

﴿فإن عصوْك﴾ يعني: المشركين ﴿فقل إني بريءٌ مما تعملون﴾ .

﴿الذي يراك حين تقوم﴾ في الصلاة وَحْدَك ﴿وتقلُّبَك في الساجدين﴾ يعني: في صلاة الجماعة؛ في تفسير بعضهم.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

﴿هل أنبئكم﴾ ألا أنبئكم ﴿على من تنزّل الشياطين تنزل على كل أفّاكٍ أثيم﴾ يعني: الكهنة.

﴿يلقون السمع﴾ كانت الشياطين تصعد إلى السماء تستمع، ثم تنزل إلى الكهنة فتخبرهم، فتحدث الكهنة بما تنزلت به الشياطين، وتخلط به الكهنةُ كذبًا كثيرًا، فيحدثون به الناس، وأمّا ما كان من سمع السماء، فيكون حقًّا، و[أما][1] ما [كان][1] خلطوا به من الكذب يكونُ كذبًا ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ يعني: جماعتهم ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ يعني: الشياطين ﴿ألم تر أنهم في كل وادٍ﴾ أي: من أودية الكذب ﴿يهيمون﴾ .

قال محمدٌ: يعني: يذهبون.

﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ قال قتادة[2]: (ل٢٤٧) يعني: يمدح قومًا بباطلٍ، ويذم قومًا بباطل، ثم استثنى فقال: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ .

قال قتادة: استثنى اللّه الشعراء من المؤمنين؛ منهم: حسان بن ثابت[3]، وعبد اللّه بن رواحة[4]

---

(١) من «ر».

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٥/١٠٩) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) هو شاعر الرسول ﷺ، أسلم بعد الهجرة، وعمِّر بعد وفاة النبي ﷺ وتوفي نحو سنة ٥٤ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢/٥١٢) طبقات فحول الشعراء (٣١٥).

(٤) هو أبو محمد عبدالله بن رواحة، الصحابي الفارس الشاعر أنصاري خزرجي، من المسلمين الأوائل. استشهد سنة ٨هـ. ينظر الجرح والتعديل (٥/٥٠) حلية الأولياء (١/١١٨)، العبر للذهبي (١/٩) تهذيب التهذيب (٣/١٤٠).

وكعب بن مالك[١] ﴿وانتصروا من بعد ما ظُلِموا﴾ أي: انتصروا بالكلام؛ يعني: [هَجَوْا][٢] عن نبي الله من بعد ما ظلمهم المشركون ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ أشركوا من الشعراء وغيرهم ﴿أي منقلبٍ ينقلبون﴾ من بينْ يدَي الله يوْم القيامة؛ أي: أنهم سينقلبون من بين يديه إلى النار.

قال محمدٌ: ﴿أي﴾ بالنصْب؛ لأنها من أسماء الاستفهام، لا يعمل فيها ما قبلها[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) وهو الأنصاري الخزرجي، أحد شعراء الرسول ﷺ ومن السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة، ومن الثلاثة المخلفين في تبوك الذين تاب الله عليهم وشهد مع رسول الله أكثر الوقائع. ينظر: شذرات الذهب (٥٦/١)، العبر (٥٦/١)، تهذيب التهذيب (٥٩٦/٤).

(٢) في الأصل (هاجوا)، وهو تحريف عن الصواب.

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٥٠٦/٢)، البحر (٤٩/٧ - ٥٠)، مجمع البيان (٢٠٧/٤)، البيان (٢١٧/٢).

تفسير سورة النمل وهي مكية كلها

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾

قوله: ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ بيِّن ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ يهتدون به، ويبشّرون بالجنة ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخَمْس يحافظون على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ﴿ويؤتون الزكاة﴾ المفروضة ﴿وإنك لتُلقّى القرآن﴾ أي: لتأخذه ﴿من لدن﴾ أي: من عند ﴿حكيم﴾ في أمره ﴿عليم﴾ بخلقه؛ يعني: نفسه تبارك وتعالى.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝١٢ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣﴾

﴿إذ قال موسى لأهله﴾.

قال محمدٌ: قيل: المعنى: اذكر إذ قال موسى لأهله.

﴿إني آنست نارًا﴾ أي: أبصرت ﴿سآتيكم منها بخبر﴾ الطريق وكان على غير طريق ﴿أو آتيكم بشهاب قبسٍ لعلكم تصطلون﴾ لكي تصطلوا.

قال محمدٌ : كلُّ ذي نور فهو شهاب في اللغة[١]، والقبس : النار تُقتبس ؛ تقول : قبَسْتُ النار قبْسًا ، واسمُ ما قَبسْتَ : قَبَسٌ[٢].

﴿فلما جاءها نودي أن بورك﴾ بأن بُورك ﴿من في النار﴾ يعني : نفسه ، ولم تكن نارًا ، وإنما كان ضوء نور رب العالمين وكان موسى يرى أنها نارٌ ﴿ومن حولها﴾ يعني : الملائكة ، وهي في مصحف أبي بن كعب : « نودي أن بوركت النار ومن حولها »[٣].

﴿فلما رآها تهتز كأنها جانٌ ولّى مدبرًا﴾ من الفَرَق ﴿ولم يعقب﴾ يعني : ولم يرجع .

قال محمد : قال ها هنا ﴿كأنها جان﴾ والجان : الصغير من الحيَّات[٤]. وقال في موضع آخر : ﴿فإذا هي ثعبانٌ مبين﴾[٥] والثعبان : الكبير من الحيَّات . قيل : فالمعنى - والله أعلم - أن خَلْقَها خلق الثعبان العظيم واهتزازها وحركتها كاهتزاز الجانِّ ؛ وهذا من عظيم القدرة .

﴿يا موسى لا تخف إني لا يخاف لديَّ المرسلون﴾ أي : عندي ﴿إلا من ظلم ثم بدَّل حسنًا بعد سوء﴾ تفسير الحسن : لا يخاف لدي المرسلون في الآخرة وفي الدنيا ﴿إلا من ظلم ثم بَدَّل حسنًا بعد سوءٍ فإني غفورٌ رحيم﴾ أي : فإنه لا يخاف عندي . وكان موسى ممَّن ظلم ، ثم بدَّل حسنًا بعد سوءٍ ، فغفر الله له ؛ وهو قتل ذلك القبطي لمْ يتعمَّد قتله ، ولكن تعمَّد وكزه .

قال محمدٌ : قوله : ﴿إلاَّ من ظلم﴾ قيل : هو استثناءٌ ليس من الأول[٦]؛ المعنى - والله أعلم - : لكن من ظلم من المرسلين وغيرهم ، ثم تاب .

﴿وأدخل يدك﴾ أي : في جيبك ؛ أي : في جيب قميصك ﴿تخرج بيضاء من غير سوءٍ﴾ قال الحسن[٧]: أخرجها - والله - كأنها مصباح ﴿في تسع آيات﴾ يعني : يده ، وعصاه ، والطوفان ،

---

(١) ويجمع على : شُهُب ، وشُهْبان ، وأَشْهُب . لسان العرب (شهب) .
(٢) أي : أن القَبْس هو المصدر ، والقَبَس هو الاسم . لسان العرب (قبس) .
(٣) وهي قراءة أبيّ ، وابن عباس ، ومجاهد . ينظر : جامع القرطبي (١٥٨/١٣) ، الإعراب للنحاس (٥٠٩/٢) ، الكشاف (١٣٧/٣) .
(٤) وهذا النوع من الحيَّات أكحل العينين ، يضرب إلى الصُّفرة ، لا يؤذي والجمع : جِنَّان ، وجَوَانّ . المعجم الوسيط (جنن) .
(٥) الأعراف : ١٠٧ ، و الشعراء : ٣٢.
(٦) ينظر : البحر المحيط (٥٧/٧) ، الدر المصون (٢٩٨/٥) .
(٧) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٢٨٥٠/٩ رقم ١٦١٥٩) .

والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص الأموال والأنفس والثمرات.

قال محمدٌ: وقوله: ﴿في تسع﴾ أي: من تسع ﴿في﴾ بمعنى (من)[1].

﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرةً﴾ أي: بيّنة.

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ أنها من عند الله، قال قتادة[2]: والجَحْدُ لا يكون إلا من بعد المعرفة ﴿ظلمًا﴾ لأنفسهم ﴿وعلوًّا﴾.

قال محمدٌ: يعني: ترفُّعًا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى.

﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ كان عاقبتهم أن دمَّر الله عليهم ثم صيرهم إلى النار.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

(ل٢٤٨) ﴿وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ على كثير من أهل زمانهما من المؤمنين ﴿وورث سليمان داود﴾ قال قتادةُ[3]: يعني: ورث نبوّته وملكه.

قال محمدٌ: روي أنه كان لداود تسعة عشر ولدًا، فورث سليمان من بينهم نبوّته وملكه.

﴿وأوتينا من كل شيءٍ﴾ يعني: كل شيءٍ أُوتي منه ﴿فهمْ يوزعون﴾ أي: يُدْفَعُون ألاَّ يتقدّمه

---

(١) ينظر تفصيل ذلك من إعراب القرآن (٥١١/٢)، مجمع البيان (٢١٢/٤)، البحر (٥٨/٧).

(٢) رواه ابن أبي حاتم (٢٨٥٢/٩ رقم ١٦١٦٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (٢٨٥٤/٩ رقم ١٦١٨٣).

وعزاه السيوطي في الدر (١١٢/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

منهم أحدٌ ؛ في تفسير الحسن ، قال قتادةُ[١]: على كل صنفٍ منهم وَزَعَةٌ[٢] تَرُدُّ أولاهم على أخراهم ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل﴾ قال قتادة[٣]: هو وَادٍ بالشام .

﴿قالت نملةٌ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنَّكم سليمان وجنوده﴾ قال الله : ﴿وهم لا يشعرون﴾ أن سليمان يَفْهَمُ كلامَهُمْ .

قال محمدٌ : لفظ النمل أُجْرِي ها هنا مُجْرَى لَفْظِ الآدميين حين نطق ؛ كما ينطق الآدميُّون .

﴿فتبسَّم﴾ سليمان ﴿ضاحكًا من قولها وقال رب أوزعني﴾ أَلْهِمْني .

قال محمدٌ : تأويل (أوزعني) : كُفَّنِي عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك .

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وتفقَّد الطير﴾ قال قتادة[٤]: ذُكِرَ لنا أن سليمان أراد أن يأخذَ مفازةً فدعا بالهُدْهُدِ ليعلم له مسافة الماء ، وكان قد أُعْطِي من البصر بذلك ما لمْ يعْطه غيره من الطير ، وقال الكَلْبي : كان يدلُّه على الماء إذا نزل الناس ، فيخبره كم بينه وبين الماء من قَامَةٍ[٥] ﴿لأعذبنَّه عذابًا شديدًا أو لأذبحنه﴾ قال قتادة[٦]: وعذابه أن ينتف ريشه ويذره في المنهل[٧]؛ حتى يأكله الذَّرُّ[٨] والنمل ﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ بعذرٍ بيِّنٍ ﴿فمكث غير بعيد﴾ أي : رجع من ساعته ﴿فقال أحطت بما لم تحطْ به﴾

---

(١) رواه عبد الرزاق (٧٩/٢) وابن أبي حاتم (٢٨٥٧/٩ رقم ١٦١٩٦) .

(٢) واحدها : وازِع ، وتُجمع أيضًا على : وُزَّاع . لسان العرب (وزع) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم (٢٨٥٧/٩ رقم ١٦١٩٨) .

(٤) رواه ابن أبي حاتم (٢٨٦١/٩ رقم ١٦٢١٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (١١٤/٥ - ١١٥) لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٥) وهي وحدة قياس طولها ست أقدام ، تستخدم عادة في قياس أعماق البحر . والجمع : قامات . المعجم الوسيط (قوم) .

(٦) رواه عبد الرزاق (٧٩/٢) وابن أبي حاتم (٢٨٦٢/٩ رقم ١٦٢٢٧) .

(٧) هو المورد ؛ أي : الموضع الذي فيه المشرب ، وقيل : المفازة . لسان العرب (نهل) .

(٨) هو صغار النمل . لسان العرب (ذرر) .

قال الحسن : يقول : علمت ما لمْ تعلم ﴿وجئتك من سبإ بنبإ يقين﴾ أي : بخبر حق . و(سبأٌ) في تفسير الحسن وقتادة[1]: أرض باليمن ، وقال ابن عباسٍ : « سُئِل رسول الله ﷺ عن سبإ ، فقال : هو رجلٌ »[2].

قال محمدٌ : ذكر أبو عبيْد ؛ أن الحسن كان يقرأ : ﴿من سَبَأَ﴾ منصوبة غير مجراة[3]: قال : وتفسيرها : اسمٌ مؤنث لامرأة أو قبيلة ، والذي يُجْرِي يذهب إلى أنه اسم رجُل[4].

قال محمدٌ : ومن قال : هو اسمُ رجل ، فالمعنى : أن القبيلة أو الأرض سميت باسم ذلك الرجل .

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (٢٨٦٤/٩ رقم ١٦٢٤٢) .

(٢) رواه الإمام أحمد (٣٣٦/١) وعبد بن حميد - كما في تفسير ابن كثير (٥٤٧/٣) - وابن عدي في الكامل (٥/ ٢٥١) من طريق عبد الله بن لهيعة ، عن عبد الله بن هبيرة السبائي ، عن أبي وعلة المصري ، عن ابن عباس ﷺ .
وقال ابن عدي : وهذا لا أعلمه يرويه غير ابن لهيعة بهذا الإسناد .
وقال ابن كثير : وهذا إسناد حسن ، ولم يخرجوه .
ورواه الحاكم (٤٢٣/٢) من طريق عبد الله بن عياش القتباني ، عن عبد الله بن هبيرة السبائي به . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٠/١٢ رقم ١٢٩٩٢) من طريق ابن لهيعة ، عن علقمة ابن وعلة ، عن ابن عباس - وسقط من المطبوع : « عن ابن عباس » - به .
وقال الهيثمي في المجمع (٩٤/٧) : رواه أحمد والطبراني ، وفيه ابن لهيعة ، وفيه ضعف ، وبقية رجالهما ثقات .
ورواه أبو داود (٣٧٤/٤ رقم ٣٩٨٤) والترمذي (٣٣٦/٥ - ٣٣٧ رقم ٣٢٢٢) والبخاري في تاريخه (١٢٦/٧ - ١٢٧) والطبراني (١٨/ ٣٢٣ - ٣٢٦ رقم ٨٣٤ - ٨٣٦، ٨٣٨) والحاكم (٤٢٤/٢) عن فروة بن مسيك ﷺ .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .
وقال ابن عبد البر في ترجمة فروة بن مسيك من الاستيعاب : حديثه في سبأ حديث حسن .
وقال ابن كثير في تفسيره (٥٤٨/٣) : وهذا أيضًا إسناد حسن .
وفي الباب عن عدة من الصحابة ، منهم تميم الداري - وقيل : إنه تميم آخر - ويزيد بن حصين . انظر تفسير ابن كثير (٥٤٧/٣ - ٥٤٨) والدر المنثور (٢٥١/٥) ، والمجمع (٩٤/٧) ، والإصابة (٤/٢ - ٥) .

(٣) غير مجراة ؛ أي : غير منونة ؛ وهي قراءة أبي عمرو والبزي ، وروى قنبل بإسكان الهمزة ، وقرأ الباقون بالجر والتنوين . ينظر : السبعة (٤٨٠) ، التيسير (١٦٧) ، النشر (٣٣٧/٢) ، البحر (٦٦/٧) .

(٤) ينظر : البحر (٦٦/٧) ، إعراب القرآن (٥١٦/٢ - ٥١٧) ، البيان (٢٢١/٢) .

﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وأوتيت من كل شيء﴾ أي: من كل شيء أوتيت منه ﴿ولها عرشٌ عظيم﴾ أي: سرير حسن. قال قتادة[1]: كان من ذَهَبٍ، وقوائمه لؤلؤٌ وجوهرٌ، وكان مسترًا بالديباج والحرير، وكانت عليه سبع مغاليق، وكانت دونه سبعة أبيات مغلّقة.

﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ قال الحسن: كانوا مَجُوسًا ﴿وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل...ألاّ يسجدوا لله﴾ أي: فصدهم عن الطريق بتركهم السجود لله ﴿الذي يخرج الخبء﴾ يعني: الخبيئة[2] ﴿في السموات والأرض﴾ أي: يعلم السر في السموات والأرض ﴿قال سننظر أصدقت ...﴾ إلى قوله: ﴿يرجعون﴾ قال قتادة[3]: ذكر لنا أنها امرأة من أهل اليمن، كانت في بيت مملكة يقال لها: بلقيس ابنةُ شُرَحْبِيل، فهلك قومُها فَمَلكت، وأنّها كانت إذا رقدت غلقت الأبواب، فلما غلقت الأبواب وأَوَتْ إلى فراشها، أتاها الهدهد حتى دخل من كُوَّة بيتها، فقذف الصحيفة على بطنها؛ فأخذت الصحيفة فقرأتها فقالت: ﴿يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم ...﴾ حسن؛ أي: حسن ما فيه، الآية.

﴿ألا تعلوا عليّ﴾ أيْ: لا تتخلفوا عني ﴿وأتوني مسلمين﴾ قال الكَلْبي: أي مُسْتَسْلِمين؛ ليس يعني: الإسلام.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (١١٨/٥) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) هو في اللغة: المدَّخر والمخبوء، والمراد في الآية بالخبء الذي في الأرض: النبات، وبالخبء الذي في السماء: المطر. لسان العرب، المعجم الوسيط (خبأ).

(٣) رواه عبد الرزاق (٨٠/٢ - ٨١) وابن أبي حاتم (٢٨٧٠/٩ رقم ١٦٢٨٧).

حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿قالت يا أيها الملأ ...﴾ إلى قوله: ﴿ماذا تأمرين﴾ قال قتادة[1]: ذكر لنا أنه كان لها ثلاثمائة (ل٢٤٩) وثلاثة عشر رجلاً أهل مشورتها كل رجل منهم على عشرة آلاف.

قال محمدٌ: القراءة في قوله: ﴿حتى تشهدون﴾ بكسر النون[2]، وأصله: (تشهدونني) فحذفت النون الأولى للنصب، وحذفت الياء؛ لأنها آخر آية، والكسرة تدل عليها.

﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ قال الله: ﴿وكذلك يفعلون﴾.

﴿وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرةٌ بم يرجع المرسلون﴾ تقول: إن قبل هديتنا فهو من الملوك، وليس من أهل النبوة؛ كما ينتحل.

قال مجاهدٌ[3]: بعثت إليه بجوارٍ قد لبستهنَّ لِبْسة الغلمان، وبغلمان قد ألبستهم لبسة الجواري؛ فخلص سليمان بعضهم من بعض، ولم يقبل هديّتها.

قال محمدٌ: قوله (بم) بحذف الألف؛ لأن حروف الجر مع (ما) في الاستفهام تحذف معها الألف من (ما) لِيُفْصَل بين الخبر والاستفهام[4].

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/٨٠ - ٨١).
وعزاه السيوطي في الدر (٥/١١٧) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) وهي قراءة العامة، وقرأ يعقوب (تشهدوني) وصلاً ووقفًا. ينظر: الإتحاف (٣٦٦)، النشر (٢/٢٤٠).

(٣) رواه الطبري (١٩/١٥٥) وابن أبي حاتم (٩/٢٨٧٧ رقم ١٦٣٣٠).
وعزاه السيوطي في الدر (٥/١١٨) للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) ينظر: البحر (٧/٧٤)، القرطبي (١٣/١٩٧)، الطبري (١٩/٩٨) الدر المصون (٥/٣١٣).

مَقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ارجع إليهم﴾ قال قتادة[1]: يعني: الرسل ﴿فلنأتينهم بجنودٍ لا قبل لهم بها﴾ أي: لا طاقة.

﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها﴾ يعني: سريرها ﴿قبل أن يأتوني مسلمين﴾ أي: مُقرِّين بالطاعة؛ في تفسير الكلبي ﴿قال عفريت من الجن﴾ أي: مَارِدٌ.

قال محمدٌ: يقال: عِفْرٌ وعِفْرِيتٌ، وعِفْرِيةٌ وعُفَارِيةٌ؛ إذا كان شديدًا وثيقًا[2].

﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ قال قتادة[3]: ومقامه: مَجْلِسُه الذي كان يقضي فيه، فأراد ما هو أعجل من ذلك ﴿قال الذي عنده علمٌ من الكتاب﴾ وكان رجلاً من بني إسرائيل؛ يقال له: آصفُ، يعلمُ اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب ﴿قال أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك﴾ وطرفه: أن يبعث رسُولاً إلى منتهى طرفه، فلا يرجع إليه، حتى يؤتى به؛ فدعا الرجل باسم الله الأعظم ﴿فلما رآه﴾ رأى سليمان السَّرير ﴿مستقرًا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر﴾ أي: أشكر النعمة أم أكفرها؟ ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾.

يحيى: عن المُعَلَّى، عن الأعمش، عن المِنْهَال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباسٍ قال: «إن صاحب سليمان الذي قال: أنا آتيك به كان يُحْسِنُ الاسْمَ الأكبر، فدعا به وكان بينه وبينه مسيرة شهرين، وهي منه على فرسخ، فلما جاءه العرش كأن سليمان وجد في نفسه - مثل الحسد له - ثم فكَّر، فقال: أليس هذا الذي قدر على ما لمْ أقدر عليْه مسخَّرًا لي؟! هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكرَ أم أكفر»[4].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (٢٨٨١/٩ رقم ١٦٣٤٩).

(٢) وأيضًا: العِفِرّ. لسان العرب (عفر).

(٣) رواه عبد الرزاق (٨٢/٢).

(٤) لم أقف عليه، والمعلى هو ابن هلال أبو عبد الله الكوفي، قال عنه سفيان الثوري: هذا من أكذب الناس. وقال الإمام أحمد: كذاب. ترجمته في تهذيب الكمال (٢٩٧/٢٨ - ٣٠١). وفي هذا الأثر نكارة، والله أعلم.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿قال نكروا لها عرشها﴾ قال قتادة[١]: وتنكيره: أن يزاد فيه، ويُنْقَص منه ﴿ننظر أتهتدي﴾ أي: أتعرفه ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ أي: أم لا تعرفه ﴿فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنّه هو﴾ قال قتادة[٢]: شبَّهته به، وكانت قد تركته خلفها، فوجدته أمامها.

﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ سليمان يقوله؛ يعني: النبوة ﴿وصدها ما كانت تعبد من دون اللَّه﴾ صدها أن تهتدي للحق ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾.

قال محمدٌ: من قرأ (إنها) بكسر الألف[٣]، فهو على (الاستئناف)[٤].

﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ تفسير الكلبي: إن الجن استأذنوا سليمان، فقالوا: ذَرْنا فَلْنَبْنِ لها صَرْحًا - أي: قصرًا - من قوارير فننظر كيف عقلها، وخافت الجن أن يتزوجها سليمان فتطلعه على أشياء كانت الجن تخفيها منه.

قال يحيى: بلغني أن أحد أبويها كان جنيًّا، فلذلك تخوَّفوا ذلك منها.

قال الكلبي: فأذن لهم فعمدوا إلى الماء ففجروه في أرض فضاء، ثم أكثروا فيه من الحيتان والضفادع[٥]، ثم بَنَوْا عليه سترة من زجاج، ثم بنوا[٦] حوله صَرْحًا مُمَرَّدًا من قوارير، والممرَّدُ:

---

(١) رواه عبد الرزاق (٨٢/٢) وابن أبي حاتم (٩/٢٨٩٠ رقم ١٦٤١٤).
وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٢٠) للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) رواه عبد الرزاق (٨٢/٢) والطبري (١٩/١٦٧) وابن أبي حاتم (٩/٢٨٩٢ رقم ١٦٤٢٢).

(٣) وهي قراءة العامة، وقرأ سعيد بن جبير وابن أبي عبلة بفتح الهمزة (أنها) ينظر: البحر (٧/٧٩)، القرطبي (١٣/٢٠٨)، الإملاء (٢/٩٤).

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٩٥)، البحر (٧/٧٩)، مجمع البيان (٤/٢٢٤)، الدر المصون (٥/٣١٦). وفي «ر»: الاستفهام.

(٥) في الأصل زيادة: فظنت أنه معذبها لتغرق.

(٦) زاد في «ر»: عليه.

الأملس ، ثم أُدخلوا [عرش سليمان وعرشها و كراسي عظماء الملوك ، ثم دخل سليمان ، ودخل معه عظماء جنوده][(١)] ثم (ل ٢٥٠) قيل لها : ادخلي الصرح وفُتح الباب ؛ فلما أرادت الدخول إذا هي بالحيتان والضفادع ، فظنت أنه مُكِرَ بها لتغرق ، ثم نظرت فإذا هي بسليمان على سريره ، والناس عنده على الكراسي ؛ فظنت أنها بمَخَاضَةٍ[(٢)]، فكشفت عن ساقيها وكان بها بَرَصٌ ؛ فلما رآها سليمانُ كرهها ، فلما عرفت الجن أن سليمان قد رأى منها ما كانت تكتم من الناس ، قالت لها الجن : لا تكشفي عن ساقيك ، ولا عن قدميك ؛ فإنما هو صرحٌ من قوارير .

قال محمدٌ : كلُّ بناءٍ مطولٍ : صرح[(٣)]، والممرّد يقال منه : مرّدت الشيء إذا بلّطته أو ملّسته ، ومن ذلك الأمرد الذي لا شعر في وجهه[(٤)].

﴿قالت رب إني ظلمتُ نفسي﴾ أي : نقصتها ؛ يعني : ما كانت عليه من الكفر .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾ قال قتادة[(٥)]: يقول : إذا القوم بين مصدقٍ ومكذبٍ ؛ هذه كانت

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) وهي أيضًا المَخَاضُ : والمراد : الموضع القليل الماء الذي يُعْبر فيه الناس النهر مُشَاة ورُكبانًا ، والجمع : مخاوض . لسان العرب (خوض) .

(٣) لسان العرب (صرح) .

(٤) والجمع : مُرْد . لسان العرب (مرد) .

(٥) رواه ابن أبي حاتم (٢٨٩٨/٩ رقم ١٦٤٥٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (١٢٣/٥) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

خصومتهم ﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾ والسيئة : العذاب ؛ لقولهم : ﴿فأتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين﴾[١] والحسنة : الرحمة .

﴿قالوا اطَّيرنا بك وبمن معك﴾ قال الحسن : كان قد أصابهم جوعٌ ، فقالوا : بشؤمك ، وبشؤم الذين معك أصابنا هذا ﴿قال طائركم عند اللَّه﴾ يعني : عملكم .

قال محمدٌ : المعنى : ليس ذلك مني ، وإنما هو من اللَّه ﴿بل أنتم قومٌ تفتنون﴾ قال الحسنُ : يعني : تصرفون عن دينكم الذي أَمَركم اللَّه به ﴿وكان في المدينة تسعة رهطٍ﴾ قال قتادةُ[٢]: كانوا من قوم صالحٍ ﴿قالوا تقاسَمُوا باللَّه﴾ أي : تحالفوا ﴿لنبيتنّه﴾ لنبيتنَّ صالحًا وأهله ؛ يعني : الذين على دينه ﴿ثم لنقولن لوليه﴾ أي : لرهطه ﴿ما شهدنا مهلَك[٣] أهله ومكروا مكرًا﴾ يعني : الذي أرادوا بصالحٍ ﴿ومكرنا مكرًا﴾ قال قتادة[٤]: ذُكِرَ لنا أنه بيّنا هم معاينون إلى صالحٍ ليفتكُوا به ؛ إذ بعث اللَّه عليهم صخرة فأهمدتهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمَّرناهم﴾ بالصخرة ﴿وقومهم أجمعين﴾ بعد ذلك بالصَّيْحة .

قال محمدٌ : من قرأ (إنا) بكسر الألف[٥]، فالمعنى : فانظر أيَّ شيءٍ كان عاقبة أمْرهم ، ثم فسر فقال : ﴿إنا دمَّرناهم﴾[٦].

﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾ يقول : ليس فيها أحدٌ ، وكانوا بموضع يقال له : الحِجْر .

قال محمدٌ : من قرأ ﴿خاويةً﴾ بالنصب[٧] فهو على الحال[٨].

---

(١) الأعراف : ٧٧.

(٢) رواه عبد الرزاق (٨٣/٢) .
وعزاه السيوطي في الدر (١٢٣/٥) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) هكذا في الأصل بفتح اللام ، وقد اختلف القراء فيها : فقرأ أبو بكر ﴿مَهْلَك﴾ بفتح الميم واللام ، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام ، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح اللام . انظر : النشر (٣١١/٢) ، وإتحاف الفضلاء (٤٢٩) .

(٤) رواه الطبري (١٧٤/١٩) وابن أبي حاتم (٢٩٠٢/٩ رقم ١٧٤٧٨، ١٧٤٧٩) .
وعزاه السيوطي في الدر (١٢٣/٥) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) وهي قراءة ابن عامر ، وأبي عمرو ، وابن كثير ، ونافع . ينظر : السبعة (٤٨٤) ، النشر (٣٣٨/٢) ، التيسير (١٦٨) .

(٦) البحر (٨٦/٧) ، إعراب القرآن (٥٢٧/٢ - ٥٢٨) ، مجمع البيان (٢٢٦/٤) .

(٧) وهي قراءة العامة ، وقرأ عيسى بن عمر ، والجحدري بالرفع . ينظر : البحر (٨٦/٧) ، الإملاء (٩٤/٢) ، جامع القرطبي (٢١٨/١٣) .

(٨) ينظر : الدر المصون (٣٢١/٥) .

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾ أنها الفاحشةُ.

﴿أخرجوا آل لوطٍ من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ أي: يتنزّهون عن أعمال قوم لُوطٍ.

﴿إلا امرأته قدرناها من الغابرين﴾ يعني: الباقين في عذاب الله ﴿وأمطرنا عليهم مطرًا﴾ قد مضى تفسيرُه[١].

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿قل الحمدُ لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى ءآلله خيرٌ﴾ على الاستفهام ﴿أمّا تشركون﴾[٢] أي: أن الله خير من أوثانهم التي يعبدون ﴿فأنبتنا به حدائق ذات بهجة﴾ أي: حسنة. قال الحسن: والحدائق: النخل ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ أي: أن الله هو أنبتها ﴿أإله مع الله﴾ على الاستفهام؛ أي: ليس معه إلهٌ ﴿بل هم قومٌ يعدلون﴾ يقول: يعدلون الأوثان بالله، فيعبدونها.

﴿وجعل بين البحرين حاجزًا﴾ تفسير الكلبي: يعني: بحر فارس والروم، والحاجز: الخلق الذي

---

(١) في تفسير سورة هود، الآيات: ٨١ - ٨٣، وسورة الحجر، الآيتان: ٧٣، ٧٤.

(٢) قرأ البصريان وعاصم ﴿يشركون﴾ بالغيب، وقرأ الباقون ﴿تشركون﴾ بالخطاب. النشر (٢/٢٣٨) إتحاف الفضلاء (٤٣٠).

بينهما فلا يبغي أحدهما على صاحبه ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: جماعتهم.

﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ يعني: خلفًا من بعد خلف ﴿قليلاً ما تذكرون﴾ يقول: أقلّهم المتذكر؛ يعني: من يؤمن.

﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ يعني: في أهوال البر والبحر ﴿ومن يرسل الرياح نشرًا[1] بين يدي رحمته﴾ يعني: المطر.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى الْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ يعني: البعث.

﴿قل هاتوا بُرْهانكم﴾ أمر الله النبي ﷺ أن يقول للمشركين: هاتوا حُجّتكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن هذه الأوثان خلقت خلقًا أو صنعت شيئًا من هذا، وهذا كله (ل ٢٥١) تبع للكلام الأول ﴿آلله خيرٌ أما يشركون﴾ أي: أن الله يفعل هذا كله وهو خيرٌ من أوثانهم.

﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ والغيب ها هنا: القيامة؛ لا يعلم مجيئها إلا الله ﴿وما يشعرون﴾ وما يشعر جميع الخلق ﴿أيّان يبعثون﴾ متى يبعثون ﴿بل ادّارك﴾ أي: تدارك ﴿علمهم في الآخرة﴾ (يقول: علموا في الآخرة أن الأمر كما قال الله، فآمنوا حين لم ينفعهم علمهم)[2] أي: إيمانهم ﴿بل هم في شكٍّ منها﴾ يعني: الآخرة ﴿بل هم منها عمون﴾ أي: عموا عنها لا يَدْرُون ما الحساب فيها وما العذاب.

﴿وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابًا وآباؤنا﴾ على الاستفهام ﴿أئنا لمخرجون﴾ لمبعوثون؛ أي: لا

---

(١) بالنون وهي قراءة نافع وغيره، وتقدم الكلام عليها في سورة الأعراف.

(٢) سقط من «ر».

نبعث . وهذا استفهامٌ منه على إنكار .

قال محمدٌ : قراءة نافع (إذا كنا) بكسر الألف على الخبر ، وفيها اختلاف بين القُرَّاء . ومن قرأ : (أئذا) اختلس الياء ، ولم يخلص لفظها(١).

﴿لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل﴾ هذا قول مشركي العرب ، أي : قد وعدت آباؤنا من قَبْلُ بالبعث كما وعدنا محمدٌ ، فلم نرها بُعثت ؛ يعني : من كان من العرب على عهد موسى .

﴿إن هذا إلا أساطيرُ الأولين﴾ أي : كذب الأوَّلين وباطلهم .

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ المشركين كان عاقبتهم أن دمَّر اللَّه عليهم ، ثم صيرهم إلى النار ؛ يحذرهم أن ينزل بهم من عذاب اللَّه ما نزل بمن كان قبلهم من المشركين ﴿ولا تحزن عليهم﴾ إن لم يؤمنوا ﴿ولا تكن في ضيقٍ مما يمكرون﴾ أي : لا يضيق عليك أمرك بما يمكرون بك وبدينك ؛ فإن اللَّه سينصرك عليهم ويذلهُمْ لك .

قال محمدٌ : أكثر القراءة : (في ضَيْق) بفتح الضاد(٢).

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ الذي تعدنا به من عذاب اللَّه إن كنت من الصادقين قال اللَّه للنبي :

---

(١) ينظر : السبعة (٤٨٥) ، البحر (٩٤/٧) التيسير (١٦٩) ، الجامع القرطبي (٢٢٨/١٣) ، وروح المعاني للآلوسي (١٠٥/١٣) في تفسير الآية رقم (٥) من سورة الرعد .

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير ؛ فقد قرأ ﴿ضِيق﴾ بكسر الضاد . ينظر : البحر (٩٤/٧) ، السبعة (٤٨٥) ، والنشر (٢/ ٣٠٥) ، الإتحاف (٣٣٩) ، التيسير (١٦٩) .

﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ قال قتادة(١): يعني: اقترب منكم.

قال محمدٌ: (رَدِفَ لكم) اللام فيه زائدة عند أهل اللغة؛ المعنى: ردِفكم؛ كما تقول: ركبكم، وجاء بعدكم(٢).

﴿بعض الذي تستعجلون﴾ قال الحسن: يعني: قيام الساعة الذي يهلك به آخر كفار هذه الآمة ﴿وإن ربك لذو فضلٍ على الناس﴾ فبفضل الله يتقلَّب الكافر في الدنيا، ويأكل ويشرب ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ يعني: من لا يؤمن ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ يعني: المشركين من عداوة رسول الله ﴿وما يعلنون﴾ من الكفر.

﴿وما من غائبةٍ في السماء والأرض إلا في كتابٍ مبين﴾ بيِّنٌ؛ يعني: اللوح المحفوظ ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل﴾ يعني: الذين أدركوا النبي ﷺ ﴿أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ يعني: ما اختلف فيه أوائلهم، وما حرفوا من كتاب الله، وما كتبوا بأيديهم، ثم قالوا: هذا من عند الله.

﴿إن ربك يقضي بينهم بحكمه﴾ فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ يعني: الذين يلقون الله بكفرهم ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾ يقول: إن الأصم(٣) لا يسمع الدعاء إذا ولَّى مدبرًا.

قال قتادةُ(٤): هذا مثل ضربه الله، فالكافر لا يسمع الهدى ولا يَفْهَمُه؛ كما لا يسمع الميت، ولا يسمع الأصمُّ الدعاء إذا ولَّى مدبرًا.

﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ يعني: الذين يموتون على كفرهم ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾ يعني: من أراد الله أن يؤمن؛ وهذا سمْعُ القبول، فأما الكافر تسمع أذناه ولا يعقله(٥) قلبه.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (١٢٥/٥) لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ينظر: البحر (٩٥/٧)، الدر المصون (٣٢٦/٥).

(٣) في «ر»: الأصنام.

(٤) رواه ابن أبي حاتم (٢٩٢١/٩ رقم ١٦٥٨١).

وعزاه السيوطي في الدر (١٢٥/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) في «ر»: يسمع.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ أي: وجب الغضب ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾ وفي بعض القراءة: (تحدِّثهم)[١] ﴿أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ قال بعضهم: تقول: إن الناس كانوا بي لا يوقنون.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة؛ أن ابن عباسٍ كان يقول: «هي دابة ذات زَغَبٍ[٢] وريشٍ، ولها أربع قوائم، تخرج من بين أودية تهامة»[٣].

سعيد (ل٢٥٢) عن قتادة، عن العلاء بن (زيادٍ)[٤] أن عبد الله بن عمرو، قال: «لا تقوم الساعة؛ حتى يجتمع أهل البيت على الإناء الواحد، فيعرفوا مؤمنيهم من كافريهم. قالوا: كيف ذلك؟! قال: إن الدابة تخرج حين تخرج وهي دابة الأرض؛ فتمسح كل إنسان على مسجده[٥]، فأما المؤمن فتكون نكتةً بيضاء؛ فتفشو في وجهه حتى يبيضّ لها وجهُه، وأما الكافر فتكون نكتةً سوداء؛ فتفشو في وجهه حتى يسودَّ لها وجهه؛ حتى إنهم ليتبايعون في أسواقهم يقول هذا: كيف تبيع هذا يا مؤمن؟ ويقول هذا: كيف تبيع هذا يا كافر؟ فما يرُدُّ بعضُهم على بعض»[٦].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾

---

(١) وهي قراءة يحيى بن سلام. ينظر: البحر (٧/٩٧)، تفسير الطبري (٢٠/١١).
(٢) هو صغار الريش والشعر، الواحدة: زَغَبَة. لسان العرب (زغب).
(٣) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٦/١٢٥٧ رقم ٧٠٠) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به. ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٨٨) - وعنه نعيم بن حماد في الفتن (٤٤٨ رقم ١٣٨٢) والطبري في تفسيره (٢٠/ ١٥) - عن معمر عن قتادة به.
(٤) في «ر»: زيد. والعلاء بن زياد هو أبو نصر العدوي البصري، ترجمته في التهذيب (٢٢/ ٤٩٧ - ٥٠٦).
(٥) أي: على مكان سجوده.
(٦) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٦/١٢٥٤ - ١٢٥٥ رقم ٦٩٧) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به. ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٨٨) - وعنه نعيم بن حماد في الفتن (٤٤٨ رقم ١٣٨٢) والطبري في تفسيره (٢٠/ ١٥ - ١٦) - عن معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو مختصرًا.

﴿ويوم نحشر من كل أمةٍ فوجًا﴾ يعني : كفار كل أمة ﴿فهم يوزعون﴾ قال قتادة[١]: لهم وَزَعَةٌ تردُّ أولاهم على أخراهم ﴿حتى إذا جاءوا قال﴾ الله ﴿أكذَّبتم بآياتي ولمْ تحيطوا بها علمًا﴾ أي : لم تحيطوا علمًا بأن ما عبدتم من دوني خلقوا معي شيئًا ، ولا رزقوا معي شيئًا ، وإن عبادتكم إياهم لم تكن منكم بإحاطة علمٍ علمتُموه ، إنما ذلك كان منكم على الظنّ ﴿أمَّاذا كنتم تعملون﴾ يستفهمهم ، وهو أعلم بذلك منهم ؛ يحتجُّ عليهم ﴿ووقع القول عليهم﴾ أي : حقَّ الغضب ﴿بما ظلموا﴾ أشركوا .

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء اللّه﴾ وهذه النفخةُ الأولى .

يحيى : عن خالد ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن عُمَارةَ بن غُراب قال : قال رسول اللّه ﷺ: « ﴿إلا من شاء اللّه﴾ : الشهداء ؛ يقولون : ما أحسن هذا الصوت »[٢].

﴿وكل أتوه داخرين﴾ أي : صاغرين ؛ يعني : النفخة الآخرة .

يحيى : عن المبارك ، عن الحسن قال : قال رسولُ اللّه ﷺ: « بين النفختين أربعون سَنَةً ؛ الأولى يميت اللّه بها كلَّ حي ، والأخرى يحيي اللّه بها كلَّ ميت »[٣].

﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ ساكنةً ﴿وهي تمر مرَّ السحاب﴾ تكون كالعِهْنِ المنفوش[٤]

---

(١) رواه الطبري (١٧/٢٠) وابن أبي حاتم (٢٩٢٧/٩ رقم ١٦٦١٣) .

(٢) لم أقف عليه ، وعمارة بن غراب تابعي ليست له صحبة ، ترجمته في التهذيب (٢٥٨/٢١) ، وأسد الغابة (١٤٢/٤) ، والإصابة (٢٤/٨) .

(٣) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (١٢٨٥/٦ رقم ٧٢١) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به .
وعزاه ابن حجر في الفتح (٣٧٧/١١) لابن المبارك في الرقائق .
وروى البخاري (٤١٤/٨ رقم ٤٨١٤) ومسلم (٢٢٧٠/٤ - ٢٢٧١ رقم ٢٩٥٥) عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ما بين النفختين أربعون - قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يومًا؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون شهرًا؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون سنة؟ قال : أبيت - ثم ينزل اللّه من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل . قال : وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا ، وهو عجب الذَّنَب ؛ ومنه يُركب الخلق يوم القيامة » .

(٤) يريد قوله تعالى : ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ القارعة : ٥.

وتكون كثيبًا مَهيلاً[١]، وتُبَسُّ بسًّا[٢]؛ كما يُبَسُّ السَّويقُ[٣]. وتكون سرابًا[٤]، ثم تكون هباءً منبثًّا[٥]؛ وذلك حين تذهبُ من أصولها، فلا يرى منها شيءٌ؛ فتصير الأرض كلها مستوية ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾.

قال محمدٌ: القراءة (صُنْعَ اللهِ) بالنصب[٦]؛ على معنى: المصدر؛ كأنه قال: صَنَعَ اللهُ ذلك صُنْعًا[٧].

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿من جاء بالحسنة﴾ بـ «لا إله إلا الله» مخلصًا ﴿فله خيرٌ منها﴾ فيها تقديم: فله منها خيرٌ؛ أي: حظ؛ يعني: الجنة ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ يعني: الشرك ﴿فَكُبَّت وجوههم في النار﴾ أي: أُلقوا فيها على وجوههم ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا؛ يقال لهم ذلك في الآخرة ﴿إنما أُمرت﴾ أي: قل: يا محمدُ: إنما أمرت ﴿أن أعبد رب هذه البلدة﴾ يعني: مكة ﴿الذي حرمها﴾.

﴿فقل إنما أنا من المنذرين﴾ أي: لا أستطيع أن أكرهكم ﴿سيريكم آياته فتعرفونها﴾ في الآخرة على ما قال في الدنيا من وَعْده؛ في تفسير الحسن ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾.

❁ ❁ ❁

---

(١) يريد قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ المزمل: ١٤.

(٢) يريد قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾ الواقعة: ٥.

(٣) وهو طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير، وسمي بذلك؛ لانسياقه في الحلق. والجمع: أسوقة. لسان العرب (سوق).

(٤) يريد قوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ النبأ: ٢٠.

(٥) يريد قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ الواقعة: ٦.

(٦) وهي قراءة العامة، وليس فيها إلا هذه القراءة. ينظر البحر (٧/١٠٠).

(٧) وهو قول سيبويه والمبرد والنحاس وأبي علي. ينظر كشف المشكلات (٢/١٠١٧)، البحر (٧/١٠٠)، إعراب القرآن (٢/٥٣٧)، مجمع البيان (٤/٢٣٧).

تفسير سورة القَصَص وهي مكيَّةٌ كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾

قوله : ﴿طسم تلك آيات﴾ هذه آيات ﴿الكتاب المبين﴾ البيِّنُ ﴿نتلو عليك من نبإ موسى﴾ من خبر موسى ﴿وفرعون بالحق لقوم يؤمنون﴾ يصدقون ﴿إن فرعون عَلاَ في الأرض﴾ أي : بغى ﴿وجعل أهلها شيعًا﴾ أي : فِرَقًا ﴿يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم﴾ يعني : بني إسرائيل الذين كانوا بمصر في يَدي فرعون ، والطائفة التي كان يذبح : الأبناء ، والطائفة التي كان يستحيي : النساء ، وقد كان يفعل هذا فرعون .

﴿و﴾نحن ﴿نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾ يعني : بني إسرائيل ﴿ونجعلهم أئمة﴾ قال قتادة(١): أي : ولاة الأمر (ل٢٥٣) ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ أي : يرثون الأرض بعد فرعون وقومه ، ففعل الله ذلك بهم ﴿ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم﴾ من بني إسرائيل ﴿ما كانوا يحذرون﴾ قال قتادة(٢): ذُكِرَ لنا أن حازرًا حزر(٣) له ، فقال : إنه يُولَدُ في هذا العام غلامٌ يسلبك مُلْكَك ، فتتبع أبناءهم يقتلُهم حذرًا ممّا قال له الحازر .

---

(١) رواه الطبري (٢٠/٢٨) وابن أبي حاتم (٩/٢٩٤١ رقم ١٦٦٧٧) .
وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٣١) لعبد بن حميد وابن جرير .
(٢) رواه عبد الرزاق (٢/٨٧) والطبري (٢٠/٢٩) .
وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٣١) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .
(٣) أي : خمَّن . لسان العرب (حزر) .

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ أي : قذف في قلبها ، وليس بوحي النبوة ﴿أن أرضعيه فإذا خفت عليه﴾ الطلب ﴿فألقيه في اليم﴾ في البحر ﴿ولا تخافي﴾ عليه الضَّيْعَة ﴿ولا تحزني﴾ أن يُقْتل ﴿إنا رادوه إليك﴾ قال قتادةُ[1]: فجعلته في تابوتٍ ، ثم قذفته في البحر ﴿فالتقطه آلُ فرعون﴾ قال يحيى : بلغني أن الغسَّالات على النيل الْتَقَطْنه ﴿ليكون لهم عدوًّا﴾ في دينهم ﴿وحزنًا﴾ يحزنهم به .

قال محمدٌ : قوله : ﴿ليكون لهم عدوًّا وحَزَنًا﴾ أي : ليصير الأمر إلى ذلك ؛ لا أنهم طلبوه وأخذوه لذلك ، ومثله من الكلام قولهم للذي كسب مالاً ؛ فأدَّاه ذلك إلى الهلاك : إنما كسب فلانٌ لِحَتْفِه ، وهو لم يطلب المال لحتْفِه ، ولكن صار الأمر إلى ذلك وهذه اللام يسميها بعض النحويين لام الصيرورة[2].

﴿وقالت امرأة فرعون قرة عينٍ لي ولك﴾ تقوله لفرعونَ . قال قتادة[3]: أُلْقِيَتْ عليه[4] رحمتُها

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (١٣١/٥) لعبد بن حميد وابن جرير .

(٢) وتسمى هذه اللام لام العاقبة . ينظر : إعراب القرآن (٥٤٣/٢) ، البحر (١٠٥/٧) ، مجمع البيان (٢٤٠/٤) ، البيان (٢٢٩/٢) .

(٣) رواه الطبري (٣٤/٢٠) وابن أبي حاتم (٢٩٤٥/٩ رقم ١٦٧٠٣) .
وعزاه السيوطي في الدر (١٣٢/٥) لعبد بن حميد وابن جرير .

(٤) في « ر » : عليها .

حين أبْصَرَتْه ﴿لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا وهم لا يشعرون﴾ أن هلاكهم على يديه وفي زمانه ﴿وأصبح فؤادُ أم موسى فارغًا﴾ تفسير قتادة(١): أي: فارغًا من كل شيءٍ، غير ذكر موسى لا تذكُر غيره ﴿إن كادت لتبدي به﴾ قال قتادة(٢): لتبينُ أنه ابنُها من شدة وَجْدها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالإيمان.

قال محمدٌ: الربطُ على القلب: إلْهَامُ الصَّبْرِ وتشديده وتقويته(٣).

﴿وقالت﴾ أم موسى ﴿لأخته﴾ لأخت موسى ﴿قصِّيه﴾ أي: اتبعي أثره ﴿فبصرت به عن جُنُبٍ﴾ أي: من بعيد ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها أخته؛ جعلت تنظر إليه، وكأنها لا تريده ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ قال قتادة(٤): جعل لا يؤتى بامْرأةٍ إلا لم يأخذ ثديها ﴿فقالت هل أدُلكم﴾ ألا أدلكم ﴿على أهْل بيتٍ يكفلونه لكم﴾ أي: يضُمُّونه فيرضعونه ﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾ يعني: الذي قذف في قلبها ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: جماعتهم.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿ولما بلغ أشُدَّه﴾ تفسير مجاهد: بلغ عشرين سنة ﴿واستوى﴾ بلغ أربعين سنة ﴿آتيناه حكمًا وعلمًا﴾.

---

(١) رواه الطبري (٢٠/٣٦) وابن أبي حاتم (٩/٢٩٤٦ رقم ١٦٧١٠).

(٢) رواه الطبري (٢٠/٣٧) وابن أبي حاتم (٩/٢٩٤٧ رقم ١٦٧١٧).

(٣) لسان العرب، المعجم الوسيط (ربط).

(٤) رواه الطبري (٢٠/٤١).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٣٣) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

﴿ودخل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها﴾ تفسير الحسن: يوم عيدٍ لهم، وهم في لَهْوهم ولعبهم ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ من بني إسرائيل ﴿وهذا من عدوه﴾ (قبطي)[١] من قوم فرعون ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾ قال قتادة[٢]: أراد القبطي أن يُسَخِّرَ الإسرائيليّ؛ ليحمل حطبًا لمطبخ فرعون فأبى فقاتله، فوكزه موسى ولمْ يتعمَّد قتله، ولم يكن يحل قتل الكافر يومئذٍ.

قال محمدٌ: يقال: لكزه ووكزه (ولَهزه)[١] بمعنًى واحدٍ: إذا دفعه[٣].

﴿قال﴾ موسى ﴿هذا من عمل الشيطان إنه عدوٌّ مضلٌّ مبين﴾ بين العداوة ﴿قال﴾ موسى ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ يعني: بقتل القبطي ﴿فلن أكون ظهيرًا﴾ أي: عونًا ﴿للمجرمين﴾.

قال قتادة[٤]: يقول: فلن أعين بعدها على فجرةٍ ﴿فأصبح في المدينة خائفًا يترقَّب﴾ من قَتْله النفس، يترقَّب أن يُؤْخذ.

قال محمدٌ: معنى (يترقب): ينتظر سُوءًا ينالُه[٥].

﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصْرِخُه﴾ أي: يستعينه ﴿قال له موسى﴾ للإسرائيلي ﴿إنك لغويٌّ مبين﴾ أي: بين الغواء [ثم أدركت موسى الرأفة عليه][٦] ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدوٌّ لهما﴾ (ل٢٥٤) بالقبطي خلَّى الإسرائيلي عن القبطي ﴿وقال يا موسى﴾ الإسرائيلي يقوله: ﴿أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس إن تريد﴾ ما تريد ﴿إلاَّ أن تكون جبَّارًا﴾ أي: قتَّالاً.

---

(١) سقط من «ر».

(٢) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٩/٢٩٥٥ رقم ١٦٧٦٧).

(٣) ويقال: لكزه: ضربه بجُمع كفه في صدره.

ولهزه: ضربه بجمع كفه في لهازمه ورقبته.

ووكزه: ضربه بجمع كفه في ذقنه.

ينظر: لسان العرب، والمعجم الوسيط (لكز، لهز، وكز).

(٤) رواه عبد الرزاق (٢/٨٩ - ٩٠) والطبري (٢٠/٤٧) وابن أبي حاتم (٩/٢٩٥٦ رقم ١٦٧٧٨).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٣٤) لعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا.

(٥) لسان العرب (رقب).

(٦) طمس في الأصل. و المثبت من «ر».

قال محمدٌ : وقيل المعنى : فلما أن أراد المستصرخ أن يبطش موسى بالذي هو عدوٌ لهما ، ولم يفعل موسى ، وقال للمستصرخ : ﴿إنك لغوي مبين﴾ قال له المستصرخ : ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني ...﴾ الآية ، فالله أعلم .

وأصل الجبّار في اللغة : المتعظّم(١) الذي لا يتواضع لأمر الله - عز وجل - [في الأرض](٢).

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى﴾ أي : يسرع ﴿قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ .

قال محمدٌ : (يأتمرون) هو يفتعلون من الأمر ؛ المعنى : يأمر بعضهم بعضًا بقتلك(٣).

قال قتادة(٤): وذلك أن القبطي [الآخر](٥) لما سمع قول الإسرائيلي لموسى : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس - أفشى عليه ، فائتمر الملأ من قوم فرعون ليقتلوه ، فبلغ ذلك مؤمن آل فرعون وهو الذي جاء من أقصى المدينة ، فأخبر موسى .

﴿فخرج منها﴾ من المدينة ﴿خائفًا يترقب﴾ .

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ولما توجّه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ يعني : الطريق إلى مدين ،

---

(١) وهو أيضًا المتكبّر المتسلّط . والجمع : جبابرة . لسان العرب (جبر) .

(٢) سقط من الأصل . والمثبت من « ر » .

(٣) ينظر : الدر المصون (٥/٣٣٧) .

(٤) انظر تفسير الطبري (٢٠/٥٠ - ٥١) .

(٥) في الأصل : الأخير .

وكان خرج ولا يعرف الطريق إلى مدين.

﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾ وفي بعض القراءة (تذودان الناس عن شيائهما)[١] أي: تمنعان غنمهما أن تختلط بأغنام الناس ﴿قال﴾ لهما موسى ﴿ما خَطْبُكما﴾ ما أمْرُكُما ﴿قالتا لا نسقي حتى يُصْدِرَ الرعاءُ﴾ أي: حتى يسقي الناسُ، ثم نَتَتَبَّع فُضَالَتهم؛ هذا تفسير الحسن.

قال محمدٌ: من قرأ: (حتى يُصْدِرَ) بضم الياء وكسر الدال[٢]، فالمعنى: لا نَقْدر أن نَسْقِيَ حتى يردَّ الرِّعاءُ غنمَهم وقد شربتْ[٣]، والرعاء جمع: راعٍ[٤].

﴿فقال رب إني لما أنزلت إلي من خيرٍ فقير﴾ يعني: الطعام.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ قال الحسن[٥]: ويقولون: هو شُعَيْبٌ، وليس بشعيبٍ[٦]، ولكنه كان سيد أهل الماء يومئذٍ. وقال ابن عباسٍ[٧]: اسْمُ ختن موسى: يثرى

---

(١) لم أجد هذه القراءة، وكل ما وجدته من قراءات لها هو قراءة «امرأتين حابستين تذودان» بدون نسبة. ينظر جامع القرطبي (٢٦٨/١٣).

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن عامر وأبا عمرو؛ فقد قرأا ﴿يَصْدُر﴾. ينظر السبعة (٤٩٢)، البحر (١١٣/٧)، التيسير (١٧١)، النشر (٣٤١/٢).

(٣) ينظر: البحر (١١٣/٧)، إعراب القرآن (٥٥٠/٢)، البيان (٢٣١/٢).

(٤) يقال فيه: رِعاء، ورُعاة ورُعْيان. كل ذلك جمع (راع) ينظر لسان العرب (رعى).

(٥) رواه الطبري (٦٢/٢٠) وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٥، ٢٩٦٦ رقم ١٦٨٣٣، ١٦٨٤١).
وعزاه السيوطي في الدر (١٣٧/٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) لشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة في تحقيق أنه ليس بشعيب النبي ﷺ مطبوعة في مجموع الرسائل والمسائل.

(٧) عزاه السيوطي في الدر (١٣٧/٥) لابن المنذر وابن مردويه.

﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ تفسير بعضهم في قوله: (القوي): أنه سألهما: هل ها هنا بئرٌ غير هذه؟ فقالتا: نعم، ولكن عليها صخرة لا يرفعُها إلا أربعون رَجُلاً، فرفعها موسى وحده.

وتفسير الحسن: أن الأمانة التي رأت منه؛ أنها حين جاءته تدعوه. قال لها: كوني ورائي - وكره أن يستدبرها.

﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ أي: في الرفق بك ﴿قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيتُ﴾ يعني: أي الأجلين قضيت، و(ما) زائدة[1] ﴿فلا عدوان﴾ أي: فلا سبيل ﴿عليَّ﴾.

قال محمدٌ: (عُدْوَان) منصوبٌ بـ (لا)[2] وأصل الكلمة من العداء؛ وهو الظلم[3]؛ كأنه قال: أي الأجلين قضيت فلا تعتدِ عليَّ؛ بأن تلزمني أكثر منه.

﴿والله على ما نقول وكيل﴾ أي: شهيد.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ قال ابن عباسٍ[4]: قضى أوفاهما وأبرَّهما: العَشْر.

﴿وسار بأهله﴾ قال مجاهد[5]: أقام بعد أن قضى الأجل عشر سنين ﴿آنس من جانب الطور

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/٣٠٥)، البحر (٧/١١٥ - ١١٦)، إعراب القرآن (٢/٥٥١)، البيان (٢/٢٣١).

(٢) ينظر المراجع السابقة.

(٣) يقال: عَدَا عليه يَعْدُو عَدْوًا وعُدُوًّا وعَدَاءً وعُدْوانًا وعِدْوانًا: ظلمه وتجاوز الحد. لسان العرب (عدو).

(٤) رواه البخاري (٥/٣٤٢ رقم ٢٦٨٤).
ورواه الطبري (٢٠/٦٩) وأبو يعلى (٤/٢٩٧ رقم ٢٤٠٨) وغيرهما عن ابن عباس مرفوعًا، وصححه الحاكم.
وروى مرفوعًا عن عدة من الصحابة ومرسلًا عن بعض التابعين. انظر تفسير ابن كثير (٣/٣٨٦ - ٣٨٧) وفتح الباري (٥/٣٤٣) والدر المنثور (٥/١٣٨).

(٥) رواه الطبري (٢٠/٦٩).
وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٣٨) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

نارًا﴾ قد مضى تفسيره[١] ﴿أو جذوة من النار﴾ يعني: أَصْل شرر[٢] ﴿لعلكم تصطلون﴾ وكان (شَاتِيًا)[٣] ﴿نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى﴾.

قال محمدٌ: (أن) في مؤضع نصْب؛ المعنى: نودي بأنّه يا موسى، وكذلك ﴿وأن أَلْق عصاك﴾ عطفٌ عليها[٤].

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿كأنها جانٌّ﴾ كأنها حيّة ﴿ولّى مدبرًا﴾ هاربًا منها ﴿ولم يعقب﴾ أي: يرجع؛ في تفسير مجاهد ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ اسلك؛ أي: أدخلها في جيبك [أي: قميصك][٥] ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾.

قال محمد: يقال: سَلَكْت (ل٢٥٥) يدي وأَسْلَكْتُها[٦].

﴿واضمم إليك جناحك﴾ يعني: يدك ﴿من الرهب﴾ [أي: من الرعب][٧] يقول: اضممها إلى صدرك؛ فيذهب ما فيه من الرعب، وكان قد دخله فزع من آل فِرعون ﴿فذانك برهانان من ربك﴾ أي: بيانان؛ يعني: العصا واليد.

---

(١) مريم ٦٤، وطه: ٨٠.

(٢) في «ر»: أصل الشجرة.

(٣) في «ر»: شتاء.

(٤) ينظر الدر المصون (٥/٣٤١).

(٥) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٦) وسَلَكْتها. بمعنًى واحد. لسان العرب (سلك).

(٧) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

﴿فأرسله معي رِدْءًا﴾ أي : عونًا ﴿يصدقني﴾ أي : يكون معي في الرسالة ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ .

قال محمدٌ : يقال : رَدَأْته على كذا ؛ أي : أعنته[١]، ومن قرأ (يصدقني) بالجزم فهو على جواب المسألة[٢]: أرسلْه يُصَدِّقْني ، ومن رفع (يصدقُني) فالمعنى : ردءًا مُصدِّقًا لي[٣].

وذكر ابن مجاهد أن نافعًا وحده قرأ (رِدًا) منونةً بغير همزٍ ، وأن سائر القراء يقرءون : (ردءًا) بالهمز[٤].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ أي : إني أنا جئت بالهدى من عنده ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ دار الآخرة ؛ يعني : الجنة ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ المشركون ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إلهٍ غيري﴾ قال الحسن : تعمَّد الكذب ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ أي : فاطبخ لي آجرًا[٥]؛ فكان أول من طبخ الآجرَ ﴿فاجعل لي صرحًا﴾ أي : ابن لي قصرًا ؛ فبنى له صرحًا عاليًا ، وقد علم فرعون أن موسى رسولُ الله ، وهذا القول منه كذبٌ .

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ

---

(١) يقال : رَدَأْته أرْدَؤه : أعنته وقويته . لسان العرب (ردأ) .

(٢) أي : على جواب الأمْر .

(٣) قرأ بالرفع عاصم وحمزة ، وقرأ الباقون بالجزم . ينظر : السبعة (٤٩٤) ، التيسير (١٧١) النشر (٣٤١/٢) ، وينظر في التوجية النحوي : إعراب القرآن (٥٥٣/٢) ، البحر (١١٨/٧) .

(٤) ينظر : السبعة (٤٩٤) ، البحر (١١٨/٧) ، التيسير (١٧١) .

(٥) هو اللَّبِن المحترق المعَدّ للبناء . وهو معرب . ويقال فيه : الآجُرّ والآجَرّ ، والآجِرُ والآجُرُون والآجِرون . المعجم الوسيط ، القاموس المحيط (أجر) .

وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ يوم القيامة ﴿فانظر﴾ يا محمدُ ﴿كيف كان عاقبة الظالمين﴾ أي: دمَّر الله عليهم، ثم صيرهم إلى النار.

﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ أي: يتبعهم من بعدهم من الكفار ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ يعني: الغرق الذي عذَّبهم به. ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ يقول: أهل النار مشوهون سُودٌ زُرْقٌ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة؛ وهو أول كتاب نزل فيه الفرائض والحدود والأحكام ﴿بصائر للناس﴾.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿بجانب الغربي﴾ يعني: غربيّ الجبل ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ يعني: الرسالة ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ أي: لمْ تشاهد ذلك ﴿ولكنا أنشأنا قرونًا فتطاول عليهم العمر﴾ كان بين عيسى ومحمد خمسمائة سنة، وقيل: ستمائة سنة ﴿وما كنت ثاويًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا﴾ أي: لمْ تكن يا محمد مقيمًا بِمَدْيَن؛ فتعلم كيف كان أمرهم، فتخبر أهل مكة بشأنهم وأمرهم ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾ قال بعضهم: نودي: يا أُمَّة محمد، أجبتكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني ﴿ولكن رحمة من ربك لتنذر قومًا﴾ يعني: قريشًا؛ في تفسير السُّدي ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتذكَّروا.

قال محمدٌ: من قرأ (رحمةً) بالنصب[1]، فالمعنى: فعلنا ذلك للرحمة؛ كما تقول: فعلت ذلك

---

(١) وهي قراءة العامَّة، وقرأ عيسى وأبو حيوة (رحمةٌ) بالرفع، ينظر: البحر (١٢٣/٧)، الكشاف (١٨٢/٣).

ابتغاء الخير ؛ أي : لابتغاء الخير[١].

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿ولولا أن تصيبهم مصيبةٌ﴾ يعني : العذاب ﴿بما قدمت أيديهم﴾ بالذي هُمْ عليه من الشرك ﴿فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً ...﴾ الآية ، يقول : ولو أنا عذَّبناهم لاحتجوا ، فقالوا : ﴿ربنا لولا﴾ : هلا ﴿أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ فقطع اللَّه عُذْرَهُمْ بمحمَّدٍ ؛ فكذبوه . قال اللَّه : ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ يعني : القرآن ﴿قالوا لولا أوتي﴾ يعنون : النبي ﷺ ﴿مثل ما أوتي موسى﴾ أي : هلاَّ أنزل عليه القرآن جملةً واحدةً ؛ كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة .

قال اللَّه : ﴿أو لمْ يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾ وقد كان كتاب موسى عليهم حُجَّةً ؛ في تفسير الحسن ﴿قالوا ساحران[٢] تظاهرا﴾ موسى ومحمد ؛ في تفسير الحسن[٣]؛ وهذا قول مشركي العرب ﴿وقالوا إنا بكل كافرون﴾ يعني : بالتوراة والقرآن .

قال اللَّه : ﴿قل فأتوا بكتابٍ من عند اللَّه هو أهدى منهما﴾ من التوراة والقرآن ﴿أتبعه﴾ .

﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ ليأتوا به ، ولا يأتون به ؛ ولكنها حجَّةٌ عليهم ﴿إن اللَّه لا يهدي القوم الظالمين﴾ (ل٢٥٦) يعني : المشركين الذين يمُوتُون على شركهم .

---

(١) أي : مفعول لأجله . ينظر الدر المصون (٣٤٦/٥) .

(٢) قرأ الكوفيون ﴿سِحْران﴾ بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف قبلها ، وقرأ الباقون ﴿ساحران﴾ بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء . النشر (٣٤١/٢ - ٣٤٢) وإتحاف الفضلاء (٤٣٦ - ٤٣٧) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم (٢٩٨٥/٩ رقم ١٦٩٥٥) .

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ولقد وصَّلنا لهم القول﴾ أخبرناهم بأنا أهلكنا من الأمم السالفة بتكذيبهم رُسُلَهم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتذكروا ، فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم فيؤمنوا ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ من قبل القرآن ﴿هم به﴾ بالقرآن ﴿يؤمنون﴾ يعني : من كان مستمسكًا بأمر موسى وعيسى ، ثم آمن بمحمدٍ ﴿وإذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله﴾ من قبل القرآن به ﴿مُسْلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ على دينهم ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ تفسير السُّدي : يدفعون بالقول المعروف والعفو الأذَى والأمر القبيح ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يعني : الزكاة الواجبة ﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ يعني : الشتمَ والأذى من كفَّار قومهم ﴿أعرضوا عنه﴾ أي : لمْ يرُدُّوا عليهم ﴿وقالوا﴾ للمشركين : ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلامٌ عليكم﴾ كلمة حلمٍ عن المشركين ، وتحية بين المؤمنين ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ أي : لا نكون منهم .

قال محمدٌ : وقيل : معنى ﴿سلام عليكم﴾ ها هنا ؛ أي : بيننا وبينكم المُسَالمة ، وكان هذا قَبْل أن (يؤمروا بقتالهم)[١].

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ نزلت في أبي طالب ، حيث أراده النبي عليه السلام على أن يقول : لا إله إلا الله ؛ فأَبَى ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي : من قُدِّرَ له الهدى ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك﴾

---

(١) في « ر » : يؤمر بالقتال .

يعني : التوحيد ﴿نتخطف من أرضنا﴾ لقلّتنا في كثرة العرب ، وإنما ينفي الحرب عنّا أنّا على دينهم ؛ فإن آمنا بك واتبعناك خشينا أن يتخطفنا الناس ؛ قال الله للنبي : ﴿أو لم نمكّن لهم حرمًا آمنًا ...﴾ الآية . يقول : قد كانوا في حرمي يأكلون رزقي ويعبدون غيري وهم آمنون ، فيخافون إن آمنوا أن أسلِّط عليهم من يقتلهم ويَسْبيهم؟! ما كنت لأفعل ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني : من لم يؤمن منهم ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ [هو كقوله : ﴿فكفرت بأنعم الله﴾(١).

قال محمد : قيل : إن معنى ﴿بطرت معيشتها﴾ أي :](٢) أشِرت في معيشتها ، ونصب (معيشتها) بإسقاط (في)(٣).

﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾ أي : معذِّبهم ؛ يعني : هذه الأُمَّة ﴿حتى يبعث في أمها﴾ يعني : مكَّة ﴿رسولاً﴾ والرسول : محمدٌ ﴿إلا وأهلها ظالمون﴾ مشركون ﴿وما عند الله خيرٌ وأبقى﴾ الجنة ﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله للمشركين ، ثم قال على الاستفهام :

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿أفمن وعدناه وعدًا حسنًا﴾ يعني الجنة ﴿فهو لاقيه [كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين](٤)﴾ أي : أنهما لا يستويان . يقال : نزلت في النبي ﷺ وفي أبي جَهْل بن هشام ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ الغضب ؛ يعني : الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان : ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم﴾ أضْلَلْناهم ﴿كما غوينا﴾ ضللْنا ﴿تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾ أي : بسلطان كان لنا عليهم استكرهناهم به ، وإنما دعوناهم بالوَسْوَسة ؛ كقول إبليس :

---

(١) النحل : ١١٢.

(٢) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) ينظر : إعراب القرآن (٢/ ٥٥٥ - ٦٥٦) ، البيان (٢/٢٣٥) ، البحر (٧/١٢٦) ، مجمع البيان (٤/٢٥٩) .

(٤) سقط من الأصل .

﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾[(١)].

﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ يعني: الأوثان ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب﴾ أي: ودخلوا العذاب ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ أي: لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا ما دخلوا العذاب.

﴿ويوم يناديهم﴾ يعني: المشركين ﴿فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ يستفهمهم؛ يحتجُّ عليهم، وهو أعلم بذلك، ولا يسأل العباد عن أعمالهم إلا الله وحده ﴿فعميت عليهم الأنباء﴾ الحُجَجُ؛ في تفسير مجاهد[(٢)] ﴿يومئذٍ فهم لا يتساءلون﴾ أن يحمل بعضهم عن بعض من ذنوبهم شيئًا؛ في تفسير الحسن.

﴿فأما من تاب﴾ من شِرْكه ﴿وآمن﴾ أي: أخلص الإيمان لله ﴿وعمل صالحًا﴾ في إيمانه ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ و(عسى) من الله واجبة ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ من خلقه للنبوة.

﴿ما كان لهم الخيرة﴾ يعني: أن يختاروا هم [الأنبياء (ل٢٥٧) فيتبعونهم][(٣)].

﴿سبحان الله﴾ (ينزِّه نفسه)[(٤)] ﴿وتعالى﴾ ارتفع ﴿عما يشركون﴾.

---

(١) إبراهيم: ٢٢.

(٢) رواه الطبري (٢٠/٩٩) وابن أبي حاتم (٩/٣٠٠٠ رقم ١٧٠٤٥).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٤٧) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) سقط من «ر».

[﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدًا﴾ أي : دائمًا لا ينقطع ، أمره يقوله للمشركين ﴿إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾][(١)].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا﴾ أي : دائمًا لا ينقطع ، أمره أن يقوله للمشركين ﴿من إله غير الله يأتيكم بليلٍ تسكنون فيه﴾ أي : يسكن فيه الخَلْق .

﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ يعني : في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ بالنهار ؛ وهذا رحمة من الله للمؤمن والكافر ؛ فأما المؤمن فتم عليه رحمة الله في الدنيا والآخرة ، وأما الكافر فهي رحمةٌ له في الدنيا ، وليس له في الآخرة نصيب .

﴿ونزعنا من كل أمةٍ شهيدًا﴾ أي : أحضرنا رسولاً ﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ حجتكم بأن الله أمركم بما كنتم عليه من الشرك ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعني : أوثانهم التي كانوا يعبدونها .

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

﴿إنَّ قارون كان من قوم موسى﴾ كان ابنَ عَمِّه ؛ أَخِي أبيه ﴿فبغى عليهم﴾ كان عاملاً لفرعون ؛ فتعدَّى عليهم وظلمهم ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ أي : من الأموال ؛ يعني : قارون ﴿ما إن مفاتحه﴾ يعني : مفاتح خزائنه ؛ في تفسير بعضهم ﴿لتنوء بالعصبة﴾ أي : لتثقل العصبة ﴿أولي القوة﴾ يعني : الشدة ؛ وهم ها هنا أربعون رجلاً .

قال محمدٌ : يقال : نَأَتْ بالعصبة ؛ أي : مالتْ بها ، وأَنْأَت العُصْبة ؛ أي : أمالتها[١].

قوله : ﴿لا تفرح﴾ لا تبطر ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ يعني : البطرين ؛ وهم المشركون الذين لا (يشكرون)[٢] الله فيما أعطاهم .

قال محمدٌ : من الفرح ما يكون معناه : الأَشَر والبَطَر . قال الشاعر :

ولستُ بمِفْرَاحٍ إذا الدَّهْرُ سَرَّني ولا جَازِعٍ من صَرْفِهِ المتحوِّلِ

يقول : لستُ بأَشِرٍ ولا بَطِرٍ ؛ ليس هو من الفرح الذي معناه السرور .

﴿وابتغ فيما آتاك الله﴾ من هذه النعم ﴿الدار الآخرة﴾ يعني : الجنة ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ يقول : اعملْ في دنياك لآخرتك .

﴿وأحسن﴾ فيما افترض الله عليك ﴿قال﴾ قارون ﴿إنما أوتيته﴾ يعني : ما أُعطي من الدنيا ﴿على علمٍ عندي﴾ أي : بقوتي وعلمي .

قال محمدٌ : قيل : إنه كان [أَقْرأَ بني إسرائيل للتوراة][٣] ولذلك ادعى أن المال أعطيه لعلمه . قال الله : بل هي فتنةٌ : بلية .

﴿أو لمْ يعلم﴾ يعني : قارون ﴿أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعًا﴾ من الجنود والرجال ؛ أي : بلى قد علم ﴿ولا يُسْأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ المشركون لتعلم ذنوبهم من عندهم ﴿فخرج على قومه﴾ يعني : قارون ﴿في زينته﴾ تفسير الكلبي : أنه خرج وعليه ثيابٌ حمرٌ على بغلةٍ بيضاء ، ومعه أربعمائة جارية عليهنَّ ثيابٌ حمرٌ على بغالٍ بيضٍ ﴿قال الذين

---

(١) مأخوذ من النَّأي ؛ وهو البعد . ينظر لسان العرب (نأى) .

(٢) في « ر » : يشركون . وهو تحريف عن الصواب .

(٣) مطموس في الأصل ، والمثبت من « ر » وفي تفسير ابن كثير : أنه كان عالمًا بالكيمياء . (٢٦٤/٦) .

يريدون الحياة الدنيا﴾ وهم المشركون ﴿يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ...﴾ الآية .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ وهم المؤمنون للمشركين ﴿ويلكم ثواب الله﴾ يعني : الجنة ﴿خيرٌ﴾ ﴿ولا يُلقاها﴾ يُعطاها ؛ يعني : الجنة ﴿إلا الصابرون﴾ وهم المؤمنون .

﴿فخسفنا به﴾ بقارون ﴿وبداره﴾ يعني : مسكنه ، فهو يخسف به كل يوم قامةً إلى يوم القيامة ؛ في تفسير قتادة[١] ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأنَّ الله﴾ أي : أن الله ﴿يبسط الرزق لمن يشاء﴾ .

﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ أي : وإنه لا يفلح الكافرون .

قال محمدٌ : قوله : ﴿ويكأن الله﴾ قال أبو عبيدَة : سبيلها سبيلُ : (ألم تر) وقد رأيتُ بين النحويين وأصحاب اللغة في هذه اللفظة (ويكأنه) اختلافًا كثيرًا ؛ فالله أعلم بما أراد[٢].

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾

﴿لا يريدون علوًّا في الأرض﴾ يعني : شركًا ﴿ولا فسادًا﴾ قتل الأنبياء والمؤمنين ﴿من جاء بالحسنة﴾ لا إله إلا الله ﴿فله خيرٌ منها﴾ أي : فله منها خير .

﴿ومن جاء بالسيئة﴾ بالشرك ﴿فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾ يقول : جزاؤهم النار خالدين فيها .

---

(١) انظر تفسير الطبري (١١٩/٢٠) وتفسير ابن أبي حاتم (٣٠٢٠/٩ رقم ١٧١٦٠) .

(٢) قرأ الكسائي بالوقف على (وي) ، وقرأ أبو عمرو بالوقف على (ويك) ، وقرأ الأصبهاني ، وورش بتسهيل الهمزة ، ينظر : إتحاف الفضلاء (٣٤٤) ، التبيان (١٦٠/٨) ، النشر (١٥١/٢) .

﴿إن الذي فرض﴾ يعني: أنزل ﴿عليك القرآن لرادك إلى معادٍ﴾.

قال يحيى: بلغني «أن النبي ﷺ حين هاجر نزل عليه جبريل وهو بالجحفة موجّه من مكة إلى المدينة، فقال: أشتقتَ يا محمد إلى بلادك التي ولدت بها فقال: نعم. فقال: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ يعني إلى مولدك[1] الذي خرجت منه، ظاهرًا على أهله»[2].

﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى﴾ أي: محمد جاء بالهدى، فآمن به المؤمنون (ل٢٥٨) ﴿ومن هو﴾ أي: أعلم بمن هو ﴿في ضلالٍ مبينٍ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك﴾ يعني النبي عليه السلام.

﴿أن يلقى إليك الكتاب﴾ يعني: أن ينزّل عليك [وقوله: ﴿ترجو﴾ يقوله للنبي عليه السلام][3] ﴿إلا رحمة من ربك﴾ يقول: [ولكن][4] نزل عليك الكتاب رحمة من ربك ﴿فلا تكونن ظهيرًا﴾ عَوينًا ﴿للكافرين﴾.

﴿كل شيءٍ هالكٌ إلا وجهه﴾ يعني: إلا هو.

قال محمدٌ: ﴿وجهه﴾ منصوبٌ على الاستثناء، المعنى: إلا إياه[5]؛ وهو مذهب يحيى.

﴿له الحكم﴾ القَضاء ﴿وإليه ترجعون﴾.

---

(١) أي: مكان مولدك.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٢٦/٩ رقم ١٧٢٠٥) عن الضحاك بنحوه.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٥٢/٥) لابن مردويه عن علي بن الحسين بن واقد بنحوه أيضًا.
وروى البخاري (٣٦٩/٨ رقم ٤٧٧٣) عن ابن عباس «﴿لرادك إلى معاد﴾ قال: إلى مكة».

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) طمس بالأصل، والمثبت من «ر»..

(٥) ينظر الدر المصون (٣٥٦/٥)، البحر المحيط (١٣٧/٧).

تفسير سورة العنكبوت

وهي مكِّيَّة كلها إلا عشر آيات مدنية من أولها إلى قوله : ﴿وليعلمن المنافقين﴾(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٧ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾

قوله : ﴿الم﴾ قد مضى (القول فيه)(٢) في أول سورة البقرة ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ يعني : يبتلون بالجهاد في سبيل الله ؛ هم قومٌ كانوا بمكة ممن أسلم كان قد وُضِعَ عنهم الجهاد والنبي ﷺ بالمدينة بعد ما افْتُرِض الجهاد ، وقُبِلَ منهم أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ولا يجاهدوا ، ثم أُذِنَ لهم في القتال حين أخرجهم أهل مكة ؛ فلما أُمروا بالجهاد كرهوا القتال ﴿ولقد فتنا﴾ اختبرنا ﴿الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ بما أظهروا من الإيمان ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ يعني : الذين يظهرون الإيمان وقلوبهم على الكفر وهم المنافقون ، وهذا علمُ الفعال .

قال محمدٌ : معنى علم الفعال : العلم الذي تقوم به الحجة وعليه يكون الجزاء ، وقد علم الله الصادق والكاذب قبل خلقهما .

﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ يعني : الشرك ﴿أن يسبقونا﴾ حتى لا نَقْدر عليهم

(١) اختلف في عد ﴿الم﴾ آية ، أو بعض آية ، فمن عدها آية ، صارت هذه الآيات إحدى عشرة آية ، والله أعلم.

(٢) في « ر » : تفسيره .

فنعذبهم أي : قد حسبوا ذلك وليس كما ظنوا ﴿ساء ما﴾ أي : بئس ما ﴿يحكمون﴾ أن يظنوا أن اللَّه خلقهم ، ثم لا يبعثهم فيجزيهم بأعمالهم ، ثم قال : ﴿من كان يرجو لقاء اللَّه﴾ يقول : من كان يخشى البعث ، وهذا المؤمن ﴿فإن أجل اللَّه لآتٍ﴾ يعني : البعث ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ يقول : يُعْطيه اللَّه ثواب ذلك .

﴿إن اللَّه لغنيٌّ عن العالمين﴾ أي : عن عبادتهم .

﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ يعني : جميع الناس بوالديه ﴿حسنًا﴾ أي : برًّا ﴿وإن جاهداك لتشرك بي﴾ أي : أراداك على أن تشرك بي ﴿ما ليس لك به علمٌ﴾ أي : أنك لا تعلم أن معي شريكًا ؛ يعني : المؤمنين ﴿فلا تطعهما﴾ .

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ (يعني : مع الصَّالحين)[(١)] وهم أهل الجنة ﴿ومن الناس من يقول آمنا باللَّه﴾ رجعت القصةُ إلى الكلام الأول ﴿الم أحسب الناس﴾[(٢)] إلى قوله : ﴿وليعلمن الكاذبين﴾[(٣)] فوصف المنافق في هذه الآية الآخرة ، فقال : ﴿ومن الناس من يقول آمنا باللَّه فإذا أُوذي في اللَّه جعل فتنة الناس كعذاب اللَّه﴾ أي : إذا أُمِرَ بالجهاد في سبيل اللَّه فدخل عليه فيه أذًى ، رفض ما أُمِرَ به . وأقام عن الجهاد ، وجعل ما يدخل عليه من البلية في القتال إذا كانت بلية كعذاب اللَّه في الآخرة ؛ لأن اللَّه قد خوَّفه عذاب الآخرة وهو لا يُقِرُّ به ﴿ولئن جاء نصرٌ من ربك﴾ يعني : نصرًا على المشركين ﴿ليقولن﴾ يعني : جماعتهم ﴿إنا كنا معكم﴾ يطلبون

---

(١) سقط من « ر » .

(٢) العنكبوت : ٢.

(٣) العنكبوت : ٣.

الغنيمة ، قال الله : ﴿أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ أي : أنه يعلم أن هؤلاء المنافقين في صدورهم التكذيب بالله وبرسوله وهم يظهرون الإيمان ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾ أي : ما كان فيه من إثم فهو [علينا][1] وهذا منهم إنكارٌ للبعث والحساب .

قال محمدٌ : (ولنحملْ) هو أمرٌ في تأويل الشرط والجزاء[2]، المعنى : إن تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم أي إن كان فيه إثمٌ فنحن نحملُه وإلى هذا (ل٢٥٩) ذهب يحيى .

﴿وما هم﴾ يعني : الكافرين ﴿بحاملين من خطاياهم﴾ يعني : خطايا المؤمنين ﴿من شيءٍ﴾ لو اتبعوهم ﴿وإنهم لكاذبون﴾ .

﴿وليحملن أثقالهم﴾ يعني : آثام أنفسهم ﴿وأثقالاً مع أثقالهم﴾ يقول : يحملون من ذنوب من اتبعهم على الضلالة ، ولا ينقص ذلك من ذنوب الذين اتبعوهم شيئًا .

يحيى : عن خالد ، عن الحسن ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: «أيما داعٍ دعا إلى هدى[3] فاتُّبع عليه ، كان له مثل أجر من اتبعه من غير أن ينقصَ من أجورهم[4] شيءٌ ، وأيما داعٍ دعا إلى ضلالة فاتُّبع عليها ، كان له مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ»[5].

---

(١) في الأصل : عليهم . والمثبت من «ر» .

(٢) ينظر : البيان (٢٤١/٢)، الدر المصون (٣٦١/٥) .

(٣) في «ر» : الهدى .

(٤) في «ر» : أجرهم .

(٥) رواه الإمام أحمد (٥٠٤/٢ - ٥٠٥) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥٢/١ رقم ٧) من طريق سفيان بن حسين عن الحسن به .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٥٥/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن مرسلاً .

ورواه الإمام أحمد (٣٩٧/٢) ومسلم (٢٠٦٠/٤ رقم ٢٦٧٤) وأبو داود (١٩٣/٥ - ١٩٤ رقم ٤٦٠١) والترمذي (٤٢/٥ رقم ٢٦٧٤) وابن ماجه (٧٥/١ رقم ٢٠٦) وابن حبان (٣١٨/١ رقم ١١٢) وغيرهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه الإمام أحمد (٥٢٠/٢ - ٥٢١) وابن ماجه (٧٤/١ رقم ٢٠٤) والطبراني في المعجم الأوسط (١١٦/٣ رقم ٢٦٧٧) من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة ﷺ .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾

﴿فلبث فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا﴾ قال كعب : لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا ، ثم لبث بعد الطوفان ستمائة سنة ﴿فأخذهم الطوفان ...﴾ إلى قوله : ﴿آية للعالمين﴾ قد مضى تفسير هذه القصة في سورة هود[1].

قال محمدٌ : والطوفان من كل شيء ما كان كثيرًا مهلكًا للجماعة ؛ كالغرق المشتمل على جماعة والقتل الذريع والموت الجارف .

﴿إنما تعبدون من دون الله أوثانًا وتخلقون إفكًا﴾ أي : تقولون كذبًا ﴿وإن تكذبوا فقد كذَّبَ أممٌ من قبلكم﴾ أي : فأهلكهم الله ، يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم إن لم يؤمنوا ﴿وما على الرسول إلا البلاغُ المبين﴾ أي : ليس عليك أن تكره الناس على الإيمان .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق﴾ بلى قد رأوا أن الله قد خلق العباد ﴿ثم يعيده﴾ يخبر أنه يبعث العباد ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ خلقهم وبعثهم ﴿ثم الله ينشيء﴾ يخلق ﴿النشأة الآخرة﴾ يعني : البعث ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾ يعني : ما أنتم بسابقي الله بأعمالكم

(١) هود : ٣٦ - ٤٧.

الخبيثة فتفوتونه هربًا ؛ يقوله للمشركين .

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فما كان جواب قومه﴾ رجع إلى قصة إبراهيم ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤمنون﴾ أي : فيما صنع الله لإبراهيم خليله وما نجاه من النار ، وإنما يعتبر المؤمنون .

قال محمدٌ : من قرأ (جوابَ) بالنصب[1] جعل (أن قالوا) اسم كان[2].

ثم قال ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا مودة بينكم﴾ أي : يحب بعضكم بعضًا على عبادة الأوثان في الحياة الدنيا .

قال محمدٌ : (مودّة) منصوبٌ بمعنى : اتخذتم هذا للمودّة[3].

﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾ أي : يتبرأ بعضكم من بعضٍ ﴿وقال إني مهاجرٌ إلى ربي﴾ إبراهيم يقوله ؛ هاجر من أرض العراق إلى أرض الشام ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ فليس من أهل دين إلا وهمْ يتولّونه ويحبونه .

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾

---

(١) وهي قراءة العامة ، وقرأ الحسن وعمرو بن دينار (جوابُ) بالرفع . ينظر : البحر (١٤٨/٧) ، جامع القرطبي (٣٣٨/١٣) .

(٢) ينظر : الدر المصون (٣٦٤/٥) .

(٣) ينظر : إعراب القرآن (٥٦٨/٢) ، البحر (١٤٨/٧ - ١٤٩) ، مجمع البيان (٢٧٨/٤) ، البيان (٢٤٢/٢ - ٢٤٣) .

﴿ولوطًا﴾ أي: وأرسلنا لوطًا ﴿إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة﴾ يعني: إتيان الرجال في أَدْبَارهم ﴿أئنكم لتأتون الرجال﴾.

قال محمدٌ: (أئنكم) لَفْظُه لَفْظُ الاستفهام، والمعنى معنى التقرير والتوبيخ.

﴿وتقطعون السبيل﴾ كانوا يتعرضون الطريق يأخذون الغرباء؛ فيأتونهم في أَدْبارهم، ولا يفعله بعضهم ببعض ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ في مجمعكم المنكر؛ يعني: فعلهم ذلك.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ولما جاءت رسُلُنا﴾ يعني: الملائكة ﴿إبراهيم بالبشرى﴾ بإسحاق ﴿قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية﴾ يعنون: قرية لوط ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ مشركين ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطًا سيء بهم وضاق بهم ذرْعًا﴾ لمَّا تخوَّفه عليهم من فعل قومه، وهو يظن أنهم آدميُّون.

﴿وقالوا لا تخف ولا تحزن﴾ الملائكة قالته للوط ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رِجزًا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ يشركون ﴿ولقد تركنا منها آية بينة﴾ (ل ٢٦٠) أي: [عبرة][1] ﴿لقوم يعقلون﴾ وهم المؤمنون، وقد مضى تفسير قصة قوم لوط[2].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) ينظر الأعراف (٨٠ - ٨٤)، هود: (٧٧ - ٨٣)، الحجر: (٦١ - ٧٤)، الشعراء: (١٦٠ - ١٧٤)، النمل: (٥٤ - ٥٨).

﴿وإلى مدينَ﴾ أي : وأرسلنا إلى مدين ﴿أخاهم شعيبًا﴾ أخوهم في النسب ، وليس بأخيهم في الدين ﴿فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر﴾ أي : صدقوا به ﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة﴾ العذاب ؛ في تفسير الحسن ﴿فأصبحوا في دراهم جاثمين﴾ أي : هالكين .

﴿وعادًا وثمودًا﴾(١) أي : وأهلكنا عادًا وثمودًا ﴿وقد تبينَّ لكم من مساكنهم﴾ يعني : ما رأوا من آثارهم ﴿وكانوا مستبصرين﴾ في الضلالة .

﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وقارون﴾ أي : وأهلكنا قارون ﴿وفرعون وهامان وما كانوا سابقين﴾ أي : يسبقوننا ؛ حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم ﴿فكلاً أخذنا بذنبه﴾ يعني : من أهلك من الأمم السابقة ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا﴾ يعني : قوم لوطٍ الذين رُجِموا بالحجارة ؛ من كان خارجًا من مدينتهم ، وأهل السفر منهم .

﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ ثمود ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ يعني : مدينة قوم لوطٍ وقارون ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ قوم نوحٍ ، وفرعون وقومه .

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ يعني : أوثانهم التي عبدوها من دون الله ﴿كمثل

(١) بالتنوين وهي قراءة نافع وغيره ، وتقدم ذكر القراءات فيها في سورة الفرقان .

العنكبوت اتخذتْ بيتًا وإن أوهن البيوت﴾ أضعف البيوت ﴿لبيْت العنكبوت﴾ أي : إن أوثانهم لا تغني عنهم شيئًا كما لا يكنُّ بيت العنكبوت من حرٍّ ولا برد ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لعلموا أن أوثانهم لا تغني عنهم شيئًا ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ أي : نَصِفها ونبيّنها ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ يعني : المؤمنين ﴿خلق الله السمٰوات والأرض بالحق﴾ أي : للبعث والحساب ﴿إن في ذلك لآية﴾ لعبرة للمؤمنين ، أي : أن الذي خلق السمٰوات والأرض يبعث الخلق يوم القيامة .

﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ تفسير الكلبي[١]: إن العبد ما دام في صلاته لا يأتي فُحْشًا ولا منكرًا ﴿ولذكر الله أكبر﴾ تفسير الحسن[٢]: قال الله : ﴿فاذكروني أذكركُمْ﴾[٣] فإذا ذكر اللّهَ العَبدُ ذكره الله ، فذكْرُ اللّهِ العبْدَ أكبرُ من ذكر العبد إياه .

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾ قال بعضهم : يعني : من قاتلك منهم ولم يعطك الجزية فقاتله ، وإنما أُمِرَ بقتالهم بالمدينة ، وهذا مما نَزَلَ بمكة ؛ ليعملوا به بالمدينة [نسختها آية القتال][٤].

﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ يعني : من آمن منهم ﴿ومن هؤلاء﴾ يعني : مشركي العرب ﴿من يؤمن به﴾ يعني : القرآن ﴿وما كنت تتلو من قبله﴾ من قبل القرآن ﴿من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون﴾ لو كنت تقرأ وتكتب ، و(المبطلون) في تفسير بعضهم : من لم

---

(١) رواه عبد الرزاق (٩٧/٢) .

(٢) رواه الطبري (١٥٧/٢٠) بمعناه .

وعزاه السيوطي في الدر (١٥٩/٥) لعبد بن حميد .

(٣) البقرة : ١٥٢.

(٤) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » . وانظر الناسخ والمنسوخ (٧٣) .

يؤمنْ من أهل الكتاب .

قال محمدٌ : المعنى على هذا التفسير : أي : أنهم يجدونك في كتبهم أُميًّا فلو كنت تكتب لارتابوا .

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿بل هو آياتٌ بينات في صدور الذين أُوتوا العلم﴾ يعني : (النبي)(١) والمؤمنين ﴿وقالوا لولا﴾ هلاَّ ﴿أُنزل عليه آياتٌ من ربه﴾ كانوا يسألون النبي أن يأتيهم بالآيات ، قال اللَّه : ﴿قل إنما الآياتُ عند اللَّه﴾ إذا أراد اللَّه أن ينزل آيةً أنزلها ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم﴾ أي : تتلوه وأنت لا تقرأ ولا تكتب ، فكفاهم ذلك لو عقلوا ﴿قل كفى باللَّه بيني وبينكم شهيدًا﴾ أني رسوله وأن هذا الكتاب من عنده ؛ وأنكم على الكفر ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ والباطل : إبليس .

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ كان النبي عليه السلام يخوفهم العذاب إن لم يؤمنوا ؛ فكانوا يستعجلون به استهزاءً وتكذيبًا . قال اللَّه : ﴿ولولا أجلٌ مسمى﴾ (ل٢٦١) النفخة [الأولى](٢) ﴿لجاءهم

---

(١) سقط من « ر » .

(٢) طمس في الأصل .

العذاب﴾ إن الله أخَّر عذاب كفار آخر هذه الأمة بالاستئصال إلى النفخة الأولى؛ بها يكون هلاكهم ﴿يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ كقوله: ﴿لهم من جهنم مهادٌ ومن فوقهم غواش﴾[١].

﴿ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ أي: ثواب ما كنتم تعملون في الدنيا ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة﴾ أمرهم في هذه الآية بالهجرة إلى المدينة ﴿فإياي فاعبدون﴾ أي: في تلك الأرض التي آمرُكم أن تهاجروا إليها؛ يعني: المدينة.

قال محمدٌ: (فإياي) منصوبٌ بفعلٍ مضمر الذي ظهر تفسيره؛ المعنى: فاعبدوا إياي: فاعبدون[٢].

﴿لنبوئنهم﴾ أي: لنسكننّهم ﴿من الجنة غرفًا﴾.

﴿نعم أجرُ العاملين﴾ نعم ثواب العاملين في الدنيا؛ يعني: الجنة.

﴿وكأين﴾ أي: وكم ﴿من دابة لا تحمل رزقها﴾ يعني: تأكل بأفواهها، ولا تحمل شيئًا لغدٍ.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ...﴾ إلى قوله: ﴿فأنى يؤفكون﴾ يقول: فكيف يصرفون بعد إقرارهم بأن الله خلق هذه الأشياء [﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ أي: يقتر. ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾.

﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحي به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ أي: أنهم قد أقروا بأن الله خالق هذه الأشياء][٣]، ثم عبدوا الأوثان من دونه؟!.

---

(١) الأعراف: ٤١.

(٢) ينظر الدر المصون (٣٦٨/٥).

(٣) لحق غير واضح بحاشية الأصل، والمثبت من «ر».

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وما هذه الحياةُ الدنيا إلا لهوٌ ولعبٌ﴾ أي : إن أهل الدُّنيا أهل لهْوٍ ولعب ؛ يعني : المشركين هم أهْلُ الدنيا لا يقرون بالآخرة ﴿وإن الدار الآخرة﴾ يعني : الجنة ﴿لهي الحيوان﴾ أي : يبقى فيها أهلُها لا يموتون ﴿لو كانوا يعلمون﴾ يعني : المشركين لعلموا أن الآخرة خَيْرٌ من الدنيا ﴿دَعَوا الله مخلصين له الدين﴾ إذا خافوا الغرق ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ كقوله : ﴿بدَّلوا نعمة الله كفرًا﴾[1].

﴿وليتمتعوا﴾ في الدنيا ﴿فسوف يعلمون﴾ إذا صاروا إلى النار ؛ وهذا وعيدٌ .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا﴾ أي : بلى قد رأوا ذلك ﴿ويتخطَّفُ الناس من حولهم﴾ يعني : أهل الحرم ، يقول : إنهم آمنون ، والعرب حولهم يقتل بعضهم بعضًا ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ أفبإبليس يصدقون؟! أي : بما وسوس إليهم من عبادة الأوثان ، وهي عبادته ﴿وبنعمة الله يكفرون﴾ يعني : ما جاء به النبي ﷺ من الهدى ، وهذا على الاستفهام ؛ أي : قد فعلوا .

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا﴾ فعبد الأوثان دونه ﴿أو كذب بالحق﴾ بالقرآن ﴿لما جاءه﴾ أي : لا أحد أظلم منه ﴿أليس في جهنم مثوى﴾ أي : منزل ﴿للكافرين﴾ أي : بلى فيها مثوى لهم ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ يعني : عملوا لنا . ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ يعني : سبل الهدى .

﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ يعني : المؤمنين .

❁ ❁ ❁

---

(١) إبراهيم : ٢٨.

تفسير سورة الروم وهي مكيّة كلها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ③ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ④ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ⑤ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ⑥ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ⑦﴾

قوله: ﴿الم﴾ قد مضى القولُ فيه ﴿غُلبتْ الروم﴾ غلبتهم فارس ﴿في أدنى الأرض﴾ أرض الروم بأذرعات من الشام؛ بها كانت الوقعة، فلما بلغ ذلك مشركي العرب شمتوا، وكان يعجبهم أن يظهر المجوسُ على أهل الكتاب، وكان المسلمون يعجبهم أن يظهر الروم على فارس؛ لأن الروم أهل كتاب، قال الله: ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ فارس ﴿في بضع سنين لله الأمرُ من قبل ومن بعد﴾ من قبل أن تهزمَ الروم، ومن بعد ما هزمَتْ ﴿ويومئذٍ﴾ يوم يغلب الروم فارس ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء...﴾ إلى قوله: ﴿لا يعلمون﴾ فقال أبو بكر للمشركين: لمَ تشمتون؟ فو الله لتظهرن الروم على فارس إلى ثلاث سنين. وقال أُبي بن خلف: أنا أبايعك ألا تظهر الروم على فارس إلى ثلاث سنين. فتبايعا على خَطَرٍ[1] بسبعٍ من الإبل. ثم رجع أبو بكر إلى رسول الله فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: اذهبْ فبايعه إلى سبع سنين، مُدَّ في الأجل وزِدْ في الخَطَرِ [ولم يكن حرام ذلك يومئذ، وإنما حرم القمار - وهو الميسر - بعد][2] غزوة الأحزاب، فرجع أبو بكر إليهم (ل٢٦٢) قال: اجعلوا (الوعد)[3] إلى سبع سنين وأزيدكم في الخطر. ففعلوا فزادوا فيه ثلاثًا فصارت عشرًا من الإبل، وصارت السنون سبعًا؛ فلما جاءت سبعُ سنين ظهرت الروم على فارس، وكان الله وعد المؤمنين إذا غلبت الروم فارس أظهرهم على المشركين، فظهرت الروم

---

(١) الخَطَر: هو ما يُرَاهن عليه. لسان العرب (خطر).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) في «ر»: الوقت.

على فارس، والمؤمنون على المشركين في يومٍ واحدٍ يوْم بَدْر، وفرح المسلمون بذلك؛ وبأنَّ اللَّه صدق قوله وصدق رسوله[١].

قال محمدٌ: (وَعْدَ اللَّه) منصوبٌ على أنه مصدرٌ مؤكد؛ المعنى: وعد اللَّه وعدًا[٢].

﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني: المشركين ﴿لا يعلمون يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا﴾ قال الحسن: يقول: يعلمون حين زرعهم، وحين حصادهم، وحين نتاجهم ﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ لا يقرون بها.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿أو لمْ يتفكروا في أنفسهم ما خلق اللَّه السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي: لو تفكروا في خَلْق السموات والأرض لعلموا أن الذي خلقهما يبعث الخلق يوم القيامة ﴿وإن كثيرًا من الناس﴾ يعني: المشركين ﴿بلقاء ربهم لكافرون﴾.

﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ أي: بطشًا ﴿وأثاروا الأرض﴾ أي: حرثوها ﴿وعمروها أكثر مما عمروها﴾ أكثر مما عمر هؤلاء ﴿فما كان اللَّه ليظلمهم﴾ يعني: كفار الأمم الخالية فيعذبهُمْ على غير ذنْبٍ ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بكفرهم وتكذيبهم؛ أي: قد [ساروا][٣] في الأرض ورأوا آثار الذين من قبلهم يخوفهم أن ينزل بهم ما نزل بهم إن لمْ يؤمنوا.

﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا﴾ أشركوا ﴿السوأى﴾ يعني: جهنم ﴿أن كذبوا بآيات اللَّه﴾ يعني: بأن كذبوا.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/٢٠) عن ابن مسعود بنحوه، وانظر تخريج أحاديث الكشاف (٣/٥٤ - ٥٥).
(٢) ينظر: إعراب القرآن (٢/٥٨١)، البحر (٧/١٦٢)، البيان (٢/٢٤٩).
(٣) في الأصل (صاروا).

قال محمدٌ : من قرأ : (عاقبةُ) بالرفع[١] جعل (السوأى) خبرًا لكان[٢]، وأصل الكلمة الفُعْلَى من السوء[٣] قال الشاعر :

أم كيف يجزونني السُّوأى من الحسن[٤]

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله : ﴿الله يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ يعني : البعث ﴿ثم إليه ترجعون﴾ يوم القيامة ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ أي : ييأسُ المشركون من الجنة ﴿ولم يكن لهم من شركائهم﴾ يعني : أوثانهم ﴿شفعاء﴾ ﴿يومئذٍ يتفرقون﴾ : فريقٌ في الجنة ، وفريقٌ في السَّعير .

﴿فهم في روضةٍ يحبرون﴾ يُكرمون .

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ الصلوات الخمس كلها في هذه الآية ؛ في تفسير الحسن .

﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ المغرب والعشاء ﴿وحين تصبحون﴾ صلاة الفجر ﴿وعشيًا﴾ صلاة العصر ﴿وحين تظهرون﴾ صلاة الظهر .

---

(١) وهي قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمر ، وقرأ الباقون بالنصب ، ينظر : السبعة (٥٠٦) ، النشر (٢/٣٤٤) ، البحر (٧/١٦٤) ، التيسير (١٧٤) .

(٢) ينظر : إعراب القرآن (٢/٥٨٢) ، البحر (٧/١٦٤) ، مجمع البيان (٤/٢٩٦) ، البيان (٢/٢٤٩) .

(٣) والسُّوأى مؤنث الأسوأ . ينظر لسان العرب (سوء) .

(٤) هذا عجز بيت للشاعر أُفنون التَّغلبي ، وصدره :

أنّى جزوا عامرًا سوءى بفعلهم ....الخ

وهو من بحر البسيط . ينظر شرح شواهد المغني (٥٣) ، الخصائص (٢/١٨٤) ، (٣/١٠٧) ، وأمالي ابن الشجري (١/٣٧) ، الحجة لابن خالويه (٤/١٢٨) .

قال محمدٌ : تقول : أظهرنا ؛ أي : دخلنا في الظَّهيرة ؛ وهو وقت الزوال(١).

قال يحيى : « نزلت هذه الآية بعد ما أُسْرِيَ بالنبي ﷺ وفرضت عليه الصلوات الخمس ، وكل صلاةٍ ذكرت في المكي من القرآن قبل أن تفترض الصلوات الخمس فهي ركعتان غدوةً(٢)، وركعتان عشيَّةً(٣)».

﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ تفسير الحسن(٤): يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن ﴿ويحيي الأرض بعد موتها﴾ يحييها بالنبات بعد إذ كانت يابسة .

﴿وكذلك تخرجون﴾ يعني : البعث ؛ يرسل الله مطرًا مَنِيًّا كَمَنِيِّ الرجال ، فتنبت به جُسْمانُهم ولُحمانُهم ؛ كما تنبت الأرض الثرى .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ومن آياته﴾ تفسير السُّدي : يعني : ومن علامات الرب أنه واحدٌ ﴿أن خلقكم من تراب﴾ يعني : الخلق الأول : خلق آدم ﴿ثم إذا أنتم بشرٌ تنتشرون﴾ تَنْبَسِطُون ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ يعني : المرأة هي من الرجل ﴿لتسكنوا إليها﴾ أي : تستأنسوا بها ﴿وجعل بينكم مودّة﴾ محبّة ﴿ورحمة﴾ يعني : الولدُ .

﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ تفسير الكلبي : اختلاف ألسنتكم للعرب كلامٌ ، ولفارس

(١) وقيل : أظهرنا : سِرْنا في الظهيرة . لسان العرب (ظهر) .

(٢) ويقال فيها : الغداة ، وهي الوقت ما بين الفجر وطلوع الشمس . ينظر لسان العرب ، المعجم الوسيط (غدو) .

(٣) وهي الوقت من زوال الشمس إلى المغرب ، أو من صلاة المغرب إلى العَتَمة . وصلاتا العشي : صلاة الظهر وصلاة العصر . لسان العرب ، المعجم الوسيط (عشى) .

(٤) رواه الطبري (٢١/٣٠) .

كلامٌ، وللروم كلامٌ (سائرهم من الناس)[١] كلامٌ ﴿وألوانكم﴾ أبيض وأحمر وأسود.

﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله﴾ (ل٢٦٣) كقوله: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾[٢] من رزقه بالنهار ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقوم يسمعون﴾ وهم المؤمنون سمعوا عن الله ما أنزل عليهم ﴿يريكم البرق خوفًا وطمعًا﴾ خوفًا للمسافر يخاف أذاه ومعرته، وطمعًا للمقيم في المطر ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون﴾ وهم المؤمنون عقلوا عن الله ما أنزل عليهم.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ كقوله: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾[٣].

﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ يعني: النفخة الآخرة، وفيها تقديم: إذا دعاكم دعوة إذا أنتم من الأرض تخرجون[٤] ﴿كل له قانتون﴾ تفسير الكلبي: كل له مطيعون في الآخرة؛ فلا يقبل ذلك من الكفار.

﴿وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ بعد الموت؛ يعني: البعث.

﴿وهو أهون عليه﴾ أي: وهو أسرعُ عليه بَدْءِ الخلق خلقًا بعد خلق، ثم يبعثهم بمرةٍ[٥] واحدة.

قال محمدٌ: قال أبو عبيدة: المعنى: وهو هَيِّنٌ عليه[٦]؛ كما قالوا: الله أكبر بمعنى الكبير، وكما قالوا: أجهل؛ بمعنى: جاهل، وأنشد:

---

(١) في «ر»: ولسائرهم.

(٢) القصص: ٧٣.

(٣) فاطر: ٤١.

(٤) ينظر: مجمع البيان (٤/ ٣٠٠)، البحر (٧/ ١٦٨)، البيان (٢/ ٢٥٠).

(٥) أي: مرة، وهو تعبير لغوي فصيح.

(٦) أي: أن (أفعل) بمعنى (فعيل)، وهو كثير في الكلام.

وقد أُعتِبُ ابن العَمّ إن كان ظالمًا وأَغْفِرُ عنه الجهْل إن كان أجْهلا(١)

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله : ﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾ أي : ليس له نِدٌّ ولا شِبْهٌ ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾ ثم ذكر ذلك المثل فقال : ﴿هل لكم﴾ يعني : ألكم؟ ﴿مما ملكت أيمانكم﴾ يعني : عبيدكم ﴿من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء﴾ أي : هل يشارك أحدكم مملوكه في زوجته وماله؟ ﴿تخافونهم﴾ تخافون لائمتهم ﴿كخيفتكم أنفسكم﴾ يعني : كخيفة بعضكم بعضًا ؛ أي : أنه ليس أحدٌ منكم هكذا ؛ فأنا أحقُّ ألاّ يشرك بعبادتي غيري ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ نبيّنها ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم﴾ أتاهم من الله بعبادة الأوثان ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾ أي : لا أحد يهديه .

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فأقم وجهك﴾ أي : وجهتك ﴿للدين حنيفًا﴾ أي : مخلصًا .

﴿فطرتَ الله التي فطر﴾ خلق ﴿الناس عليها﴾ .

قال محمدٌ : (فطرتَ الله) نصبٌ بمعنى : اتبع فطرةَ الله(٢).

قال يحيى : وهو قوله : ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ...﴾(٣) الآية . إن أول ما خلق الله القلم ؛ فقال : اكْتب . قال : رب ما أكْتبُ! قال : ما هو كائن . قال : فجرى القلم

---

(١) البيت من بحر الطويل، ويروى البيت : ولا أعتب ...إن كان عاتبًا ...إلخ . ينظر مجمع الأمثال (٣٦٩/١) .

(٢) إعراب القرآن (٥٨٨/٢)، البحر (١٧١/٧)، مجمع البيان (٣٠٢/٤) .

(٣) الأعراف : ١٧٢، ﴿ذرياتهم﴾ على الجمع ، وهي قراءة : نافع وأبي عمرو وابن عامر ، وقرأ الكوفيون وابن كثير : ﴿ذريتهم﴾ بالإفراد . ينظر : النشر (٢٧٣/٢)، البحر (٤١٨/٤ - ٤١٩)، الدر المصون (٣٦٩/٣ - ٣٧٠) .

بما هو كائن إلى يوم القيامة ؛ فأعمال العباد تُعْرَضُ كلَّ يوم اثنين وخميس عرضة (فيجدونها)[١] على ما في الكتاب . ثم مسح بعد ذلك على ظهر آدم فأخرج (منها)[٢] كل نسمة هو خالقها ، فأخرجهم مثل الذَّرِّ . فقال : ﴿ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ ثم أعادهم في صلب آدم ، ثم يكتب العبد في بطن أمه : شقيًّا أو سعيدًا ، على الكتاب الأول ، فمن كان في الكتاب الأول شقيًّا عمر حتى يجري عليه القلم فينقض الميثاق الذي أُخذ عليه في صُلْب آدم بالشرك ، ومن كان في الكتاب الأول سعيدًا عمِّر حتى يجري عليه القلم [فيؤمن][٣] فيصير سعيدًا ، ومن مات صغيرًا من أولاد المؤمنين قبل أن يجري عليه القلم ؛ فيكونون مع آبائهم في [الجنة من ملوك][٤] أهل الجنة ، ومن كان من أولاد المشركين ، فمات قبل أن يجري عليه القلم ، فليس يكونون مع آبائهم في النار ؛ لأنهم ماتوا على الميثاق الذي أُخذ عليهم في صلب آدم ، ولم ينقضوا الميثاق .

قال يحيى : وقدْ حدثني الوليد بن (...)[٤] عن الربيع بن صبيح ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك قال : « سُئِلَ رسولُ الله عن أولاد المشركين؟ فقال : لم تكن لهم حسناتٌ ؛ فيجزوا بها فيكونوا من ملوك أهل الجنة ، ولمْ تكن لهم سيئاتٌ ؛ فيُعَاقبوا بها فيكونوا من أهل النار ؛ فهم خدمٌ لأهل الجنة »[٥].

---

(١) في « ر » : فيحمدونه .

(٢) أي : من المَسْحة التي مسحها على ظهر آدم .

(٣) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) لم استطع قراءتها من الأصل ، وفي « ر » : « الوليد عن ابن بزع » ولم اهتد لضبط هذا الإسناد ، والله أعلم .

(٥) رواه الطيالسي (٢٨٢ رقم ٢١١١) عن الربيع بن صبيح به .

ورواه أبو نعيم في الحلية (٣٠٨/٦) من طريق الثوري عن الربيع بن صبيح به .

وروى أبو يعلى (١٣٠/٧ - ١٣١ رقم ٤٠٩٠) وابن عبد البر في التمهيد (١١٨/١٨) وغيرهم من طريق الأعمش ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس قال رسول الله ﷺ : « الأطفال خدم أهل الجنة » .

ورواه البزار - كما في تخريج الكشاف (٤٠٥/٣) - والطبراني في الأوسط (٢٩٤/٥ رقم ٥٣٥٥) من طريق مبارك ابن فضالة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أنس مثله .

وقال ابن القيم في طريق الهجرتين (ص٥٨٤) : يزيد الرقاشي واهٍ .

وقال الهيثمي في المجمع (٢١٩/٧) : رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط ، وفي إسناد أبي يعلى : يزيد الرقاشي ، وهو ضعيف ، وقال فيه ابن معين : رجل صدق . ووثقه ابن عدي ، وبقية رجالهما رجال الصحيح .

وقال ابن حجر في الفتح (٢٩٠/٣) : حديث ضعيف ، أخرجه أبو داود الطيالسي وأبو يعلى .

يحيى : (عن ابن أبي ذئب)[١] عن الزهري [عن عطاء بن يزيد][٢] عن أبي هريرة قال : « سُئِلَ رسول الله عن أولاد المشركين ، فقال : الله أعلم (ل٢٦٤) بما كانوا عاملين »[٣].

قال يحيى : يعني : لو بلغوا .

قوله : ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ يعني : لدين الله كقوله ﴿من يهدِ الله فهو المهتدي﴾[٤] لا يستطيع أحدٌ أن يضله .

﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ وهم المشركون .

= وروى البخاري في تاريخه (٦/٤٠٧ - ٤٠٨) والبزار - كما في تخريج الكشاف (٣/٤٠٤) - والطبراني في الكبير (٧/٢٤٤ رقم ٦٩٩٣) والروياني في مسنده (٢/٦٤ رقم ٨٣٨) وغيرهم من طريق عيسى بن شعيب ، عن عباد بن منصور ، عن أبي رجاء ، عن سمرة بن جندب ﷺ قال النبي ﷺ : « أطفال المشركين خدم أهل الجنة » .

وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢١٩) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار ، وفيه عباد بن منصور ، وثقه يحيى القطان ، وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات .

وقال ابن حجر في الفتح (٣/٢٩٠) : وإسناده ضعيف .

وقال ابن منده في المعرفة (٢/٢٦١ - ١) - كما في السلسلة الصحيحة (٣/٤٥٢ رقم ٤٦٨) - حدث إبراهيم بن المختار عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أبي مالك قال : « سئل النبي ﷺ عن أطفال المشركين ، قال : هم خدم أهل الجنة » .

قال أبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/٣٠٠٧ رقم ٦٩٨١) : كذا قال عن أبي مالك ؛ والمشهور عن يزيد عن سنان عن أنس بن مالك : قال ابن حجر في الإصابة (٦/١٢) : وهو كذلك .

(١) في « ر » : عن أبي دينار . وهو تحريف .

(٢) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) رواه الطيالسي (٣١٤ رقم ٢٣٨٢) عن ابن أبي ذئب به .

ورواه الإمام أحمد (٢/٢٥٩) ومسلم (٤/٣٥٣ رقم ٢٦٥٨) والبغوي في شرح السنة (١/١٥٣ رقم ٨٣) من طريق ابن أبي ذئب .

ورواه الإمام أحمد (٢/٢٦٨) والبخاري (٣/٢٨٩ رقم ١٣٨٤) ومسلم (٤/٣٥٣ رقم ٢٦٥٨) والنسائي (٤/٥٨ رقم ١٩٤٨) وابن حبان (١/٣٤٠ رقم ١٣١) والبغوي في شرح السنة (١/١٥٣) وغيرهم من طرق عن الزهري به .

وقال البغوي : هذا حديث متفق على صحته .

وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة وغيره من الصحابة ﷺ .

وانظر الكلام على أولاد المشركين مفصلاً في التمهيد لابن عبد البر (١٨/١١١ - ١٣٣) وطريق الهجرتين لابن القيم (٥٧٠ - ٥٩٥) وفتح الباري لابن حجر (٣/٢٩٠ - ٢٩١) وغيرها .

(٤) الأعراف : ١٧٨.

﴿منيبين إليه﴾ : أي مقبلين بالإخلاص .

قال محمدٌ : قال الزَّجاج : (منيبين إليه) نصْبٌ على الحال[١] بفعل (فأقم وجهك) قال : وزعم جميع النحويين أن معنى هذا : فأقيموا وجوهكم ؛ لأن مخاطبة النبي ﷺ تدخل فيها الأُمة[٢].

﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا﴾ فرقًا ؛ يعني : أهل الكتاب ﴿كل حزبٍ﴾ كل قوم ﴿بما لديهم﴾ أي : بما هم عليه ﴿فرحون﴾ أي : راضون .

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وإذا مسَّ الناس ضرٌّ دَعْوا ربهم منيبين إليه﴾ أي : مخلصين في الدعاء ﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمةً﴾ يعني : كشف عنهم ذلك ﴿إذا فريقٌ منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم﴾ أي : يكفروا بما آتيناهم من النعم حيث أشركوا ﴿فتمتعوا﴾ إلى موتكم ﴿فسوف تعلمون﴾ وهذا وعيدٌ ﴿أم أنزلنا عليهم سلطانًا﴾ أي : حُجَّة ﴿فهو يتكلَّم﴾ أي : فذلك السلطان يتكلم ﴿بما كانوا به يشركون﴾ أي : لمْ تنزل عليهم حُجَّةٌ بذلك تأمرهم أن يشركوا ﴿وإذا أذقنا الناس رحمةً﴾ يعني : عافيةً وسعةً ﴿فرحوا بها وإن تصبهم سيئة﴾ يعني : شدة عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾ ييأسون من أن يصيبهم رخاء بعد تلك الشدة ؛ يعني : المشركين ﴿فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾ .

قال الحسن[٣]: بعض هذه الآية تطوع ، وبعضها مفروض ؛ فأما قوله : ﴿فآت ذا القربى حقه﴾

---

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي ، حيث اختلف النحاة في عامل النصب في الحال . ينظر : إعراب القرآن (٢/٥٨٩) ، مجمع البيان (٤/٣٠٤) ، البحر (٧/١٧١) .

(٢) ينظر الكلام على ذلك من الدر المصون (٥/٣٧٨) ، كشف المشكلات (٢/١٠٥٠) .

(٣) في « ر » : محمد . وأظنها الصواب ، والله أعلم .

فهو تطوع، وهو ما أمر الله به من صله القرابة، وأما قوله: ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ فيغني: الزكاة.

قال يحيى: حدثونا أن الزكاة فرضت بمكة، ولكن لم تكنْ شيئًا معلومًا.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وما آتيتم من ربًا لِتُرْبُوا[١] في أموال الناس فلا يربوا عند الله﴾ تفسير الضحاك بن مزاحم[٢]: قال: تلك الْهديَّة تهْدِيها ليُهْدَى إليك خيرٌ منها ليس لك فيها أجرٌ، وليس عليك فيها وزرٌ، وبعضهم يقرؤها: ﴿لِيَربُوا﴾ أي: ليربو ذلك الربا ﴿وما آتيتم من زكاةٍ تريدون وجه الله﴾ يعني: تريدون به الله ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ يعني: الذين يضاعف الله لهم الحسنات.

قال محمدٌ: يقال: رجلٌ مُضْعِفٌ؛ أي: ذو أضعافٍ من الحسنات؛ كما يقال: رجلٌ موسِرٌ؛ أي: ذو يسارٍ[٣].

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ تفسير بعضهم: الفسادُ: الهلاكُ، يعني: من أُهْلِكَ من الأمم السالفة بتكذيبهم رسُلَهم أهلكهم الله في بر الأرض وبحرها ﴿لعلهم يرجعون﴾ لعل من بعدَهُمْ أن يرجعوا عن شركهم إلى الإيمان ويتعظوا بهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ كان عاقبتهم أنْ دَمّر اللهُ عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

---

(١) هكذا في الأصل و «ر»: (لِتُربُوا) وهي قراءة نافع وحده من السبعة، وقرأ الباقون (لِيَرْبُوا) ينظر: السبعة (٥٠٧)، البحر (١٧٤/٧)، التيسير (١٧٥)، النشر (٣٤٤/٢).

(٢) رواه عبد الرزاق (١٠٤/٢) والطبري (٤٦/٢١).

وعزاه السيوطي في الدر (١٧٠/٥) للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ينظر: لسان العرب (ضعف)، و(يسر).

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿فأقم وجهك﴾ أي: وجهتك ﴿للدين القيم﴾ الإسلام ﴿من قبل أن يأتي يومٌ لا مَردَّ له من الله﴾ يعني: يوم القيامة ﴿يومئذٍ يصدعون﴾ يتصدعون؛ أي: يتفرقون: فريق في الجنة وفريق في السعير ﴿من كفر فعليه كفرُه﴾ يُثاب عليه النار ﴿ومن عمل صالحًا فلأنفسهم يمهدون﴾ يعني: يُوَطِّئُون في الدنيا القرار في الآخرة ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ أي: بفضله يدخلهم الجنة.

﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ بالمطر ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ يعني: المطر ﴿ولتجري الفلك﴾ يعني: السفن ﴿بأمره ولتبتغوا من فضله﴾ يعني: طلب التجارة في البحر.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿ويجعله كسفًا﴾ أي: قطعًا ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ من خلال السحاب.

﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم﴾ المطر ﴿من قبله لمبلسين﴾ أي: يائسين عاجزين.

قوله: ﴿من قبل أن ينزل عليهم من قبله﴾ (ل٢٦٥) هو كلامٌ من كلام العرب مثنى مثل قوله: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾[1].

قال محمدٌ: تكرير (قَبْل) على جهة التوكيد[2].

---

(١) هود: ١٩، ويوسف: ٣٧، وفصلت: ٧. ووردت في الأصل: ﴿وهم بآياتنا هم كافرون﴾.

(٢) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع، ينظر من إعراب القرآن (٢/٥٩٤)، مجمع البيان (٤/٣٠٩)، البحر (٧/١٧٨).

﴿فانظر إلى آثار رحمت الله﴾ يعني: المطر ﴿كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾ يعني: النبات؛ أي: فالذي أنبت هذا النبات بذلك المطر قادرٌ على أن يبعث الخلق (يَوْمَ)[١] القيامة.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿ولئن أرسلنا ريحًا﴾ فأهلكنا به ذلك الزرع ﴿فرأوه﴾ يعني: الزرع ﴿مصفرًا لظلوا من بعده﴾ [لصاروا][٢] من بعد ذلك المطر ﴿يكفرون﴾.

﴿فإنك لا تُسمع الموتى﴾ يعني: الكفار الذين يموتون على كفرهم ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾ [يقول: إن الصم لا يسمعون الدعاء إذا ولوا مدبرين][٢] وهذا مَثَلُ الكفار أنهم إذا تولوا عن الهدى لم يسمعوه سَمْعَ قبول.

قال: ﴿وما أنت بهاد العُمْي﴾ يعني: الكفَّار هم عُمْيٌ عن الهدى ﴿إن تسمع﴾ إن: يقبل منك ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾.

قال محمدٌ: (إن تسمع) أي: ما تُسْمِع[٣].

﴿الله الذي خلقكم من ضُعْفٍ﴾[٤] يعني: نطفة الرجل ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ يعني:

---

(١) ما بين القوسين مكرر في الأصل.

(٢) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٣) (إن) المخففة نافية بمعنى (ما). انظر في ذلك مغني اللبيب (١/٣٠).

(٤) بضم الضاد، قرأ عاصم وحمزة بفتح الضاد، واختلف عن حفص، وقرأ الباقون بالضم. النشر (٢/٣٤٥) وإتحاف الفضلاء (٤٤٥).

الشبيبة[١].

﴿يقسم المجرمون﴾ يحلف المشركون ﴿ما لبثوا﴾ في الدنيا في قبورهم ﴿غير ساعَةٍ كذلك كانوا يؤفكون﴾ يُصَدُّون في الدنيا عن الإيمان بالبعث ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب اللّه إلى يوم البعث﴾ وهذا من مقاديم الكلام[٢]. يقول: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب اللّه والإيمان: لقد لبثتم إلى يوم القيامة؛ يعني: لُبْثَهم الذي كان في الدنيا وفي قبورهم إلى أن بُعِثوا ﴿فهذا يوم البعث ولكّنكم كنتم﴾ في الدنيا ﴿لا تعلمون﴾ أن البعث حقٌّ ﴿فيومئذٍ لا ينفع الذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾ لا يُرَدون إلى الدنيا فيعتبون؛ أي: يؤمنون.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ أي: ليذَّكَّروا ﴿ولئن جئتهم بآية ليقولّن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون﴾ وذلك أنهم كانوا يسألون النبي أن يأتيهُمْ بآية ﴿كذلك يطبع اللّه على قلوب الذين لا يعلمون﴾ يعني: الذين يلقون اللّه بشركهم ﴿فاصبر إن وعد اللّه حقٌّ﴾ الذي وعدك أنه سينصُرك على المشركين.

﴿ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون﴾ أي: لا تتابع المشركين إلى ما يدعونك إليه من تَرْك دينك.

❁ ❁ ❁

(١) أي: الشباب. لسان العرب (شبب).

(٢) أي: أن الكلام به تقديم وتأخير. ينظر الكلام عليه من الدر المصون (٣٨٣/٥).

تفسير سورة لقمان وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾

قوله : ﴿الم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ هذه آيات الكتاب الحكيم المحكم ؛ أُحْكِمَتْ آياتُه بالحلال والحرام ، والأمر والنهي ﴿هدى ورحمةً للمحسنين﴾ للمؤمنين .

قال محمدٌ : من قرأ : ﴿ورحمةً﴾[١] بالنصب فعلى الحال[٢].

﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ المفروضة ﴿ويؤتون الزكاة﴾ المفروضة ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث﴾ تفسير السُّدي : يختار باطل الحديث على القرآن . وقال الكلبي : نزلت في النضر بن الحارث من بني عبد الدار ؛ وكان رجلاً راويةً لأحاديث الجاهلية وأشعارهم ﴿ليضل عن سبيل الله بغير علم﴾ أتاه من الله بما هو عليه من الشرك ﴿ويتخذها﴾ يتخذ آيات الله القرآن ﴿هُزُوًا﴾ .

قال محمدٌ : من قرأ : (ويتخذُها) بالرفع[٣] فعلى الابتداء[٤].

﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرًا﴾ أي : جاحدًا ﴿كأن لم يسمعها﴾ أي : قد سمعها بأذنيه ،

---

(١) وهي قراءة السبعة إلا حمزة ، فقد قرأها بالرفع . ينظر : البحر (١٨٣/٧) ، السبعة (٥١٢) ، النشر (٣٤٦/٢) ، التيسير (١٧٦) .

(٢) البحر (١٨٣/٧) ، إعراب القرآن (٥٩٩/٢) ، البيان (٢٥٣/٢) .

(٣) وهي قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، وعاصم . وقرأ حمزة والكسائي بالنصب . ينظر : السبعة (٥١٢) ، البحر (١٨٤/٧) ، النشر (٣٤٦/٢) ، التيسير (١٧٦) .

(٤) ينظر البحر (١٨٤/٧) .

ولم يقبلها قلبه وقامت عليه بها الحجة . ﴿كأن في أذنيه وقرًا﴾ صممًا .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾

﴿خلق السموات بغير عمدٍ ترونها﴾ فيها تقديم في تفسير الحسن : خلق السموات ترونها بغير عمَدٍ ، وتفسير ابن عباس[١]: لها عمدٌ ولكن لا ترونها[٢] ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ يعني : الجبال أُثبتَ بها الأرض ﴿أن تميد بكم﴾ أي : لئلا تحرّك بكم ﴿وبث فيها﴾ خلق ﴿من كل دابة﴾ .

﴿فأروني ماذا خلق﴾ يقوله للمشركين (ل٢٦٦) ﴿ماذا خلق الذين من دونه﴾ يعني : الأوثان ﴿بل الظالمون﴾ المشركون ﴿في ضلالٍ مبين﴾ بيِّن .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ قال مجاهد[٣]: يعني : الفقه والعقل ، والإصابة في القول في غير نبوةٍ ﴿أن اشكر لله﴾ النعمة .

---

(١) رواه الطبري (٢١/٦٥) .

(٢) ينظر : البحر (٧/١٨٦) ، مجمع البيان (٤/٣١٤ - ٣١٥) ، البيان (٢/٢٥٤) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٢/١٠٥) والطبري (٢١/٦٧) وابن أبي حاتم (٩/٣٠٩٧ رقم ١٧٥٣١) .
وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٧٥) للفريابي وأحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾ وهو المؤمن ﴿ومن كفر﴾ يعني : كفرها ﴿فإن اللَّه غنى﴾ عن خلقه ﴿حميد﴾ استوجب عليهم أن يحمدوه ﴿إن الشرك لظلمٌ عظيم﴾ يعني : يظلم به المشرك نفسه وينقُصها .

﴿حملته أمه وهنًا على وهن﴾ أي : ضعفًا على ضعف .

قال محمدٌ : المعنى : لزمها لحملها إيَّاه أن تضعف مرَّة بعد مرَّةً .

﴿وإن جاهداك﴾ يعني : أراداك ﴿على أن تشرك بي ما ليس لك به علم﴾ أي أنك لا تعلم أن لي شريكًا ؛ يعني : المؤمن ﴿فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفًا واتبع سبيل من أناب إليَّ﴾ طريق من أقبل إليَّ بقلبه مخلصًا ﴿يا بُنى﴾ رجع إلى كلام لقمان ﴿إنها إن تك مثقال حبة﴾ أي : وزن حبةٍ ﴿من خردل﴾ .

قال محمدٌ : من قرأ (مثقالُ) بالرفع[١] مع تأنيث (تَكُ) فلأن مثقال حبة من خردل راجع إلى معنى خردلة ؛ فهو بمنزلة : إن تكُ حبةٌ من خردلٍ فتكن في صخرةٍ[٢].

قال يحيى : بلغنا أنها الصخرة التي عليها الحوت الذي عليه قرارُ الأرض[٣].

﴿أو في السموات أو في الأرض يأت بها اللَّه﴾ أي : احذر ؛ فإنه سيحصي عليك عملك ويعلمُه ؛ كما علم هذه الحبة من الخردل ﴿إن اللَّه لطيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خبير﴾ بمكانها .

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

﴿وأمُر بالمعروف﴾ بالتوحيد ﴿وانه عن المنكر﴾ الشرك ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾ والعزم أن يصبر ﴿ولا تصاعر[٤] خدك للناس﴾ لا تعرض بوجهك عنهم استكبارًا .

---

(١) وهي قراءة نافع ، وقرأ الباقون بالنصب ، ينظر : السبعة (٥١٣) البحر (١٨٧/٧) ، النشر (٤٢٣/٢) ، التيسير (٥٥١) .

(٢) ينظر : البحر (١٨٧/٧) ، إعراب القرآن (٦٠٢/٢) ، البيان (٥٥٢/٢) .

(٣) هذا من الإسرائيليات المنكرة ، والله أعلم .

(٤) هذه قراءة نافع ، وأبي عمرو ، والكسائي ، وحمزة . ينظر البحر (١٨٨/٧) ، السبعة (٥١٣) ، النشر (٣٤٦/٢) .

قال محمدٌ : ومن قرأ (تُصَعِّر)(١) فعلى وجه المبالغة ، وأصل الكلمة من قولهم : أصاب البعير صَعَرٌ ؛ إذ أصابه داءٌ فلوى منه عنقه(٢).

قال المتلمِّسُ(٣):

وكنا إذا الجبار صعَّر خدَّه   أقمنا له من رأسه فتقوَّما(٤)

قوله : ﴿ولا تمش في الأرض مرحًا﴾ أي : تعظُّمًا ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ أي : متكبر فخور ، يعني : يُزْهَى بما أعطِيَ ، ولا يشكر الله ﴿واقصد في مشيك﴾ كقوله : ﴿ولا تمش في الأرض مرحًا﴾ ﴿واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات﴾ يعني : أقبح ﴿لصوت الحمير﴾ .

قال محمدٌ : معنى (اغضض) : انقُصْ(٥)؛ المعنى : عَرَّفه قبح رفع الصَّوْت في المخاطبة والملاحاة(٦) بقبح أصوات الحمير ؛ لأنها عالية .

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات﴾ يعني : شمسها وقمرها ونجومها ، وما ينزل منها من ماء ﴿وما في الأرض﴾ من شجرها وجبالها وأنهارها وبحارها وبهائمها ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ أي : في باطن أمركم وظاهره ﴿ومن الناس من يجادل في الله﴾ فيعبد الأوثان دونه ﴿بغير علم ولا هدى﴾ أتاه من الله ﴿ولا كتاب منير﴾ بيِّن بما هو عليه من الشرك .

---

(١) وهذه قراءة باقي السبعة .

(٢) الصَّعَر : داء في العنق لا يُستطاع معه الالتفات . المعجم الوسيط (صعر) .

(٣) هو جرير بن عبد العزى من بني ضبيعة شاعر جاهلي ، وهو خال طرفة بن العبد ، توفي حوالي (٥٠ ق هـ) تنظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (١١٩/٢) .

(٤) البيت من بحر الطويل ، ويروى : أقمنا له من مَيْله فتقوما . ينظر : البحر (١٨٢/٧) ، مجاز القرآن (١٢٧/٢) منسوبًا لعمرو بن حُنَّي التغلبي ، وفي لسان العرب (صعر) منسوبًا إلى المتلمس ، وهو كذلك في ديوانه : (٢٤) .

(٥) لسان العرب (غضض) .

(٦) المنازعة والمخاصمة . لسان العرب (لحى) .

﴿بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾ يعنون: عبادة الأوثان ﴿أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ أي: أيتبعون ما وجدوا عليه آباءهم، ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير؛ أي: قد فعلوا.

﴿ومن يسلم وجهه﴾ يعني: وجهته في الدين ﴿إلى الله وهو محسنٌ فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ لا إله إلا الله ﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾ يعني: مصيرها في الآخرة.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿نمتعهم قليلاً﴾ في الدنيا؛ يعني: إلى موتهم.

﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أنهم مبعوثون ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلامٌ والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ يقول: لو أن ما في الأرض من شجرة أقلامٌ يكتب بها علمه، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر؛ يُستَمَدُّ منه للأقلام لانكسرت الأقلام ونَفِدَ البحر ولمات الكُتَّاب، وما نفدت كلماتُ الله يعني بما خلق.

قال محمدٌ: من قرأ: ﴿والبحرُ﴾ بالرفع فهو على الابتداء(١).

﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ قال المشركون: يا محمد، خلقنا الله (ل٢٦٧) أطوارًا: نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ثم لحمًا، ثم أنشأنا خلقًا آخر كما تزعم، وتزعم أنَّا نبعث في ساعةٍ واحدة؟! فأنزل الله جوابًا لقولهم: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ إنما يقول له كن فيكون.

قال محمدٌ: من قرأ (فيكون) بالرفع فعلى معنى: فهو يكون(٢).

---

(١) وقراءة الرفع هي قراءة السبعة إلا أبا عمرو؛ فقد قرأ بالنصب. ينظر: السبعة (٥١٣)، البحر (١٩١/٧)، النشر (٣٤٧/٢).
وينظر في توجيه الرفع نحويًا من. إعراب القرآن (٦٠٦/٢)، البحر (١٩٠/٧ - ١٩١)، البيان (٢٥٦/٢).

(٢) هكذا في الأصل و «ر» وهو يشعر أن قوله ﴿إنما يقول له كن فيكون﴾ جزء من إحدى آيات سورة لقمان، وليس =

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ هو أَخْذُ كل واحدٍ منهما من صاحبه ﴿ليريكم من آياته﴾ يعني: جري السفن.

﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ وهو المؤمن ﴿وإذا غشيهم موجٌ كالظلل﴾ كالجبال.

﴿فمنهم مقتصد﴾ هذا المؤمن، وأما الكافر فعاد في كفره ﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار﴾ أي: غدَّار ﴿كفور﴾ يقول: أخلص له في البحر للمخافة من الغرق، ثم غدر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

﴿واخشوا يومًا لا يجزي والدٌ عن ولده﴾ أي: لا يفديه من عذاب الله.

﴿إن وعد الله حقٌّ﴾ يعني: البعث والحساب، والجنة والنار.

﴿ولا يغرنكم بالله الغَرور﴾ الشيطان، وتقرأ: (الغُرُور)[1] برفع الغين؛ يعني: غرور الدنيا، وهو أباطيلها.

﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ علمُ مجيئها ﴿وينزل الغيث﴾ المطر ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ من ذكر أو أنثى وكيف صوَّره ﴿وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غدًا وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموت إن الله عليم﴾ بخلقه ﴿خبيرٌ﴾ بأعمالهم.

= كذلك؛ ولا أدري ما سبب هذا الإقحام وسبب التعليق على قراءاته!

(١) وهي قراءة سماك بن حرب، وأبي حيوة، وابن السميفع. ينظر البحر (١٩٤/٧)، جامع القرطبي (٨١/١٤)، المحتسب (١٧٢/٢).

تفسير الم السجدة وهي مكيَّة كلُّها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ① تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ② أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ③ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ④ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ⑤﴾

قوله : ﴿الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من ربِّ العالمين﴾ أي : لا شك فيه أنه من رب العالمين .

قال محمدٌ : ﴿تنزيلُ﴾ رفعٌ على خبر الابتداء على إضْمار : الذي تتلو تنزيل الكتاب ، ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء ، ويكون خبر الابتداء ﴿لا ريب فيه﴾[١].

﴿أم يقولون افتراه﴾ يعني : المشركين يقولون : إن محمدًا افترى القرآن ، أي : قد قالوه وهو على الاستفهام ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ يعني : قريشًا ﴿لعلهم يهتدون﴾ لكي يهتدوا ﴿في ستة أيام﴾ اليومُ منها ألف سنة .

﴿ما لكم من دونه من ولي﴾ يمنعكم من عذابه إذ أراد عذابكم ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لكم عنده ؛ حتى لا يعذبكم .

﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ أي : ينزله مع جبريل من السماء إلى الأرض ﴿ثم يعرج إليه﴾ أي : يصعد ؛ يعني : جبريل إلى السماء ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة﴾ من أيام الدنيا .

قال يحيى : بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة ، فينزل مسيرة خمسمائة سنة ، ويصعد مسيرة خمسمائة سنة في يوم وفي أقل من يوم ، ورُبَّما سئل النبي ﷺ عن الأمر يحضره ، فينزلُ في

---

(١) ينظر : الدر المصون (٣٩٣/٥) .

أسرع من الطرف .

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾

﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ وهذا تبعٌ للكلام الأول ﴿لا ريب فيه من رب العالمين﴾ ثم قال : ﴿ذلك عالمُ الغيب والشهادة﴾ يعني : نفسه و﴿الغيب﴾ : السِّر و﴿الشهادة﴾ : العلانية ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ يعني : آدم ﴿ثم جعل نسله﴾ نسل آدم بعدُ ﴿من سلالةٍ من ماءٍ مهين﴾ ضعيف ؛ يعني : النطفة ﴿ثم سواه﴾ يعني : سوى خلقه كيف شاء ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أي : أقلكم من يشكر ﴿وقالوا أئذا ضللنا في الأرض﴾ أي : إذا كنا رُفاتًا وترابًا ﴿أئنا لفي خلق جديد﴾ وهذا استفهامٌ على إنكار ؛ أي : أنا لا نبعث بعد الموت ﴿قل يتوفاكم﴾ أي : يقبض أرواحكم ﴿ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم﴾ جُعلت الأرض لملك الموت مثل الطَّسْتِ يقبض أرواحهم ، كما يلتقط الطير الحَبَّ .

قال يحيى : وبلغني أنه يقبض روح كل شيءٍ في البر والبحر .

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٣ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٤﴾

﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم﴾ خزايا نادمين ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا﴾ سمعوا حين لم ينفعهم السمع ، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر ﴿فارجعنا﴾ إلى الدنيا ﴿نعمل صالحًا إنا موقنون﴾ بالذي أتى به محمدٌ أنه حقٌّ .

﴿ولكن حقَّ القول منى﴾ أي : سبق ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ يعني : المشركين من الفريقين ﴿فذوقوا﴾ يعني : عذاب جهنم ﴿بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ (ل٢٦٨)

يعني: بما تركتم الإيمان بلقاء يومكم هذا ﴿إنا نسيناكم﴾ أي: تركناكم في العذاب.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة الله ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ تفسير الحسن[1] قال: يعني: قيام الليل ﴿يدعون ربهم خوفًا﴾ من عذابه ﴿وطمعًا﴾ في رحمته؛ يعني: الجنة.

قال محمدٌ: معنى ﴿تتجافى﴾: تفارق[2].

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يعني: الزكاة المفروضة ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾ على قَدْرِ أعمالهم.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا﴾ يعني: مشركًا ﴿لا يستوون﴾.

﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها﴾ يقول: إذا كانوا في أسفلها رفعتهم بلَهَبِهَا؛ حتى إذا كانوا في أعلاها رجوا أن يخرجوا منها فضربوا بمقامع من حديد؛ فَهَوَوْا إلى أسفلها.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ الأقرب؛ يعني: بالسَّيْف يَوْمَ بدْر؛ في تفسير الحسن ﴿دون

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/١١٠) والطبري (٢١/١٠١).
وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٩٠) لابن نصر وابن جرير.
(٢) لسان العرب (جفو).

العذاب الأكبر﴾ عذاب النار ﴿لعلهم﴾ لعل من يبقى منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ من الشرك إلى الإيمان .

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿فلا تكن﴾ يا محمدُ ﴿في مرية من لقائه﴾ تفسير الكلبي : فلقيه النبي في السماء السادسة ليلة أسري به ﴿وجعلناه﴾ يعني : موسى ﴿هدى لبني إسرائيل﴾ .

﴿وجعلنا منهم أئمةً﴾ يعني : أنبياء ﴿يهدون﴾ أي : يدعون ﴿بأمرنا﴾ .

﴿إن ربك هو يفصل بينهم ...﴾ الآية ، يفصل بين المؤمنين والمشركين ﴿فيما اختلفوا فيه﴾ من الإيمان والكفر ؛ فيدخل المؤمنين الجنة ، ويدخل المشركين النار .

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْۚ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أو لمْ يَهْدِ لهم﴾ يعني : يبينْ لهم ﴿كم أهلكنا من قبلهم من القرون﴾ يعني : ما قصَّ مما أهلك به الأمم السَّالفة ؛ حين كذبوا رسُلَهُمْ ﴿يمشون في مساكنهم﴾ أي : يمرون ؛ منها ما يُرَى ، ومنها ما لا يُرَى ؛ كقوله : ﴿منها قائم﴾ تراه ﴿وحصيد﴾(١) لا تراه ﴿أفلا يسمعون﴾ يعني : المشركين .

﴿إلى الأرض الجرز﴾ يعني : اليابسة ؛ أي : فالذي أحْيَا هذه الأرض بعد موتها قادرٌ على أن يحييهم بعد مؤتهم .

﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾ يعني : القضاء بعذابهم ؛ قالوا ذلك استهزاءًا وتكذيبًا بأنه لا يكون .

﴿قل يوم الفتح﴾ القضاء ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانُهم﴾ ليس أحدٌ من المشركين يرى العذاب إلاَّ آمن ؛ فلا يقبل منهم .

﴿فأعرض عنهم وانتظر﴾ بهم العذاب ﴿إنهم منتظرون﴾ نزلت قبل أن يؤمر بقتالهم(٢).

---

(١) هود : ١٠٠.

(٢) قيل : نسختها آية السيف ، وقيل : هي غير منسوخة ؛ إذ قد يقع الإعراض مع الأمر بالقتال . ينظر : الناسخ والمنسوخ (٧٤) ، نواسخ القرآن (٤٨٨) ، تفسير القرطبي (١٢/١٤) .

تفسير سورة الأحزاب
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ٢ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٣ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ٤ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٥﴾

قوله: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين﴾ في الشرك بالله ﴿والمنافقين﴾ أي: ولا تطع المنافقين ﴿ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه﴾ تفسير الكلبي: أن رجلاً من قريش يقال له: جميل كان حافِظًا لما سمع، فقالت قريش: ما يحفظ جميل ما يحفظ بقلب واحدٍ؛ إنّ له لقلبين! فأكذبهم الله في ذلك.

﴿وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ يعني: إذا قال الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي، لم تكن مثل أمه في التحريم أبدًا، ولكن عليه كفارة الظهار ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ وكان الرجل في الجاهلية يكون ذليلاً فيأتي الرجل ذا القوة والشرف فيقول: أنا ابنك، فيقول: نعم، فإذا قبله واتخذه ابنًا أصبح أعزّ أهله؛ وكان زيد بن حارثة منهم كان رسول الله ﷺ تبنّاه يومئذٍ على ما كان يُصْنَعُ في الجاهلية، وكان مولى لرسول الله؛ فلما جاء الإسلام أمرهم الله أن يلحقوهم بآبائهم؛ فقال: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ يعني: ادّعاءهم هؤلاء، وقول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي.

﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ أي: أعدل ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين

ومواليكم﴾ يقول : قولوا : [ولّينا فلان][١]، وأخونا فلان .

﴿وليس عليكم جناحٌ﴾ إثمٌ ﴿فيما أخطأتم به﴾ (ل ٢٦٩) إن أخطأ الرجل بعد النهي فنسبه إلى [الذي][١] تبنّاه ناسيًا ؛ فليس عليه في ذلك إثمٌ ﴿ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ أن تدعوهم إلى غير آبائهم .

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ تفسير مجاهد[٢]: يعني : هو أبوهم ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ أي : هن في التحريم مثل أمهاتهم .

يحيى : عن سفيان الثوري ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة « أن امرأةً قالت لها : يا أمه . فقالت : لستُ لك بأم! إنما أنا أم رجالكم »[٣].

﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعضٍ في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾ تفسير قتادة[٤]: كان نزل قبل هذه الآية في سورة الأنفال : ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيءٍ حتى يهاجروا﴾[٥] فتوارث المسلمون بالهجرة وكان لا يرث الأعرابي المسلم من قريبه المهاجر المسلم

---

(١) مطموس في الأصل، ومثبت من « ر » .

(٢) أخرج الفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد أنه قرأ «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم» .

انظر : تفسير الطبري (١٢٢/٢١)، والدر المنثور (١٩٨/٥) .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٦٧/٨) عن الفضل بن دكين عن سفيان الثوري به .

ورواه ابن سعد أيضًا (٨/ ١٧٨، ٢٠٠) عن الواقدي عن الثوري به ، وزاد : قال الواقدي : فذكرت ذلك لعبد الله بن موسى المخزومي فقال أخبرني مصعب بن عبد الله بن أبي أمية عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت : « أنا أم الرجال منكم والنساء » .

ورواه ابن سعد (٦٤/٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٧٠/٧) من طريق أبي عوانة عن فراس به .

ورواه الدارقطني في المؤتلف والمختلف (٩٣٦/٢) من طريق خرقاء عن عائشة رضي الله عنها .

(٤) رواه الطبري (١٢٣/٢١) .

(٥) الأنفال : ٧٢.

شيئًا ، ثم نسخ ذلك في هذه السورة فصارت المواريثُ بالملل .

﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم﴾ يعني : من أهل الشرك ﴿معروفًا﴾ يعني : بالمعروف : الوصيَّة ، ثم رجع إلى قوله : ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعضٍ في كتاب الله﴾ فقال : ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورًا﴾ أي : مكتوبًا : لا يرث كافرٌ مسلمًا ، وقد قال النبي ﷺ: « لا يرثُ المسلم الكافر »[1].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾

﴿وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ قال مجاهد[2]: يعني : في ظهر آدم ﴿ومنك ومن نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا﴾ بتبليغ الرسالة .

كان قتادة إذا تلا هذه الآية : ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ قال : قال رسول الله : « كنت أول النبيين في الخلْقِ ، وآخرهم في البعث »[3].

---

(١) رواه البخاري (١٢/٥١ رقم ٦٧٦٤) ومسلم (٣/٨٨ رقم ١٦١٤) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

(٢) رواه الطبري (٢١/١٢٦) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/١٩٩) للفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢١/١٢٥)من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلاً .

ورواه الطبري أيضًا (٢١/١٢٥ - ١٢٦) من طريق أبي هلال عن قتادة مرسلاً .

ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة - كما في البداية والنهاية (٢/٢٩٨) - من طريق شيبان عن قتادة مرسلاً .

وقد وصله عن قتادة سعيدُ بن بشير وخليدُ بن دعلج .

فرواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/٤٦٩) - وابن عدي في الكامل (٣/٤٨٨ - ٤٨٩، ٤/٤١٦ - ٤١٧) وتمام الرازي في الفوائد (٢/١٥ رقم ١٠٠٣) وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/٤٢ رقم ٣) وابن شاهين في دلائل النبوة - كما في البداية والنهاية (٢/٢٨٥) - والبغوي في تفسيره (٦/٣٢١) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ.

ورواه ابن عدي في الكامل (٣/٤٨٨ - ٤٨٩) وأبو نعيم في دلائل النبوة - كما في البداية والنهاية (٢/٢٩٨) - من طريق خليد بن دعلج عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ.

وقال ابن عدي : وهذا يرويه عن قتادة سعيدُ بن بشير وخليدُ بن دعلج .

وقال ابن كثير في تفسيره : سعيد بن بشير فيه ضعف ، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلا ، وهو أشبه ، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفًا ، والله أعلم . =

قوله : ﴿ليسئل الصادقين﴾ يعني : النبيين ﴿عن صدقهم﴾ أي : عن تبليغ الرسالة إلى قومهم من الله .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾

﴿إذ جاءتكم جنودٌ﴾ يعني : أبا سفيان وأصحابه ﴿فأرسلنا عليهم ريحًا﴾ قال مجاهد[1]: وهي الصَّبا ، كانت تكبُّهم على وجوههم وتنزع الفساطيط[2] حتى أظعنتْهم ﴿وجنودًا لم تروها﴾ يعني : الملائكة .

﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم﴾ تفسير الحسن : جاءوا من وجهين : من أسْفل المدينة ، ومن أعلاها ﴿وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر﴾ من شدة الخوف ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ يعني : المنافقين ظنوا أن محمدًا سيُقْتل وأنهم سيهلكون . قال الله : ﴿هنالك ابتُلي المؤمنون﴾ أي : اختُبِرُوا ﴿وزلزلوا زلزالاً شديدًا﴾ أي : حُركوا[3] بالخوف ، وأصابتهم الشّدة ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ﴾ وهم المنافقون ، المرضُ في تفسير قتادة : النفاق ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ فيم يزعم أنه رسوله ﴿إلا غرورًا﴾ أي : وعدنا اللّه النصْر فلا تُرانا نُنْصَر وتُرانا نقتل ونُهْزَم ، ولم يكن فيما وعدهم الله ألاَّ يقتل منهم أحدٌ ، وألاَّ يُهزَموا في بعض الأحايين ، وإنما وعدهم النصر في العاقبة .

= وقال ابن كثير - في البداية والنهاية - عن المرسل : وهذا أثبت وأصح ، والله أعلم ، وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملأ الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح ؛ لأن علم الله - تعالى - بذلك سابق قبل خلق السموات والأرض لا محالة ، فلم يبق إلا هذا الذي ذكرناه من الإعلام به في الملأ الأعلى ، والله أعلم .

(١) رواه الطبري (٢١/١٢٨) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢٠١) للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة .

(٢) واحدها : فسطاط ، وهو البيت يُتَّخذ من الشَّعَر . لسان العرب (فسط) .

(٣) في «ر» : خرجوا .

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا﴾ قال الكَلْبي: لما رأى المنافقون الأحزاب جَبُنُوا، فقال بعضهم لبعضٍ: لا والله ما لكم مقام مع هؤلاء؟ فارجعوا إلى قومكم - يعنون: المشركين - فاستأمنُوهمْ.

﴿إن بيوتنا عورةٌ﴾ أي: خالية نخاف عليها السَّرَق[1]. قال الله: ﴿وما هي بعورةٍ﴾ إن الله يحفظها ﴿إن يريدون إلا فرارًا ولو دخلت عليهم من أقطارها﴾ يقول: لو دخل عليهم أبو سفيان ومن معه من نواحيها ﴿ثم سُئلوا الفتنة﴾ يعني: الشرك ﴿لأتوها﴾ لجاءوها وتقرأ: (لآتوها) بالمد[2]، المعنى: لأعطوْها.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار﴾ أي: ينهزمون ﴿وكان عهد الله مسئولاً﴾ يعني: يسألهم عن العهد الذي لمْ يفوا به.

يحيى: عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: «بايعْنا رسول الله على أن لا نفر، ولمْ نبايعْه على الموت»[3].

---

(١) السَّرَق والسَّرِقة بمعنًى. لسان العرب (سرق).

(٢) قرأ المدنيان وابن كثير ﴿لأتوها﴾ بغير مدٍ، واختلف عن ابن ذكوان، وقرأ الباقون بالمد. النشر (٣٤٨/٢) إتحاف الفضلاء (٤٥٣).

(٣) رواه الإمام أحمد (٣٥٥/٣) ومسلم (١٤٨٣/٣ رقم ٦٧/١٨٥٦) والنسائي في الكبرى (٤٦٤/٦ رقم ١١٥٠٩) والدارمي (٢٩٠/٢ رقم ٢٤٥٤) وأبو عوانة في صحيحه (٤٢٧/٤ رقم ٧١٩١) والطبري في تفسيره (٨٧/٢٦) وابن حبان (٢٣١/١١ رقم ٤٨٧٥) وغيرهم من طريق الليث بن سعد عن أبي الزبير به.

ورواه الإمام أحمد (٣٨١/٣) والحميدي (٥٣٦/٢ رقم ١٢٧٥) ومسلم (١٤٨٣/٣ رقم ١٨٥٦/ ٦٨) =

﴿وإذًا لا تمتعون﴾ في الدنيا ﴿إلا قليلا﴾ يعني: إلى آجالكم ﴿قل من ذا الذي يعصمكم﴾ (ل ٢٧٠) أي: يمنعكم ﴿من الله إن أراد بكم سوءًا﴾ يعني: القتل والهزيمة؛ في تفسير السُّدي ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ قال السُّدي: يعني: النصر والفتح.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾

= والترمذي (١٢٨/٤ رقم ١٥٩٤) والنسائي (١٤٠/٧ - ١٤١ رقم ٤١٦٩) وأبو يعلى (٣٦٩/٣ رقم ١٨٣٨) وأبو عوانة (٤٢٧/٤ رقم ٧١٨٩، ٧١٩٠) والطبري في تفسيره (٨٧/٢٦) وغيرهم من طريق سفيان بن عيينة عن أبي الزبير سمع جابرًا ﷺ به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه الإمام أحمد (٣٩٦/٣) من طريق موسى بن عقبة عن أبي الزبير به.

ورواه أبو يعلى (٤٢٠/٣ رقم ١٩٠٨، ١٩٧/٤ - ١٩٨ رقم ٢٣٠١) والطبري في تفسيره (٨٧/٢٦) من طريق أبي سفيان عن جابر ﷺ.

ورواه الطبري في تفسيره (٨٧/٢٦) من طريق محمد بن المنكدر عن جابر ﷺ.

ورواه ابن سعد في الطبقات (١٠٠/٢) من طريق وهب بن منبه عن جابر ﷺ.

ورواه الترمذي (١٢٧/٤ رقم ١٥٩١) والطبراني في الأوسط (٢١٠/٢ رقم ١٧٥٧، ٣٠٦/٦ رقم ٦٤٨٢) عن سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر ﷺ.

وقال الترمذي: وقد رُوي هذا الحديث عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: قال جابر بن عبد الله. ولم يُذكر فيه أبو سلمة.

وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الأوزاعي إلا عيسى، تفرد به سعيد.

وله شاهد عن معقل بن يسار، رواه مسلم (١٤٨٥/٣ رقم ١٨٥٨).

وروى البخاري (١٣٦/٦ - ١٣٧ رقم ٢٩٦٠) ومسلم (١٤٨٦/٣ رقم ١٨٦٠) عن يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة - يعني: ابن الأكوع -: «على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت».

وروى البخاري (١٣٦/٦ رقم ٢٩٥٩) ومسلم (١٤٨٦/٣ رقم ١٨٦١) عن عبد الله بن زيد نحوه.

والمراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا، وليس المراد أن يقع الموت ولابد. انظر فتح الباري (١٣٧/٦) وغيره، والله أعلم.

﴿قد يعلم اللَّه المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هَلُمّ إلينا﴾ يأمر بعضهم بعضًا بالفرار ؛ وهو التعويق ﴿ولا يأتون البأس﴾ يعني : القتال ﴿إلا قليلا﴾ أي : بغير حِسْبة ، وإنما قَلَّ ؛ لأنه كان لغير اللَّه .

قال محمدٌ : المعنى : إلا إتيانًا قليلاً[١] ؛ وهو الذي أراد يحيى .

﴿أشحة عليكم﴾ يقول : لا يتركون لكم من حقوقهم من الغنيمة شيئًا ﴿فإذا جاء الخوف﴾ يعني : القتال ﴿رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت﴾ خوفًا من القتال ﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم﴾ أي : صاحوا عليكم ﴿بألسنةٍ حدادٍ﴾ **قال محمدٌ** : قيل : المعنى خاطبوكُمْ أشدَّ مخاطبة وأبلغها في الغنيمة ، يقال : خطيب مِسْلاقٌ وسلاّقٌ إذا كان بليغًا[٢] .

﴿أشحةً على الخير﴾ الغنيمة ﴿أولئك لمْ يؤمنوا﴾ أي : لم تؤمن قلوبهم ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا﴾ المنافقون ﴿لو أنهم بادون في الأعراب﴾ أي : في البادية مع الأعراب ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ وهو كلام موصول .

قال محمدٌ : قوله : ﴿يحسبون الأحزاب لمْ يذهبوا﴾ قيل : المعنى : يحسبون الأحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا ؛ لجُبْنهم وخوفهم .

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿وذكر اللَّه كثيرًا﴾ وهذا ذكر التطوع ليس فيه وقتٌ .

﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ يعني : أبا سفيان وأصحابه تحازبوا على اللَّه ورسوله ﴿قالوا هذا ما وعدنا اللَّه ورسوله﴾ كان أنزل اللَّه في سورة البقرة : ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ...﴾[٣] إلى قوله : ﴿ألا إن نصر اللَّه قريب﴾ فلما نزلت هذه الآية قال أصحاب النبي ﷺ: ما أصابنا هذا بَعْدُ ؛

---

(١) وقيل : إلا زمانًا قليلاً . ينظر : التبيان (١٠٥٣) ، مجمع البيان (٣٤٧/٤) .

(٢) ومِسْلَقٌ أيضًا . لسان العرب (سلق) .

(٣) البقرة : ٢١٤.

فلما كان يوم الأحزاب أنزل الله : ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب ...﴾ إلى قوله : ﴿إيمانًا وتسليمًا﴾ يعني : تصديقًا وتسليمًا لأمر الله .

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ حين بايعوه على ألاَّ يفروا وصدقوا في لقائهم العَدُوَّ ؛ وذلك يوم أحد .

﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ يعني : أجله ؛ في تفسير بعضهم ﴿ومنهم من ينتظر﴾ أجله ﴿وما بدلوا تبديلا﴾ كما بدَّل المنافقون .

قال محمدٌ : أصل النَّحب : النَّذْرُ[1]؛ كأنّ قومًا نذورا إن لقوا العدو أن يقاتلوا ؛ حتى يُقْتلُوا أو يفتح الله ، فقتلوا فقيل : فلانٌ قضى نحبه ؛ إذا قُتِلَ .

﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء﴾ أي : يموتوا على نفاقهم فيعذبهم ﴿أو يتوب عليهم﴾ فيرجعوا من نفاقهم .

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا﴾ يعني : لم يصيبوا ظفرًا ولا غنيمة من المسلمين ، وكان ذلك عندهم خيرًا لو نالوه ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بالريح والجنود التي أرسل عليهم ﴿وأنزل الذين ظاهروهم﴾ يعني : عاونوهم ﴿من أهل الكتاب﴾ يعني : قريظة والنضير ﴿من صياصيهم﴾ يعني : حصونهم .

قال محمدٌ : أصل الكلمة : قرون البقر ؛ لأنها تمتنع بها وتدفع عن أنفسها ، فقيل للحصون :

---

(١) لسان العرب (نحب) .

صياصي ؛ لأنها تمنع وصيصية الديك شوكته ؛ لأنه يتحصن بها[١].

﴿وأرضًا لم تطئوها﴾ وهي خيبر ؛ فتحت عَنْوَةً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾﴾

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك ...﴾ إلى قوله : ﴿أجرًا عظيمًا﴾ قال قتادة[٢]: إنما خيّرهن بين الدنيا والآخرة ، ولم يخيرهن الطلاق ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة﴾ يعني : الزنا ؛ في تفسير السُّدي ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ قال الحسن : يعني : في الآخرة.

قال محمدٌ : معنى (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي : يُجْعَل مِثْلين ؛ الضعف في اللغة : المثل ، يقال : هذا ضِعْف هذا ؛ أي : مثله[٣].

﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾﴾

﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله﴾ أي : تطع الله ورسوله ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾ قال الحسن : يعني : في الآخرة ﴿وأعتدنا﴾ أعددنا ﴿لها رزقًا كريمًا﴾ يعني : الجنة.

﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول﴾ قال الكلبي : (ل ٢٧١) هو الكلام الذي فيه ما يَهْوى المرِيبُ.

قال محمدٌ : قال : ﴿كأحدٍ من النساء إن اتقيتن﴾ ولمْ يقل : كواحدة لأن أحدًا معنى عام من

---

(١) والجمع أيضًا : صَيَاصٍ . لسان العرب (صيص).

(٢) رواه الطبري (٢١/١٥٦).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢١٢) لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) لسان العرب (ضعف).

المذكر والمؤنث والواحد والجماعة[١].

﴿فيطمع الذي في قلبه مرضٌ﴾ أي: فجورٌ؛ في تفسير بعضهم. قال الحسن: وكان أكثر من يصيب الحدود في زمان النبي ﷺ المنافقون.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿وقرن في بيوتكن﴾ من قرأها بالفتح[٢]؛ فهو من القرار[٣].

قال محمدٌ: والأصل فيه: (اقرَرْنَ) فحذف الراء الأولى لثقل التضعيف، وألقى حركتها على القاف؛ فصارت: (وقرن)[٤].

قال يحيى: وتقرأ: (وقِرْن) بكسر القاف، وهو من الوقار.

قال محمدٌ: وقَر في منزله يَقِرُ وقُورًا[٥].

﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ أي: قبلكم؛ في تفسير الحسن، وليس يعني: أنها كانت جاهليّة قبلها؛ كقوله: ﴿عادًا الأولى﴾[٦]. وبعضهم يقول: يعني الجاهليّة التي وُلِدَ فيها إبراهيم قبل الجاهلية التي وُلد فيها محمدٌ ﴿وأقمن الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿وآتين الزكاة﴾ يعني: المفروضة ﴿وأطعن الله ورسوله﴾ فيما أمركن ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ يعني: الشيطان. وقال بعضهم: الرجس: الإثم.

---

(١) أي: يستوي فيه المفرد والمفردة وفروعهما. وأصله (وحد). ينظر لسان العرب (وحد).

(٢) وهي قراءة نافع وعاصم، وقرأ باقي السبعة بكسر القاف. ينظر: السبعة (٥٢٢)، البحر (٧/٢٣٠)، التيسير (١٧٩)، النشر (٢/٣٤٨).

(٣) يقال: قرّ بالمكان قرًا وقرارًا وقُرورًا؛ أي: أقام وسكن. لسان العرب (قرر).

(٤) وقيل: حذفت الراء الثانية، ونقلت حركة الراء الأولى إلى القاف، فحذفت همزة الوصل استغناءً عنها فصارت (قرن) ينظر الدر المصون (٥/٤١٥).

(٥) يقال: وقر فلان وقارًا وقِرَة: رزن. ويقال: وقر في بيته وَقْرًا ووُقورة: أقام. لسان العرب (وقر).

(٦) النجم: ٥٠.

وقال محمدٌ : الرجْس في اللغة : كل مستنكر مُسْتَقْذر من مأكول أو عملٍ أو فاحشة[1]، و(أهْلَ البيت) منصوبٌ على وجهين : على معنى : أعنى أهل البيت ، وعلى النداء[2].

﴿ويطهركم تطهيرًا﴾ .

يحيى : عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي داود ، عن أبي الحمراء ، قال : « رابطت المدينة سبعة أشهر مع النبي ﷺ، وسمعت النبي إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة فقال : الصلاة - ثلاثًا - ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجْس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾ »[3].

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ

---

(١) والجمع : أرْجَاس . لسان العرب (رجس) .

(٢) ينظر : إعراب القرآن (٢/٦٣٦) ، البحر (٧/٢٣١) ، البيان (٢/٢٦٩) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مسنده - كما في المطالب العالية (٤/١٤٤ رقم ٣٦٩٩ /٢) - والطبري في تفسيره (٢٢/٦) وابن عدي في الكامل (٨/٣٢٩) وأبو أحمد الحاكم في الكنى (٤/١٩٨) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/٢٨٧٠ رقم ٦٧٥٢) من طريق يونس بن أبي إسحاق به .
ورواه ابن أبي شيبة - كما في المطالب (٤/١٤٤ رقم ٣٦٩٩/١) - وأبو أحمد الحاكم في الكنى (٤/١٩٩ - ٢٠٠) من طريق يحيى بن يعلى الأسلمي عن يونس بن خباب عن نافع - وهو أبو داود - به .
ورواه عبد بن حميد (١٧٣ رقم ٤٧٥) عن الضحاك بن مخلد عن أبي داود به .
ورواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/٢٤٨ رقم ٧٧٥) من طريق أبي عاصم النبيل - الضحاك بن مخلد - عن عبادة بن مسلم عن أبي داود به . وعلقه البخاري في الكنى (٢٥ - ٢٦) عن الضحاك به .
ورواه الطبراني في الكبير (٣/٥٦ رقم ٢٦٧٢، ٢٢/٢٠٠ رقم ٥٢٥) من طريق منصور بن أبي الأسود عن أبي داود به .
وقال أبو أحمد في الكنى (٤/٢٠٠) قال محمد بن إسماعيل الجعفي : أبو الحمراء يقال له صحبة ، ولا يصح حديثه .
وقال ابن كثير في تفسيره (٣/٥٠٠) : أبو داود الأعمى هو نفيع بن الحارث ، كذاب .
وقال الهيثمي في المجمع (٩/١٢١) : رواه الطبراني ، وفيه أبو داود الأعمى ، وهو كذاب .
وقال ابن حجر في المطالب (٤/١٤٥) : أبو داود هو نافع - وقيل : نفيع الأعمى - كذبه قتادة ، وهو ضعيف جدًا .
وله شاهد من حديث أنس رواه الترمذي (٥/٣٢٨ رقم ٣٢٠٦) - وقال : حسن غريب - وأحمد (٣/ ٢٥٩، ٢٨٥) ، وعبد بن حميد (٣٦٧ - ٣٦٨ رقم ١٢٢٣) ، والطبري في تفسيره (٢٢/٦) والطبراني (٣/٥٦ رقم ٢٦٧١) والحاكم (٣/١٥٨) وصححه على شرط مسلم .

فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ هو كلامٌ واحِدٌ ؛ كقوله : ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾[1] والإسلام هو اسم الدين ، قال : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه﴾[2] وهو الإيمان بالله ﴿والقانتين والقانتات﴾ القنوت : الطاعة ﴿والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات﴾ على ما أمرهم الله به ﴿والخاشعين والخاشعات﴾ وهو الخوف الثابت في القلب ﴿والمتصدقين والمتصدقات﴾ يعني : الزكاة المفروضة ﴿والصائمين والصائمات﴾ .

قال يحيى : بلغني أنّه من صام رمضان وثلاثة أيامٍ من كل شهر فهو من الصائمين والصائمات ﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾ مما لا يحل لهن .

﴿والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات﴾ يعني : باللسان ؛ وليس في هذا الذكر وَقْتٌ .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمرًا﴾ يعني : إذا فرض الله ورسوله شيئًا ﴿أن تكون[3] لهم الخيرة﴾ يعني : التخيُّر ﴿من أمرهم﴾ ﴿ومن يعصى الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً

---

(١) الذاريات : ٣٦.

(٢) آل عمران : ٨٥.

(٣) قرأ الكوفيون وهشام ﴿يكون﴾ بالياء على التذكير ، وقرأ الباقون ﴿تكون﴾ بالتاء على التأنيث . النشر (٣٤٨/٢) .

مبينًا﴾ أراد رسول الله ﷺ أن يزوج زينب بنت جحش زيْدَ بن حارثة ؛ فأبت وقالت : أُزوِّج نفسي رجلاً كان عَبْدَك بالأمْسِ . وكانت ذات شرَف ، فلما أُنزلت هذه الآية جعلت أمرها إلى رسول الله فزوجها إياه ، ثم صارت سُنَّةً بعدُ في جميع الدين ، ليس لأحدٍ خيارٌ على قضاء رسول الله وحُكْمه .

قال محمدٌ : كانت زينب بنت جحش بنت عمة رسول الله ﷺ .

﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله﴾ [قوله : ﴿وأنعمت عليه﴾ يعني : زيدًا](1).

قال الله للنبي : ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ أي : مظهره ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ أي : تخشى عيبة(2) الناس ﴿فلما قضى زيدٌ منها وطرًا﴾ الوطر : الحاجة ﴿زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرجٌ في أزواج أدعيائهم﴾ قال المشركون للنبي : يا محمد ، زعمت أنّ حليلة الابن لا تحل للأب وقد تزوجت حليلة ابنك زيد! فقال الله : ﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرج ...﴾ الآية (ل٢٧٢) قال الكلبي : إن رسول الله أتى زَيْدًا زائرًا فأبصرها قائمةً فأعجبته ، فقال رسول الله : سبحان الله مقلب القلوب . فرأى زيدٌ أن رسول الله هَوِيَها(3). فقال : يا رسول الله ،

---

(1) من « ر » .

(2) العَيْبةُ والعَيْبُ بمعنًى . لسان العرب (عيب) .

(3) هذا القول لا يصح - والله أعلم - إسنادًا ولا متنًا ، وهو في غاية النكارة :

فأما إسناده فالكلبي كذاب متهم في دينه ، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٩١/٣) : ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثارًا عن بعض السلف ﷺ أحببنا أن نضرب عنها صفحًا لعدم صحتها ؛ فلا نوردها . اهـ . وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٨٤/٨) : وردت آثارٌ أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها . اهـ .

وأما متنه فقال القرطبي في تفسيره (١٩١/١٤) : فأما ما رُوي أن النبي ﷺ هَوِيَ زينب امرأة زيد - وربما أطلق بعض المجّان لفظ : عَشِق - فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا ، أو مستخف بحرمته . اهـ

وقال البغوي في تفسيره (٣٥٥/٦) : وروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال : سألني علي بن الحسين زين العابدين : ما يقول الحسن في قوله : ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ قلت : يقول : لما جاء زيد إلى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله ، إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك ، فقال : أمسك عليك زوجك واتق الله . فقال علي بن الحسين : ليس كذلك ، كان الله تعالى - قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن =

ائذن لي في طلاقها ؛ فإن فيها كبْرًا ، وإنها لتؤذيني بلسانها! فقال له رسول اللَّه : اتق اللَّه وأمسك عليك زوجك . فأمسكها زيدٌ ما شاء اللَّه ثم طلقها ، فلما قضتْ عدتها أنزل اللَّه نكاحها رسول اللَّه من السماء ، فقال : ﴿وإذ تقول للذي أنعم اللَّه عليه ...﴾ إلى قوله : ﴿زوجناكها﴾ فدعا رسول اللَّه عند ذلك زيدًا ؛ فقال : ائت زينب ، فأخبرها أن اللَّه قد زوَّجنيها . فانطلق زيدٌ ، فاستفتح الباب ؛ فقيل : من هذا؟ قال : زيد . قالتْ : وما حاجة زيد إليَّ وقد طلَّقني؟! فقال : إن رسول اللَّه أرسلني إليكِ ؛ فقالت : مرحبًا برسول رسول اللَّه ، ففُتح له ؛ فدخل عليها وهي تبكي ، فقال زيدٌ : لا يبكي اللَّه عَيْنكِ ، قد كنتِ نعمتْ المرأة - أو قال : الزوجة - إن كنت لتبرين قسمي ، وتطيعين أمري ، فقد أبدَلكِ اللَّه خَيْرًا مني . قالت : مَنْ ؛ لا أبا لك؟ فقال : رسول اللَّه . فخرَّتْ ساجدةً .

قوله : ﴿ما كان على النبي من حرجٍ فيما فرض اللَّه له﴾ يعني : أحلَّ ﴿سُنَّةَ اللَّه في الذين خلَوا من قبل﴾ أي : أنَّه ليس على الأنبياء حرجٌ فيما أحلَّ اللَّه لهم ، وقد أحلَّ لداود مائة امرأة ، ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سُرِّيَّة .

قال محمدٌ : نصب (سُنَّةَ) على المصدر ؛ المعنى : سنَّ اللَّه سُنَّةً[1].

= زيدًا سيطلقها ، فلما جاء زيد ، وقال : إني أريد أن أطلقها . قال : أمسك عليك زوجك ، فعاتبه اللَّه ، وقال : لِمَ قلتَ : أمسك عليك زوجك؟! وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك .

وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء ، وهو مطابق للتلاوة ؛ لأن اللَّه علم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ، ولم يظهر غير تزويجها منه ، فقال : ﴿زوجناكها﴾ فلو كان الذي أضمره رسول اللَّه ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها ؛ لكان يظهر ذلك ؛ لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره ؛ فدل على أنه إنما عُوتب على إخفاء ما أعلمه اللَّه أنها ستكون زوجة له ، وإنما أخفاه استحياء أن يقول لزيد : التي تحتك وفي نكاحك ستكون امرأتي ، وهذا قول حسن مرضٍ ، وإن كان القول الآخر وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها ، لا يقدح في حال الأنبياء ؛ لأن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه في مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه المأثم ؛ لأن الود وميل النفس من طبع البشر ، وقوله : « أمسك عليك زوجك واتق اللَّه » أمر بالمعروف ، وهو خشية لا إثم فيه . اهـ .

وهذا القول الذي حسّنه البغوي وارتضاه - وهو حقيق أن يُحسَّن ويرتضى - قال عنه القرطبي في تفسره (١٤/١٩٠ - ١٩١) : وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية ، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين ؛ كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم . اهـ .

(١) ينظر : إعراب القرآن (٢/٦٣٨) ، البيان (٢/٢٧٠) ، البحر (٧/٢٣٦) .

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم﴾ يعني : أن محمدًا لم يكن أبًا لزيدٍ ، وإنما كان زيدٌ دَعِيًّا له ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ .

قال محمدٌ : من قرأ (رسولَ الله) بالنصْب[١] فعلى معنى : ولكن كان رسول الله[٢].

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا﴾ يعني : باللسان ، وهذا ذكرٌ ليس فيه وقتٌ .

يحيى : عن خِداش ، عن ميمون بن عجلان ، عن مِيْمون بن سِيَاه ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ: « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه ، إلا ناداهم منادٍ من السماء : قوموا مغفورًا لكم ، قد بُدِّلَتْ سيئاتكم حسنات »[٣]. من حديث يحيى بن محمد .

---

(١) وهي قراءة العائة ، وقرأ زيد بن علي ، وابن أبي عبلة برفع (رسول) . ينظر : البحر (٢٣٦/٧) ، الإعراب للنحاس (٢/ ٦٣٩) جامع القرطبي (١٩٦/١٤) .

(٢) ينظر : البحر (٢٣٦/٧) ، التبيان (١٠٥٨) ، إعراب القرآن (٦٣٩/٢) .

(٣) رواه الإمام أحمد (١٤٢/٣) وأبو يعلى (١٦٧/٧ رقم ٤١٤١) والبزار - كشف الأستار (٤/٤ رقم ٣٠٦١) - والطبراني في المعجم الأوسط (١٥٤/٢ رقم ١٥٥٦) وابن عدي في الكامل (١٦٠/٨) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٠٧ - ١٠٨) والضياء في المختارة (٢٣٤/٧ - ٢٣٦ رقم ٢٦٧٥ - ٢٦٧٨) من طريق ميمون بن عجلان به .
وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤٠٣/٢ - ٤٠٤) : رواه أحمد ، ورواته محتج بهم في الصحيح إلا ميمون المرائي ، وأبو يعلى والبزار والطبراني .
وقال العراقي في تخريج الإحياء (٣٥٢/١) : أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، بسند ضعيف .
وقال الهيثمي في المجمع (٧٦/١٠) . رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط ، وفيه ميمون المرائي ، وثقه جماعة ، وفيه ضعف ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح .
وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٣٧٧/٦ رقم ٦٠٥١) : هذا إسناد رجاله ثقات .
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢١٢/٦ رقم ٦٠٣٩) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١٣١١/٣ رقم ٣٢٩٠) عن سهل - وقيل : سهيل - ابن الحنظلية العبشمي ﷺ .
ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٣٠٨/١٠ رقم ٩٥٢٩) عنه موقوفًا .
ورواه البيهقي في الشعب (٤٣٠/٢ - ٤٣١ رقم ٥٣٠) عن أبي الوازع جابر بن عمرو عن عبد الله بن مغفل ﷺ .

﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ تفسير ابن عباس : هذا في الصلاة المكتوبة ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ تفسير ابن عباس قال : صلاة الله : الرحمة ، وصلاة الملائكة : الاستغفار .

﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ يعني : من الضلالة إلى الهدى .

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿تحيتهم يوم يلقونه سلامٌ﴾ يقول : تحييهم الملائكة عن الله بالسلام ﴿وأعدّ لهم أجرًا كريمًا﴾ يعني : الجنَّة .

﴿إنا أرسلناك شاهدًا﴾ على أمَّتك تشهد عليهم في الآخرة أنك قد بلَّغتهم ﴿ومبشرًا﴾ في الدنيا بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ من النار ﴿وداعيًا إلى الله بإذنه﴾ يعني : بالوحي ﴿وسراجًا منيرًا﴾ مضيئًا ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيرًا﴾ يعني : الجنة ﴿ودع أذاهُمْ﴾ قال مجاهد : يقول : اصبر عليه .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ...﴾ إلى قوله : ﴿فمتعوهن﴾ المتاع منسوخٌ إذا كان قد سمَّى لها صداقًا إلا أن يكون لمْ يُسمِّه لها ، فيكون لها المتعة ولا صداق لها إذا طلقها قبل أن يدخل بها نسختها الآية التي في البقرة ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ...﴾ إلى قوله : ﴿فنصف ما فرضتم﴾(١) هذا قول العامة أنها منسوخة .

وكان الحسن(٢) يقول : لها المتاع ؛ وليستْ بمنسوخة وإذا مات الرجل قبل أن يدخل بامرأته توارثا ولها الصداق كاملاً ، وإنما يكون لها النصف إذا طلقها ﴿وسرحوهن سراحًا جميلاً﴾ إلى أهليهن لا تكون المرأة والرجل في بيت واحد وليس بينهما حرمةٌ .

---

(١) البقرة : ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٢) رواه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٥/٢٢٥).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾﴾

﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ يعني: صدُقاتهن ﴿وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ ﴿وامرأةً مؤمنةً إن وهبت نفسها للنبي﴾ ﴿خالصة لك﴾ (ل٢٧٣) يقوله للنبي عليه السلام ﴿من دون المؤمنين﴾ لا تكون الهبة بغير صداق إلا للنبي في تفسير الحسن؛ إن النبي عليه السلام قد تطوع لتلك المرأة التي وهبتْ نفسها، فأعطاها الصداق.

ومقرأ العامة: (أن وهبت) بفتح (أن) وتفسيرها على هذا المقرإ: كانت امرأةً واحدة، ومن قرأ بكسر الألف فعلى المستقبل[1].

قال محمدٌ: ومن قرأ ﴿أن﴾ بالفتح فالمعنى: لأنْ، و﴿خالصةً﴾ منصوبٌ على الحال.

﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ أي: أوحينا ﴿في أزواجهم﴾ [ألا تنكح إلا بولي وشهداء وصداق، ولا ينكح الرجل أكثر من أربع][2] ﴿وما ملكت أيمانهم﴾ يقول: يتزوج أربعًا إن شاء، ويطأ بملك يمينه ما شاء ﴿لكيلا يكون عليك حرجٌ﴾ أي: إثمٌ.

﴿۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾﴾

---

(١) إنما قراءة العامة: ﴿إن وهبت﴾ بكسر الهمزة، وقرأ الحسن والشعبي وعيسى بفتح الهمزة. ينظر: البحر (٧/٢٤٢)، إتحاف الفضلاء (٣٥٦)، المحتسب (٢/١٨٢)، جامع القرطبي (١٤/٢٠٩) الإملاء (٢/١٠٤) وينظر التوجيه النحوى من إعراب القرآن (٢/٦٤٢)، مجمع البيان (٤/٣٦٤)، البيان (٢/٢٧١)، البحر (٧/٢٤٢).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

﴿ترجي من تشاء منهن﴾ رجع إلى قصة النبي .

تفسير الحسن[١]: يذكر النبي ﷺ المرأة للتزويج ثم يُزجيها ؛ أي : يتركها ، فلا يتزوَّجها ، وكان إذا ذكر امرأةً ليتزوجها لم يكن لأحدٍ أن يعرض لذكرها ؛ حتى يتزوجها أو يتركها .

﴿وتؤوي إليك من تشاء﴾ أي : تتزوّج من تشاء ﴿ومن ابتغيت ممّن عزلْت فلا جناح عليك﴾ يقول : ليستْ [عليك][٢] لهن قسْمةٌ ﴿ذلك أدنى أن تقرّ أعينهن﴾ إذا علمن أنه من قبل الله ﴿ولا يحزنّ﴾ على أن تُخصَّ واحدة منهن دون الأخرى ﴿ويرضين بما آتيتهنّ﴾ من الخاصّة التي تخص منهن لحاجتك .

﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدَّل بهن من أزواجٍ﴾ يعني : أزواجه التسْعَ ، قال الحسن[٣]: لمّا خيَّر رسول الله نساءه ، فاخترن الله ورسوله قصره عليهن ﴿ولو أعجبك حُسْنُهنّ﴾ يعني : حسن غيرما أحل الله له من النساء ؛ على ما مضى من تفسير الحسن ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ يطأ بملك يمينه ما شاء ﴿وكان الله على كل شيءٍ رقيبًا﴾ يعني : حفيظًا .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعامٍ غير ناظرين إناه﴾ قال

---

(١) رواه عبد بن حميد وابن جرير ، كما في الدر المنثور (٥/٢٢٨) .

(٢) من «ر» .

(٣) رواه عبد الرزاق (٢/١٢١) .

مجاهد[١]: يعني: متحيّنين حينه[٢].

قال محمدٌ: المعنى: غير منتظرين وقت إدْرَاكه؛ وهو معنى قول مجاهد و﴿غَيرَ﴾ منصوبة على الحال[٣].

﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا﴾ أي: تفرّقوا ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ يعني: بعد أن تأكلوا ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق﴾ يُخبرهم أن هذا يؤذى النبي.

﴿وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ يعني: من الريبة والدَّنس؛ في تفسير السُّدي ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا﴾ قال ناسٌ من المنافقين: لو قد مات محمدٌ تزوَّجْنا نساءه، فأنزل الله هذه الآية، وقال: ﴿إن تبدوا شيئًا أو تخفوه﴾ يعني ما قالوا: لو قد مات تزوجنا نساءه.

﴿فإن الله كان بكل شيءٍ عليمًا﴾ ثم استثنى من يدخل على أزواج النبي في الحجاب فقال: ﴿لا جناح عليهن في آبائهن...﴾ إلى قوله: ﴿ولا نسائهن﴾ يعني: المسلمات ﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾ وكذلك الرضاع بمنزلة الذي ذكر ممَّن يدخل على أزواج النبي في الحجاب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ يعني: إن الله يغفر للنبي، وتستغفر له الملائكة ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ يعني: استغفروا له ﴿وسلموا تسليمًا﴾.

يحيى: عن الخليل بن مرة، عن أبي هاشم - صاحب الرمان - عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «جاءني كعْب بن عجرة، فقال: ألا أهدي لك هدية، بينما نحن عند رسول الله إذ قال رجلٌ: يا رسول الله، قد عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللَّهم صلِّ على

---

(١) الإنَى في اللغة: الحين. لسان العرب (أنى).

(٢) روى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: غير متحينين نضجه.

انظر تفسير الطبري (٢٢/٣٤) والدر المنثور (٥/٢٣٢).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٢/٦٤٥)، البحر (٧/٢٤٦)، البيان (٢/٢٧٢).

محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ ؛ كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد ، اللَّهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد »[١].

يحيى : عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ: « أكثروا عليَّ (ل ٢٧٤) الصلاة يوم الجمعة »[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ هؤلاء المنافقون كانوا يؤذون رسول الله ، ويستخفون بحقه ، ويرفعون أصواتهم عنده ويكْذبون عليه ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ يعني : جَنَوْا ؛ وهم المنافقون ﴿فقد احتملوا بهتانًا﴾ كذبًا ﴿وإثمًا مبينًا﴾ بيّنًا .

يحيى : عن النَّضْر بن بلال ، عن أبان بن أبي عياش ، عن أنس بن مالك « أن رسول الله ﷺ خرج يومًا فنادى بصوتٍ أسْمَع العواتق في الخدور : يا معشر من أسلم بلسانه ولمْ يُسلمْ بقلبه ، ألا لا تؤذوا المؤمنين ولا تغتابوهم ، ولا تتبعوا عوراتهم ؛ فإنه من تتبَّع عورة أخيه المسلم تتبَّع اللَّه عورته ، ومن تتبع اللَّه عورته فضحه في بيته »[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤) والبخاري (٦/٤٦٩ - ٤٧٠ رقم ٣٣٧٠) ومسلم (١/٣١٦ - ٣١٧ رقم ٤٠٦) والحميدي (٢/٣١٠ - ٣١١ رقم ٧١١، ٧١٢) وعبد الرزاق في المصنف (٢/٢١٢ رقم ٣١٠٥) وعبد ابن حميد (١٤٤ رقم ٣٦٨) والطيالسي (١٤٢ - ١٤٣ رقم ١٠٦١) والدارمي (١/٣٥٦ رقم ١٣٤٢) وأبو داود (٢/٥٤ - ٥٥ رقم ٩٦٨ - ٩٧٠) والترمذي (٢/٣٥٢ - ٣٥٣ رقم ٤٨٣) والنسائي (٣/٤٧ - ٤٨ رقم ١٢٨٦ - ١٢٨٨) ، وابن ماجه (١/٢٩٣ رقم ٩٠٤) وغيرهم من طرق عن عبد الرحمن بن أبي ليلى به .

ولم أجد الحديث من طريق أبي هاشم صاحب الرمان عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، واللَّه أعلم .

وللحديث طرق عن كعب بن عجرة ، وعن عدة من الصحابة أيضًا ، انظر : « القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع » للسخاوي (ص٥٢ - ٥٩) .

(٢) رواه مسدد في مسنده - كما في المطالب العالية (٣/٨ رقم ٣٣٤٧) - وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/٥١٧) من طريق أبي حرة عن الحسن به .

وعزاه السخاوي في القول البديع (ص٢٣٤) لسعيد بن منصور في سننه .

وفي الباب عن عدة من الصحابة مرفوعًا وعن بعض التابعين مرسلا ، انظر القول البديع (ص٢٣٠ - ٢٣٥) .

(٣) أبان بن أبي عياش واهٍ ، ولم أجد الحديث من هذا الطريق . وقد اختلف على أبان فيه أيضًا .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٩﴾

﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ والجلباب الرداء؛ يعني: يتقنَّعن به ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ أي: يعرف أنهن حرائر مسلمات عفائف فلا يؤذين؛ أي: فلا يعرض لهن بالأذى، وكان المنافقون هم الذين كانوا يتعرضون النساء.

قال الكلبي: كانوا يلتمسون الإماء، ولم يكن تُعرف الحرة من الأمة بالليل؛ فلقي نساء المؤمنين منهُمْ أذًى شديدًا؛ فذكرن ذلك لأزواجهن، فرُفع ذلك إلى النبي؛ فنزلت هذه الآية.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك «أن عمر بن الخطَّاب رأى أمةً عليها قناع،

= فرواه معمر عن أبان وغيره مرسلاً. خرجه عبد الرزاق في جامع معمر (١١/١٧٦ رقم ٢٠٢٥١).

ورواه فضيل بن عياض وحماد بن زيد عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن عبد الله عن أبي برزة. قاله الدارقطني في العلل (٦/٣١٠).

وتابع الأعمشُ أبانَ على هذا الوجه.

خرجه الإمام أحمد (٤/٤٢٠ - ٤٢١) وأبو داود (٥/٣٠٥ رقم ٤٨٤٦) وأبو يعلى (١٣/٤١٩ - ٤٢٠ رقم ٧٤٢٣، ٧٤٢٤) وابن أبي الدنيا في الصمت (١٦٨) والروياني في مسنده (٢/٣٣٦ - ٣٣٧ رقم ١٣١٢) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/٨١٤ رقم ١٤٩٧، ١٤٩٨)، والبيهقي في الشعب (٥/٢٩٦ رقم ٦٧٠٤) وفي السنن (١٠/٢٤٧) وغيرهم من طريق أبي بكر ابن عياش عن الأعمش به.

قال البخاري في التاريخ (٣/٤٨٧): سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبي برزة عن النبي ﷺ «لا تغتابوا المسلمين» قاله أبو بكر بن عياش عن الأعمش. وقال يوسف بن راشد: حدثنا ابن مغراء، قال: حدثنا الأعمش، قال: حدثني رجل من البصرة عن أبي برزة عن النبي ﷺ وقال ابن فضيل عن الأعمش عن عبد الرحمن بن جريج عن أبيه عن النبي ﷺ ولا يصح. اهـ.

وقال الدارقطني في العلل (٦/٣٠٩ - ٣١٠): حدث به كذلك أبو بكر بن عياش وعبد الله بن عبد القدوس وفضيل ابن عياض.

وقال ثابت بن محمد عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن أبي برزة.

وخالفهم عبد الرحمن بن مغراء؛ فرواه عن الأعمش عن رجل لم يسمه عن أبي برزة.

والقول قول أبي بكر بن عياش وفضيل ومن تابعهما. اهـ.

قلت: تابع عبدَ الرحمن بن مغراء قطبةُ عند الإمام أحمد (٤/٤٢٤) وحفص بن غياث عند ابن أبي الدنيا في الصمت (١٦٩).

وفي الباب عن عدة من الصحابة، انظر تخرج أحاديث الكشاف (٣/٣٤٤ - ٣٤٦).

فعلاها بالدّرة ، وقال : اكشفي رأسك ولا تشبهي بالحرائر! »[١].

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿لئن لمْ ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ والمرجفون في المدينة﴾ وهم المنافقون يرجفون بالنبي وأصحابه يقولون : يهلك محمدٌ وأصحابه! ﴿لنغرينّك بهم﴾ أي : لنسلطنك عليهم ﴿ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ملعونين﴾ .

قال محمدٌ : ﴿ملعونين﴾ منصوبٌ على الحال[٢]؛ المعنى : لا يجاورونك إلا وهم ملعونون .

﴿سُنة اللّه في الذين خلوا من قبل﴾ أي : من أظهر الشركَ قبل ، وهذا إذا أُمِر النبيون بالجهاد .

قال محمدٌ : ﴿سنةَ اللّه﴾ مصدر ؛ المعنى : (سنّ)[٣] اللّه سُنّة .

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند اللّه﴾ أي : لا يعلم متى مجيئُها إلا اللّه ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريبًا﴾ أي : أنها قريبٌ ﴿يا ليتنا أطعنا اللّه وأطعنا الرسولا﴾ وإنما صارت ﴿الرسولا﴾ و ﴿السبيلا﴾ ؛ لأنها مخاطبة وهذا جائزٌ في كلام العرب ، إذا كانت مخاطبة .

قال محمدٌ : الاختيار عند أهل العربيّة : (السبيلا) بالألف وأن يوقف عليها ؛ لأن أواخر الآي وفوَاصلَها يجري فيها ما يجري في أواخر أبيات الشعر ومصارعها[٤]؛ لأنه إنما خوطِبَ العرب بما

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النور .

(٢) ينظر : إعراب القرآن (٦٥٠/٢) ، البحر (٢٥١/٧) ، البيان (٢٧٢/٢) .

(٣) في الأصل (سنّن) ، وهو خطأ ؛ لأن مصدره (تسنين) . والمثبت من « ر » وهو الصواب .

(٤) في « ر » : مصارفها .

يعقلونه في الكلام المؤلَّف ، فيدل بالوقف على هذه الأشياء وزيادة الحروف نحو ﴿الظنونا﴾ و ﴿السبيلا﴾ و﴿الرسولا﴾ أن ذلك الكلام قد تمَّ وانقطع وأن ما بعده مستأنف .

﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا﴾ وهي تقرأ على وجه آخر : ﴿ساداتِنا﴾[١] والسادة جماعة واحدة ، والسادات جماعة الجماعة[٢] ﴿وكبراءنا﴾ أي : في الضلالة ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ أي : مِثْلَيْن . ﴿والعنهم لعنًا كبيرًا﴾ وتقرأ (كثيرًا)[٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى ...﴾ الآية .

يحيى : عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أنس بن مالك « أن اليهود كانوا يقولون : إن موسى آدَرُ[٤]، وكان إذا دخل الماء ليغتسل وضعَ ثوبه على صخرة . قال : فدخل الماء يومًا ووضع ثوبه على صخرة فتدهْدهتْ[٥]، فخرج يتبعُها فرأوه ، فبرّأهُ الله مما قالوا »[٦].

﴿وقولوا قولاً سديدًا﴾ أي : عدلاً ؛ وهو : لا إله إلا الله ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ لا يقبل العمل إلا ممّن قال : لا إله إلا الله ، مخلصًا من قلبه .

(١) وهي قراءة ابن عامر ، وقرأ باقي السبعة (سادتنا) . ينظر : السبعة (٥٢٣) ، البحر (٣٥٢/٧) ، النشر (٣٤٩/٢) .
(٢) ينظر : الدر المصون (٤٢٦/٥) ، لسان العرب (سود) .
(٣) وهي قراءة حمزة ، والكسائي ، ونافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، وقرأ عاصم وحده (كبيرًا) . ينظر : السبعة (٥٢٣) ، البحر (٢٥٢/٧) ، التيسير (١٧٩) ، النشر (٣٤٩/٢) .
(٤) من الأُدْرة ؛ وهي انتفاخ الخصيتين لتسريب سائل في غلافهما أو كبر الصفن من تجمع سائل بداخله . والجمع : أُدْر . المعجم الوسيط (أدر) .
(٥) أي : تدحرجت . لسان العرب (دهده) .
(٦) روى البخاري (٥٠٢/٦ رقم ٣٤٠٤) ومسلم (٢٦٧/١ رقم ٣٣٩) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه .

﴿إنا عرضنا الأمانة ...﴾ الآية ، تفسير الكلبي عرضَ العبادة على السمٰوات والأرض والجبال أن يأخذوها بما فيها ، قلن : وما فيها؟ قيل : إن أحسنتن جوزيتن (ل٢٧٥) وإن أسأتن عوقبتن ﴿فأبين أن يحملنها﴾ وعرضها على الإنسان - والإنسان : آدم - فقبلها .

يحيى : عن أبي الأشهب ، عن الحسن « أنه قرأ هذه الآية : ﴿إنا عرضنا الأمانة ...﴾ إلى قوله : ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ فقال : هما اللذان ظلماها ، هما اللذان خاناها : المنافق والمشرك »[1].

﴿وكان الله غفورًا﴾ لمن تاب من شركه ﴿رحيمًا﴾ للمؤمنين .

(١) رواه الطبري في تفسيره (٥٨/٢٢) من طريق أبي الأشهب به .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٤٥/٥) لعبد بن حميد في تفسيره .

تفسير سورة سبأ وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝٢ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝٣ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥﴾

قوله : ﴿الحمدُ للَّه﴾ حمد نفسه ، وهو أهل الحمْدِ ﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم﴾ في أمره أحْكم كل شيءٍ ﴿الخبير﴾ بخلْقه ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ من المطر ﴿وما يخرج منها﴾ من النبات ﴿وما ينزل من السماء﴾ من المطر وغير ذلك ﴿وما يعرج فيها﴾ أي : يصعَدُ يعني : ما تصعد به الملائكة ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ لمن آمن .

قال محمدٌ : يقال : عَرَج يعرُجُ إذا صَعِدَ ، وعرِجَ - بالكسْر - يعرَجُ إذا صار أعْرجَ[1].

﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾ القيامة ﴿قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب﴾ من قرأها بالرفع رجع إلى قوله : ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ عالِمُ الغيب ، ومن قرأها بالجر : (عالمِ الغيبِ) يقول : بلى وربي عالم الغيْب ، وفيها تقديمٌ[2]، والغيبُ في تفسير الحسن في هذا الموضع : ما لم يكن ﴿لا يعزب عنه﴾ أي : لا يغيب ﴿مثقال ذرة﴾ أي : وزن ذرّةٍ يقول : ليعلم ابن آدم أن عمله الذي عليه

---

(١) يقال : عَرَج يعرُج عُرُوجًا إذا صعد ، فهو عريج . ويقال : عرج يعرَج عَرَجًا وعَرَجانًا ؛ أي : كان في رِجْله شيءٌ خِلْقةً فجعله يغمز بها ، فهو أعرج . لسان العرب ، المعجم الوسيط (عرج) .

(٢) قرأها بالرفع : نافع وابن عامر ، وقرأ بالجر : ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وقرأ حمزة والكسائي ﴿علاَّم﴾ ينظر : السبعة (٥٢٦) ، البحر (٢٥٧/٧ - ٢٥٨) ، النشر (٣٤٩/٢) .

الثواب والعقاب لا يغيبُ عن الله منه مثقال ذرةٍ ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ لذنوبهم ﴿ورزقٌ كريمٌ﴾ يعني : الجنة ﴿والذين سعَوا﴾ عملوا ﴿في آياتنا معاجزين﴾ تفسير الحسن : مسابقين ؛ أيْ : يظنون أنهم يسْبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنبعثهم ونعذبهم .

قال محمدٌ : يقال : ما أنت بمعاجزي ؛ أي : بمُسابقي ، وما أنت بمعجزي ؛ أي : بسابقي[1].

﴿أولئك لهم عذابٌ من رجزٍ﴾ والرجز : العذاب ؛ أي : لهم عذابٌ من عذابٍ ﴿أليم﴾ موجع .

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾

﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ يعني : المؤمنين ﴿الذي أنزل إليك من ربك هو الحق﴾ أي : يعلمون أنه هو الحق ﴿ويهدي﴾ أي : ويعلمون أن القرآن يهدي ﴿إلى صراطِ﴾ إلى طريق ﴿العزيز الحميد﴾ المستحمد إلى خلقه .

﴿وقال الذين كفروا﴾ قاله بعضهم لبعضٍ ﴿هل ندُلكم﴾ ألا ندلكم ﴿على رجلٍ﴾ يعنون : محمدًا ﴿ينبئكم﴾ يخبركم ﴿إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلقٍ جديد﴾ أي : إذا متم وتفرّقت عظامُكم وكانت رُفاتًا أنكم لمبعوثون خلقًا جديدًا - إنكارًا للبعث؟ قال الله : ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب﴾ في الآخرة ﴿والضلال﴾ في (الدين)[2] ﴿البعيد﴾ من الهدى ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم﴾ يعني : أمامهم ﴿وما خلفهم﴾ يعني : وراءهم ﴿من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفًا من السماء﴾ الكسف : القطعة[3].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ

---

(١) لسان العرب (عجز) .

(٢) في «ر» : الدنيا .

(٣) هكذا في الأصل و «ر» . والصواب : الكِسْفة : القطعة . والجمع : كِسْف وكِسَف . لسان العرب (كسف) .

وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾

﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً﴾ يعني: النبوة ﴿يا جبالُ أوِّبي﴾ قلنا: يا جبال أوبي معه؛ أي: سبحي.

قال محمدٌ: ذكر ابن قتيبة[١] أنَّ أصل الكلمة من التأويب في السَّفر. قال: وهو أن [يسير][٢] النهار كله وينزل ليلاً كأن المعنى: أوِّبي النهار كله بالتسبيح[٣].

وذكر الزجاج: أن أصل الكلمة من آبَ يئوب؛ إذا رجع، كأنه أراد: سبحي معه ورَجِّعي التسبيح[٤]؛ فاللَّه أعلم ما أراد.

﴿والطير﴾ هو كقوله: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾[٥] أي: وسخرنا له الطير ﴿وألنا له الحديد﴾ ألانه اللَّه له؛ فكان يعمله بلا نارٍ ولا مطرقة بأصابعه الثلاثة ﴿أن اعمل سابغاتٍ﴾ وهي الدروع ﴿وقدر في السّرد﴾ تفسير مجاهد[٦]: لا تصغر المسمار وتعظم الحلقة؛ فيسلس، ولا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فتنفصم الحلقة.

قال محمدٌ: السابغ: الذي يغطي كل ما تحته حتى [يفضل وذكر][٧] (ل٢٧٦) لأنها تدل على الموصوف ومعنى السّرد: النّسْجُ، ويقال للحرز أيضًا: سرْدٌ، ويقال لصانع الدِّرع: سرّاد وزرّادٌ؛ تبدل من السين: الزاي[٨].

---

(١) هو عبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) من أئمة الأدب واللغة، له أدب الكاتب، والمعارف، وعيون الأخبار وغير ذلك.
ينظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (١٣٧/٤).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) ينظر لسان العرب (أوب)، معاني القرآن للفراء (٣٥٥/٢)، البحر (٢٦٢/٧).

(٤) لسان العرب (أوب)، البيان (٢٧٥/٢).

(٥) الأنبياء: ٧٩.

(٦) رواه الطبري في تفسيره (٦٨/٢٢).
وعزاه السيوطي في الدر (٢٤٦/٥) للفريابي وعبد بن حميد أيضًا.

(٧) في كشف المشكلات: (وحذف دروعًا؛ لأنها تدل على الموصوف) ينظر: كشف المشكلات (١٠٩٣/٢)، وينظر أيضًا: البحر المحيط (٢٦٣/٧)، وإعراب القرآن (٦٥٨/٢)، والبيان (٢٧٦/٢).

(٨) ينظر لسان العرب (سرد)، و(زرد).

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

﴿ولسليمان الريح﴾ أي : وسخرنا لسليمان الريح ﴿غدُوها شهرٌ ورواحها شهرٌ﴾ قال الحسن : وكان سليمان إذا أراد أن يركب جاءت الريح فوضع سرير مملكته عليها ، ووضع الكراسي والمجالس على الريح ، وجلس وجوه أصحابه على منازلهم في الدِّين من الجن والإنس يومئذٍ ، والجن يومئذ ظاهرة للإنس يَحُجُّون جميعًا ويصلون جميعًا ، والطير ترفرف على رأسه ورءوسهم ، والشياطين حرسُه لا يتركون أحدًا يتقدَّم بين يديه ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ يعني : الصُّفر ؛ في تفسير مجاهد[1] سالت له مثل الماء ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾ يعني : السُّخرة التي سخَّرها اللّه له ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾ يعني : عن طاعة اللّه وعبادته ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ في الآخرة ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب﴾ يعني : المساجد والقصور ؛ في تفسير الكَلْبي .

قال محمدٌ : يقال لأشرف موضع في الدار أو في البيت : محراب[2].

قوله : ﴿وتماثيل﴾ يعني : صورًا من نحاس .

قال الحسن : ولمْ تكن الصور يومئذٍ محرَّمة ﴿وجفانٍ كالجوابي[3]﴾ يعني : صحافًا كالحياض .

قال محمدٌ : الجوابي جمع : جابية .

﴿وقدور راسيات﴾ أي : ثابتاتٌ في الأرض عظام لا تحوَّل عن أماكنها ﴿اعملوا آل داود شكرًا﴾ أي : توحيدًا . قال بعضهم : لما نزلت لم يزل إنسانٌ منهم قائمًا يصلي .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٥/٢٤٧) لعبد بن حميد .

(٢) والجمع : محاريب . لسان العرب (حرب) .

(٣) أثبت الياء وصلاً أبو عمرو وورش ، وانفرد الحنبلي عن عيسى بن وردان بذلك ، وأثبتها في الحالين ابن كثير ويعقوب ، النشر (٢/٣٥١) .

قال : ﴿وقليلٌ من عبادي الشكور﴾ أي : أقل الناس المؤمن ﴿فلما قضينا﴾ أنزلنا ﴿ عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض﴾ وهي الأرضةُ ؛ في تفسير مجاهد[١] ﴿تأكل منساته﴾ أي : عصاه .

قال محمدٌ : وأصل الكلمة من قولك : نسأت الدّابة ؛ إذا سُقْتَهَا ، فقيل للعصاة : مِنْسَأَةٌ[٢].

وأنشد بعضهم :

إذا دببت على المنساة من كبر فقد تباعد منك اللّهْوُ والْغزلُ[٣]

وفيه لغةٌ أخرى ﴿تأكل منسأته﴾ مهموزة[٤].

قال يحيى : مكث سليمان حولاً وهو متوكئٌ على عصاه لا يعلمون أنه مات . وذلك أن الشياطين كانت تزعم للإنس أنهم يعلمون الغيب ، فكانوا يعملون له حولاً لا يعلمون أنه مات .

قال : ﴿فلما خرّ﴾ سليمان ؛ أي : سقط ﴿تبيّنت الجن﴾ للإنس ﴿أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ يعني : الأعمال [التي][٥] سخرهم فيها .

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾

﴿لقد كان لسبإٍ في مساكنهم[٦] آيةٌ﴾ أي : لقد تبيّن لأهل سبإٍ ؛ كقوله : ﴿واسأل

(١) رواه الطبري (٢٢/٧٣) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢٥٠) للفريابي وعبد بن حميد أيضًا .

(٢) يقال : منسأة بالهمزة وهي لغة تميم ، و(منساة) بدون الهمز ؛ وهي لغة الحجاز . ينظر لسان العرب (نسأ) ، الدر المصون (٥/٤٣٥ - ٤٣٦) .

(٣) البيت من بحر البسيط ، ويروى : فقد تباعد عنك ...

ينظر : المحتسب (٢/١٨٧) ، البحر المحيط (٧/٢٥٥) ، معاني القرآن للفراء (٢/٣٥٦) .

(٤) قرأ بهمزة ساكنة ابن عامر في رواية عنه ، وبألف محضة نافع وأبو عمرو ، وبهمزة مفتوحة الباقون . ينظر : السبعة (٥٢٧) ، البحر (٧/٢٦٧) ، النشر (٢/٣٤٩ - ٣٥٠) .

(٥) في الأصل : الذي . والمثبت من « ر » .

(٦) وهي قراءة : نافع وعاصم وأبي عمرو ، وابن كثير ، وابن عامر . وقرأ حمزة وحفص : ﴿مسْكَنهم﴾ بسكون السين -

القرية﴾[١] أي : أهل القرية .

قال محمدٌ : قد مضى القول في (سبإ) في تفسير سورة النمل ، واختلاف القراءة فيه ، والتأويل[٢].

قال يحيى : ثم أخبر بتلك الآية ؛ فقال : ﴿جنتان عن يمين وشمال﴾ جنة عن يمين ، وجنّةٌ عن شمال ﴿بلدةٌ طيبة ورب غفورٌ﴾ لمن آمن .

قال محمدٌ : ﴿جنتان﴾ بدلٌ من ﴿آية﴾ و ﴿ربٌّ غفورٌ﴾ مرفوعٌ على معنى و اللَّهُ ربٌّ غفورٌ .

﴿فأعرضوا﴾ عما جاءت به الرسُلُ ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ والعَرِمُ : الجسْرُ يُحبَسُ به الماء ، وكان سدًّا قد جعل في موضعٍ من الوادي [تجتمع][٣] فيه المياه .

قال مجاهد[٤]: إن ذلك السَّيْل الذي أرسَلَ اللَّه عليهم من العرم ماء أحْمَر ، أتى اللَّه به من حيث شاء ، وهو شقّ السّدّ وهدَمَه ، وحفر بطن الوادي عن الجنّتيْن ؛ فارتفعتا وغارَ عنهما الماء فيبستا قال : ﴿وبدلناهم بجنتيْهم جنتيْن ذواتي أكل﴾ أي : ثمرة ﴿خمطٍ﴾ وهو الأَرَاك[٥] ﴿وأثلٍ﴾ .

قال محمدٌ : والأثل شبيه[٦] بالطّرفاء ، واختلف أهل اللغة في مد الطّرفاء وقصره ، وأكثرهم على المد[٧].

﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي﴾ أي : نعاقبُ ﴿إلا الكفور﴾ .

= وفتح الكاف على الإفراد ، وقرأ الكسائي : ﴿مسكِنهم﴾ بسكون السين وكسر الكاف . ينظر : السبعة (٥٢٨) ، البحر (٢٦٩/٧) ، النشر (٣٥٠/٢) .

(١) يوسف : ٨٢.

(٢) وذلك عند قوله تعالى : ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل : ٢٢] وينظر : السبعة (٤٨٠، ٥٢٨) ، النشر (٢/ ٣٣٧) ، التيسير (١٦٧) .

(٣) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٢٥٣/٥) للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) أي : شجر المسواك . المعجم الوسيط (أرك) .

(٦) في المعجم الوسيط (أثل) : الأثل : شجر من الفصيلة الطرفاوية ، طويل ، مستقيم يعمّر ، كثير الأغصان ، دقيق الورق . والواحدة أثلة . ينظر مادة (أثل) .

(٧) ينظر ذلك من لسان العرب ، القاموس المحيط (طرف) .

قال محمدٌ : قيل معنى المجازاة ها هنا : أنه لا يغفر له ، وإنما المغفرة لأهل الإيمان .

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿وجعلنا بينهم﴾ أي : وكنا جعلنا بينهم ﴿وبين القرى التي باركنا فيها﴾ يعني : أرض الشام ﴿قرًى ظاهرة﴾ أي : متصلة ؛ ينظر بعضها إلى بعضٍ ﴿وقدرنا فيها السير﴾ (ل٢٧٧) تفسير الكلبي : يعني المقيل والمبيت ﴿سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين﴾ كانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك بعضهم بعضًا ، ولو لقي الرجلُ قاتِلَ أبيه لمْ يحركه ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ قال الحسن : ملوا النعمة ؛ كما ملّت بنو إسرائيل المنَّ والسّلوى . قال اللّه : ﴿وظلموا أنفسهم﴾ بشركهمْ ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ لمَن بعدهم ﴿ومزّقناهم كل ممزقٍ﴾ أي : بدَّدْنا عظامهم وأوصالهم [فأكلهم][1] الترابُ .

قال محمدٌ : وقد قيل في قوله : ﴿ومزّقناهم كلّ ممزّق﴾ أي : مزّقناهمْ في البلاد ؛ لأنهم لما أذهب اللّه جنتيهم وغرق مكانهم تبدّدُوا في البلاد ؛ فصارت العرب تتمثل بهم في الفرقة فتقول : تفرّقوا أيدي سبأ ، وأيادي سبأ ؛ إذا أخذوا في وجوهٍ مختلفة[2].

﴿إن في ذلك لآيات لكل صبّار﴾ على أمر اللّه ﴿شكورٍ﴾ لنعمة اللّه وهو المؤمن .

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ولقد صدق عليهم إبليسُ ظنّه﴾ يعني : جميع المشركين ﴿فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين﴾ قال بعضهم : قال إبليس : خُلِقتُ من نارٍ وخُلِقَ آدم من طينٍ ، والنار تأكل الطين! فلذلك ظن أنه سيضل عامتهم .

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط (سبأ) .

قال يحيى : (...)[١] عليهم ظنه (...)[٢] على ما يحب .

قال محمدٌ : ومن قرأ : ﴿صَدَقَ﴾ بالتخفيف[٣] نصبَ الظنَّ مصْدَرًا على معنى : صَدَقَ عليهم إبليسُ ظنًّا ظنَّه[٤]، وصدق في ظنه .

﴿وما كان له عليهم من سلطانٍ﴾ هو كقوله : ﴿فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين﴾ يقول : لستم بمضلي أحدٍ ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾[٥].

قوله : ﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة﴾ وهذا علم الفعال ﴿ممن هو منها في شكٍ﴾ وإنما جحد المشركون الآخرة ظنًّا منهم وشكًا ﴿وربك على كل شيءٍ حفيظ﴾ حتى يجازيهم في الآخرة .

﴿وما لهم فيهما﴾ يعني : السموات والأرض ﴿من شرك﴾ أي : ما خلقوا شيئًا مما فيهما ﴿وما له منهم﴾ أي : وما لله من أوثانهم ﴿من ظهير﴾ أي : عوين .

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ولا تنفع الشفاعة عنده﴾ عند الله ﴿إلا لمن أذن له﴾ أي : لا يشفع الشافعون إلا للمؤمنين .

﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم ...﴾ الآية .

قال يحيى : إن أهل السموات لم يسمعوا الوحيَ فيما بين عيسى ومحمد ؛ فلما بعث الله جبريل بالوحي إلى محمدٍ سمع أهل السموات صوتَ الوحي مثل جر السلاسِل على الصخور - أو الصَّفا - فصعق أهل السموات مخافة أن تقوم الساعة ، فلما فرغ من الوحي ، وانحدر جبريل جعل كلما يمُرُّ بأهل سماء فزع عن قلوبهم - يعني : خُلي عنها - فسأل بعضهم بعضًا - يسأل أهل كل سماء الذين فوقهم إذا خُلي عن قلوبهم ماذا قال ربكم؟ فيقولون الحق ؛ أي : هو الحق - يعنون : الوحي .

(١) طمس في حاشية الأصل نحو ثلاث كلمات .

(٢) طمس في حاشية الأصل قدر كلمة .

(٣) وهي قراءة نافع ، وأبي عمرو ، وابن كثير ، وابن عامر . ينظر : السبعة (٥٢٩) ، البحر (٧/٢٧٣) ، النشر (٢/٣٥٠) .

(٤) ينظر إعراب القرآن (٢/٦٦٩) ، البحر (٧/٢٧٣) ، معاني القرآن للفراء (٢/٣٦٠) .

(٥) الصافات : ١٦١ - ١٦٣.

قال محمدٌ : وقيل : إن تأويل ﴿فزع عن قلوبهم﴾ أي : كشف اللّٰه الفزع عن قلوبهم .

﴿وإنا أو إياكم لعلى هدًى أو في ضلالٍ مبين﴾ بيِّنٌ ، وهي كلمة عربية ؛ يقول الرجل لصاحبه : إنَّ أحدنا لصادق - يعني : نفسه - وكقوله : إنَّ أحدنا لكاذبٍ ؛ يعني : صاحبه[1] - أي : نحن على الهدى وأنتم في ضلالٍ مبين ، وكان هذا بمكة وأمرُ المسلمين يومئذٍ ضعيفٌ .

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قل لا تُسألون عما أجرمنا ولا نُسأل عما تعملون﴾ كقوله : ﴿قل إن افتريته فعليّ إجرامي وأنا بريءٌ مما تجرمون﴾[2] ﴿ثم يفتح بيننا بالحق﴾ أي : يقضي ﴿وهو الفتاح﴾ القاضي ﴿العليم﴾ بخلقه .

﴿قل أروني الذين ألحقتم به شركاء﴾ أي : جعلتموهم شركاء ؛ فعبدتموهم ، يقول : أروني ما نفعوكم وأجابوكم به! ﴿كلا﴾ لستم بالذين تأتون بما نفعوكم وأجابوكم به إذ كنتم تدعونهم ؛ أي : أنهم لم ينفعوكم ولم يجيبوكم ، ثم استأنف الكلام ؛ فقال : ﴿بل هو اللّٰه العزيز الحكيم﴾ أي : هو الذي لا شريك له ولا ينفع إلا هو .

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ يعني : جماعة الإنس وإلى جماعة الجن ﴿بشيرًا﴾ بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ من النار ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنهم مبعوثون ومجازون .

---

(١) ينظر : البحر المحيط (٧/٢٨٠) ، الدر المصون (٥/٤٤٣) .

(٢) هود : ٣٥.

﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن﴾ لن نصدق ﴿بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه﴾ يعنون : التوراة والإنجيل .

﴿ولو ترى إذ الظالمون﴾ أي : المشركون ﴿موقوفون عند ربهم﴾ يوم القيامة ﴿يقول الذين استُضعفوا﴾ وهم السفلة (ل٢٧٨) ﴿للذين استكبروا﴾ وهم الرؤساء .

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿بل مكر الليل والنهار﴾ أي : بل قولكم لنا بالليل والنهار ﴿إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا﴾ يعني : أوثانهم عدلوها بالله فعبدوها دونه ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها﴾ يعني : أهل السّعَة والنعْمة ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي : يقتر ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني : جماعة المشركين ﴿لا يعلمون﴾ .

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ الزلفى : القربة[1] ﴿إلا من آمن﴾ أي : ليس القربة عندنا إلا لمن آمن وعمل صالحًا ﴿فأولئك لهم جزاءُ الضعف﴾ يعني : تضعيف الحسنات ؛ كقوله : ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾[2] ثم نزل بعد ذلك بالمدينة : ﴿مثل الذين

(١) وهي أيضًا القربى . لسان العرب (قرب) .

(٢) الأنعام : ١٦٠.

ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل ...﴾[١] الآية .

﴿والذين يسعون﴾ يعملون ﴿في آياتنا معاجزين﴾ أي : يظنون أنهم يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم ﴿فأولئك في العذاب محضرون﴾ مُدْخلون ﴿وما أنفقتم من شيء﴾ أي : في طاعة الله ﴿فهو يخلفه﴾ تفسير السُّدي : ﴿فهو يخلفه﴾ ؛ يعني : في الآخرة ؛ أي : يعوضهم به الجنة .

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ويوم نحشرهم جميعًا﴾ يعني : المشركين وما عبدوا ﴿ثم نقول[٢] للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ يجمع الله يوم القيامة بين الملائكة ومَنْ عبدها ، فيقول للملائكة : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ على الاستفهام وهو أعلم بذلك منهم ﴿قالوا﴾ قالت الملائكة : ﴿سبحانك﴾ ينزِّهون الله عما قال المشركون .

﴿أنت ولينا من دونهم﴾ أي : أنا لمْ نكن نواليهم على عبادتهم إيانًا ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ الشياطين هي التي دعتهم إلى عبادتنا ؛ فهم بطاعتهم الشياطين عابدون لهم ﴿بل أكثرهم﴾ يعني : جماعة المشركين ﴿بهم﴾ أي : بالشياطين ﴿مؤمنون﴾ مصدقون بما وسوسوا إليهم بعبادة من عبدوا ؛ فعبدوهم ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ وهم جميعًا قرناء في النار : الشياطين ، ومن أضلوا ؛ يلعن بعضُهم بعضًا ، ويتبرأ بعضُهم من بعض .

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا

---

(١) البقرة : ٢٦١.

(٢) قرأ يعقوب وحفص ﴿يحشرهم﴾ ﴿ثم يقول﴾ بالياء فيهما ، وقرأ الباقون ﴿نحشرهم﴾ ﴿ثم نقول﴾ بالنون فيهما . النشر (٣٥١/٢) إتحاف الفضلاء (٤٦١) .

بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها﴾ أي: يقرءونها بما هم عليه من الشرك ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ من قبل قومك يا محمد؛ يعني: من أهلك من الأمم السالفة.

﴿وما بلغوا معشار﴾ ما بلغ هؤلاء معشار؛ أي: عشر ﴿ما آتيناهم﴾ من الدنيا؛ يعني: الأمم السالفة.

﴿فكيف كان نكيري[١]﴾ عقابي؛ أي: كان شديدًا؛ يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم.

قال محمدٌ: (نكير) المعنى: نكيري، وحُذِفت الياء؛ لأنه آخر آية[٢].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِيۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ بـ (لا إله إلا اللَّه) يقوله للمشركين ﴿أن تقوموا للَّه مثنى وفرادى﴾ أي: واحدًا واحدًا، أو اثنينْ اثنينْ ﴿ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة﴾ أي: ما بمحمدٍ من جنون ﴿إن هو إلا نذيرٌ لكم بين يديْ عذابٍ شديد﴾.

قال محمدٌ: المعنى: ينذركم أنكم إن عصيتم لقيتم عذابًا شديدًا.

﴿قل ما سألتكم من أجرٍ﴾ أي: الذي سألتكم من أجرٍ ﴿فهو لكم إن أجرى﴾ ثوابي ﴿إلا على اللَّه﴾ ﴿قل إن ربي يقذف بالحق﴾ أي: ينزل الوحي ﴿علام الغيوب﴾ غيب السماء: ما ينزل منها من المطر وغيره، وغيب الأرض ما يخرج منها من النبات وغيره.

---

(١) أثبت الياء في الوصل ورش، وفي الحالين يعقوب. النشر (٢/٣٥١).

(٢) ورويت القراءة (نكيري) بإثبات الياء وصلاً عن ورش، وإثباتها وصلاً ووقفًا عن يعقوب. ينظر: إتحاف الفضلاء (٣٦٠)، التيسير (١٨٦)، النشر (٢/٣٥١).

وينظر التوجيه النحوي من: البحر (٧/٢٩٠)، البيان (٢/٢٨٢)، مجمع البيان (٤/٣٩٥).

قال محمدٌ : من قرأ ﴿علامُ الغيوب﴾ بالرفع[١]، فعلى معنى : هو علام الغيوب[٢].

﴿قل جاء الحق وما يبدئُ الباطل﴾ [يعني : إبليس][٣] ﴿وما يعيد﴾ أي : ما يخلق أحدًا ولا يبعثه ﴿قل إن ضللْتُ فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت ...﴾ الآية ؛ أي : أنكم أنتم الضالون ، وأنا على الهدى .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿ولو ترى إذ فزعوا﴾ تفسير الحسن : يعني النفخة الأولى التي يُهْلَكُ بها كفار آخر هذه الأمة ﴿فلا فوت﴾ أي : لا يفوت أحدٌ منهم دون أن يهلك بالعذاب ﴿وأُخِذُوا من مكان قريب﴾ يعني : النفخة الآخرة . قال الحسن : وأي شيءٍ أقرب من أن [كانوا][٤] في بطن الأرض فإذا هم على ظهورها .

قال محمدٌ : قيل : ﴿من مكان قريب﴾ : قريب على الله يعني : القبور .

(ل٢٧٩) وهو معنى ما ذهب إليه الحسن ﴿وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾ يعني : الآخرة ، والتناوش : التناول ، قال الحسن يعني : وأنى لهم الإيمان .

قال محمد : المعنى : وأنى لهم تناول ما أرادوا من التوبة ؛ أي : إدراكه من مكان بعيد من الموضع الذي تقبل فيه التوبة ، وهو معنى قول الحسن ، والتناوش يُهمزُ ولا يُهمزُ يقال : نشتُ ونَأَشْتُ[٥].

﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾ كذبوا [بالبعث][٦] وهو اليوم عندهم بعيد ؛

---

(١) وهي قراءة العامة ، وروي عن زيد بن علي ، وابن أبي عبلة ، وأبي حيوة القراءة بنصبها . ينظر : البحر (٢٩٢/٧) جامع القرطبي (٣١٣/١٤) الإعراب للنحاس (٦٨٠/٢) .

(٢) ينظر الدر المصون (٤٥٣/٥) ، وفيه تفصيل نحوي واسع .

(٣) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٥) يقال : نَأَش يَنْأَشُ نأشًا ، ويقال : تناءش وتناوش . لسان العرب (نأش) .

(٦) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

لأنهم لا يقرون به .

﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ تفسير بعضهم : ما يشتهون من الإيمان ، ولا يقبل منهم عند ذلك .

﴿كما فُعِل بأشياعهم من قبل﴾ يعني : من كان على دينهم - الشرك - لمَّا كذبوا رسلهم جاءهم العذاب ، فآمنوا عند ذلك ؛ فلم يقبل منهم ﴿إنهم كانوا﴾ قبل أن يجيئهم العذاب ﴿في شكٍ مريب﴾ من الريبة ؛ وذلك أنّ جحودهم بالقيامة ، وبأن العذاب لا يأتيهم ؛ إنما ذلك ظن منهم [وشك ليس][1] عندهم فيه علمٌ .

❁ ❁ ❁

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

تفسير سورة الملائكة(١)

وهي مكيّةٌ كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾

قوله : ﴿الحمد لله﴾ حمد نفسه ، وهو أهل الحمد ﴿فاطر﴾ خالق ﴿السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا﴾ جعل من شاء منهم لرسالته إلى الأنبياء ﴿أولي﴾ ذوي ﴿أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ تفسير قتادة(٢): منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة أجنحة ، ومنهم من له أربعة أجنحة .

قال محمد : (وثلاث ورباع) في موضع خفض ، وكذلك (مثنى) إلا أنه فتح ثلاث ورباع ؛ لأنه لا ينصرف لعلّتين : إحداهما : أنه معدول عن ثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة ، واثنينْ اثنينْ ، فهذه علّةٌ ، والثانية : أن عدْله وقع في حال النكرة(٣).

﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ تفسير الحسن : يزيد في أجنحة الملائكة ما يشاء ﴿ما يفتح الله للناس﴾ تفسير الكلبي : ما يقسِمُ الله للناس ﴿من رحمة﴾ من الخير والرزق ﴿فلا مُمسك لها﴾ أي : لا أحدَ يستطيع أن يمسك ما يقسم من رحمة ﴿وما يمسك فلا مرسلَ له من بعده﴾ يعني : نفسه ، تبارك اسْمُه .

---

(١) أي : سورة فاطر .

(٢) رواه الطبري (٢٢/١١٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢٦٥) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم أيضًا .

(٣) ينظر التفصيل في ذلك من البحر (٧/٢٩٨) ، إعراب القرآن (٢/٦٨٣) ، البيان (٢/٢٨٥) .

قال محمدٌ : ﴿يفتح﴾ في موضع جزم على معنى الشرط والجزاء ، وجواب الجزاء ﴿فلا ممسك لها﴾(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾

﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالقٍ غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾ يعني : ما ينزل من السماء من المطر ، وما ينبت في الأرض من النبات ﴿لا إله إلا هو﴾ يقوله للمشركين يحتج به عليهم ، وهو استفهام ؛ أي : لا خالق ولا رازق غيره ، وأنتم تقرون بذلك وتعبدون من دونه الآلهة!

قال محمدٌ : تقرأ ﴿غير﴾ بالرفع والكسر ؛ فمن قرأ بالرفع فعلى معنى : هل خالقٌ غيرُ الله وتكون ﴿من﴾ مؤكدة ، ومن كسر جعله صفة للخالق(٢).

﴿فأنى تؤفكون﴾ يقول : فكيف تُصرف عقولكم فتعبدون غير الله؟! ﴿وإن يكذبوك فقد كُذبت رسلٌ من قبلك﴾ يعزيه بذلك ، ويأمُره بالصَّبْرِ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿يا أيها الناس إن وعْد الله حق﴾ يعني : ما وعد من الثواب والعقاب ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الْغرورُ﴾ الشيطان ﴿إنما يدعو حزبَهُ﴾ يعني : الذين أضلّ ووسوس إليهم بعبادة الأوثان ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ والسعير اسم من أسماء جهنّم ﴿أفمن زُين له سوء عمله

---

(١) ينظر الدر المصون (٥/٤٥٨).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالجر ، وقرأ الباقون بالرفع . ينظر : البحر (٧/٣٠٠) ، التيسير (١٨٢) ، النشر (٢/٣٥١) وينظر التوجيه النحوي من البحر (٧/٣٠٠) ، الدر المصون (٥/٤٥٨ - ٤٥٩) .

فرآه حسنًا﴾ كمن آمن وعمل صالحًا ؛ أي : لا يستويان ، وفيه إضمارٌ ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ يقول : لا تتحسر عليهم إذ لم يؤمنوا .

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ۝٩ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝١١﴾

﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابًا فسقناه﴾ يعني : سقنا الماء في السحاب ﴿إلى بلد ميت﴾ أي : إلى أرض ليس فيها نبات .

ولمّا قال : ﴿إلى بلدٍ﴾ قال : ﴿ميتٍ﴾ ؛ لأن البلد مذكّر ، والمعنى على الأرض[1] ﴿كذلك النشور﴾ أي : (هكذا)[2] تحيَوْن بعد الموت بالماء يوم القيامة كما تحيا الأرض بالماء فتنبت ، يرسل الله مطرًا منيًّا كمني الرجال ؛ فتنبت به جسمانهم ولحمانهم كما تُنبتُ الأرض من الثرى يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه ، فينطلق كل روح (ل ٢٨٠) إلى جسده حتى يدخل فيه ، فيجيبوا إجابة رجل واحد سراعًا إلى صاحب الصور إلى بيت المقدس .

﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعًا﴾ تفسير قتادة[3] يقول : من كان يريد العزة ؛ فليتعزّزْ بطاعة الله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ هو التوحيد ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ التوحيد ؛ لا يرتفع العمل إلا بالتوحيد ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ أي : يعملونها ﴿ومكر أولئك﴾ أي : عمل أولئك ﴿هو يبور﴾ أي : يفسد عند الله ؛ لأنه لا يقبل العمل الصالح إلا من المؤمن ﴿والله خلقكم من تراب﴾ يعني : خلق آدم ﴿ثم من نطفة﴾ يعني : نسْل آدم ﴿ثم جعلكم أزواجًا﴾ يعني : ذكرًا وأنثى ؛ والواحد : زوج ﴿وما يُعمر من معمَرٍ ولا ينقص من عمره﴾ تفسير الحسن : وما يعمر من معمرٍ ؛ حتى يبلغ أرذل العمر ، ولا ينقص من آخر عمر المعمر فيموت قبل أن يبلغ أرذل العمر ﴿إلا

(١) أي : أن التذكير محمول على اللفظ لا على المعنى . ينظر الدر المصون (٥/٤٦٠) .
(٢) في « ر » : كذلك .
(٣) رواه الطبري (٢٢/١٢٠) .

في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾ هينٌ .

قال سعيد بن جبير[١]: كُتِب في أول الصَّحيفة أجله ، ثم كُتب أسْفل من ذلك ذهب يوْم كذا ، وذهب يوم كذا حتى يأتي على أجَله .

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿وما يستوي البحران هذا عذبٌ فراتٌ﴾ أي : حلو ﴿سائغ شرابه﴾ ﴿وهذا ملحٌ أجاج﴾ أي : مالحٌ[٢] مرٌّ ﴿ومن كل﴾ يعني : من العَذْب والمالح ﴿تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ يعني : اللؤلؤ .

قال محمدٌ : وإنما تستخرج الحليةُ من الملح دون العذب ، إلا أنهما لما كانا مختلطيْن جاز أن يقال : تستخرجون الحلية منهما ؛ كقوله ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾[٣].

﴿وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله﴾[٤] يعني : طلب التجارة في السفن ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ هو أخذ أحدهما من الآخر ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجلٍ مسمى﴾ لا يعدوه ، قال السُّدي : وهو مطالع الشمس والقمر إلى غاية لا يجاوزانها في شتاءٍ

(١) رواه أبو الشيخ في العظمة (رقم ٤٥٢) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢٦٨) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا .

(٢) الأفصح : ملح . أما (مالح) فهي لغة رديئة . ينظر لسان العرب ، مختار الصحاح (ملح) وفي « ر » : أجاج .

(٣) الرحمن : ٢٢ . قلت : هذا الذي قاله المؤلف ـ رحمه الله ـ قاله جماعة من المفسرين ، وخالفهم غيرهم ، فقالوا : إن الحلية تستخرج من البحرين جميعًا ، وسيأتي نقل بعض أقوالهم عند تفسير هذه الآية من سورة الرحمن - إن شاء الله تعالى .

(٤) فاطر : ١٢.

ولا صيف ﴿والذين تدعون من دونه﴾ يقوله للمشركين يعني : أوثانهم ﴿ما يملكون من قطمير﴾ قال مجاهد[١]: القِطْمير : لفافة النّواة[٢].

قال محمدٌ : يقال : لِفَافةٌ وفُوفَة ، والفُوفَة أفصح[٣].

﴿إن تدعوهم﴾ يعني : تنادوهم ﴿لا يسمعوا دعاءكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ يعني : بعبادتكم إياهم ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ يعني : نفسه تبارك وتعالى .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

﴿إن يشأ يذهبكم﴾ بعذاب الاستصال ﴿ويأت بخلق جديد﴾ هو أطوعُ[٤] له منكم ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي : لا يشق عليه .

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي : لا تحمل حاملةٌ ذنب نفس أخرى ﴿وإن تدع مثقلةٌ﴾ أي : من الذنوب ﴿إلى حملها لا يحمل منه شيءٌ ولو كان ذا قربى﴾ أي : لا يحمل قريبٌ عن قريبه شيئًا من ذنوبه .

قال محمدٌ : المعنى ولو كان المدْعُو ذا قربى .

﴿إنما تنذر﴾ أي : إنما يقبل نذارتك ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ في السر حيث لا يطلع عليهم أحدٌ ﴿وأقاموا الصلاة﴾ المفروضة ﴿ومن تزكى﴾ أي : عمل صالحًا ﴿فإنما يتزكى لنفسه﴾ أي : يجد ثوابه .

---

(١) رواه الطبري (٢٢/١٢٥) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢٦٩) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ويُطْلق القطمير على الشيء الحقير الهين. لسان العرب (قطمر) .

(٣) وتجمع (لفافة) على لفائف ، وتجمع (فُوفة) على (فُوف) . ينظر لسان العرب (فوف ، لفف) .

(٤) أي : منقادون له طائعون . لسان العرب (طوع) .

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ وهذا تبعٌ لقوله: ﴿وما يستوي البحران﴾[1]، ﴿ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ هذا كله مثل المؤمن والكافر؛ أي: كما لا يستوي ما ذكر؛ فكذلك لا يستوي المؤمن والكافر.

قال محمدٌ: الحرور: (استيقاد)[2] الحر ولفحه بالليل والنهار[3].

﴿إن الله يُسمع من يشاء﴾ أي: يهديه للإيمان ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ أي: وما أنت بمسمع الكفار سمع قبول؛ كما أن الذين في القبور لا يسمعون.

﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ أي: من أمة ممَّن أهلكها إلا خلا فيها نذير، يحذر المشركين أن ينزل بهم ما نزل بهم إن كذبوا النبي ﷺ ﴿وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ قال السُّدي: يعني الآيات (ل٢٨١) التي كانت تجيء بها الأنبياء ﴿وبالزبر﴾ يعني أحاديث [الكتاب][4] ما كان [من قبلهم][5] من المواعظ ﴿وبالكتاب المنير﴾ البيِّن، يعني: الكتاب الذي يجيء به النبي منهم إلى قومه ﴿فكيف كان نكير﴾ أي: كان شديدًا.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ

(١) فاطر: ١٢.
(٢) سقط من «ر».
(٣) ويجمع على: حرائر. لسان العرب (حرر).
(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٥) في الأصل: لهم، والمثبت من «ر».

كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفًا ألوانها﴾ [وطعمها في الإضمار][1] ﴿ومن الجبال جُدَدٌ بيض﴾ أي: [طرائق][2] بيض ﴿وحمرٌ مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾ والغربيب: الشديد السّواد.

قال محمدٌ: قالوا: أسْوَدُ غِرْبِيبٌ يؤكدون السواد[3]، والجُدَد واحدها: جُدّة[4].

﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلفٌ ألوانُه كذلك﴾ أي: كما اختلفت ألوان ما ذكر من الثمار والجبال ثم انقطع الكلام، ثم استأنف فقال: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وهم المؤمنون.

قال ابن عباس[5]: يعلمون أن الله على كل شيءٍ قدير.

﴿وأقاموا الصلاة﴾ المفروضة ﴿وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية﴾ السّر: التطوع؛ والعلانية: الزكاة المفروضة، يستحبُّ أن تُعطى الزكاة المفروضة علانية، والتطوُّع سرًّا ﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ أي: تفْسد ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ يعني: ثوابهم في الجنة ﴿ويزيدهم من فضله﴾ يضاعف لهم الثواب.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾

﴿مصدقًا لما بين يديه﴾ يعني: التوراة والإنجيل ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا﴾ اخترنا ﴿من

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) ما بين المعقوفين مطموس في الأصل وأثبته من الدر المصون (٥/٤٦٦) وفي «ر»: طريق.

(٣) ينظر لسان العرب (غرب).

(٤) وهو جزء الشيء يخالف لونه لون سائره. وقيل: هي الطريقة. لسان العرب (جدد).

(٥) رواه الطبري (٢٢/١٣٢).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢٧١) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا.

عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ...﴾ إلى قوله : ﴿يدخلونها﴾ .

يحيى : عن النَّضر بن بلال ، عن أبان بن أبي عياش ، عن جعفر بن زيد وذكر حديثًا فيه : أن أبا الدَّرْداء قال : « سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ...﴾ إلى قوله : ﴿جنات عدن يدخلونها ...﴾ إلى آخر الآية ، قال : فيجيء هذا السابقُ بالخيرات فيدخل الجنة بلا حساب ، ويجيء هذا المقتصد فيحاسب حسابًا يسيرًا ثم يتجاوز اللَّه عنه ، ويجيء هذا الظالم لنفسه فيُوقفُ ويعيّر ويوبّخ ويُعَرَّف ذُنوبَه ، ثم يدخله اللَّه الجنة بفضل رحمته ، فهم الذين قالوا : ﴿الحمدُ للَّه الذي أذهب عنا الحزن إنّ ربنا لغفور شكورٌ﴾[1] غفر الذنب الكبير ، وشكر العمل اليسير »[2].

يحيى : عن أبي أميّة ، عن ميمون بن سِيَاه ، عن شهر بن حَوْشب ؛ أن عمر بن الخطاب قال : « سابقُنا سابقٌ ، ومقتصدُنا ناجٍ ، وظالمنا مغفورٌ له »[3].

---

(١) فاطر : ٣٤.

(٢) لم أقف عليه من هذا الطريق ولا من الطريق الآتي بعد أثر عمر ﷺ .
وروى الإمام أحمد (٥/ ١٩٤، ١٩٨، ٦/٤٤٤) والطبري في تفسيره (١٣٧/٢٢) والحاكم (٤٢٦/٢) والبيهقي في البعث (٥٨) والبغوي في تفسيره (٤٢١/٦) عن أبي الدرداء نحوه .
وفيه اختلاف ذكره البخاري في الكنى (١٧ - ١٨) وأشار الحاكم إلى بعضه .

(٣) رواه سعيد بن منصور في سننه (١٢٠/٢ رقم ٢٣٠٨) - ومن طريقه البيهقي في البعث والنشور كما في تخريج الكشاف (١٥٣/٣) - عن فرج بن فضالة عن أزهر بن عبد اللَّه عمن سمع عمر ﷺ به .
وقد اختلف في إسناد حديث ميمون بن سياه عليه .
فرواه حفص بن خالد عن ميمون بن سياه عن عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا .
خرجه البيهقي في البعث والنشور - كما في تخريج الكشاف (١٥٣/٣) - والرافعي في التدوين في أخبار قزوين (٣/ ٣٣١) .
وقال البيهقي : فيه إرسال بين ميمون وعمر .
وقال ابن حجر في الكاف الشاف (١٣٩) : وهذا منقطع .
ورواه الفضل بن عميرة الطفاوي - من طريق عمرو بن الحصين عنه - عن ميمون بن سياه عن أبي عثمان النهدي عن عمر ﷺ .
خرجه العقيلي في الضعفاء (٤٤٣/٣) والإسماعيلي - كما في مسند الفاروق لابن كثير (٦٠٣/٢) - وابن مردويه في تفسيره ، والواحدي في الوسيط والثعلبي - كما في تخريج الكشاف (١٥٣/٣) - والبغوي في تفسيره (٤٢١/٦) . =

ومن حديث يحيى بن محمد ، عن إبراهيم بن محمد ، عن صالح مولى التوءمة ، عن أبي الدرداء قال : « قرأ رسول الله هذه الآية ، فقال : أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد يحاسب حسابًا يسيرًا ، وأما الظالم لنفسه فيحبس في طول المحشر ، ثم يتجاوز اللهُ عنه » .

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٖ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤْلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا﴾ ليس من أهل الجنة أحدٌ إلا وفي يديه ثلاثة أسْورة : سوار من ذهب ، وسوارٌ من فضّة ، وسوارٌ من لؤلؤ . وقال ها هنا : ﴿من أساور من ذهب ولؤلؤًا﴾ وقال في آية أخرى ﴿وحلّوا أساور من فضّة﴾[١].

قال محمدٌ : من قرأ : (ولؤلوءًا)[٢] فعلى معنى : (يحلّوْن لؤلؤًا)[٣] وأساور جمع : أسورة ، واحدها : سِوَارٌ[٤].

﴿ولباسهم فيها حرير﴾ .

= وقال العقيلي : الفضل بن عميرة الطفاوي عن ميمون بن سياه ، ولا يُتابع على حديثه .

ثم روى الحديث ، وقال : وهذا يُروى من غير هذا الوجه بنحو هذا اللفظ بإسنادٍ أصلح من هذا .

وقال ابن كثير عن عمرو بن الحصين : وهو متروك .

وقال ابن حجر في الكاف الشاف (١٣٩) : فيه الفضل بن عميرة ، وهو ضعيف .

(١) الإنسان : ٢١.

(٢) قد سبق التعليق على هذه القراءة . ينظر (الحج : ٢٣) .

(٣) ينظر : البحر (٣١٤/٧) ، إعراب القرآن (٩٩٨/٢) .

(٤) ويقال : سوار بضم السين وكسرها ؛ وهو حِلْيةٌ من الذهب مستديرة كالحلْقة تلبس في المعصم أو الزند . لسان العرب ، المعجم الوسيط (سور) .

يحيى : عن حماد بن سلمة ، عن أبي المهزم ، عن أبي هريرة قال : « دارُ المؤمن دُرَّةٌ مُجَوَّفة في وسطها شجرة تُنْبِت الحُلَل ، ويأخذ بأصبعه - أو قال : بأصابعه - سبعين حُلَّةً منظَّمة باللؤلؤ والمرجان »[1].

﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصبٌ ولا يمسنا فيها لغوب﴾ إعْيَاء .

قال محمدٌ : المُقَامة والإِقَامة واحدٌ[2].

﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا﴾ .

قال محمدٌ : من قرأ (فيموتوا)[3] يجعله جواب الفاء للنفي في أوله[4].

﴿وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ أي : ارْدُدْنا في الدنيا نعملْ صالحًا! قال الله : ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾ يعني : النبي ﷺ . [قال قتادة][5] (ل٢٨٢) نزلت هذه الآية وفيها ابن ثماني عشرة .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد - زوائد نعيم بن حماد (٧٤ رقم ٢٦٢) عن حماد بن سلمة به ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٩/١٣ رقم ١٥٨٨٧) وهناد في الزهد (١٢٥) وأبو نعيم في صفة الجنة (٢/٠٥ رقم ٢٠٥) من طريق حماد به .

وأبو المهزم اسمه يزيد بن سفيان متروك الحديث ، ترجمته في التهذيب (٣٤/ ٣٢٧ - ٣٢٩) وقال ابن عدي في الكامل (١٤٩/٩) : وقد روى حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة أحاديث كلها غير محفوظة .

(٢) وكذلك المُقَام ؛ كلُّه بمعنى موضع الإقامة . لسان العرب (قوم) .

(٣) وهي قراءة العامة ، وروي عن الحسن وعيسى الثقفي : ﴿فيموتون﴾ ينظر : البحر (٣١٦/٧) ، المحتسب (٢٠١/٢) جامع القرطبي (٣٥٢/١٤) .

(٤) ينظر : إعراب القرآن (٦٩٩/٢ - ٧٠٠) ، البحر (٣١٦/٧) البيان (٢٨٩/٢) .

(٥) طمس في الأصل والمثبت من « ر » وقال السيوطي في الدر (٢٧٦/٥) : أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال : « اعلموا أن طول العمر حجة ؛ فنعوذ بالله أن نعير بطول العمر ، قال : نزلت وإن فيهم لابن ثمان عشرة سنة » .

﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ أي: خلفًا بعد خلف ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ قال السُّدِّي: يعني: في الأرض ﴿أم لهم شرك في السموات﴾ أي: لم يخلقوا منها مع اللَّه شيئًا ﴿أم آتيناهم كتابًا﴾ بما هم عليه من الشرك ﴿فهم على بينات[1] منه﴾ أي: لم يفعل ﴿بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضًا إلا غرورًا﴾ يعني: الشياطين التي دعتهم إلى عبادة الأوثان، والمشركين الذين دعا بعضهم بعضًا إلى ذلك.

قال محمدٌ: (الغرور) الأباطيل التي تغرُّ[2]، ومعنى (إن يعد): ما يعد و(بعضهم) بدلٌ من (الظالمين)[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿إن اللَّه يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ [يعني: لئلا تزولا][4] ﴿ولئن زالتا إن أمسكهما من أحدٍ من بعده﴾ وهذه صفةٌ؛ يقول: إن زالتا، ولن تزولا ﴿وأقسموا باللَّه جهد أيمانهم لئن جاءهم نذيرٌ﴾ نبيٌّ ﴿ليكونُن أهدى من إحدى الأمم﴾ كقوله: ﴿وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرًا من الأولين لكنا عباد اللَّه المخلصين﴾[5].

قال اللَّه: ﴿فلما جاءهم نذيرٌ﴾ محمد ﴿ما زادهم﴾ ذلك ﴿إلا نفورًا﴾ عن الإيمان ﴿استكبارًا في الأرض﴾ عن عبادة اللَّه ﴿ومكر السيئ﴾ يعني: الشرك وما يمكرون برسول اللَّه وبدينه ﴿ولا يحيق المكر السيئُ إلا بأهله﴾ وهذا وعيدٌ لهم.

---

(١) بينات بالجمع، وهي قراءة شعبة عن عاصم، وابن عامر، ونافع والكسائي. وفي «ر»: ﴿بينة﴾ وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة وحفص. ينظر: السبعة (٥٣٥)، البحر (٣١٨/٧)، التيسير (١٨٢)، النشر (٣٥٢/٢).

(٢) أي: بضم الغين، أما الغرور - بفتحها - فهو كل ما يغرُّ الإنسان من مالٍ أو جاهٍ أو شهوةٍ أو شيطانٍ أو غير ذلك. ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (غرر).

(٣) وينظر في دلالة (إن) المخفّفة - على النفي -: مغني اللبيب (٣٠/١) وقد سبق مثل هذا.

(٤) من «ر».

(٥) الصافات: ١٦٧ - ١٦٩.

قال محمدٌ : (استكبارًا) منصوبٌ مفعولٌ له ؛ المعنى : ما زادهم إلا نفورًا للاستكبارُ[١].

﴿فهل ينظرون﴾ ينتظرون ﴿إلا سنة الأوّلين﴾ أي : سُنَّة اللَّه في الأوّلين أنهم إذا كذبوا رسلهم أهلكهم ﴿فلن تجد لسنة اللَّه تبديلا﴾ لا يبدل اللَّه بها غيرها ﴿ولن تجد لسنة اللَّه تحويلا﴾ أي : لا تُحوّل ؛ وأخَّر عذاب كفّار آخر هذه الأمّة إلى النفخة الأولى بالاستئصال ؛ بها يكون هلاكهم ، وقد عذب أوائل مشركي هذه الأمة بالسيف يوم بدر .

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿أو لم يسيروا في الأرض﴾ أي : بلى قد ساروا ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ كان عاقبتُهم أن دمَّر اللَّه عليهم ثم صيرهم إلى النار ؛ يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم ﴿وما كان اللَّه ليعجزه﴾ ليسبقه ﴿من شيءٍ في السموات ولا في الأرض﴾ حتى لا يقدر عليه ﴿ولو يؤاخذ اللَّه الناس بما كسبوا﴾ بما عملوا ﴿ما ترك على ظهرها من دابّة﴾ يقول : لَحَبَس عنهم القَطْر فهلك ما في الأرض من دابّة ﴿ولكن يؤخرهم﴾ يعني : المشركين ﴿إلى أجل مسمى﴾ الساعة بها يكون هلاكُ كفّار آخر هذه الأمة ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ الساعة ﴿فإن اللَّه كان بعباده بصيرًا﴾ .

---

(١) أي : مفعول لأجله ، وفيه أقوال أخرى . ينظر : إعراب القرآن (٢/٧٠٣) البيان (٢/٢٨٩) ، البحر (٧/ ٣١٩ - ٣٢٠) .

تفسير سورة يس وهي مكيّةٌ كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾

قوله : ﴿يس﴾ تفسير قتادة : يا إنسان ، يقوله للنبي عليه السلام.

قال محمدٌ : قيل : إنها بلغة طَيِّئ[1].

﴿والقرآن الحكيم﴾ المحكَم ﴿إنك لمن المرسلين على صراطٍ مستقيم﴾ أقسم للنبي بالقرآن أنه من المرسلين على دينٍ مستقيم ﴿تنزيل﴾ أي : هو تنزيلٌ ، يعني : القرآن ﴿العزيز الرحيم﴾ ﴿لتنذر قومًا﴾ يعني : قريشًا ﴿ما أنذر آباؤهم﴾ قال بعضهم : يعني : الذي أُنْذِرَ آباءهم ﴿فهم غافلون﴾ يعني : في غفلةٍ من البعث ﴿لقد حق القول﴾ سبق ﴿على أكثرهم﴾ يعني : من لا يؤمن منهم ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون﴾ [مغلولون][2] يقول : هم فيما ندعوهم إليه من الهدى بمنزلة الذي في عُنقه الغُلُّ[3]، فهو لا يستطيع أن يبسط يده ، أي : أنهم لا يقبلون الهدى و(المُقْمَح) في تفسير الحسن : الطَّامح ببصره الذي لا يبصر حيث يطأُ بقدمه ؛ أي : أنهم لا يبصرون الهُدَى .

قال محمدٌ : قوله : ﴿فهي إلى الأذقان﴾ (فهي) كناية عن الأيدي لا عن الأعناق ؛ لأن الغلّ

---

(١) وكذلك فسّرها الكلبي ، وروى ذلك عن ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وسفيان بن عينة . وقال سعيد بن جبير : هو كذلك في لغة الحبشة . ينظر : تفسير الطبري (٢٢/٩٧) ، تفسير ابن كثير (٦/٥٤٨) ، الدر المصون (٥/٤٧٤) .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) بضم الغين أي : القيد في العنق أو اليد . ينظر : لسان العرب (غلل) .

يجعل اليد تلي الذَّقن والعُنق(١). والمُقْمَح في كلام العرب : الرافع رأسه الغاضُّ بصره . وقيل : (...)(٢) أقماح ؛ لأن الإبل إذا وردت الماء ترفعُ رءوسها لشدَّة برودته(٣).

قال الشاعر - يذكُر سفينة - :

[ونحن على جوانبها قعود](٤) نغض الطرف كالإبل القماح

واحد القماح : قامح (ل٢٨٣) ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا﴾ هو كقوله : ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾(٥) [قال : كان ناسٌ من المشركين من قريش يقول بعضهم : لو قد رأيتُ محمدًا لقد فعلتُ كذا وكذا! ويقول بعضهُم : لو قد رأيتُه لفعلتُ به كذا وكذا! فأتاهم النبي ﷺ في حَلْقة من المسجد ، فوقف عليهم فقرأ عليهم : ﴿يس والقرآن الحكيم ...﴾ حتى بلغ : ﴿فهم لا يبصرون﴾ ثم أخذ ترابًا ؛ فجعل يذروه على رءوسهم ، فما رفع رجل إليه طرفه ولا تكلّم كلمة . ثم جاوز النبي ﷺ فجعلوا ينفضُون التراب عن رءوسهم ولحاهم وهم يقولون : واللهِ ما سمعنا ، وما أبصرنا ، وما عقلنا!](٦).

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾﴾

﴿وسواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لمْ تنذرهم﴾ يعني : الذين لا يؤمنون ﴿إنما تنذر﴾ إنما يقبل نذارَتَك

(١) أي : أن الضمير في (فهي) يعود على الأيدي ، وقيل : يعود على الأغلال . انظر تفصيل ذلك من البحر المحيط (٧/ ٣٢٤) ، الدر المصون (٥/٤٧٥ - ٤٧٦) .

(٢) كلمتان غير واضحتين في الأصل و « ر » وانظرلسان العرب (قمح) ، البحر المحيط (٣٢٤/٧) ، الدر المصون (٥/ ٤٧٦) .

(٣) ينظر المراجع السابقة .

(٤) ما بين المعقوفين مطموس في الأصل ، وأثبته من « ر » والبيت من بحر الوافر ، وهو لبشر بن أبي خازم . ينظر - بالإضافة إلى المراجع السابقة - ديوانه (٤٨) ، مجاز القرآن (١٥٧/٢) .

(٥) الجاثية : ٢٣. وفي الأصل : (وختم على سمعهم) . وهو ليس بآية أو جزء منها . إنما الآية ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ...﴾ [البقرة : ٧] .

(٦) سقط من الأصل ، وأثبته من « ر » .

﴿من اتبع الذكر﴾ القرآن ﴿إنا نحن نحي الموتى﴾ يعني: البعث ﴿ونكتب ما قدموا﴾ أي: ما عملوا من خير أو شر ﴿وآثارهم﴾ تفسير قتادة[١]: يعني الخُطَا، لو كان الله مُغْفِلاً شيئًا من شأنك يا ابن آدم لا تُحْصيه لأغفلَ هذه الآثارَ التي [تعفوها][٢] الرياح ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ بيِّنٍ؛ يعني: اللوح المحفوظ.

قال محمدٌ: (كلّ) نُصِب على معنى: أحصينا كلَّ شيءٍ أحصيناه[٣].

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٣ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝١٦ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٧ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝١٩﴾

﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية﴾ وهي أَنْطاكية ﴿إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث﴾ أي: قوَّيناهما بثالث.

قال محمدٌ: معنى قوله: ﴿واضربْ لهم مثلاً﴾ أي: اذكر لهم مثلاً و(أصحاب القرية) بَدَلٌ من قوله: (مثلاً)[٤] وقوله: (فعززنا) يقال: منه عَزَّز من قلبه؛ أي: قوَّى[٥]، وتعزّز لحم الناقة إذا صَلُبَ[٦].

وفي تفسير مجاهد: أنه أُرْسِلَ إليهم نبيَّان قبل الثالث فقتلوهما ثم أرسل الله الثالث قال: فقالوا: يعني: الأولين قبل الثالث، والثالث بعدهما: ﴿إنا إليكم مرسلون﴾.

---

(١) رواه الطبري (٢٢/١٥٥).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢٨٣) لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) في الأصل (تعفرها) بالراء، وهو تحريف. والمراد بـ (تعفوها الرياح): تمحو آثارها. لسان العرب (عفو).

(٣) ينظر: الدر المصون (٥/٤٧٧).

(٤) ينظر: الدر المصون (٥/٤٧٧). وتقدَّم مِثْل هذا مرارًا.

(٥) في الأصل (قو) بدون الياء، وليس له معنًى.

(٦) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (عزز).

﴿قالوا إنا تطيرنا بكم﴾ أي: تشاءمنا ﴿لئن لم تنتهوا لنرجمنكم﴾ لنقتلنكم ﴿قالوا﴾ قالت لهم رسلهم ﴿طائركم معكم﴾ [أي عملكم معكم.

قال محمد: شؤمكم معكم أي عملكم به تصابون][١] ﴿أئن ذكرتم﴾ يعني: ذكّرناكم بالله تطيَّرتم بنا.

قال محمدٌ: قراءة نافع (أين) بهمزة بعدها ياء. واختلف عليه في المد[٢].

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وجاء من أقصى المدينة﴾ أنطاكية ﴿رجلٌ يسعى﴾ يسرع، وهو حبيب النَّجَّار.

تفسير مجاهد قال: كان [رجلاً][٣] من قوم يونُس وكان به جذامٌ[٤]، فكان يطيف بآلهتهم يدعوها فلم يُغنِ ذلك عنه شيئًا، فبينما هو يومًا إذ هو بجماعة فدنا منهم؛ فإذا نبي يدعوهم إلى الله وقد قتلوا قبله اثنين، فدنا منه، فلما سمع كلام النبي قال: يا عبدَ الله، إن معي ذهبًا، فهل أنت آخذه مني وأتبعك وتدعو الله لي؟ قال: لا أريد ذهبك ولكن اتبعني فلما رأى الذي به دعا الله له فبرأ[٥]، فلما رأى ما صُنِع به قال: ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم

---

(١) طمس بحاشية الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) لم أرَ من نسب هذه القراءة إلى نافع إلا ها هنا، وإنما تُنسب قراءة (أين) إلى عيسى بن عمر، والحسن البصري وقتادة والأعمش وغيرهم. وأما قراءة نافع التي رويت عنه فهي (أئن) بتسهيل الهمزة الثانية بلا فصل، وقرأها أيضًا (إنْ)، وقرأها أيضًا (أنْ).

ينظر: البحر (٣٥٧/٧)، السبعة (٥٤٠)، جامع القرطبي (١٧/١٥) الإعراب للنحاس (٧١٤/٢).

(٣) في الأصل و «ر» (رجلٌ) بالرفع؛ وهو خلاف الجادة.

(٤) داءٌ يصيب الجلد والأعصاب الطرفية، يسبب فقدًا بقعيًا، وقد تتساقط منه الأطراف. المعجم الوسيط (جذم).

(٥) بَرَأَ بَرْءًا؛ أي: شُفِيَ، وغير أهل الحجاز يقولون: بَرِئَ بُرْءًا؛ أي: شُفِيَ. ينظر لسان العرب (برئ).

أجرًا﴾ لما كان عرض عليه من الذهب فلم يقبله منه ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني ...﴾ إلى قوله: ﴿فاسمعون﴾ أي: فاسمعوا مني قولي، دعاهم إلى الإيمان فلما سمعوه قتلوه، فقيل له: ادخل الجنة. قال مجاهد[١]: أي: وجبت لك الجنةُ ﴿قال يا ليت قومي يعلمون ...﴾ الآية.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قال الله: ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جندٍ من السماء﴾ يعني: رسالة - في تفسير مجاهد -؛ أي: انقطع عنهم الوحيُ؛ فاستوجبوا العذابَ ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ والصَّيْحَةُ عند الحسن: العذاب ﴿فإذا هم خامدون﴾ قد هَلَكوا ﴿يا حسرة على العباد﴾ أخبر اللَّه أن تكذيبهم الرسلَ حسرةٌ عليهم.

قال محمدٌ: من قرأ: (إلا صيحةً واحدةً) بالنصْب[٢]، فالمعنى: ما كانت عقوبتُهم إلا صيحةً واحدةً[٣].

والحسرةُ: أن يركب الإنسان من شدّة النّدم ما لا نهاية بعده حتى يبقى قلبُه حسيرًا.

يقال منه: حَسِر الرجل، وتحسّر[٤].

﴿ألم يروا﴾ يعني: مشركي قريش ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون﴾ أي: لا يرجعون إلى الدنيا؛ يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم ﴿وإن كل لما جميعٌ لدينا محضرون﴾ يوم القيامة.

---

(١) رواه الطبري (٢٢/١٦٢).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢٨٤) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا.

(٢) وهي قراءة العامّة، ورويت قراءة الرفع عن أبي جعفر، وشيبة، والأعرج. ينظر: البحر (٧/٣٣٢)، جامع القرطبي (١٥/٢١)، النشر (٢/٣٥٣).

(٣) ينظر: البحر (٧/٣٣٢)، الدر المصون (٥/٤٨٠).

(٤) بمعنى أسِف وحزن، فهو حَسْرَان، وهي حَسْرَى. لسان العرب (حسر).

قال محمدٌ : من قرأ (لَمَا) بالتخفيف[1] فـ « ما » زائدة مؤكِّدة ؛ المعنى : وما كُلٌّ إلا جميعٌ[2].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وآية لهم الأرض الميتة﴾ يعني : التي لا نبات فيها ﴿أحييناها﴾ بالنبات ؛ أي : فالذي أحياها بعد موتها قادرٌ على أن يحيي الموتى .

قال محمدٌ : ﴿آيةٌ﴾ رفع بالابتداء ، وخبرها ﴿الأرض الميتة﴾[3] ومعنى آية : علامة[4].

﴿ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم﴾ أي : لم تعمله أيديهم ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها﴾ يعني : الأصناف ﴿مما تنبت الأرض ومن أنفسهم﴾ يعني : الذكر والأنثى ﴿ومما لا يعلمون﴾ مما خَلَقَ في البرّ والبحر ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ (ل٢٨٤) أي : نُذْهِب منه النهار ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ لا تجاوزه ، وهذا بعد مسيرها ، ثم ترجع منازلَها إلى يوم القيامة حيث تُكوَّرُ ويذهبُ ضوؤُها ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ أي : يجري على منازله ؛ يَزيدُ وينقُص ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ كعِذْق النخلة اليابس ؛ يعني : إذا كان هِلالاً .

قال محمدٌ : من قرأ (والقمر) بالرفع[5]، فعلى معنى : وآيةٌ لهم القمرُ[6].

---

(١) وهي قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، والكسائي . ينظر : التيسير (١٢٦) البحر (٣٣٤/٧) ، النشر (٢٩١/٢) .

(٢) وينظر : الدر المصون (٤٨٣/٥) وتقدم مثله في (هود ١١١) .

(٣) ينظر الدر المصون (٤٨٣/٥) .

(٤) والجمع : آي وآيات . المعجم الوسيط (أيي) .

(٥) وهي قراءة : نافع وابن كثير ، وأبي عمرو . وقرأ باقي السبعة بالنصب . ينظر : السبعة (٥٤٠) ، التيسير (١٨٤) ، البحر (٣٣٦/٧) .

(٦) ينظر : إعراب القرآن (٧٢١/٢) ، البحر (٣٣٦/٧) البيان (٢٩٥/٢) .

﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ تفسير الحسن[١]: لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمرَ ليلةَ الهلال خاصة لا يجتمعان في السماء، وقد يُرَيَان جميعًا ويجتمعان في غير ليلة الهلال، وهو كقوله: ﴿والقمر إذا تلاها﴾[٢] إذا تبعها ليلة الهلال خاصة ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ أي: يأتي عليه النهارُ، كقوله: ﴿يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا﴾[٣].

﴿وكلٌّ في فلك يسبحون﴾ يعني: الشمس والقمر.

قال الحسن: الفَلَكُ: طاحونةٌ مستديرةٌ كفَلْكَةِ المِغْزَل بين السماء والأرض تجري فيها الشمسُ والقمر والنجوم، وليست بملتصقةٍ بالسماء، ولو كانت ملتصقةً ما جرتْ.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وآية لهم أنا حملنا ذرياتهم[٤] في الفلك المشحون﴾ يعني: نوحًا وبنيه الثلاثة: سام وحام ويافث، منهم ذُرِئَ[٥] الخلق بعد ما غَرِقَ قومُ نوح؛ و﴿المشحونُ﴾: المُوقَر، يعني: مما حمل نوح معه في السفينة ﴿وخلقنا لهم من مثله﴾ من مثل الفلك ﴿ما يركبون﴾ يعني: الإبل ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ أي: فلا مُغيث لهم ﴿ولا هم يُنقذون﴾ من العذاب ﴿إلا رحمةً منا ومتاعًا إلى حين﴾ فبرحمتنا نمتّعهم إلى يوم القيامة، ولم نهلكهم بعذاب الاستئصال، وسيهلك كفّار آخر هذه الأمّة بالنفخة الأولى ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم﴾ تفسير الكلبي: ﴿ما بين

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٤٣/٢).

وعزاه السيوطي في الدر (٢٨٧/٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا.

(٢) الشمس: ٢.

(٣) الأعراف: ٥٤.

(٤) ﴿ذرياتهم﴾ بالجمع، وهي قراءة نافع، وابن عامر. ينظر: السبعة (٥٤٠)، البحر (٣٣٨/٧)، النشر (٢٧٣/٢).

(٥) أي: خُلِق. لسان العرب (ذرأ).

أيديكم﴾ من أَمْر الآخرة اتقوها واعملوا لها ، ﴿وما خلفكم﴾ يعني : الدنيا إذا كنتم في الآخرة فلا تغترُّوا بالدنيا ؛ فإنكم تأتون الآخرة ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم اللَّه﴾ وهذا تطوُّع ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء اللَّه أطعمه﴾ فإذا لمْ يشأ اللَّه أن يطعمه لِمَ نطعمه؟! ﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ يقوله المشركون للمؤمنين .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ أيْ : هذا العذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ يكذبون به . قال اللَّه ﴿ما ينظرون﴾ أي : ما ينتظر كفار آخر هذه الأمة الدَّائنين بدين أبي جَهْلٍ وأصحابه ﴿إلا صيحة واحدة﴾ يعني : النفخة الأولى من إسرافيل بها يكون هلاكُهم ﴿تأخذهم وهم يخصّمون﴾ أي : يختصمون في أسواقهم وحوائجهم ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ أن يوصُوا ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ من أسواقهم وحيث كانوا .

﴿ونفخ في الصور﴾ هذه النفخةُ الآخرة ، والصُّور : قرنٌ تُجْعل الأرواحُ فيه ، ثم يَنْفُخ فيه صاحبُ الصُّور ، فيذهبُ كلُّ روحٍ إلى جسده ﴿فإذا هم من الأجداث﴾ القبور ﴿إلى ربهم ينسلون﴾ أي : يخرجون سِرَاعًا ﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ قال قتادة[1]: تكلّم بأوّل هذه الآية أهلُ الضلالة ، وبآخرها أهلُ الإيمان . قال أهلُ الضلالة : ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ قال المؤمنون : ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ .

وقولهم : ﴿من مرقدنا﴾ هو ما بين النفختيْن لا يُعَذَّبون في قبورهم ما بين النفختين ، ويقال : إنها أربعون سنة ، الأولى يميتُ اللَّه بها كلَّ حي ، والأخرى يحيي اللَّه بها كلَّ ميت ﴿إن كانت﴾

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢/١٤٥) والطبري (٢٣/ ١٦، ١٧) .
وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢٨٩) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

يعني: ما كانت ﴿إلا صيحةً واحدةً﴾ يعني: النفخة الثانية ﴿فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ المؤمنون والكافرون.

قال محمدٌ: من قرأ: (صيحةً) بالنصب[١]، فعلى معنى: إن كانت تلك إلا صيحةً[٢].

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾

﴿إن أصحاب الجنة اليوم﴾ يعني: في الآخرة ﴿في شغل﴾ قال قتادة[٣] في: افتضاض العذارى ﴿فاكهون﴾ أي: مسرورون؛ في تفسير الحسن (ل٢٨٥) ﴿هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك﴾ يعني: السُّرُر في الحجال.

يحيى: عن خالدٍ، عن الحسن قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ أهل الجنة يدخلونها كلهم نساؤُهمْ ورجالهم من عند آخرهم أبناء ثلاثٍ وثلاثين سنة، على طول آدم؛ طوله ستون ذراعًا - اللَّه أعلم بأي ذراع - جُرْدًا[٤] مُرْدًا مُكَحَّلين يأكلون ويشربون، ولا يبولون ولا يتغوَّطون ولا يَمْتَخِطُون، والنساء عُرُبًا أَتْرابًا لا يَحِضْن، ولا يَلِدْن ولا يَمْتَخِطْن ولا يَمْلَلْن ولا يقضين حاجةً»[٥].

﴿لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون﴾ أي: يشتهون قال: يكون في فم أحدهم الطعامُ، فيخطُر على باله آخرُ؛ فيتحوَّل ذلك الطعامُ في فيه، يأكلُ من ناحيةِ البسْرةَ بُسرًا[٦]، ثم يأكل من الناحية الأخرى عنبًا إلى عشرةِ ألوان، وما شاء اللَّه من ذلك. وتصفُّ الطيرُ بين يديه؛ فإذا اشتهى الطائر منها اضطرب ثم صار بين يديه نَضِيجًا بعضُه شواءٌ وبعضُه قَدِيدًا[٧]، وكلُّ ما اشتهت أنفسهم وجدوه.

---

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ أبو جعفر بالرفع. ينظر: الكشاف (٣/٣٢٦)، النشر (٢/٣٥٣).

(٢) تقدم مثل هذا.

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥/٢٨٩) لعبد بن حميد.

(٤) واحده: أجرد؛ وهو الذي خلا جسمه من الشعر. لسان العرب (جرد).

(٥) لم أقف عليه، وفي الباب أحاديث كثيرة معروفة، وانظر صفة الجنة لأبي نعيم (٢/ ٧٨ - ١٠٩).

(٦) كذا في الأصل، وفي «ر»: من ناحية من البسرة بسرا!!

(٧) القَدِيدُ: هو الذي يُقَطَّع ويُملَّح، ويُجفَّفُ في الهواء والشمس. ينظر: المعجم الوسيط (قدد).

﴿سلامٌ قولاً من رب رحيم﴾ يأتي المَلَكُ من عند الله إلى أحدهم فلا يدخل عليه ، حتى يستأذن عليه يطلب الإِذْنَ من البوّاب الأول ؛ فيذكره للبواب الثاني ، ثم كذلك حتى ينتهي إلى البواب الذي يليه ، فيقول البواب له : ملكٌ على الباب يستأذنُ! فيقول : ائذن له فيدخل بثلاثة أشياء : بالسلام من الله ، والتحيّة ، وبأنّ الله عنه راضٍ .

قال محمدٌ : قوله : ﴿سلامٌ قولاً﴾ منصوبٌ على معنى : لهم سلامٌ يقوله الله قولاً[(١)].

﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ المشركون ؛ أي : تميزوا عن أهل الجنّة إلى النار .

قال محمدٌ : المعنى انقطعوا عن المؤمنين ، يقال : مِزْتُ الشيء عن الشيء إذا عزلته عنه ، فانماز وامتاز وميّزته فتميّز[(٢)].

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألاّ تعبدوا الشيطان﴾ لأنهم عبدوا الأوثان بما وسوس إليهم الشيطان ؛ فأمرهم بعبادتهم فإنما عبدوا الشيطان ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أي : دينٌ ﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيرًا﴾ أي : خلقًا كثيرًا ﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾ في الدنيا أَنْ لمْ تؤمِنوا ﴿اليوم نختم على أفواههم [وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم﴾ تفسير بعضهم : لما قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين . ختم الله على أفواههم][(٣)] ثم قال للجوارح : انطقي فأوّل ما يتكلم من أحدهم فَخِذُه . قال الحسن : وهذا آخر مواطن يوم القيامة ، إذا ختمت أفواههم لم يكن بعد ذلك إلا دخول النار .

---

(١) ينظر : إعراب القرآن (٧٢٩/٢) ، البحر (٣٤٣/٧) ، مجمع البيان (٤٣٩/٤) .

(٢) ينظر لسان العرب (ميز) .

(٣) لحق غير واضح بالأصل ، والمثبت من « ر » .

﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ يعني: المشركين ﴿فاستبقوا الصراط﴾ الطريق ﴿فأنى يبصرون﴾ فكيف يبصرون إذا أعميناهم؟!

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾ أي: لأقعدناهم على أرجلهم ﴿فما استطاعوا مضيًّا ولا يرجعون﴾ أي: إذا فعلنا ذلك بهم لم يستطيعوا أن يتقدَّموا ولا يتأخَّروا ﴿ومن نعمره﴾ أي: إلى أرذَل العمر ﴿ننكسه في الخلق﴾ فيكون بمنزلة الصبي الذي لا يَعْقِلُ ﴿أفلا يعقلون﴾ يعني: المشركين، أي: فالذي خلقكم ثم جعلكم شبابًا ثم جعلكم شيوخًا ثم نكّسكم في الخلق فردكم بمنزلة الطفل الذي لا يعقل شيئًا - قادرٌ على أن يبعثكم يوم القيامة ﴿وما علمناه الشعر﴾ يعني: النبي ﷺ ﴿وما ينبغي له﴾ أن يكون شاعرًا ولا يروي الشعر، هذا لقولهم في النبي أنه شاعرٌ.

قال قتادة: وقالت عائشة: «لم يتكلَّم رسول الله ببيت شعرٍ قط؛ غير أنه أراد مرة أن يتمثَّل ببيت شعرٍ فلم يُقِمْه» وقال بعضهم إن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله طرفة[١] حيثُ يقول:

سَتُبْدِي لك الأَيَّامُ ما كُنْتَ جاهلاً ... ويَأْتِيكَ مَنْ لم تُزَوِّدِ بالأَخْبَارِ

قيل له: إنه قال:

ويأتيك بالأخبار من لم تزود[٢]

فقال: سواء»[٣].

---

(١) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. (٨٦ - ٦٠ ق هـ) تنظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (٣/٢٢٥).

(٢) البيت من بحر الطويل. ينظر ديوان طرفة (٦٦).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/١٤٥ - ١٤٦) والطبري في تفسيره (٣٠/٢٧) من طريق معمر عن قتادة.
ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/٥٩٧) - من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/٢٩١) لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما.
وقد ورد أن النبي ﷺ تمثل بعجز هذا البيت لطرفة.

﴿إن هو إلا ذكرٌ وقرآن مبين﴾ تفسير بعضهم: إن هو إلا تفكُّرٌ في ذات الله[١] ﴿وقرآن مبين﴾ بيِّنٌ ﴿لتنذر﴾ يا محمدُ ﴿من كان حيًّا﴾ أي: مؤمنًا هو الذي يقبلُ نذارَتَك ﴿ويحق القول﴾ الغضب ﴿على الكافرين﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾

﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا﴾ (ل٢٨٦) أي: قوتنا في تفسير الحسن كقوله: ﴿والسماء بنيناها بأَيْدٍ﴾[٢] [أي: بقوة][٣] ﴿وذللناها لهم فمنها ركوبهم﴾ أي: ما يركبون.

قال محمدٌ: (الرَّكوب) بفتح الراء اسْمُ ما يركب، والرُّكوب المصدرُ، ويقال: مكانٌ رَكوب، يريدون الاسم[٤].

﴿ولهم فيها منافع﴾ في أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، ولحومها ﴿ومشارب﴾ يشربون من ألبانها ﴿أفلا يشكرون﴾ أي: فليشكروا ﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون﴾ يمنعون ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ لا تستطيع آلهتهم التي يعبدون نصْرهم ﴿وهم لهم جندٌ محضرون﴾ معهم

= فروى الإمام أحمد (٦/ ٣١، ١٣٨، ١٤٦، ١٥٦، ٢٢٢) والبخاري في الأدب المفرد (٣٠٢ رقم ٨٦٧) والترمذي (١٢٨/٥ رقم ٢٨٤٨) والنسائي في الكبرى (٢٤٧/٦ رقم ١٠٨٣٣، ١٠٨٣٤) وإسحاق بن راهويه في مسنده (٨٩٨/٣ رقم ١٥٨٢) والطحاوي في شرح المعاني (٢٩٧/٤) وفي شرح المشكل (٣٧٤/٨ - ٣٧٦ رقم ٣٣١٩، ٣٣٢٠) والبغوي في تفسيره (٢٦/٧) وغيرهم من طرق عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا استراث الخبر تمثل بيت طرفة: ويأتيك بالأخبار من لم تزود».

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) في «ر»: كتاب الله.

(٢) الذاريات: ٧٤.

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) لسان العرب (ر كب).

في النار ؛ في تفسير قتادة ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ أنك ساحر ، وأنك شاعرٌ [وأنك كاهن][1] وأنك مجنون ، وأنك كاذب ﴿إنا نعلم ما يسرون﴾ من عداوتهم لك ﴿وما يعلنون﴾ فيعصمك اللّه منهم ويذلهم لك ، ففعل اللّه ذلك به .

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾ أي : وقد علم أنا خلقناه ؛ أي : فكما خلقناه كذلك نعيده ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ أي : رُفات .

قال محمدٌ : يقال : رمّ العظْمُ فهو رَمِيم ورِمَامٌ[2].

قال مجاهد[3]: « أتى أُبيُّ بن خلف إلى النبي ﷺ بعظْمٍ نَخِرٍ ففتّه بيده ؛ فقال : يا محمدُ ، أيحيي اللّه هذا وهو رميم؟! » .

قال يَحْيَى : فبلغني أن النبي ﷺ قال له : « نعم يحييك اللّه بعد موتك ، ثم يدخلك النار »[4]؟ فأنزل اللّه ﴿قل يحييها الذي أنشأها﴾ خلقها ﴿أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ .

﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا﴾ يعني : كُلّ عودٍ تزند[5] منه النار ، فهو من شجرة خضراء ﴿الذي بيده ملكوت﴾ (أي : ملك)[6] ﴿كل شيءٍ وإليه ترجعون﴾ يوم القيامة .

(١) سقط من الأصل، والمثبت من « ر » .

(٢) لسان العرب (رمم) .

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٣/٣٠) .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٢٩٣) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم أيضًا .

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/١٤٦) والطبري في تفسيره (٢٣/٣٠) عن قتادة مرسلاً .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٢٩٣) : لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما .

(٥) في الأصل : (تزيد) ، وهو تحريف عن الصواب . واللّه أعلم .

(٦) سقط من « ر » .

تفسير سورة والصافات وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۝٧ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾

قوله: ﴿والصافات صفًّا﴾ قال قتادة[١]: يعني: صفوف الملائكة.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن المنكدر قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أَطَّتِ[٢] السماءُ وحُقَّ لها أن تئطَّ، ليس فيها موضعُ شبرٍ إلا وعليها مَلَكٌ قائمٌ أو راكعٌ أو ساجدٌ»[٣].

قال محمدٌ: الأَطِيطُ: الصوت.

﴿فالزاجرات زجرًا﴾ يعني: الملائكة، ومنهم الرعد الملك الذي يزجر السحاب؛ وقال في آية أخرى: ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾[٤] يعني: النفخة الآخرة ينفخها صاحبُ الصُّور ﴿فالتاليات ذكرًا﴾ الملائكة تتلوا الوحي الذي تأتي به الأنبياء؛ أقسم بهذا كلِّه ﴿إنَّ إلهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾ تفسير قتادة[٥] قال: هي ثلاثمائة وستون مَشْرِقًا،

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٤٧/٢) والطبري (٣٣/٢٣).
وعزاه السيوطي في الدر (٢٩٤/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أي: صَوَّتت. لسان العرب (أطط).

(٣) لم أقف عليه من هذا الطريق المرسل، ورواه الإمام أحمد (١٧٣/٥) والترمذي (٤٨١/٤ - ٤٨٢ رقم ٢٣١٢) وابن ماجه (١٤٠٢/٢ رقم ٤١٩٠) والحاكم في المستدرك (٥١٠/٢ - ٥١١، ٥٤٤/٤) وغيرهم عن أبي ذر ﷺ.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٤) الصافات: ١٩، والنازعات: ١٣.

(٥) رواه عبد الرزاق (١٤٧/٢).

وثلاثمائة وستون مَغْرِبًا .

﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظًا﴾ أي : وجعلناها يعني : الكواكب حِفْظًا للسماء ﴿من كل شيطانٍ ماردٍ﴾ أي : مجترئ على المعصية ﴿لا يسمعون﴾ أي : لئلا يسمعون(١) ﴿إلى الملأ الأعلى﴾ يعني : الملائكة في السماء ، وكانوا يسمعون قبل أن يُبْعث النبي ﷺ أخبارًا من أخبار السماء ، فأما الوحي فلم يكونوا يقدرون على أن يسمعوه ﴿ويُقذفون﴾ أي : يُرْمَوْن ﴿من كل جانب دحورًا﴾ أي : طَرْدًا ﴿ولهم عذابٌ واصب﴾ أي : دائم ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه﴾ أي : لحقه ﴿شهابٌ ثاقب﴾ مضيء ، رجع إلى أول الكلام ﴿وحفظًا من كل شيطانٍ ماردٍ لا يسمعون إلى الملأ الأعلى﴾ .

﴿إلا من خطف الخطفة﴾ يعني : استمع الاستماعة .

قال ابن عباسٍ : إذا رأيتم الكوكب قد رُمِيَ به فتوارى ؛ فإنه يَخرق ما أصاب ولا يقتل .

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿فاستفتهم﴾ يعني : المشركين ، أي : فاسألهم على الاستفهام ؛ يُحاجُّهم بذلك ﴿أهم أشد خلقًا أم من خلقنا﴾ أم السماء أي : أنها أشد خلقًا منهم ﴿إنا خلقناهم من طينٍ لازبٍ﴾ واللازبُ : الذي يلصقُ باليد ؛ يعني : خلق آدم .

قال محمدٌ : يقال : لازبٌ ولازمٌ ، بمعنى واحد(٢).

﴿بل عجبت﴾ يا محمدُ أن أعطيت هذا القرآن ﴿ويسخرون﴾ يعني : المشركين ﴿وإذا

= وعزاه السيوطي في الدر (٥/٢٩٤) لابن المنذر أيضًا .

(١) هكذا في الأصل (يسمعون) بإثبات النون ؛ وهو أحد الأوجه النحوية في إعراب هذا الفعل ، حيث يذهبون إلى أن قوله تعالى : ﴿لا يسمعون﴾ أصله (لئلا يسمعون) وحذفت اللام ، وارتفع الفعل . ولا يخفى مما في هذا الرأي من تعسُّف . ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٥/٤٩٦) .

(٢) لسان العرب (لزب) .

ذكروا﴾ بالقرآن ﴿لا يذكرون﴾ (ل٢٨٧) ﴿وإذا رأوا آية﴾ إذا تليت عليهم آية ﴿يستسخرون﴾ من السُّخْرية ﴿قل نعم وأنتم داخرون﴾ أي : صاغرون ﴿فإنما هي زجرةٌ واحدة﴾ النفخة الآخرة ﴿فإذا هم ينظرون﴾ أي : خرجوا من قبورهم [ينظرون][1].

﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿احشروا﴾ أي : سوقوا ﴿الذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿وأزواجهم﴾ قال الحسن : يعني : الشياطين الذين دَعَوْا إلى عبادة الأوثان .

قال محمدٌ : تقول العرب : زوّجتُ إبلي إذا قرنت واحدًا بآخر[2].

﴿فاهدوهم﴾ أي : ادْعوهم ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿الجحيم﴾ والجحيم اسم من أسماء جهنّم ﴿وقفوهم﴾ أي : احبسوهم ، وهذا قبل أن يدخلوا النار ﴿إنهم مسئولون﴾ عن لا إله إلا الله .

قال محمدٌ : يقال : وقفت الدابة وَقْفًا ووقُوفًا ، ومن هذا المعنى قوله : ﴿وقِفُوهم﴾ ويقال : أوقفتُ الرجل على الأمر إيقافًا[3].

---

(١) طمس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) لسان العرب (زوج) .

(٣) ينظر : لسان العرب (وقف) .

﴿ما لكم لا تناصرون﴾ يقال لهم: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضًا؟! قال الله: ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ أي: استسلموا ﴿وأقبل بعضهم على بعضٍ يتساءلون﴾ يعني: الكفّار والشياطين ﴿قالوا﴾ قال الكفار للشياطين: ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ قال مجاهد: أي: من قبل الدِّين؛ فصددتمونا عنه ﴿قالوا﴾ يعني: الشياطين للمشركين من الإنس ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾.

﴿وما كان لنا عليكم من سلطانٍ﴾ نقهركم به على الشرك ﴿بل كنتم قومًا طاغين﴾ أي: ضالين ﴿فحق علينا قول ربنا﴾ الشياطين تقول هذا، قال الله: ﴿فإنهم يومئذٍ في العذاب مشتركون﴾ يُقْرَنُ كل واحدٍ منهم هو وشيطانُه في سلسلةٍ واحدة ﴿ويقولون﴾ يعني: المشركين إذا دعاهم النبي إلى الإيمان ﴿أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعرٍ مجنون﴾ يعنون: النبي ﷺ، أي: لا نفعل. قال الله ﴿بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾ قبله ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ استثنى المؤمنين ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ الجنة.

﴿على سرر متقابلين﴾ لا ينظر بعضُهم إلى قَفَا بعضٍ.

تفسير بعضهم: وهذا في الزيارة إذا تزاوروا ﴿يُطَاف عليهم بكأسٍ﴾ وهي الخَمْرُ.

قال محمدٌ: الكأس اسمٌ يقع لكل إناءٍ مع شرابه[١].

﴿من معين﴾ والمعين: الجاري الظاهر[٢] ﴿لا فيها غولٌ ولا هم عنها ينزفون﴾ أي: إذا شربوها لا يَسْكرون؛ فتذهب عقولُهم.

قال محمدٌ: يقال: الخمْر غَوْلٌ للحلْمِ، والحربُ غَوْلٌ للنفوس؛ أي: تذهب بها[٣]. وذكر أبو عبيد أن قراءة نافع (ينزَفون) بفتح الزاي في هذه، وفي التي في الواقعة[٤].

قال محمدٌ: ويقال للسكران: نَزِيفٌ ومَنْزُوفٌ[٥].

---

(١) وهي مؤنثة، وقد تُطْلق على الشراب الذي في الإناء. والجمع: كئوس، وأكؤس. لسان العرب (كأس).

(٢) والجمع: (مُعُن). ينظر: المعجم الوسيط (عين، معن).

(٣) لسان العرب (غول).

(٤) وهي قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي. ينظر: البحر (٣٦٠/٧) السبعة (٥٤٧)، النشر (٣٥٧/٢)، التيسير (١٨٦). والآية التي في الواقعة هي قوله تعالى: ﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾ [الواقعة: ١٩].

(٥) لسان العرب (نزف).

ومن قرأ ﴿يُنْزِفون﴾ بكسر الزاي[١] فهو من: أنزفَ القومُ إذا حان منهم النَّزفُ وهو السُّكْر؛ كما يقال: أحصد الزَّرعُ إذا حان حصادُه، وأقطف الكرمُ إذا حان قِطَافُه.

قوله: ﴿قاصرات الطرف﴾ يعني: الأزواج قَصَرن طرْفَهُنّ على أزواجهنّ لا يُرِدْن غيرَهم. ﴿عِينٌ﴾ عظام العيون، الواحدة منهن: عَيْناء[٢].

﴿كأنهن بيضٌ مكنون﴾ تفسير بعضهم يعني بالبيض: اللؤلؤ، كقوله: ﴿وحورٌ عين كأمثال اللؤلؤ﴾[٣] مكنونٌ في أصدافه.

﴿فأقبل بعضهم على بعضٍ يتساءلون﴾ يعني: أهل الجنة.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾ صاحبٌ في الدنيا.

﴿يقول أئنك لمن المصدقين﴾ على الاستفهام ﴿أئنا لمدينون﴾ لمحاسبون؛ أي: لا نُبْعَثُ ولا نُحاسب.

قال يحيى: وهما اللذان في سورة الكهف في قوله: ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين ...﴾[٤] إلى آخر قصتهما.

﴿قال﴾ المؤمن منهما: ﴿هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾ يعني: في وسط الجحيم ﴿قال تالله إن كدت لتردين﴾ أي: تباعدني من الله.

قال محمدٌ: يقال: رَدِيَ الرجل يَرْدَى رَدًى؛ إذا هلك، وأرْدَيْته: أهلكته[٥].

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٢) ويقال: هو أَعْيَن، وهي عَيْناء، لمن اتَّسعت عينه وحَسُنت. لسان العرب (عين).

(٣) الواقعة: ٢٢.

(٤) الكهف: ٣٢ - ٤٤.

(٥) فهو رَدٍ؛ أي: هالك. لسان العرب (ردى).

﴿ولولا نعمة ربي﴾ يعني: الإسلام ﴿لكنت من المحضرين﴾ معك في النار ﴿أفما نحن بميتين إلا مَوْتتنا الأولى﴾ وليس هي إلا موتة واحدة التي كانت في الدنيا ﴿وما نحن بمعذبين﴾ على الاستفهام، وهذا استفهام على سرور (ل٢٨٨)، قد أمن ذلك، ثم [قال]:[١] ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾

قال الله: ﴿لمثل هذا﴾ يعني: ما [وصف فيه][١] أهل الجنة ﴿فليعمل العاملون﴾ ثم قال: ﴿أذلك خيرٌ نزلاً أم شجرة الزقوم﴾ أي: أنه خير نزلاً. ﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ للمشركين.

قال قتادة[٢]: لما نزلت هذه الآية، جاء أبو جهل بتمر وزبد، وقال: تزقَّموا فما نعلم الزقوم إلا هذا، فأنزل الله ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾.

قال يحيى: [بلغني][٣] أنها في الباب السادس، وأنها تجيء بلهب النار؛ كما تجيء الشجرة ببرد الماء، فلابد لأهل النار من أن ينحدروا إليها، أعني: من كان فوقها؛ فيأكلوا منها.

قوله: ﴿طَلْعُهَا﴾ يعني: ثمرتها ﴿كأنه رءوس الشياطين﴾ يقبحها بذلك.

قال محمدٌ: الشيء إذا استقبح يقال: كأنه وجهُ شيطان، وكأنه رأس شيطان، والشيطان لا يُرَى، ولكنه يستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء لو نظر إليه، وهذا كقول امرئ القيس[٤].

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٣٠١/٥) لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق (ت ٨٠ ق. هـ). ترجمته ومصادرها في الأعلام (١١/٢).

أَيَقْتُلُنِي وَالمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي وَسُمْرِ القَنَا حَوْلِي كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ(١)

ولم يَرَ الغُولَ ولا نَابَهَا .

﴿ثم إن لهم عليها لشوبًا من حميم﴾ أي : لمزاجًا من حميم ، وهو الماء الذي لا يُسْتَطَاعُ من حَرِّه .

قال محمدٌ : (الشَّوبُ) المصدرُ ، و(الشُّوبُ) الاسم ؛ المعنى : إن لهم على أكلها لخلْطًا ومزاجًا من حميم .

﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ يُسْرِعُون .

قال محمدٌ : يقال : هُرِعَ الرّجل وأُهْرِعَ إذا اسْتُحِثَّ وأسْرع(٢).

﴿ولقد أرسلنا فيهم﴾ في الذين قبلهم ﴿منذرين﴾ يعني : الرسل ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ أي : كان عاقبتهم أن دمّر الله عليهم ثم صَيَّرهم إلى النار .

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿ولقد نادانا نوحٌ﴾ يعني : حيث دعا على قومه ﴿فلنعم المجيبون﴾ له أجبْناه فأهلكناهم ﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ يعني : الغَرَق .

﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ فالناس كلهم ولد سام وحام ويافث ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ يعني : أبقينا له الثّناءَ الحسن ﴿سلامٌ على نوح في العالمين﴾ يعني : ما كان بعد نوح .

---

(١) البيت من بحر الطويل . ويروى : ...ومسنونة زرق كأنياب أغوال . ينظر ديوانه (٣٣) ، معاهد التنصيص (١/١٣٤) ، الكامل (٣/٩٦) .

(٢) ويقال : هُرِع الرجل وأُهْرِع ؛ إذا مشى في اضطراب وسرعة . لسان العرب (هرع) .

﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾ تفسير مجاهد(١): على منهاجه وسُنَّته ﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾ من الشرك ﴿أئفكًا﴾ كذبًا ﴿آلهة دون الله تريدون﴾ على الاستفهام أي: قد فعلتم؛ فعبدتموهم دونه ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ أي: أنه معذِّبكم ﴿فنظر نظرةً في النجوم﴾ في الكواكب ﴿فقال إني سقيم﴾ أي: مَطْعُون ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ إلى عيدهم؛ وذلك أنهم استتبعوه لعيدهم - في تفسير الكلبي - فعصب رأسه، وقال: إني رأيتُ الليلة في النجوم أني سأطعن غدًا! وكانوا ينظرون في النجوم، فقال لهم هذا كراهيةً منه للذهاب معهم، ولما أراد أن يفعل بآلهتهم كادَهم بذلك ﴿فراغ عليهم﴾ أي: مال على آلهتهم ﴿ضربًا باليمين﴾ فكسرها إلا كبيرهم، وقد مضى تفسيره في سورة الأنبياء(٢) ﴿فأقبلوا إليه﴾ إلى إبراهيم ﴿يزفون﴾ أي: يبتدرونه.

قال محمدٌ: من قرأ (يَزِفُّون) بفتح الياء وتشديد الفاء(٣) فالمعنى: يسرعون وأصله من: زَفِيفِ النَّعَام، يقال: زفَّت النعامُ تَزِفُّ زفيفًا، وفيه لغة أخرى: أزفَّت زفافًا(٤).

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿قال﴾ لهم إبراهيم ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ يعني: أصنامهم ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ أي: خلقكم وخلق ذلك الذي تنحتون بأيديكم ﴿قالوا ابنوا له بنيانًا﴾ يقوله بعضُهم لبعضٍ ﴿فألقوه في الجحيم﴾ أي: في النار؛ فجمعوا الحطب زمانًا، ثم جاءوا بإبراهيم، فألقوه في تلك النار ﴿فأرادوا به كيدًا﴾ بحرقهم إياه ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ في النار ﴿وقال إني ذاهبٌ إلى ربي سيهدين﴾ يعني: سيهديني(٥) الطريق، هاجر من أرض العراق إلى أرض الشام [﴿رب هب لي من الصالحين﴾ يريد:

---

(١) رواه الطبري (٦٩/٢٣).

وعزاه السيوطي في الدر (٣٠٣/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضًا.

(٢) الأنبياء: ٥٧ - ٦٧.

(٣) وهي قراءة السبعة إلا حمزة، فقد قرأ ﴿يُزِفُّون﴾ ينظر: السبعة (٥٤٨)، البحر (٣٦٦/٧)، النشر (٣٥٧/٢).

(٤) يقال: زفَّت النعام تَزِفُّ زُفُوفًا وزَفِيفًا. ينظر: لسان العرب (زفف).

(٥) في «ر»: يريد: سيرشدني.

ولدًا تقيًا صالحاً ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ يريد إسماعيل](١) ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ [يريد العمل لله - تعالى - وهو الاحتلام](١) ، تفسير الحسن(٢) يعني : سعي العمل وقيام الحجة(٣).

[﴿قال﴾ إسماعيل ﴿يا أبت افعل ما تؤمر﴾ يريد ما أوحى إليك ربك ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ على بلاء الله .

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

﴿فلما أسلما﴾ يريد إبراهيم وإسماعيل ، يريد : أسلم إبراهيم طوعًا لله - تبارك وتعالى - أن يذبح ابنه وبكره وواحده ؛ وكذلك هو في التوراة : (جادلني)(٤) بكره وواحده . وأسلم إسماعيل نفسه لله](٥)؛ أي : استسلما لأمر الله ، رضي إبراهيم بذبح ابنه ، ورضي ابنه بأن يذبحه أبوه ﴿وتله للجبين﴾ (ل٢٨٩) أي : أضجعه ؛ ليذبحه وأخذ الشفرة وعليه قميص أبيض قال : يا أبت إني ليس لي ثوبٌ تكفنني فيه [غير هذا](٥) فاخلعه حتى تكفنني فيه . [﴿وتله للجبين﴾ يريد : أضجعه على جنبه إلى الأرض](٥) .

﴿وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ .

قال يحيى : ناداه به الملك من عند الله [﴿أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ بوحي من الله - عز وجل - ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ يريد : هكذا نجزي الموحّدين](٥) ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ [يريد الذي ابتليتك به عظيم أن تذبح لي بكرك وواحدك](٥) يعني : النعمة البيّنة عليك من الله ؛ إذ لم تذبح ابنك .

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .
(٢) انظر تفسير الطبري (٢٣/٧٧) .
(٣) أي : التكليف .
(٤) كذا في « ر » .
(٥) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

قال محمدٌ : (وناديناه) ذكر بعض العلماء أنه جواب ﴿فلما أسلما وتله للجبين﴾ والواو زائدة[١]. والله أعلم .

قال : ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ [يريد الكبش الذي تقرب به هابيل ابن آدم إلى الله ، فتقبله ، وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله - جل ذِكْره - إسماعيل][٢] قال مجاهد[٣]: أي متقبّل . قال ابن عباس[٤]: فالتفت إبراهيم ؛ فإذا هو بكبش أبيض أقرن فذبحه .

قال يحيى : وابنه الذي أراد ذبحه : قال الحسن[٥]: هو إسحاق[٦].

﴿وتركنا عليه﴾ أبقينا عليه ﴿في الآخرين﴾ الثناء الحَسَن ؛ [يريد الذكر الحسن لإكرامه لإسماعيل ، ألا يذكر من بعده إلا بخير إلى يوم القيامة وذلك أن إبراهيم ﷺ قال في سورة باخع[٧]

---

(١) ينظر الدر المصون (٥/٥١٠) ، البحر (٧/٣٧٠) .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٥/٣٠٩) لعبد بن حميد وابن جرير .

(٤) رواه الطبري (٢٣/٨٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٠٥) لأحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي .

(٥) في الدر المنثور (٥/٣٠٦) وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد والحسن رضي الله عنهما قال الذبيح إسماعيل .

(٦) وهذا القول يخالف ظاهر القرآن ؛ فإن الله بعد أن ذكر قصة الذبيح وتسليمه نفسه لله - تعالى - وإقدام إبراهيم على ذبحه وفرغ من قصته قال بعدها : ﴿وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين﴾ فشكر الله - تعالى - له استسلامه لأمره وبذله ولده له وجعل من إثابته على ذلك أن آتاه إسحاق ، فنجى إسماعيل من الذبح وزاده عليه إسحاق .

وقال عطاء بن أبي رباح : المفدى إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود . خرجه ابن جرير والحاكم كما في الدر المنثور (٥/٣٠٥) .

وقد بيَّن العلامة ابن القيم أن القول بأن الذبيح إسحاق من تحريف أهل الكتاب لكتبهم ، وأظهر بطلانه من عشرة أوجه ، انظرها في إغاثة اللهفان (٢/٣٢٣ - ٣٢٥) .

وقال ابن القيم في زاد المعاد (١/٧١) : وأما القول بأنه إسحاق فباطل من أكثر من عشرين وجهًا ، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول : هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب ، مع أنه باطل بنص كتابهم . اهـ .

وانظر تفسير ابن كثير (٤/١٧ - ١٩) وتفسير البغوي (٧/٤٦ - ٤٧) وأضواء البيان (٦/٦٩١ - ٦٩٣) .

(٧) يريد سورة الشعراء : الآية ٨٤.

﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ يقول: لا أذكر في جميع الأمم من بعدي إلا بذكرٍ حسن.

﴿سلام على إبراهيم﴾ في العالمين ﴿كذلك نجزي المحسنين﴾ يريد الموحدين ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ يريد: المصدقين الموحّدين ﴿وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين﴾ يريد: من صالح الأنبياء ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ يريد: على إبراهيم وإسحاق][(١)] ﴿ومن ذريتهما﴾ [يريد: ذرية إبراهيم وإسحاق][(١)] ﴿محسن﴾ [يريد: موحدًا، يعني:][(١)] مؤمن ﴿وظالم لنفسه﴾ مشرك [﴿مبين﴾ بين الشرك.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾ يريد أعطينا موسى وهارون ﴿ونجيناهما وقومهما﴾ يريد بني إسرائيل الاثنى عشر سبطًا ﴿من الكرب العظيم﴾ يريد: الظلم العظيم ﴿ونصرناهم فكانوا هم الغالبين﴾ يريد: لفرعون ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين﴾ يريد: التوراة وما فيها من الأحكام ﴿وهديناهما﴾ يريد: أرشدناهما ﴿الصراط المستقيم﴾ يريد: الدين القويم الواضح ﴿وتركنا عليهما في الآخرين﴾ يريد: الثناء الحسن ﴿سلام على موسى وهارون﴾.

﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ يريد: الموحّدين ﴿إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ يريد المصدقين بتوحيد الله.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

﴿وإن إلياس لمن المرسلين[(١)] إذ قال لقومه ألا تتقون﴾ [يريد : ألا تخافون][(١)] ﴿أتدعون بعلا﴾ يريد صنمًا ما كان لهم أن يعبدوه ، يقال له : البعل السيد .

تفسير الحسن : كان اسم صنمهم : بَعْلاً ﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾ .

﴿الله ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ من قرأها بالرفع ؛ فهو كلام مستقبل ، ومن قرأها بالنصب ؛ فالمعنى وتذرون أحسن الخالقين اللهَ ربَّكم وربَّ آبائكم الأولين[(٢)].

[﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾ يريد أنهم لمبعوثون ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ يريد : الذين صدقوا وأخلصوا لله بالتوحيد ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ يريد : الثناء الحسن][(١)] ﴿سلام على إل ياسين﴾ [يريد : إلياس ومن آمن معه][(١)] ، من قرأها موصولة يقول هو اسمه : آل ياسين ، وإلياس ، ومقرأ الحسن : الياسين قال : يعنيه ومن آمن من أمته[(٣)].

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

[﴿وإن لوطًا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين﴾ يريد بأهله : بناته أجمعين][(١)] ﴿إلا عجوزًا في الغابرين﴾ يعني : الباقين في عذاب الله [يريد : امرأته ، ﴿في الغابرين﴾ يريد : الفانين ، يريد : بقيت حتى أهلكتها فيمن أهلكت ولم أنجها ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ يريد : دمرت على من بقي ، ودمرت عليها معهم][(١)] ﴿وإنكم﴾ [يا معشر المشركين][(١)] ﴿لتمرون عليهم﴾ [على منازلهم][(١)] ﴿مصبحين﴾ أي : نهارًا [يريد : في النهار إلى الشام في ذهابكم إلى الشام ، وإقبالكم بالتجارة ، وترون ما صنعت بهم][(١)] ﴿وبالليل﴾ [يريد : تمرون بهم أيضًا][(١)] ﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) قرأ بالرفع : ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، ونافع ، وابن عامر . وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنصب . ينظر : السبعة (٥٤٩) ، البحر (٣٧٣/٧) ، النشر (٣٦٠/٢) ، التيسير (١٨٧) .

وينظر في توجيه هاتين القراءتين نحويًا : إعراب القرآن (٧٦٥/٢) البحر (٣٧٣/٧) ، البيان (٣٠٧/٢) .

(٣) وممّن قرأها موصولة أيضًا : أبو رجاء وابن محيصن . وقرأ نافع وابن عامر : (آلِ ياسين) وقرأ باقي السبعة (إلْ ياسين) . وفيها قراءات أخرى غير ذلك . ينظر : البحر (٣٧٣/٧) ، السبعة (٥٤٩) ، جامع القرطبي (١٥/ ١١٨) ، المحتسب (٢٢٥/٢) ، مختصر شواذ القراءات (١٢٨) وينظر في توجيه هذه القراءات ومعانيها الدر المصون .

للمشركين ، يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم .

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾
فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ
يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق﴾ أي : فرَّ من قومه ﴿إلى الفلك المشحون﴾ يعني : المُوقَرَ .

قال يحيى : بلغنا - والله أعلم - أن يونس دعا قومه إلى الله ، فلما طال ذلك عليه وأبوا أوحى الله إليه أن العذاب يأتيهم يوم كذا وكذا ، فلما دنا الوقت تنحى عنهم ، فلما كان قبل الوقت بيوم جاء فجعل يطوف بالمدينة وهو يبكي ويقول : غدًا يأتيكم العذاب! فسمعه رجلٌ منهم ، فانطلق إلى الملك فأخبره أنه سمع يونس يبكي . ويقول : يأتيكم العذاب غدًا ، فلما سمع ذلك الملك دعا قومه ، فأخبرهم بذلك ، وقال : إن كان هذا حقًّا فسيأتيكم العذاب غدًا ، فاجتمعوا حتى ننظر في أمرنا ، فاجتمعوا فخرجوا من المدينة من الغد ، فنظروا فإذا بِظُلمةٍ وريحٍ شديدة قد أقبلت نحوهم ، فعلموا أنه الحقُّ ، ففرّقوا بين الصبيان وأمهاتهم وبين البهائم وبين أمهاتها ، ولبسوا الشَّعر وجعلوا الرماد والتراب على رءوسهم تواضُعًا لله ، وتضرَّعوا إليه وبكوا وآمنوا ، فصرف الله عنهم العذابَ ، واشترط بعضُهم على بعضٍ ألا يكذب أحدُهم كذبة إلا قطعوا لسانه ، فجاء يونس من الغد فنظر فإذا المدينة على حالها ، وإذا الناس داخلون وخارجون ؛ فقال : أمرني ربي أن أخبر قومي أن العذاب يأتيهم غدًا فلم يأتهم ، فكيف ألقاهم؟! فانطلق حتى أتى ساحل البحر ؛ فإذا بسفينة في البحر ؛ فأشار إليهم فأتوه فحملوه ولا يعرفونه ، فانطلق إلى ناحية من السفينة فتقنَّع ورقد ، فما مضوا إلا قليلاً حتى جاءتهم ريحٌ كادت السفينةُ تغرق ، فاجتمع أهلُ السفينة ودعوا الله ثم قالوا : أيقظوا الرجل يدعو معنا! ففعلوا فدفع الله عنهم تلك الريح ، ثم انطلق إلى مكانه فرقد ، فجاءت ريحٌ كادت السفينة تغرق ، فأيقظوه ودعوا الله فارتفعت الريح ، فتفكر العبد الصالح فقال : هذا من خطيئتي! أو كما قال ، فقال لأهل السفينة (شُدوني)[1] وثاقًا وألقوني في البحر ، فقالوا : ما كنّا لنفعل وحالُك حالُك ، ولكنا نقترع فمن أصابته القرعةُ ألقيناه في البحر ، فاقترعوا فأصابته القرعة ،

---

(١) هكذا في الأصل و « ر » والمراد : شدُّوا عليّ ، والله أعلم .

فقال : قد أخبرتكم . فقالوا : ما كنا لنفعل ولكن اقترعوا ، فاقترعوا الثانية فأصابته القرعة ، ثم اقترعوا الثالثة ؛ فأصابته القرعة وهو قول الله : ﴿فساهم فكان من المدحضين﴾ [يريد : المسهومين][١] أي : وقع السهم عليه .

(ل ٢٩٠) **قال محمدٌ** : المعنى : فقورع فكان من المقروعين وهو الذي أراد يحيى ، وأصل الكلمة من قولهم : أدحض الله حُجَّته فدحضتْ ؛ أي : أزالها فزالت[٢].

قال يحيى : فانطلق إلى صدر السفينة ليلقي بنفْسه في البحر ؛ فإذا هو بحوتٍ فاتحٍ فاه ، فانطلق إلى ذَنَب السفينة ؛ فإذا هو بالحوت فاتحًا فاه ثمّ جاء إلى جانب السفينة ؛ فإذا هو بالحوت فاتحًا فاه ، ثم جاء إلى الجانب الآخر ؛ فإذا هو بالحوت فاتحًا فاه ، فلما رأى ذلك ألقى نفسه ، فالتقمه الحوتُ ، وهو قول الله : ﴿فالتقمه الحوت وهو مليمٌ﴾ [يريد : أن الله كان له لائمًا حيث أبق][٣].

قال محمدٌ : يقال : قد ألام الرجلُ إلامةً فهو مليمٌ ، إذا أتى ما يجب أن يُلاَم عليه[٤].

قال يحيى : فأوحى الله إلى الحوت ألا يأكل عليه ولا يشرب ، وقال : إني لم أجعلْه لك رزقًا ، ولكني جعلت بطنك له سِجْنًا . فمكث في بطْن الحوت أربعين ليلة ﴿فنادى في الظلمات﴾ كما قال الله : ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾[٥] والظلمات : ظلمةُ الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ، قال الله : ﴿فاستجبنا له ...﴾[٦] الآية ، وقال : ﴿فلولا أنه كان من المسبحين ...﴾ الآية [يريد : في بطن الحوت][٢] قال الحسن : أما والله ما هو بالتسبيح قبل ذلك ، ولكنه لما التقمه الحوتُ جعل يقول : سبحان الله ، سبحان الله ...ويدعو الله .

قال يحيى[٧]: فأوحى الله إلى الحوت أن يلقيه إلى البر ، وهو قوله : ﴿فنبذناه بالعراء وهو سقيم﴾

---

(١) سقط من الأصل . والمثبت من « ر » .

(٢) لسان العرب (دحض) .

(٣) سقطت من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٤) لسان العرب (لوم) .

(٥) الأنبياء : ٨٧.

(٦) الأنبياء : ٨٨.

(٧) وفي « ر » : قال الحسن .

[يريد على ساحل قرية من قرى الموصل يقال لها : بَلَد[١] ﴿بالعراء﴾ عريان قد بلي لحمه ، وكل شيء منه ، مثل الصبي المولود ﴿وهو سقيم﴾ يريد الصبي المولود][٢].

قال محمدٌ : العَرَاء ممدودٌ وهو المكان الخالي ، وإنما قيل له : عراءٌ ؛ لأنه لا شجر فيه ولا شيءَ يغطيه ، وكأنه من : عَرِيَ الشيءُ ، والعَرَى - مقصورٌ - : الناحية[٣].

قال يحيى : فأصابته حرارةُ الشمس ؛ فأنبت اللَّه عليه شجرة من يقطين - وهي القرع [تظله بورقها ، ويشرب من لبنها][٣] فأظلته ، فنام فاستيقظ [وقام من نومه][٣] وقد يبست فحزن عليها ، فأوحَى اللَّه إليه : أحزنت على هذه الشجرة وأردت أن أهلك مائة ألف من خلقي [كما قال اللَّه - عز وجل - : ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ يريد أكثر من مائة ألف ، اللَّه أعلم الأكثرين منهم][٣] ﴿أو يزيدون﴾ أي : بل يزيدون .

قال محمدٌ : قيل : المعنى : ويزيدون ، الألِفُ صلةٌ زائدة[٤].

قال يحيى : وبلغنا أنهم كانوا عشرين ومائة ألف ، فعلم عند ذلك أنه قد ابْتُلي فانطلق ، فإذا هو بذود[٥] من غنمٍ فقال للراعي : اسقني لبنًا . فقال : ليس ها هنا شاةٌ لها لبنٌ ، فأخذ شاة منها ، فمسح يده على ضرعها فدرَّت فشرب من لبنها ؛ فقال له الراعي : من أنت يا عبد اللَّه؟! قال : أنا يونس ؛ فانطلق الراعي إلى قومه فبشرهم به فأخذوه وجاءوا معه إلى موضع الغنم ، فلم يجدوا يونس ؛ فقالوا : إنا شرطنا ألا يكذب أحدٌ إلا قطعنا لسانه ؛ فتكلمت الشاة بإذن اللَّه ؛ فقالت : قد شرب من لبني . وقالت شجرة - كان استظل تحتها - : قد استظلّ بظلي . فطلبوه فأصابوه فرجع إليهم ، فكان فيهم حتى قبضه اللَّه ، وكانوا بمدينة يقال لها : نينوى ، من أرض الموصل ، وهي على دجلة .

قوله : ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ قال الحسن : فأعاد اللَّه له الرسالة ، فآمنوا [يريد : صدقوا][٦] كلهم قال اللَّه : ﴿فمتعناهم إلى حين﴾ يعني : إلى آجالهم ، ولم يهلكهم .

---

(١) وربما قيل لها : بلط بالطاء ، وهي مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل ، بينهما سبعة فراسخ . معجم البلدان (١/ ٥٧٠) .
(٢) سقطت من الأصل ، والمثبت من « ر » .
(٣) ويُجمع العَرَاء على : أَعْرَاء . لسان العرب (عري) .
(٤) ينظر : إعراب القرآن (٢/٧٧٣) ، معاني القرآن للفراء (٢/٣٩٣) ، البحر (٧/٣٧٦) ، البيان (٢/٣٠٨) .
(٥) هو القطيع من الإبل أو الغنم بين الثلاث إلى العشر ؛ وهو مؤنث . لسان العرب ، المعجم الوسيط (ذود) .
(٦) سقطت من الأصل ، والمثبت من « ر » .

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ .

﴿فاستفتهم﴾ [يا محمد ، أهل مكة](١) - يعني : المشركين - يقول : فاسألهم ﴿ألربك البنات ولهم البنون﴾ وذلك لقولهم أن الملائكة بنات الله [يقول الله سبحانه : أنى يكون له ولد ، وقال](١) ﴿أم خلقنا الملائكة إناثًا﴾ [يريد تسألهم يا محمد : أخلقنا الملائكة إناثًا](٢)؟! ﴿وهم شاهدون﴾ لخلقهم [كما قال في الزخرف : ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون﴾(٣)](١) .

﴿ألا إنهم من إفكهم﴾ كذبهم ﴿ليقولون ولد الله﴾ أي : ولد البنات ؛ يعنون : الملائكة ﴿أصطفى﴾ أختار ﴿البنات على البنين﴾ أي : لم يفعل .

قال محمدٌ : تفسير يحيى يدل على أن قراءته (أصطفى) مهموز ، وفي هذا الحرف اختلاف بين القراء(٤).

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

[﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ يريد : هكذا تحكمون؟! تجعلون لأنفسكم البنين ، وتجعلون لله البنات ﴿أفلا تذكرون﴾ يريد : تتعظون](١) ﴿ أم لكم سلطان مبين﴾ حجةٌ بينة .

---

(١) سقطت من الأصل ، والمثبت من « ر » .
(٢) سقطت من الأصل ، والمثبت من « ر » .
(٣) الزخرف : ١٩.
(٤) قرأ حمزة ونافع بوصل الهمزة في الوصل ، وقرأ حمزة أيضًا والكسائي بالإمالة وقفًا ، ورويت القراءة بالتقليل وقفًا عن الأزرق وورش ، ورويت القراءة (آصطفى) بالمد غير منسوبة . وقرأ باقي السبعة (أصطفى) . ينظر : البحر (٣٧٧/٧) ، السبعة (٥٤٩) إتحاف الفضلاء (٣٧١) ، الإملاء (١١٢/٢) .

﴿فأتوا بكتابكم﴾ الذي فيه حجتكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن الملائكة بنات الله ؛ أي : ليس لكم بذلك حجة ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا﴾ تفسير بعضهم : يقول : قال مشركو العرب : إنه صاهر إلى الجن ، والجن صنف من الملائكة ، فكانت له منهم بنات ﴿ولقد علمت الجنَّة إنهم لمحضرون﴾ [يريد : لمعذبهم على هذا][(١)]؛ أي : مدخلون في النار ﴿سبحان الله﴾ ينزِّه نفسه ﴿عما يصفون﴾ [عما يقولون من الكذب][(١)] ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ وهذا من مقاديم الكلام ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين ، سبحان الله عما يصفون [﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ يريد : الموحدين ، يريد : أصحاب النبي ﷺ ومن آمن مثلهم][(١)] .

﴿فإنكم وما تعبدون ...﴾ (ل٢٩١) الآية ، يقول : ﴿فإنكم﴾ يعني : المشركين ﴿وما تعبدون﴾ يعني : ما عبدوا [يريد : فإنكم وآلهتكم التي تعبدون من دون الله][(١)] ﴿ما أنتم عليه﴾ على ما تعبدون [﴿بفاتنين﴾ يريد : ما تقدرون لا أنتم ، ولا من تعبدون أن تضلوا أحدًا من عبادي إلا من كان في سابق علمي وقضائي وقدرتي][(١)] ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ [يريد : أنه قد كان في سابق علمي أنه يصلى الجحيم][(٢)] .

قال محمدٌ : القراءة في (صال الجحيم) بكسر اللام على معنى : صالي - بالياء - والياء محذوفة في المصحف[(٣)].

﴿وما منا إلا له مقامٌ معلوم﴾ [يريد : منذ خلقوا إلى النفخة الأولى ، يسبحون الله ويهللونه ، ويحمدونه ، ويسجدون له ، لا يعرفون من يداني عبادتهم وقالت الملائكة : ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾][(١)] أي : إلا له مكان يعبد الله فيه . هذا قول الملائكة ؛ أي : ينزهون الله ، حيث جعلوا بينه وبين الجِنَّة نسبًا [﴿وإنا لنحن الصافون﴾ في التسبيح والتهليل والتكبير ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ يريد : أصحاب التسبيح][(١)] ﴿وإن كانوا ليقولون﴾ يعني [وإن كان أهل مكة ليقولون قبل أن يبعث

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) في الأصل : إلا من قدر له أن يصلى الجحيم . والمثبت من « ر » .

(٣) قرأ العامة (صالِ) . وقرأ الحسن وابن أبي عبلة (صالُ) ، وروي عنهما أيضًا (صالوا) وقرأ يعقوب (صالي) وقفًا . ينظر : الإتحاف (٣٧١) ، البحر (٣٧٩/٧) ، الإملاء (١١٢/٢)النشر (١٣٨/٢) . وينظر في التوجيه النحوي واللغوي : البحر (٣٧٩/٧) .

محمدٌ ﷺ](١) ﴿لو أن عندنا ذكرًا من الأولين﴾ [يريد : قرآنًا من لدن إبراهيم وإسماعيل](١) أي : كتابًا مثل كتاب موسى وعيسى ﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ المؤمنين [يريد : التوحيد](١) قال الله : ﴿فكفروا به﴾ بالقرآن ؛ [يريد : بما جاء محمد ﷺ](١) ﴿فسوف يعلمون﴾ [تهديدًا](٢).

قال محمدٌ : ذكر قطرب أن بعض القراء قرأ (مخلِصين) كل ما في القرآن بكسر اللام . قال : وقرأ بعضهم كل ما في القرآن ﴿مخلَصين﴾ ﴿إنه كان مخلَصًا﴾ كل ذلك بالفتح(٣) إلا ﴿مخلِصين له الدين﴾(٤) حيث [وقع](١) فإنه مكسورٌ .

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون﴾ في الدنيا ، وبالحجة في الآخرة . تفسير الحسن : لم يُقْتَلْ من الرسل من أصحاب الشرائع أحدٌ قط .

[﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ يريد : حزبه ، مثلما قال في (قد سمع الله) : ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾(٥)](١).

﴿فتولَّ عنهم حتى حين﴾ نسختها آية القتال(٦) [يريد : القتل ببدرٍ ، وهو منسوخ بآية السيف](١) ﴿وأبصرهم فسوف يبصرون﴾ أي : فسوف يرون العذاب [أيضًا يقولوا : أنتظر بهم](١) ﴿فإذا نزل بساحتهم﴾ [أي : نزل بدارهم](١) ﴿فساء صباح المنذرين﴾ [يريد : قريظة والنضير](١) تفسير الحسن : يعني : النفخة الأولى ؛ بها يهلك الله كفار آخر هذه الأمة ﴿وتولّ

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .
(٢) كلمة غير واضحة في الأصل ، والمثبت من « ر » .
(٣) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر بكسر اللام ، وقرأ الباقون بفتحها . ينظر : التيسير (١٢٨) ، النشر (٢/٢٩٥) ، جامع القرطبي (١٥/ ٧٦، ١١٨) .
(٤) الأعراف : ٢٩، يونس : ٢٢، العنكبوت : ٦٥، لقمان : ٣٢، غافر : ١٤، ٦٥، البينة :
(٥) المجادلة : ٢٢.
(٦) ينظر الناسخ والمنسوخ (٧٦) .

عنهم﴾ [يا محمد](١) ﴿حتى حين﴾ إلى آجالهم ؛ [يريد : يوم بدر](١) ، وهذا منسوخٌ نسخه القتال(٢) ﴿وأبصر﴾ انتظر ﴿فسوف يبصرون﴾ [وعيدًا من الله وتهديدًا ، أي : فسوف](٢) يرون العذاب .

﴿سبحان ربك﴾ ينزّه نفسه ﴿رب العزة عما يصفون﴾ يكذبون يا محمد ، إنه سيعزك وأصحابك [يريد : من اتخاذ البنات والنساء] ﴿وسلامٌ على المرسلين﴾ [الذين يبلغون رسالتي وقاموا بديني وحجتي](١) ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ [يريد : والحمد لله ، وأنا رب العالمين ، يريد الأولين والآخرين](١) .

يحيى : عن الحسن بن دينار ، عن أبي هارون العبدي قال : « سألت أبا سعيد الخدري : بم كان رسول الله ﷺ يختم صلاته؟ فقال : بهذه الآية : ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ »(٣).

❁ ❁ ❁

---

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٢) أي : آية القتال ، التوبة : ٢٩.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٣/١) وفي مسنده - كما في المطالب العالية (١/ ٢٣٠ رقم ٢/٥٥١) - وعبد بن حميد (٢٩٦ - ٢٩٧ رقم ٩٥٤، ٩٥٦) والحارث بن أبي أسامة - كما في زوائده (٦٦ - ٦٧ رقم ١٨٥) - وأبو يعلى في مسنده (٣٦٣/٢ رقم ١١١٨) من طريق أبي هارون العبدي به .
قال ابن كثير في تفسيره (٢٥/٤) : إسناده ضعيف .
وقال ابن حجر في المطالب العالية (١/ ٢٣٠) : تفرد به أبو هارون العبدي ، وهو ضعيف .
وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢٢٥/٢) : قلت : مدار حديث أبي سعيد الخدري على أبي هارون ، وهو ضعيف ، واسمه عمارة بن جوين .

تفسير سورة ص وهي مكيّة كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝٨﴾

قوله: ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ البيان، أقسم بالقرآن [﴿ذي الذكر﴾ ذي الشرف، مثل قوله: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم﴾(١) ويقال: فيه ذكر ما قبله من الكتب](٢) ﴿بل الذين كفروا في عزةٍ وشقاق﴾ يعني: في حمية وفراق للنبي؛ هذا تفسير السُّدي.

قال محمدٌ: ذكر قطرب أن الحسن كان يقرأ (صادِ) بالخفضِ(٣) من المصاداة وهي المعارضة؛ المعنى: صادِ القرآن بعملك؛ أيْ: عارِضْه به، قال: وتقول العرب: صاديتك بمعنى عارضتك، وتصدّيتُ لك؛ أي: تعرّضت(٤).

[﴿شقاق﴾ يريد عداوة ومباعدة](٥).

﴿كم أهلكنا من قبلهم﴾ من قبل قومك يا محمدٌ ﴿فنادوا﴾ بالتوبة ﴿ولات حين مناص﴾ أي: ليس حين فرار، ولا حين تقبل التوبة فيه، [﴿ولات حين مناص﴾ يريد لا حين مهرب، والنوص:

(١) الأنبياء: ١٠.
(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٣) وقرأها بالخفض أبيّ، وابن أبي إسحاق وابن أبي عبلة، وأبو السمال وغيرهم. وروى عن الحسن أنه قرأها: (صادُ) بالرفع. ينظر: البحر (٣٨٣/٧)، جامع القرطبي (١٤٢/١٥)، المحتسب (٢٣٠/٢).
(٤) لسان العرب (صدى).
(٥) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

التأخر في كلام العرب، والبوص: التقدم[١] قال امرؤ القيس:

أَمِنْ ذِكْرِ ليلى إذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ   وتَقْصُر عَنها خَطوةً وتَبُوصُ[٢]

قال ابن عباس[٣]: ليس حين نزوٍ ولا فرار[٤].

﴿وعجبوا﴾ رجع إلى قوله: ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرنٍ﴾ أخبر كيف أهلكهم، ثم قال: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم﴾ يعني: محمدًا، ينذر من النار ومن عذاب الله في الدنيا ﴿وقال الكافرون هذا ساحرٌ كذاب﴾ يعنون: محمدًا ﴿أجعل الآلهة﴾ على الاستفهام منهم ﴿إلهًا واحدًا﴾ أي: قد فعل حين دعاهم إلى عبادة الله وحده ﴿إنّ هذا لشيءٌ عجاب﴾ عجب [عجاب وعجيب واحد، مثل طوال وطويل، وعراض وعريض، وكبار وكبير][١].

﴿وانطلق الملأ منهم ...﴾ الآية وذلك أن رهطًا من أشراف قريش مشوا إلى أبي طالب؛ فقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا وسيدنا، وقد رأيت ما فَعَلَتْ هذه السفهةُ - يعنون: المؤمنين - وقد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك! فأرسل أبو طالب إلى النبي عليه السلام فقال: هؤلاء قومك يسألونك السواء[٥]؛ فلا تمل كل الميل على قومك، فقال رسول الله: ماذا تسألونني؟ فقالوا له: ارفضنا من ذكرك وارفض آلهتنا، وندعك وإلهك، فقال رسول الله: أمُعْطيّ أنتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب والعجم؟ فقال أبو جهل: لله أبوك نعَمْ، وعشرًا معها. فقال رسول الله: قولوا: لا إله إلا الله. فنفروا منها وقاموا وقالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيءٌ عجاب﴾. وانطلقوا وهم يقولون: [من علم أن نبيًا يخرج في زماننا هذا][٤] ﴿أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيءٌ يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾ تفسير الحسن يقولوا: ما كان عندنا

---

(١) ينظر لسان العرب (نوص، بوص).

(٢) تفسير الطبري (١٢٠/٢٣) ولسان العرب (نوص).

(٣) رواه عبد الرزاق (١٦٠/٢) والطبري (١٢١/٢٣).

وعزاه السيوطي في الدر (٣٢٢/٥) لابن أبي حاتم.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) السَّوَاء والسُّوَى: العَدْل. لسان العرب (سوى).

[من هذا من علم أن][1] يخرج (ل٢٩٢) في زماننا هذا ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ أي: كذبٌ اختلقه محمد ﴿أأنزل عليه الذكر﴾ يعنون: القرآن على الاستفهام ﴿من بيننا﴾ أي: لمْ ينزل عليه، قال الله: ﴿بل هم في شكٍّ من ذكري﴾ من القرآن ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ أي: لم يأتهم عذابي بعد، وقد أخر عذاب كفار آخر هذه الأمة إلى النفخة الأولى، وقد أهلك أوائلهم بالسيف يوم بدْر.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾

﴿أم أعندهم خزائن رحمة ربك﴾ قال السُّدي: يعني: مفاتح النبوة، فيعطوا النبوة من شاءوا، ويمنعوا من شاءوا؛ أي: ليس ذلك عندهم.

﴿أم لهم ملك السمٰوات والأرض وما بينهما﴾ على الاستفهام؛ أي: ليس لهم من ذلك شيء ﴿فليرتقوا﴾ فليصعدوا ﴿في الأسباب﴾ قال السُّدي: يعني: في الأبواب؛ أبواب السمٰوات إن كانوا يقدرون على ذلك؛ أي: لا يقدرون عليه.

قال محمدٌ: المعنى إذا ادّعوا شيئًا من هذه الأشياء التي لا يملكها إلا الله فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء.

﴿جندٌ ما هنالك﴾ أي: جندٌ هنالك، و «ما» صلة زائدة[2] ﴿مهزومٌ من الأحزاب﴾ يُخبر بأنّ محمدًا ﷺ سيهزمهم يوم بدر ﴿كذّبت قبلهم قوم نوحٍ وعادٌ وفرعون ذو الأوتاد﴾ تفسير قتادة: كان إذا غضب على أحدٍ أوتد له أربعة أوتاد على يديه ورجليه ﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة﴾ يعني: قوم شعيب، والأيكة: الغيضة ﴿أولئك الأحزاب﴾ يعني به كفار من ذكر تحزّبوا

---

(١) طمس في الأصل.

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٢/٧٨٦)، البحر (٧/٣٨٦)، البيان (٢/٣١٣).

على أنبيائهم ﴿إن كلٌّ﴾ يعني: من أهْلَكَ ممن (مضى)[1] من الأمم السالفة.

﴿إلا كذَّب الرسل فحق عقاب﴾ يعني: عقوبته إياهم بالعذاب ﴿وما ينظر هؤلاء﴾ يعني: كفار آخر هذه الأمة ﴿إلا صيحة واحدة﴾ يعني: النفخة الأولى بها يكون هلاكهم ﴿ما لها من فواق﴾ قال الكلبي: يعني ما لها من نظرة؛ أي: من تأخير.

قال محمدٌ: تُقرأ (فُواق) بضم الفاء وفتحها[2] وهو ما بين حلبتي الناقة، وذلك أن تُحلَب وتترك ساعة؛ حتى ينزل شيء من اللبن، ثم تحلب فما بين الحلبتين فُواق؛ فاستُعير الفُواق في موضع الانتظار[3].

﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب﴾ تفسير الكلبي: قالوا ذلك حين ذكر الله في كتابه: (فمن أوتي كتابه بيمينه، ومن أوتي كتابه بشماله)[4] والقِطُّ: الصحيفة المكتوبة[5]؛ أي: عجل لنا كتابنا الذي يقول محمدٌ حتى نعلم أبأيماننا نأخذ كتبنا أم بشمائلنا - إنكارًا لذلك واستهزاءً.

قال محمدٌ: وجمع القط: قطوط.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿اصبر على ما يقولون﴾ يأمر نبيه بذلك ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيْد﴾ يعني: ذا القوة في أمر الله؛ في تفسير قتادة[6] ﴿إنه أوَّابٌ﴾ أي: رجّاع منيبٌ ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ قال

---

(١) في «ر»: قصَّ.

(٢) قرأ بضم الفاء حمزة والكسائي، وقرأ باقي السبعة بفتحها. ينظر البحر (٧/٣٨٩)، التيسير (١٨٧)، السبعة (٥٥٢)، النشر (٢/٣٦١).

(٣) وهو بضم الفاء وفتحها، يقال: فُواق، وفَوَاق. لسان العرب (فوق).

(٤) هما آيتان:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقة: ١٩].

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ [الحاقة: ٢٥].

(٥) والجمع: قِطَاط وقِطَطة. لسان العرب (قطط).

(٦) رواه عبد الرزاق (٢/١٦١).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٢٣) لعبد بن حميد وابن جرير أيضًا.

الحسن: كان الله قد سخّر مع داود جميع جبال الدنيا تسبح معه وكان يفقه تسبيحها ﴿والطير محشورة﴾ أي: تحشر بالغداة والعشي تسبح معه.

قال محمدٌ: الإشراق: طلوعُ الشمس وإضاءتها، يقال: شرقت الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت؛ هذا الاختيار عند أهل اللغة(١).

﴿كلٌّ له أواب﴾ أي: مطيع.

قال محمد: وقيل المعنى كل يُرَجِّعُ التسبيح مع داود؛ أي: يجيبه كلما سبّح سبّحتْ؛ يعني: الجبال والطير ﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة﴾ يعني النبوة ﴿وفصل الخطاب﴾ قال الحسن: يعني: العدل في القضاء.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وهل أتاك نبأُ الخصْم﴾ خبر الخصم أي: أنك لم تعلَمْه؛ حتى أعلمتك ﴿إذ تسوّروا المحراب ...﴾ المسجد إلى قوله: ﴿وأناب﴾ تفسير الحسن(٢): أن داود جمع عُبَّاد بني إسرائيل؛ فقال: أيكم كان يمتنع من الشيطان يومًا لو وكله الله إلى نفسه؟ فقالوا: لا أحد إلا أنبياء الله؛ فكأنّه عرض في الهم بشيء فبينما هو يصلي إذا بطائر حسن قد وقع على شُرفة من شرفِ(٣) المحراب.

---

(١) لسان العرب (شرق) وقد سبق شرح هذا المعنى.

(٢) انظر تفسير عبد الرزاق (٢/١٦١ - ١٦٢).

(٣) هو الموضع العالي يُشْرف على ما حوله. المعجم الوسيط (شرف).

قال يحيى : سمعت بعضهم يقول : طائر جؤجؤه[١] من ذهب ، وجناحاه ديباجٌ ، ورأسه ياقوتة حمراء فأعجبه - وكان له بني يحبه - فلما أعجبه حُسْنه وقع في نفسه أن يأخذه ويعطيه ابنه . قال الحسن : فلما انصرف إليه (ل٢٩٣) ، فجعل يطيرُ من شُرْفةٍ إلى شُرْفةٍ ولا يؤيسه ؛ حتى ظهر فوق المحراب ، وخلف المحراب حائط تغتسل فيه النساء الحُيَّض إذا طهُرن لا يشرف على ذلك الحائط أحدٌ إلا من صعد فوق المحراب . لا يصْعَدُه أحدٌ من الناس قال : فصعد داودُ خلف ذلك الطائر ففاجأته امرأة جاره لم يعرفها تغتسل ، فرآها فجأة ثم غضّ بصره عنها وأعجبته ؛ فأتى بابها ، فسأل عنها وعن زوجها قالوا : زوجها في أجناد داود فلم يلبث إلا يسيرًا حتى بعثه عامله بريدًا إلى داود فأتى داود بكتبه ثم انطلق إلى أهله فأخبر أنّ نبي اللّه داود أتى بابه فسأل عنه وعن أهله ، فلم يصل الرجل إلى أهله حتى رجع إلى داود مخافة أن يكون حدث من اللّه في أهله أمرٌ فأتى داود وقد فرغ من كتبه ، وكتب إلى عامل ذلك الجند أن يجعله على مقدمة القوم ؛ فأراد أن يقتل الرجل شهيدًا ويتزوج امرأته حلالاً ، إلا أن النيّة كانت مدْخولة ، فجعله على مقدّمة القوم فقتل ذلك الرجل قال : فبينما داود في محرابه والحرس حوله إذ تسوّر عليه المحرابُ ملكان في صورة آدميين ، ففزع منهما فقالا : ﴿لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعضٍ فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ أي : لا تَجُرْ ﴿واهْدنا﴾ أرشدنا ﴿إلى سواء الصراط﴾ أيْ : إلى قصْد الطريق ؛ فقال : قُصّا قصّتكما ، فقال أحدهما : ﴿إن هذا أخي﴾ يعني : صاحبي ﴿له تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدة فقال أكْفلْنيها﴾ أي : ضمها إليّ ﴿وعزّني﴾ قهرني ﴿في الخطاب﴾ في الخصومة ﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾[٢].

---

(١) هو مجتمع رءوس عظام الصدر ، والجمع : جآجئ . ينظر المعجم الوسيط (جأجأ) .

(٢) هذه القصص من الإسرائيليات المنكرة ، قال القاضي عياض في « الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى » : لا تلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله المفسرون ، ولم ينص اللّه - تعالى - على شيء من ذلك في كتابه ، ولا ورد في حديث صحيح ، والذي نص عليه في قصة داود ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت . اهـ .

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٢/٢) : وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصًا وأخبارًا أكثرها إسرائيليات ، ومنها ما هو مكذوب لا محالة تركنا إيرادها في كتابنا قصدًا ؛ اكتفاءً واقتصارًا على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم ، واللّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . اهـ .

وقال نحوه في تفسيره (٣١/٤) وزاد : ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه . اهـ

قال محمدٌ : المعنى : مضمومة إلى نعاجه ؛ فاختصر مضمومة[١] وإنما سُمِّيت : نعجة ؛ لأنَّها رخوةٌ ، النعجُ في اللغة اللين ، والنعجُ أيضًا الفتونُ في العَينْ[٢].

﴿وظن داود﴾ أي : علم .

قال محمد : معنى ﴿ظن﴾ أيقن ، إلا أنه ليس بيقين عيان ؛ فأما العيان فلا يقال فيه إلا : علم[٣].

﴿أنما فتناه﴾ ابتليناه ﴿فاستغفر ربه وخرّ راكعًا﴾ أي : ساجدًا أربعين يومًا لا يرفع رأسه إلا لصلاةٍ مكتوبة يقيمها أو لحاجة لابُدّ له منها أو لطعام يتبلَّغ به ، فأتاه ملكٌ من عند اللَّه فقال : يا داود ، ارفع رأسك ؛ فقد غفر اللَّه لك . فعلم أنّ اللَّه قد غفر له ، ثم أراد أن يعلم كيف يغفر له ؛ فقال : أيْ رب ، كيف تغفر لي وقد قتلته - يعني : بالنيّة؟! فقال : أستوهبه نفسَهُ فيهبها لي فأغفرها لك . فقال : أي رب ، قد علمت أنك قد غفرت لي . قال اللَّه : ﴿فغفرنا له ذلك وإنّ له عندنا لزلفى﴾ يعني : لقربةٍ في المنزلة ﴿وحسن مآب﴾ مرجع ﴿يا داود إنا جعلناك خليفةً في الأرض ...﴾ إلى قوله : ﴿فيضلك عن سبيل اللَّه﴾ يعني : فيستزلّك الهوى عن طاعة اللَّه في الحكم ، وذلك من غير كُفْرٍ ﴿إن الذين يضلون عن سبيل اللَّه لهم عذابٌ شديدٌ بما نسوا يوم الحساب﴾ أي : تركوه ولم يؤمنوا به .

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا﴾ أي : ما خلقناهما إلا للبعث والحساب ، والجنة والنار ، وكان المشركون يقولون : إن اللَّه خلق هذه الأشياء لغير بعثٍ . قال : ﴿ذلك ظن الذين كفروا﴾ أنهم لا يبعثون وأنّ اللَّه خالق هذه الأشياء باطلاً ﴿أم نجعل المتقين كالفجار﴾ كالمشركين في الآخرة أي : لا نفعل .

= وقال الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان (٧/٢٤) : واعلم أن ما يذكره كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة مما لا يليق بمنصب داود - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - كله راجع إلى الإسرائيليات ؛ فلا ثقة به ولا معول عليه ، وما جاء منه مرفوعًا إلى النبي ﷺ لا يصح منه شيء . اهـ .

(١) ينظر : البحر (٧/٣٩٣) ، مجمع البيان (٤/٤٧٠) ، الدر المصون (٥/٥٣١ - ٥٣٢) .

(٢) لسان العرب (نعج) .

(٣) لسان العرب (ظن ، علم) .

﴿كتابٌ﴾ أي: هذا كتابٌ، يعني: القرآن ﴿أنزلناه إليك﴾.

﴿أولو الألباب﴾ أي: ذوو العقول وهم المؤمنون.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿الصافنات الجياد﴾ يعني: الخيل السراع الواحد منها: جواد[1]، والصافن في تفسير مجاهد[2]: الفرس إذا رفع إحدَى رجليه؛ حتى تكون على طرف الحافر[3]. عُرِضتْ على سليمان فجعلتْ تجري بين يديه فلا يستبين منها قليلاً ولا كثيرًا من سرعتها وجعل يقول: ردُّوها عليّ؛ ليستبين منها شيئًا ﴿حتى توارت﴾ غابت؛ يعني: الشمس ﴿بالحجاب﴾ ففاتته صلاة العصر قال الحسن: فقال سليمان في آخر ذلك (ل٢٩٤) ﴿ردوها عليّ فطفق مسحًا بالسوق والأعناق﴾ فضرب أعناقها وعراقيبها أنها شغلته عن الله.

قال محمدٌ: معنى (فطفق) أي: أقبل[4]، والسوق جمع ساق[5]، والصافنُ من الخيل: القائم الذي لا يثني إحدى يديه أو إحدى رجليه حين يقف بها على سُنْبُكِه[6] وهُوَ طرف الحافر.

﴿إني أحببت حبّ الخير﴾ يعني: الخيل، وكذلك في قراءة ابن مسعود: (إني أحببت حبّ الخيل)[7].

قال محمدٌ: معنى أحببت: آثرت.

---

(١) لسان العرب (جود) ويجمع جواد أيضًا على أجْوَاد وأجَاوِيد.

(٢) رواه الطبري (٢٣/١٥٤).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٤٠) لعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا.

(٣) لسان العرب (صفن).

(٤) وجعل. لسان العرب (طفق).

(٥) ويجمع الساق أيضًا على: سيقان، وأسْؤق. لسان العرب (سوق).

(٦) هو طرف الحافر، ويجمع على: سنابك. لسان العرب (سنبك).

(٧) لم أجد هذه القراءة. وكل ما وجدته أن معنى (الخير) في الآية: الخيل عند الأكثرين. ينظر: مجمع البيان (٤/٤٧٥)، البحر (٧/٣٩٦)، مجاز القرآن (٢/١٨٢)، القرطبي (١٥/١٩٤)، كشف المشكلات (٢/١١٤٦).

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ولقد فتنا سليمان﴾ أي: ابتلينا ﴿وألقينا على كرسيه جسدًا﴾ يعني: الشيطان الذي خلفه في ملكه؛ تلك الأربعين ليلة، قال بعضهم: كان اسْمُه صخرًا. قال سليمان عليه السلام - قال للشيطان الذي خلفه -: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه إياه شده في البحر، فساح سليمان. قال الكلبي: كانت له امرأة من أكرم نسائه عليه وأحبهنّ إليه، فقالت: إن بين أبي وبين رجلٍ خصومة فزَيِّنت حُجّة أبيها فلما جاءا يختصمان إليه جعل يحب أن تكون الحجّة لختنه، فابتلاه الله بما كان من أمر الشيطان الذي خلفه وأذهب ملك سليمان، وذلك [أنه][1] كان إذا أراد أن يدخل الخلاء دفع الخاتم إلى امرأةٍ من نسائه كان يثق بها فدفعه إليها يومًا ثم دخل الخلاء، فجاءها ذلك الشيطان في صورته فأخذ الخاتم منها، فلما خرج سليمان طلب الخاتم منها فقالت: قد أعطيتكه، وذهب الخبيث وجلس على كرسي سليمان وأُلقي عليه شَبَهُ سليمان وبهْجته وهيئته، فخرج سليمان فإذا هو بالشيطان على كرسيه، فذهب في الأرض وذهب ملكه.

قال يحيى: في تفسير الحسن: إن الشيطان قعد على كرسي سليمان - وهو سرير ملكه - لا يأكل ولا يشرب ولا يأمر ولا ينهى وأذهب الله ذلك من أذهان الناس؛ فلا يرون إلا أن سليمان في مكانه يصلي بهم ويقضي بينهم.

قال يحيى: وفي تفسير مجاهد[2]: أن الشيطان مُنِعَ نساء سليمان أن يقربهن.

قال الكلبي: فلما انقضت أيام الشيطان ونزلت الرحمة من الله لسليمان عمد الشيطان إلى الخاتم؛ فألقاه في البحر فأخذه حوتٌ، وكان سليمان يؤاجر نفسه من أصحاب السفن ينقل السمك من السفن إلى البر على سمكتيْن كل يومٍ، فأخذ في أجره يومًا سمكتيْن فباع إحداهما برغيفين،

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) رواه الطبري (٢٣/١٥٧).

وأمّا الأخرى فشقّ بطنها وجعل يغسلها ؛ فإذا هو بالخاتم فأخذه فعرفه الناس ، واستبشروا به وأخبرهم أنه إنما فعله به الشيطان ، فاستغفر سليمان ربه ﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكًا ...﴾ الآية ، ﴿فسخرنا له الريح﴾ .

﴿والشياطين﴾ وسُخر لهُ الشيطان الذي فعل به الفعْل ، فأخذه سليمان فجعله في نحْتٍ من رخام ثم أطبق عليه وشدّ عليه بالنحاس ثم ألقاه في عُرض البحر ، فمكث سليمان في ملكه راضيًا مطمئنًا ؛ حتى قبضه الله إليه(١).

---

(١) هذا من الإسرائيليات المنكرة جدًا ؛ قال القاضي عياض في « الشفا » (٨٣٦/٢) : ولا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به ، وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه ؛ لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا ، وقد عُصم الأنبياء من مثله . اهـ .

وقال القرطبي في تفسيره (٢٠١/١٥) : وقد ضعف هذا القول من حيث إن الشيطان لا يتصور بصورة الأنبياء ، ثم من المحال أن يلتبس على أهل مملكة سليمان الشيطان بسليمان حتى يظنوا أنهم مع نبيهم في حق ، وهم مع الشيطان في باطل . اهـ

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٢٤/٢) : ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا آثارًا كثيرة عن جماعة من السلف ، وأكثرها - أو كلها - متلقاة من الإسرائيليات ، وفي كثير منها نكارة شديدة قد نبهنا على ذلك في كتابنا التفسير ، واقتصرنا ههنا على مجرد التلاوة . اهـ .

وانظر تفسير ابن كثير (٣٦/٤) .

وقال الشيخ الشنقيطي (٣٤/٧ - ٣٥) : قد قدمنا الكلام على هذه الآية وعلى ما يذكره المفسرون فيها من الروايات التي لا يخفى سقوطها ، وأنها لا تليق بمنصب النبوة ، في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى : ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله﴾ وما رُوي عن السلف من جملة تلك الروايات أن الشيطان أخذ خاتم سليمان وجلس على كرسيه وطرد سليمان إلى آخره يوضح بطلانه قوله تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ واعتراف الشيطان بذلك في قوله : ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ . اهـ .

وانظر أضواء البيان (٨٤/٤ - ٨٥) وفيه بعد أن ذكر حديث الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « قال سليمان بن داود - عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام - : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة - وفي رواية : تسعين امرأة ، وفي رواية : مائة امرأة - تلد كل امرأة منهن غلامًا يقاتل في سبيل الله . فقيل له - وفي رواية قال له الملك - : قل : إن شاء الله! فلم يقل ، فطاف عليهن فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة : نصف إنسان ، فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، لو قال إن شاء الله لم يحنث ، وكان دركًا لحاجته - وفي رواية : ولقاتلوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون » .

قال الشنقيطي : فإذا علمت هذا فاعلم أن هذا الحديث الصحيح بين معنى قوله تعالى : ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا ...﴾ الآية وأن فتنة سليمان كانت بسبب تركه قوله « إن شاء الله » وأنه لم يلد من تلك النساء إلا واحدة نصف إنسان ، وأن ذلك الجسد الذي هو نصف إنسان هو الذي ألقي على كرسيه بعد موته في قوله تعالى ﴿وألقينا =

قوله : ﴿تجري بأمره رخاءً﴾ قال الحسن[١]: ليست بالعاصف التي تؤذيه ، ولا بالبطيئة التي تقصرُ به دون حاجته .

قال محمدٌ : معنى رخاءً في اللغة : لينة ، ويقال : ريحٌ رِخوةٌ ، بكسر الراء وفتحها ، والكسر أفْصَح[٢].

﴿حيث أصاب﴾ قال قتادة[٣]: يعني : حيث أراد ، وهي بلسان هَجر[٤] ﴿والشياطين كل بناءٍ وغواص﴾ يغوصون في البحر يستخرجون له اللؤلؤ ﴿وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾ في السلاسل ، ولم يكن يُسَخِّر منهم ويستعمل في هذه الأشياء ولا يصفِّد إلا الكفار ؛ فإذا آمنوا حلَّهم من تلك الأصفاد ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ تفسير بعضهم : فامْنُنْ فأعط من شئت أو أمسك عمَّن شئت بغير حساب (ل٢٩٥) أي : فلا حساب عليك في ذلك ولا حرج ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾ يعني : القربة في المنزلة ﴿وحسن مآب﴾ أي : وحسن مرجع ؛ يعني : الجنة .

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه ...﴾ الآية ، قال الحسن : إن إبليس قال : يا رب هل من عبيدك عبدٌ إن سلّطتني عليه امتنع مني؟ قال : نعم ؛ عبدي أيوب . فسلطه الله عليه ؛ ليجهد جهده

= على كرسيه جسدًا ...﴾ الآية ، فما يذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى : ﴿ولقد فتنا سليمان ...﴾ الآية ؛ من قصة الشيطان الذي أخذ الخاتم وجلس على كرسي سليمان وطرد سليمان عن ملكه ، حتى وجد الخاتم في بطن السمكة التي أعطاها من كان يعمل عنده بأجر مطرود عن ملكه ...إلى آخر القصة ، لا يخفى أنه باطل لا أصل له ، وأنه لا يليق بمقام النبوة ؛ فهو من الإسرائيليات التي لا يخفى أنها باطلة .

والظاهر في معنى الآية هو ما ذكرنا ، وقد دلت السنة الصحيحة عليه في الجملة ، واختاره بعض المحققين ، والعلم عند الله - تعالى .

(١) رواه عبد الرزاق (٢/١٦٦) والطبري (٢٣/١٦٠) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٤٦) لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ويقال أيضًا : رُخوة - بضم الراء - لغة ثالثة فيه . ينظر : لسان العرب (رخو) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٢/١٦٦) والطبري (٢٣/١٦١) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٤٦) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) وقيل : بلسان حمير . ينظر : الدر المصون (٥/٥٣٦) ، لسان العرب (صوب) .

ويضله ، فجعل يأتيه بوساوسه وحبائله وهو يراه عيانًا ؛ فلا يقدر منه على شيء ، فلما امتنع منه قال الشيطان : أي رب ، إنه قد امتنع مني ؛ فسلطني على ماله! فسلطه الله على ماله فجعل يهلك ماله صنفًا صنفًا ، فجعل يأتيه وهو يراه عيانًا فيقول : يا أيوب ، هلك مالك في كذا وكذا! فيقول : الحمد لله اللَّهم أنت أعطيتنيه وأنت أخذتهُ مني ، إن تبق لي نفسي أحمدك على بلائك . ففعل ذلك حتى أهلك ما له كله ، فقال إبليس : يا رب ، إن أيوب لا يبالي بماله فسلطني على جسده! فسلطه الله عليه ، فمكث سبع سنين وأشهرًا حتى وقعت الأكلة في جسده .

قال يحيى : وبلغني أن الدودة كانت تقع من جسده فيردّها مكانها ، ويقول : كلي مما رزقك الله .

قال الحسن : فدعا ربّه ﴿أني مسني الشيطان بنصبٍ وعذاب﴾ يعني : في جسده ، وقال في الآية الأخرى : ﴿أني مسّني الضرّ وأنت أرحم الراحمين﴾(١).

قال محمدٌ : النُّصْبُ والنَّصَبُ واحدٌ مثل حُزْن وحَزَن ، وهو العياء والتَّعَب(٢).

قال الحسن(٣): فأوحى الله إليه أن اركض برجلك ، فركض برجْله ركضة وهو لا يستطيع القيام ؛ فإذا عينٌ فاغتسل منها ، فأذهب الله ظاهر دائه ثم مشى على رجليْه أربعين ذراعًا ، ثم قيل له : اركض برجلك أيضًا ، فركض ركضةً أخرى ، فإذا عينٌ فشرب منها ، فأذهب الله باطن دائه وردّ عليه أهله وولده وأمواله من البقر والغنم والحيوان وكل شيءٍ هلك بعينه ، ثم أبقاه الله فيها حتى وهب له من نسولها أمثالها ، فهو قوله : ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمةً منا﴾ وكانوا ماتوا غير الموت الذي أتى على آجالهم تسليطًا من الله للشيطان ؛ فأحياهم الله فوفّاهم آجالهم .

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾

---

(١) الأنبياء : ٨٣.

(٢) لسان العرب (نصب) .

(٣) رواه عبد الرزاق (٢/١٦٧) والطبري (٢٣/١٦٧) .

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٤٨) لعبد بن حميد وابن جرير .

﴿وخذ بيدك ضغثًا فاضرب به ولا تحنث﴾ قال الحسن : إن امرأة أيوب [كانت][1] قاربت الشيطان في بعض الأمر ، ودعت أيوب إلى مُقَاربته ؛ فحلف بالله لئن الله عافاه أن يجلدها مائة جلدةً ، ولم تكن له نية بأي شيءٍ يجلدُها ، فمكث في ذلك البلاء حتى أذن الله له في الدعاء ، وتمَّتْ له النعْمة من الله والأجر ، فأتاه الوحي من الله ، وكانت امرأتُه مسلمة قد أحسنت القيامَ عليه ، وكانت لها عند الله منزلة ، فأوحى الله إليه أن يأخذ بيده ضغثًا - والضِّغْثُ : أن يأخذ قبضةً ، قال بعضهم : من (السُّنْبل وكانت مائة سُنبلة)[2] وقال بعضهم : من الأَسَل ، والأَسل : السَّمَارُ[3] - فيضربها به ضربة واحدة ففعل .

قال محمدٌ : روي أن امرأة أيوب قالت له : لو تقرَّبْتَ إلى الشيطان فذبحت له عناقًا[4]. فقال : ولا كفًّا من تراب ، فلهذا حلف أن يجلدها إن عُوفي .

﴿واذكر عبادنا﴾ يقوله للنبي ﷺ ﴿أولي الأيدي﴾ يعني : القوة في أمر الله ﴿والأبصار﴾ في كتاب الله .

قال محمدٌ : (الأيدي) بالياء وهو الاختيار في القراءة[5].

﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ يعني : الدار الآخرة ، والذكرى : الجنة .

قال محمدٌ : الاختيار في القراءة (بخالصة) غير منونة[6] وعلى هذه القراءة فسَّر يحيى الآية .

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من « ر » .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) وهو نبات من الفصيلة الأَسَلية ، ينبت في المناقع والأراضي الرطبة ، ويستعمل في صناعة الحصر والسِّلاَل . المعجم الوسيط (أسل ، سمر) .

(٤) الأنثى من أولاد المعز والغنم من حين الولادة إلى تمام حول . والجمع : أَعْنُق ، وعُنُق ، وعُنُوق . ينظر : لسان العرب ، المعجم الوسيط (عنق) .

قلت : وهذه الحكاية من الإسرائيليات المنكرة الظاهرة البطلان ، والله أعلم .

(٥) وهي قراءة العامة . وقرأ الحسن وعبد الله بن مسعود ، والأعمش وغيرهم (الأيد) بدون الياء .

ينظر : البحر (٧/٤٠٢) ، جامع القرطبي (١٥/ ٢١٧ - ٢١٨) ، المحتسب (٢/٢٣٣) .

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر ، وقرأ باقي السبعة بالجر والتنوين . ينظر : السبعة (٥٥٤) البحر (٧/٤٠٢) النشر (٢/ ٣٦١) .

﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين﴾ يعني : المختارين ، اختارهم الله للنبوة .

﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل﴾ قال مجاهد : إن ذا الكفل كان رجلاً صالحًا وليس بنبي تكفّل لنبي بأن يكفل له أمر قومه ، ويقضي بينهم بالعدل .

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

(ل٢٩٦) ﴿هذا ذكر﴾ يعني : القرآن ﴿وإن للمتقين لحسن مآب﴾ مرجع ﴿جناتُ عدن مفتحة لهم الأبواب﴾ .

قال محمدٌ : (جنات عدن) بدل من (حسن مآب)[1] ومعنى (مفتحة لهم الأبواب) : أي منها[2].

﴿متكئين فيها﴾ أي : على السرر فيها إضمار[3] ﴿وعندهم قاصراتُ الطرف﴾ يقصرن طرفَهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ﴿أتراب﴾ على سنّ واحدة بنات ثلاث وثلاثين سنة ﴿هذا ما توعدون﴾ يعني : ما وُصِفَ في الجنة ﴿ما له من نفاد﴾ انقطاعٌ .

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾

﴿هذا وإن للطاغين﴾ (للمشركين)[4] ﴿لشر مآب﴾ أي : مرجع ﴿هذا فليذوقوه حميمٌ وغساق﴾ فيها تقديمٌ : هذا حميمٌ وغساقٌ فليذوقوه « الحميم : الحارُ الذي لا يُسْتَطاع من حرّه ، قال

---

(١) ينظر : إعراب القرآن (٢/٧٨٠) ، البحر (٧/٤٠٥) معاني القرآن للفراء (٢/٤٠٨) ، مجمع البيان (٤/٤٨٠) .

(٢) أي : من الجنة .

(٣) أي : حذف ذكر السرر للعلم به ، والله أعلم .

(٤) سقط من « ر » .

عبدُ اللَّه بن عمرو : والغَسَّاق : القيْح الغليظ لو أن جَرَّة[١] منه تُهراق[٢] في المغرب لأنتنت أهْلَ المشرق ، ولو أن تهراق في المشرق لأنتنت أهل المغرب ﴿وآخر﴾ يعني : الزمهرير[٣] ﴿من شكله﴾ من نحوه ؛ أي : من نَحْو الحميم ﴿أزواجٌ﴾ ألوان .

﴿هذا فوجٌ مقتحمٌ معكم ...﴾ إلى قوله : ﴿فبئس القرار﴾ تفسير بعضهم يقول : جاءت الملائكة بفوج إلى النار فقالت للفوج الأول الذين دخلوا قبلهم : هذا فوجٌ مقتحم معكم! قال الفوج الأول : ﴿لا مرحبًا بهم إنهم صالوا النار﴾ قال الفوج الآخر : ﴿بل أنتم لا مرحبًا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار﴾ قال اللَّه : ﴿قالوا ربنا من قدّمَ لنا هذا فزده عذابًا ضعفًا في النار﴾ .

قال محمدٌ : قوله : ﴿من قدّم لنا هذا﴾ أي : من سَنَّهُ وشرعه .

وقوله : ﴿فزده عذابًا ضعفًا﴾ أي : زده على عذابه عذابًا آخر .

﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً﴾ لما دخلوا النار لمْ يَرَوهم معهم فيها فقالوا : ﴿ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار﴾ في الدنيا ﴿اتخذناهم سخريًا﴾ فأخطأنا ﴿أمْ زاغتْ عنهم الأبصار﴾ أي : أم هم فيها ولا نراهم؟ هذا تفسير مجاهد[٤]. قال : علموا بعد أنهم ليسوا معهم فيها .

قال محمدٌ : تقرأ (سخريًا) بضم السين وكسرها بمعنى واحدٍ من الهُزْء[٥]. وقد قيل : من ضَمَّ

---

(١) هو الإناء من الخزف . والجمع : جَرٌّ ، وجِرَار . لسان العرب ، المعجم الوسيط (جرر) . وَفي « ر » : جرعة .

(٢) أي : تراق . ويقال : أراق ، وهَرَق ، وأهْرَق وهَرَاق وأهراق . لغات فيه . لسان العرب (ريق ، هرق) .

(٣) هو شدة البرد . لسان العرب (زمهر) .

(٤) رواه الطبري (١٨١/٢٣ - ١٨٢) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٥١/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن عساكر أيضًا .

(٥) قرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين ، وقرأ الباقون بكسرها . ينظر : السبعة (٥٥٦) ، البحر (٤٧/٧) ، جامع القرطبي (٢٢٥/١٥) النشر (٣٢٩/٢) .

أوله جعله من السُّخرة ، ومن كسر جعله من الهُزْءِ[١]. وقرأ نافع ﴿أتخذناهم﴾ بألف الاستفهام[٢] قال الله : ﴿إنّ ذلك لحقّ تخاصُمُ أهل النار﴾ يعني : قول بعضهم لبعض في الآية الأولى .

﴿قل إنما أنا منذرٌ﴾ من النار ﴿وما من إله إلا الله الواحد القهارُ﴾ قهر العباد بالموت ، وبما شاء من أمره ﴿رب السمٰوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار﴾ لمن آمن[٣].

﴿قل هو نبأٌ عظيم﴾ يعني : القرآن ﴿أنتم عنه معرضون﴾ يعني : المشركين ﴿ما كان لي من علم بالملإ الأعلى﴾ يعني : الملائكة ﴿إذ يختصمون﴾ تفسير الحسن : اختصموا في خلق آدم ؛ قالوا فيما بينهم : ما الله خالقٌ خَلْقًا هو أكرم عليه منا .

قوله : ﴿إن يوحى إليّ إلا أنما أنا نذيرٌ مبينٌ﴾ كقوله : ﴿إنما أنت منذرٌ ولكل قوم هاد﴾[٤] النبي المنذر ، والله الهادي .

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالقٌ بشرًا من طين ...﴾ إلى قوله : ﴿وكان من الكافرين﴾ قد مضى تفسيره في سورة البقرة[٥] ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيديّ﴾ قال قتادة : إن

---

(١) ينظر : الألوسي (٢١٨/٢٣) . وقد تقدم التعليق على مثل ذلك عند قوله تعالى : ﴿فاتخذتموهم سخريًا﴾ [المؤمنون : ١١٠] .

(٢) وهي أيضًا قراءة ابن عامر وعاصم . وقرأ باقي السبعة (اتخذناهم) موصولة الألف . ينظر : البحر (٤٠٧/٧) ، التيسير (١٨٨) ، النشر (٣٦١/٢ - ٣٦٢) .

(٣) في « ر » : لمن تاب .

(٤) الرعد : ٧.

(٥) البقرة : ٣٠ - ٣٨.

كعبًا قال : إن اللَّه لم يخلق بيده إلا ثلاثة : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الجنة بيده ﴿أستكبرت﴾ يعني : تكبّرت .

قال محمدٌ : الاختيار في القراءة (أستكبرت) بفتح الألف على الاستفهام[١].

﴿فاخرج منها﴾ من السماء ﴿فإنك رجيم﴾ أي : ملعونٌ (رُجم باللعنة)[٢] ﴿وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾ وأبدًا في الإضمار ﴿قال رب فأنظرني﴾ أي : أخرني ﴿إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين﴾ .

قال محمدٌ : ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ يعني : النفخة الأولى ، وأراد عدو اللَّه أن يؤخر إلى النفخة الآخرة .

﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ .

قال محمدٌ : من قرأ (المخلصين﴾ بكسر اللام أراد : الذين أخلصوا دينهم للَّه ، ومن قرأ بالفتح ؛ فالمعنى : الذين أخلصهم اللَّه لعبادته[٣].

﴿قال فالحقّ والحقَّ أقولُ﴾ تفسير الحسن هذا قسمٌ ؛ يقول : (ل٢٩٧) حقًّا حقًّا لأملأن جهنّم .

وقرأ (الحكم بن عتيبة)[٤]: ﴿قال فالحقُّ والحقَّ أقول﴾ بمعنى : اللَّه الحقّ ، ويقول الحقَّ وهو قسمٌ أيضًا[٥].

﴿قُلْ مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

﴿قل ما أسألكم عليه﴾ على القرآن ﴿من أجر وما أنا من المتكلفين إن هو﴾ أي : القرآن ﴿إلا ذكرٌ﴾ أي : تفكُّر ﴿للعالمين﴾ يعني الغافلين ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ (أي ذلك يوم القيامة)[٦].

---

(١) وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير ؛ فقد قرأ ﴿استكبرت﴾ بألف الوصل . ينظر : السبعة (٥٥٦) ، البحر (٤١٠/٧) ، جامع القرطبي (٢٢٨/١٥) .

(٢) سقط من « ر » .

(٣) وقد تقدم التعليق على هذه القراءة ، وبيان وجوهها . ينظر (يوسف : ٢٤) ، و(الصافات : ٤٠) .

(٤) هو أبو محمد الكندي الكوفي . ثقة ثبت فقيه من الخامسة . مات سنة (٢٣ هـ) أو ما بعدها ، وله نيف وستون . ينظر : تقريب التهذيب (ص١٧٥) . وفي « ر » : عتيبة .

(٥) ينظر : البحر (٤١١/٧) ، جامع القرطبي (٢٢٩/١٥) ، إتحاف الفضلاء (٨٠٦/٢) ، الكشاف (٣٨٤/٣) .

(٦) في « ر » : بعد الموت .

سورة الزمر وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ① إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ② أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ③﴾

قوله: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ يعني: القرآن أنزله مع جبريل على محمدٍ عليه السلام.

قال محمدٌ: يجوزُ الرفع في ﴿تنزيلُ﴾ على معنى: هذا تنزيل[١].

﴿فاعبد الله مخلصًا له الدين﴾ أي: لا تشرك به شيئًا ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ يعني: الإسلام ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ أي: يتخذونهم آلهة يعبدونهم من دون الله ﴿ما نعبدهم﴾ أي: قالوا ما نعبدهم، فيها إضمار ﴿إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ قربى؛ زعموا أنهم يتقربون إلى الله بعبادة الأوثان لكي يصلح لهم معايشهم في الدنيا، وليس يقرون بالآخرة.

قال مجاهد[٢]: قريش يقولونه للأوثان، ومن قبلهم يقولونه للملائكة ولعيسى ابن مريم ولعُزَير.

﴿إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون﴾ يحكم بين المؤمنين والمشركين يوم القيامة، فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل المشركين النار ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذبٌ كفارٌ﴾ يعني: من يموت على كفره.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ④ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ⑤﴾

---

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع. ينظر: البحر (٧/٤١٤)، الدر المصون (٦/٣).

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٥/٣٥٥) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

﴿لو أراد اللَّه أن يتخذ ولدًا لاصطفى﴾ لاختار ﴿مما يخلق ما يشاء سبحانه﴾ ينزّه نفسه أن يكون له ولد ﴿الواحد القهار﴾ قهر العباد بالموت وبما شاء من أمره.

﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي: للبعث والحساب والجنة والنار ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ يعني: أخذ كل واحدٍ منهما من صاحبه ﴿وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسمى﴾ يعني: إلى يوم القيامة ﴿ألا هو العزيز الغفار﴾ لمن آمن.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿خلقكم من نفسٍ واحدةٍ﴾ آدم ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ حوّاء؛ من ضلعٍ من أضلاعه القُصيري من جنبه الأيسر ﴿وأنزل لكم﴾ أي: وخلق لكم ﴿من الأنعام ثمانية أزواج﴾ أصناف الواحد منها زوجٌ، هي الأزواج الثمانية التي ذكر في سورة الأنعام(١) ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق﴾ يعني: نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا ثم يُكسي العظام اللحم ثم الشعر ثم ينفخ فيه الروح ﴿في ظلمات ثلاث﴾ يعني: البطن والمشيمة والرحم ﴿فأنى تصرفون﴾ أيْ: أين يُذْهَبُ بكُمْ فتعبدون غيره وأنتم تعلمون أنه خلقكم وخلق هذه الأشياء؟! ﴿إن تكفروا فإن اللَّه غني عنكم﴾ أي: عن عبادتكم ﴿ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا﴾ تؤمنوا ﴿يرضَهُ لكم﴾.

﴿ولا تزر وازرةٌ وزرَ أخرى﴾ يعني: لا يحمل أحدٌ ذَنْبَ أحدٍ ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ يعني: بما في الصدور.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ

---

(١) الأنعام: ١٤٣.

لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾﴾

﴿وإذا مسّ الإنسان ضرٌّ﴾ يعني: مرضًا ﴿دعا ربه منيبًا إليه﴾ أي: دعاه بالإخلاص أن يكشف عنه ﴿ثم إذا خوله نعمة منه﴾ أي: عافاه من ذلك المرض ﴿نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾ هو كقوله: ﴿مرّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسّه﴾[١].

قال محمدٌ: كل شيءٍ أُعطيته فقد خُوِّلْتَه[٢] ومن هذا قول زهير:

هنالك إن يستخولوا المال يُخولوا وإن يسألوا يعطوا وإن يَيْسِرُوا يُغْلوا[٣]

ويقال: فلان يخول أهله إذا رعى غنمهم، أوما أشبه ذلك.

﴿وجعل لله أندادًا﴾ يعني: الأوثان؛ الندُّ في اللغة: العِدْلُ[٤] ﴿ليُضل عن سبيله﴾ أي: يتبعه على ذلك غيره ﴿قل﴾ يا محمدُ للمشرك: ﴿تمتع﴾ في الدنيا ﴿بكفرك قليلاً﴾ أي أن بقاءك في الدنيا قليل ﴿إنك من أصحاب النار﴾.

﴿أمَّن هو قانت﴾ يعني (مُصَلٍّ)[٥] ﴿آناء الليل﴾ يعني: ساعات الليل ﴿ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة﴾ أي: يخاف عذابها ﴿ويرجو رحمة ربه﴾ يعني: الجنة يقول: ﴿أمَّن هو قانت...﴾ إلى آخر الآية، كالذي جعل لله أندادًا فعبد الأوثان دوني، ليس مثله.

قال محمدٌ: أصل القنوت الطاعة، وقرأ نافع (أمن) بالتخفيف[٦].

(ل٢٩٨) ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ أي: هل يستوي هذا المؤمن الذي يعلم أنه ملاقٍ ربه، وهذا المشرك الذي جعل لله الأنداد؛ أي: أنهما لا يستويان ﴿إنما

---

(١) يونس: ١٢.

(٢) أي كل شيءٍ أُعطيته من غير مقتضٍ، ولا يستعمل في الجزاء، بل في ابتداء العطية. لسان العرب (خول).

(٣) ينظر ديوانه (١١٢)، مجاز القرآن (١٨٨/٢)، القرطبي (٢٣٧/١٥) اللسان (خول).

(٤) العِدْل بكسر العين: المثل والنظير، وهو أيضًا النِّديد. لسان العرب (عدل، ندد).

(٥) سقط من «ر».

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وحمزة. ينظر: السبعة (٥٦١)، البحر (٤١٨/٧)، التيسير (١٨٩)، النشر (٣٦٢/٢).

يتذكر﴾ إنما (يقبل)[١] التذكرة ﴿أولو الألباب﴾ أصحاب العقول ؛ وهم المؤمنون .

﴿للذين أحسنوا﴾ آمنوا ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ أي : في الآخرة ؛ وهي الجنة ﴿وأرض الله واسعة﴾ هو كقوله : ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾[٢] في الأرض التي أمركم أن تهاجروا إليها ؛ يعني : المدينة ﴿إنما يُوَفى الصابرون﴾ يعني : الذين صبروا على طاعة الله ﴿أجرهم﴾ الجنة ﴿بغير حساب﴾ يقول : لا حساب عليهم في الجنة ، كقوله : ﴿يرزقون فيها بغير حساب﴾[٣].

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

﴿وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾ من هذه الأمّة .

﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي﴾ بمتابعتكم على ما تدعونني إليه من عبادة الأوثان ﴿عذاب يوم عظيم﴾ يعني : جهنم ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ وهذا وعيد ؛ أي : أنكم إن عبدتم من دونه عذّبكم ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم ...﴾ الآية ، جعل الله لكل أحدٍ منزلاً في الجنة وأهلاً ؛ فمن عمل بطاعة الله كان له ذلك المنزل والأهل ، ومن عمل بمعصية الله صيَّره الله إلى النار ، وكان ذلك المنزل والأهل ميراثًا لمن عمل بطاعة الله إلى منازلهم وأهليهم التي جعل الله لهم ، فصار جميع ذلك لهم .

﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظللٌ﴾ كقوله : ﴿لهم من جهنم مهادٌ ومن فوقهم غواشٍ﴾[٤].

﴿ذلك﴾ الذي ﴿يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون﴾ .

---

(١) في « ر » : يتقبل .
(٢) العنكبوت : ٥٦.
(٣) غافر : ٤٠.
(٤) الأعراف : ٤١.

قال محمدٌ : قوله : ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾ موضع (ذلك) رفعٌ بالابتداء المعنى ذلك الذي ذكرنا من العذاب يخوف الله به عباده ، وقوله (يا عبادِ) قراءة نافع بحذف الياء ؛ وهو الاختيار عند أهل العربية(١).

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾

﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ (يعني : الشياطين)(٢) ﴿أن يعبدوها﴾ وذلك أن الذين يعبدون الأوثان إنما يعبدون الشياطين ؛ لأنهم هم دعوهم إلى عبادتها ﴿وأنابوا إلى الله﴾ أقبلوا مخلصين إليه ﴿لهم البشرى﴾ يعني الجنة ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ أي : بشرهم بالجنة ، والقول كتاب الله ، واتِّباعهم لأحسنه أن يعملوا بما أمرهم الله به فيه ، وينتهوا عما نهاهم الله عنه فيه .

﴿أفمن حق عليه﴾ أي : سبقت عليه ﴿كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار﴾ أي : تهدي من وجب عليه العذاب ؛ أي : لا تهديه ﴿لهم غرفٌ من فوقها غرفٌ مبنية﴾ .

قال محمدٌ : قيل المعنى : لهم ؛ منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها ﴿وعد الله﴾ الذي وعد المؤمنين ، يعني الجنة .

قال محمدٌ : القراءة ﴿وعد الله﴾ بالنصب بمعنى وعدهم الله وعدًا(٣).

﴿فسلكه ينابيع في الأرض﴾ والينابيع : العيون(٤) ﴿ثم يخرج به زرعًا مختلفًا ألوانه ثم يهيج فتراه

---

(١) وهي أيضًا قراءة : حمزة وعاصم والكسائي وابن عامر . ينظر : السبعة (٥٦١)، النشر (٢/٣٦٤)، التيسير (٦٧، ١٨٩).

(٢) سقط من « ر » .

(٣) وهي قراءة العامة ، وقد تقدم مثله مرارًا . وينظر الدر المصون (٦/١٢) .

(٤) واحدها ينبوع . لسان العرب (نبع) .

مصفرًا ثم يجعله حطامًا﴾ كقوله : ﴿واضربْ لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأُصبح هشيمًا تذروه الرياح﴾(١).

قال محمدٌ : قوله : ﴿ثم يهيج﴾ أي : يجفُّ ، يقال للنبت إذا تم جفافه : قد هاج النبت يهيج ، وهاجت الأرض إذا ذَوَى ما فيها من الخُضَر(٢) والحطام : ما تفتت وتكسَّر من النبت وغيره(٣).

﴿إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب﴾ العقول ؛ وهم المؤمنون يتذكرون فيعلمون أنّ ما في الدنيا ذاهبٌ .

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿أفمن شرح اللّه صدره للإسلام﴾ أي : وسَّع ﴿فهو على نورٍ من ربه﴾ أي : ذلك النور في قلبه ﴿فويلٌ للقاسية قلوبهم .. ﴾ الآية ؛ أي : أن الذي شرح اللّه صدره للإسلام فهو على نور من ربه ليس كالقاسي قلبه الذي هو في ضلال مبين عن الهدى ؛ يعني : المشرك وهذا على الاستفهام يقول : ﴿هل يستويان﴾ أي : أنهما لا يستويان .

﴿اللّه نزل أحسن الحديث﴾ يعني : القرآن ﴿كتابًا متشابهًا﴾ يعني : يشبه بعضه بعضًا في نوره وصدقه وعدله ﴿مثاني﴾ يعني : ثنى اللّه فيه القصص عن الجنة في هذه السورة ، وثنى ذكرها في سورة أخرى ، وذكر النار في هذه (ل٢٩٩) السورة ثم ذكرها في غيرها من السور ؛ هـذا تفسير الحسن .

---

(١) الكهف : ٤٥. ووردت في الأصل و «ر» : إنما مثل الحياة الدنيا ...إلخ .

(٢) لسان العرب (هيج) .

(٣) لسان العرب (حطم) .

قال محمدٌ : ﴿مثاني﴾ نعت قوله (كتابًا) ولم ينصرف ؛ لأنه جمع ليس على مثال الواحد[١].

﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ إذا ذكروا وعيد اللَّه [فيه][٢] ﴿ثم تلين جلودُهم وقلوبهم إلى ذكر اللَّه﴾ إذا ذكروا أعمالهم الصالحة ، لانت قلوبهم وجلودهم إلى وعد اللَّه الذي وعدهم .

قال محمدٌ : وقيل : المعنى : إذا ذكرت آيات العذاب ، اقشعرت جلود الخائفين للَّه ، ثم تلين جلودُهم وقلوبهم إذا ذكرت آيات الرحمة .

﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب﴾ أي : شدته أول ما تصيب منه النار إذا أُلْقي فيها وجهه ؛ لأنه يكبُّ على وجهه ﴿خيرٌ أمن يأتي آمنًا﴾ أي : أنهما لا يستويان ﴿وقيل للظالمين﴾ المشركين : ﴿ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ أي : جزاء ما كنتم تعملون ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ يعني : من قبل قومك يا محمدُ .

﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ جاءهم فجأة ﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾ من عذاب الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لعلموا أن عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا .

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتذكروا ؛ فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بالذين من قبلهم ﴿قرآنًا عربيًا غير ذي عوج﴾ أي : ليس [فيه عوج][٣] ﴿لعلهم يتقون﴾ لكي يتقوا .

قال محمدٌ : (عربيًا) منصوبٌ على الحال ، المعنى : ضربنا للناس في هذا القرآن في حال عربيته وبيانه ، وذكر (قرآنًا) توكيدًا[٤].

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في الدر المصون (١٣/٦) .

(٢) سقط من الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٣) وفي ذلك تفصيل نحوي ينظر : المصدر السابق .

﴿ضرب الله مثلاً رجلاً﴾ يعني : المشرك ﴿فيه شركاء متشاكسون﴾ يعني : أوثانًا ؛ هم شتّى .

﴿ورجلاً سلمًا لرجل﴾ يعني : المؤمن يعبد الله وحده ﴿هل يستويان مثلاً﴾ أي : أنهما لا يستويان .

قال محمدٌ : ﴿متشاكسون﴾ معناه : مختلفون لا يتفقون(١).

ويقال للعسير(٢): شَكِس الرجل شَكْسًا(٣)، ومن قرأ ﴿ورجلاً سلمًا﴾ فالمعنى : ذا سلمٍ وهو مصدر وُصِفَ به ، وأصلُ الكلمة من الاستسلام(٤).

﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ تفسير الحسن : يخاصم النبيُ والمؤمنون المشركين .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فمن أظلم ممّن كذب على الله﴾ فعبد الأوثان ، وزعم أن عبادتها تقرب إلى الله ﴿وكذّب بالصدق إذ جاءه﴾ يعني : القرآن الذي جاء به محمد ؛ أي : لا أحد أظلم منه ﴿أليس في جهنم مثوى﴾ أي : منزلاً ﴿للكافرين﴾ أي : بلى فيها منزل للكافرين ﴿والذي جاء بالصدق﴾ محمدٌ

---

(١) وقيل : مختلفون عَسِرُو الأخلاق . والواحد : مُتَشاكِس . لسان العرب (شكس) .

(٢) العسير : هو سيء الخلق . لسان العرب (عسر) . وفي « ر » : للعسر .

(٣) فهو شَكْس ، وقوم شُكْس ، وحكى الفراء : رجل شَكِس بكسر الكاف وهو القياس . ينظر لسان العرب ، مختار الصحاح (شكس) .

(٤) قرأ ابن عامر ، ونافع ، وحمزة والكسائي (سَلَمًا) بفتح السين واللام ، وقرأ سعيد بن جبير وعكرمة (سِلْمًا) بكسر السين وإسكان اللام . وهاتان القراءتان يؤيدهما المعنى الذي ساقه المصنِّف بَعْدُ أما بقية السبعة فقد قرءوا (سالمًا) .

ينظر : السبعة (٥٦٢) ، التيسير (١٨٩) ، البحر (٧/٤٢٤) وينظر التوجيه النحوي من البحر (٧/٤٢٤) ، الدر المصون (٦/١٥) .

جاء بالقرآن ﴿وصدق به﴾ يعني: المؤمنين؛ صدَّقوا بما جاء به محمد ﴿أولئك هم المتقون﴾.

﴿أليس الله بكاف عبده﴾ يعني: محمدًا؛ يكفيه المشركين حتى لا يصلُوا إليه ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ يعني: الأوثان.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ...﴾ يعني: أوثانهم، الآية.

يقول: لا يقدرن أن يكشفن ضرًّا، ولا يمسكن رحمة ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ أي: فكيف تعبدون الأوثان من دونه، وأنتم تعلمون أنه هو الذي خلق السموات والأرض ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي: على شرككم ﴿إني عامل﴾ على ما أنا عليه من الهدى ﴿فسوف تعلمون﴾ وهذا وعيدٌ ﴿من يأتيه عذابٌ يخزيه﴾ يعني: النفخة الأولى التي يهلك بها كفار آخر هذه الأمة ﴿ويحل عليه عذاب مقيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أي: بحفيظ لأعمالهم حتى تجازيهم بها، والله هو الذي يجزيهم بها ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ أي: ويتوفى التي لم تمت؛ أي: يتوفاها في منامها ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ أي: فيميتها.

قال محمدٌ: (فيمسكُ) بالرفع هي قراءة نافع[1].

---

(١) وهي قراءة العامة. ينظر: البحر (٧/٤٣١)، البيان (٢/٣٢٤).

﴿ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾ إلى الموت ؛ وذلك أن الإنسان إذا نام خرجت النفس وتبقى الروح فيكون بينهما مثل شعاع الشمس ، وبلغنا أن الأحلام التي يرى النائم هي في تلك الحال ؛ فإن كان ممن كتب اللّه عليه الموت في منامه خرجت الروح إلى النفس ، وإن كان ممن لم يحضر أجله رجعت النفس إلى الروح فاستيقظ .

﴿إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون﴾ وهم المؤمنون ﴿أم اتخذوا من دون اللّه شفعاء﴾ أي : قد اتخذوهم ؛ ليشفعوا لهم (ل ٣٠٠) زعموا ذلك لدنياهم ليصلحها لهم ولا يقرون بالآخرة ﴿قل﴾ يا محمد : ﴿أو لو كانوا﴾ (يعني : أوثانهم)[1] ﴿لا يملكون شيئًا ولا يعقلون﴾ (أي : أنهم لا يملكون شيئًا ولا يعقلون)[1] ﴿قل للّه الشفاعة جميعًا﴾ أي : لا يشفع أحدٌ يوم القيامة إلا بإذنه ، يأذن لمن يشاء من الملائكة والأنبياء والمؤمنين أن يشفعوا للمؤمنين فيشفعهم فيهم .

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وإذا ذُكِرَ اللّه وحده اشمأزت﴾ انقبضت ﴿قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذُكِرَ الذين من دونه﴾ أي : الذين يعبدون من دونه ؛ يعني : الأوثان ﴿إذا هم يستبشرون﴾ .

قال محمدٌ : يقال لمن ذُعر من شيء : اشمأزّ اشمئزازًا[2].

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ الغيب : السر ، والشهادة : العلانية ﴿أنت تحكم بين عبادك﴾ يعني : المؤمنين والمشركين ؛ فيكون حكمه بينهم أن يدخل المؤمنين الجنة ويدخل المشركين النار .

﴿وبدا لهم من اللّه ما لم يكونوا يحتسبون﴾ يعني : لم يكونوا يحتسبون أنهم مبعوثون ومعذَّبون .

---

(١) سقط من « ر » .
(٢) وشُمَأْزِيزة . لسان العرب (شمز) .

﴿وحاق بهم﴾ وجب عليهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: جزاء ذلك الاستهزاء وهي جهنم بعد عذاب الدنيا.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ثم إذا خوّلناه﴾ أعطيناه ﴿نعمة منا﴾ أي: عافية ﴿قال إنما أوتيته﴾ أعطيته ﴿على علم﴾ تفسير مجاهد يقول: هذا [بعلمي][1] (كقوله: ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسّته ليقولن هذا لي﴾[2] أي: أنا محقوقٌ بهذا)[3].

قال الله: ﴿بل هي فتنةٌ﴾ يعني: بليّة ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: جماعة المشركين.

قال محمد: قيل: المعنى: تلك العطيّة بلوى من الله يبتلي بها العبد ليشكر أو يكفر.

﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ من المشركين؛ يعني: هذه الكلمة.

﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ من أموالهم ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ ما عملوا من الشرك؛ يقول: نزل بهم جزاء أعمالهم؛ يعني: الذي أهلك من الأمم ﴿والذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿من هؤلاء﴾ يعني: هذه الأمة ﴿سيصيبهم سيئات ما كسبوا﴾ يعني: الذين تقوم عليهم الساعة كفار آخر هذه الأمة، وقد أهلك أوائلهم؛ أبا جهل وأصحابه بالسيف يوم بدر ﴿وما هم بمعجزين﴾ أي: بالذين يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنبعثهم ثم نعذبهم ﴿أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي: بلى قد علموا.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾

(١) في الأصل: بعملي.

(٢) فصلت: ٥٠.

(٣) سقط من «ر».

وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿قل يا عباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ بالشرك ﴿لا تقنطوا ...﴾ تيأسوا. الآية.

تفسير الحسن قال: لما نزل في قاتل المؤمن والزاني وغير ذلك ما نزل خاف قوم أن يؤخذوا بما عملوا في الجاهلية، فقالوا: أينا لم يفعل فأنزل الله: ﴿قل يا عباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ [بالشرك][1] ﴿لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا﴾ التي كانت في الشرك ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ وأنزل ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر﴾ أي: بعد إسلامهم ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ أي: بعد إسلامهم ﴿ولا يزنون ...﴾ أي: بعد إسلامهم إلى قوله: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا ...﴾ الآية[2]، وقد مضى تفسيرها ﴿وأنيبوا إلى ربكم﴾ يقوله للمشركين: أَقبِلُوا إلى ربكم بالإخلاص له ﴿واتبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربكم﴾ وهو أن يأخذوا بما أمرهم الله به، وينتهوا عما نهاهم الله عنه ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة﴾ فجأة ﴿وأنتم لا تشعرون﴾.

﴿أن تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾ أي: في أمر الله ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ أي: كنت أسخر في الدنيا بالنبي والمؤمنين.

قال محمدٌ: ﴿أن تقول نفسٌ﴾ معناه: خَوْفَ أن تقول نفسٌ إذا صارت إلى (حال)[3] الندامة، والاختيار في القراءة: (يا حسرتا)[4].

﴿أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) الفرقان: ٦٨.

(٣) في «ر»: حين.

(٤) وهي قراءة السبعة، وأمالها حمزة والكسائي. ينظر: البحر (٧/٤٣٥)، النشر (٢/٣٦٣)، إتحاف الفضلاء (٣٧٦).

﴿هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿أو تقول حين ترى العذاب﴾ حين تدخل في العذاب : ﴿لو أن لي كرة﴾ إلى الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ يعني : المؤمنين ، قال الله : ﴿بلى قد جاءتك آياتي ...﴾ الآية .

﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوهُهُم مسودةٌ﴾ .

[قال محمد : ﴿وجوههم مسودة﴾][(١)] رفع على الابتداء ، ولم يعمل الفعل (والخبر)[(٢)] ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ (ل ٣٠١) عن عبادة الله بلى لهم فيها مثوى يثوون فيها أبدًا .

﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾ بمنجاتهم ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ حفيظ .

﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ يعني : مفاتيح .

قال محمدٌ : واحد المقاليد : إقليد[(٣)].

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾ يعني : المشركين دَعَوْهُ إلى عبادة الأوثان .

قال محمدٌ : قد مضى في سورة الأنعام ذكر الاختلاف في قراءة ﴿تأمروني﴾[(٤)].

---

(١) سقط من الأصل

(٢) سقط من « ر » والمراد أن الفعل (رأى) بَصَري لا عِلْمي ، فلم ينصب مفعولين . وعليه لم ينتصب (مسودة) بل رفع على الابتداء . ينظر : إعراب القرآن (٨٢٧/٢) ، البحر (٤٣٧/٧) ، البيان (٣٢٥/٢) .

(٣) ويقال : واحده : مِقْلاد أو مِقْليد ، أما إقليد فهو واحد أقاليد ، وهو فارسي معرب . ينظر لسان العرب (قلد) ، الدر المصون (٢١/٦) .

(٤) قرأ نافع : (تأمرونيَ) ، وقرأ ابن كثير (تأمرونّيَ) ، وقرأ ابن عامر (تأمُرُونَنِي) ، وقرأ أيضًا (تأمُرُوني) ، وقرأ الباقون : (تأمُرُونِّي) . ينظر السبعة (٥٦٣) ، البحر (٤٣٩/٧) ، النشر (٣٦٣/٢ - ٣٦٤) ، الإتحاف (٣٧٧) .
وانظر كلام المصنف عليها في تفسير سورة الأنعام ، الآية : ٨٠.

﴿وما قدروا اللّه حق قدره﴾ ما عظموا اللّه حق عظمته إذ عبدوا الأوثان من دونه ﴿والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسمٰوات مطويات بيمينه﴾ .

يحيى : عن عثمان البري ، قال : حدثني نافع ، قال : حدّثني عبد اللّه بن عمر قال : سمعت رسول اللّه يقول : « إن الرحمن يطوي السمٰوات يوم القيامة بيمينه ، والأرضين بالأخرى ثم يقول : أنا الملك ، أنا الملك ، أنا الملك »[1].

﴿سبحانه﴾ ينزّه نفسه ﴿وتعالى﴾ ارتفع ﴿عما يشركون﴾ .

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ونفخ في الصور﴾ والصور قرن ينفخ فيه صاحبُ الصُّور ﴿فصعق﴾ أي : فمات ﴿من في السمٰوات ومن في الأرض﴾ وهذه النَّفْخة الأولى ﴿إلا من شاء اللّه﴾ تفسير الحسن : استثنى طوائف من أهل السماء يموتون بين النفختين .

---

(١) رواه البخاري (١٣/٤٠٤ رقم ٧٤١٢) والطبري في تفسيره (٢٤/٢٧) وأبو الشيخ في العظمة (٢/٤٤٠ - ٤٤٢ رقم ١٣٢، ٢/٤٥٨ - ٤٥٩ رقم ١٤٠) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/٤١٧ - ٤١٨ رقم ٧٠٢، ٧٠٣) من طرق عن نافع به .

ورواه الإمام أحمد (٢/٧٢) ومسلم (٤/٢١٤٨ - ٢١٤٩ رقم ٢٧٨٨) والنسائي في الكبرى (٤/٤٠٠ رقم ٧٦٨٩، ٤/٤٠٢ رقم ٧٦٩٥، ٧٦٩٦) وابن ماجه (١/٧١ - ٧٢ رقم ١٩٨، ٢/١٤٢٩ رقم ٤٢٧٥) والطبري في تفسيره (٢٤/٢٦ - ٢٧) وابن خزيمة في التوحيد (١/١٧٠ - ١٧٣ رقم ٩٥، ٩٧) وابن حبان (١٦/ ٣١٦ رقم ٧٣٢٤، ١٦/٣٢٢ رقم ٧٣٢٧) وابن منده في الرد على الجهمية (٧٤ - ٧٥ رقم ٤٦) وغيرهم من طريق عبيد اللّه بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما .

ورواه مسلم (٤/٢١٤٨ رقم ٢٤/٢٧٨٨) وأبو داود (٥/٢٤١ رقم ٤٦٩٩) وعبد بن حميد (٢٤١ - ٢٤٢ رقم ٧٤٢) وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٤١ رقم ٥٤٧) والطبري في تفسيره (٢٤/٢٨) وغيرهم من طريق سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وقال ابن منده : وهذا حديث ثابت باتفاق .

وعلقه البخاري (١٣/ ٤٠٤ رقم ٧٤١٣) من هذا الطريق .

وفي الباب عن غير واحد من الصحابة ، خرجتها في تخريجي لأحاديث التوحيد لابن خزيمة .

قال يحيى : وبلغني أن آخر من يبقى منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، ثم يموت جبريل وميكائيل وإسرافيل ، ثم يقول الله لملك الموت : مُتْ فيموت[١].

﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ وهذه النفخة الآخرة ﴿فإذا هم قيامٌ ينظرون﴾ وبين النفختين أربعون سنةً ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب﴾ الذي كتبته الملائكة عليهم ﴿وجيء بالنبيين﴾ الذين بعثوا إليهم ﴿والشهداء﴾ يعني : الملائكة الحفظة ﴿وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾ .

قال يحيى : بلغنا أنهم يقومون مقدار ثلاثمائة سنة قبل أن يفصل بينهم .

﴿ووفيت كل نفسٍ ما عملت﴾ أما المشركون فليس يعطون في الآخرة بأعمالهم الحسنة شيئًا : قد جوزوا بها في الدنيا ، وأما المؤمنون فيوفون حسناتهم في الآخرة[٢]، وأما سيئاتهم فإنه يحاسب العبد بالحسنات والسيئات ؛ فإن فضلت حسناته سيئاته بحسنة واحدة ضاعفها الله له ، وهو قوله :

---

(١) هذا لا أعلمه ورد إلا في حديث الصور الطويل ، وقد رواه إسحاق بن راهوية في مسنده (١/٨٤ - ٩٥ رقم ١٠) والطبراني في الأحاديث الطوال (٢٥/٢٦٦ - ٢٧٧ رقم ٢٦) وغير واحدٍ من الأئمة ، وقال عنه ابن كثير في تفسيره (٢/١٤٩) : قال : هذا حديث مشهور ، وهو غريب جدًا ، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة ، وفي بعض ألفاظه نكارة ، تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة وقد اختلف فيه ، فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه ، ونص على نكارة حديثه غير واحدٍ الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس ، ومنهم من قال فيه : هو متروك . وقال ابن عدي : أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يُكتب حديثه في جملة الضعفاء .
قلت : وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوهٍ كثيرة ، قد أفردتها في جزء على حدةٍ ، وأما سياقه فغريب جدًا ، ويقال : إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقًا واحدًا ؛ فأنكر عليه بسبب ذلك ، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول أنه رأى للوليد بن مسلم مصنفًا قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث ؛ فالله أعلم . اهـ .
وانظر النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (٢/٢٢٣ - ٢٢٤) وفتح الباري (١١/٣٧٦) .
وروى الطبري في تفسيره (٢٤/٢٩) من طريق الفضل بن عيسى ، عن عمه يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ نحوه .
وضعفه ابن حجر في الفتح (١١/٢٧٨) ، وذكر له طريقًا آخر عند البيهقي وابن مردويه وضعف سنده أيضًا .
وانظر الدر المنثور (٥/٣٧٠) .

(٢) روى الإمام أحمد (٣/١٢٣) ومسلم (٤/٢١٦٢ - ٢١٦٣ رقم ٢٨٠٨) عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله : « إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة ، يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها » .

﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها﴾[١] وإن استوت حسناته وسيئاته فهو من أصحاب الأعراف يصير إلى الجنة، وإن زادت سيئاته على حسناته فهو في مشيئة الله.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرًا ...﴾ أي: فوجًا فوجًا، إلى قوله: ﴿بئس مثوى المتكبرين﴾ يعني: عن عبادة الله.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا ...﴾ إلى قوله: ﴿سلام عليكم طبتم﴾.

يحيى: عن نعيم بن يحيى، عن زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق الهمداني، عن عاصم بن ضمرة، عن علي قال: «إذا توجهوا إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان؛ فيشربون من إحداهما[٢]، فتجري عليهم بنضرة النعيم، فلا تُغَيَّر أبشارهم ولا تشعَّث أشعارهم بعدها أبدًا، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من أذى، ثم تستقبلهم الملائكة - خزنة الجنة - فتقول لهم: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾»[٣].

---

(١) النساء: ٤٠.

(٢) كذا في الأصل و «ر»، وهو خلاف الجادة.

(٣) رواه المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٥٠٨ - ٥٠٩ رقم ١٤٥٠) من طريق زكريا بن أبي زائدة به.
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١٧٦/٢) وابن أبي شيبة في المصنف (١١٢/١٣ - ١١٤ رقم ١٥٨٥١) وإسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (١٣٤/٥ - ١٣٥ رقم ٤٥٩٢) والبغوي في الجعديات (٩٢٦/٢ - ٩٢٧ رقم ٢٦٦٣) والمروزي في زوائد الزهد (٥٠٨ - ٥٠٩ رقم ١٤٥٠) والطبري في تفسيره (٣٥/٢٤) وأبو نعيم في =

﴿وأورثنا الأرض﴾ يعني : أرض الجنة ﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ أي : ننزل ﴿فنعم أجر العاملين﴾ في الدنيا ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ أي : مُحْدِقين ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي : فُصِلَ ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ قاله المؤمنون ؛ حمدوا الله على ما أعطاهم .

= صفة الجنة (١٢٣/٢ - ١٢٧ رقم ٢٨٠، ٢٨١) والضياء في المختارة (١٦٠/٢ - ١٦٣ رقم ٥٤١، ٥٤٢) من طرق عن أبي إسحاق السبيعي به .

وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (١٣٥/٥) : هذا حديث صحيح ، وحكمه حكم المرفوع ؛ إذ لا مجال للرأي في مثل هذه الأمور .

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢٣٢/٨) : رواه إسحاق بن راهويه بسند صحيح ، وحكمه حكم المرفوع ؛ إذ ليس للرأي فيه مجال .

قلت : لهذا خرجه الحافظ الضياء في المختارة ، وذكر عن الحاكم قوله : قد اتفقا - يعني : البخاري ومسلمًا - أن تفسير الصحابي حديث مسند . اهـ .

ورواه الطبري في تفسيره (٣٥/٢٤ - ٣٦) من طريق السدي قال : ذكر أبو إسحاق عن الحارث عن علي ﷺ ...فذكره مطولاً .

ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (١٢٧/٢) من طريق حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي ﷺ .

فخالف السديُّ وحمزةُ الزيات - في روايته هذه - الجماعة الذين رووه عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي - ومنهم السفيانان ، وإسرائيل وزهير بن معاوية ومعمر - فجعلاه عن الحارث الأعور عن علي ﷺ .

تفسير حم المؤمن(١)
وهي مكية كلها

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤﴾

قوله : ﴿حم﴾ قال الحسن : ما أدري ما تفسير (حم) و(طسم) وأشباه ذلك ، غير أن قومًا من السلف كانوا يقولون : أسماء السور وفواتحها .

﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن ﴿من الله العزيز﴾ في ملكه ﴿العليم﴾ بخلقه ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾ لمن لم يؤمن ﴿ذي الطول﴾ الغنى ﴿ما يجادل﴾ (ل٣٠٢) يماري ﴿في آيات الله﴾ فيجحدها ﴿إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلّبهم﴾ إقبالهم وإدبارهم ﴿في البلاد﴾ يعني : الدنيا بغير عذاب ؛ فإن الله معذّبهم .

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾

﴿كذبت قبلهم﴾ قبل قومك يا محمد ﴿قوم نوح والأحزاب من بعدهم﴾ يعني : عادًا وثمود ، ومن بعدهم الذين أخبر بهلاكهم لتكذيبهم رسلهم ﴿وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه﴾ فيقتلوه ﴿وجادلوا﴾ خاصموا ﴿بالباطل﴾ بالشرك جادلوا به الأنبياء والمؤمنين ﴿ليدحضوا به﴾ أي : يذهبوا به ﴿الحق﴾ يعني : الإيمان .

---

(١) أي : سورة غافر .

﴿فأخذتهم بالعذاب فكيف كان عقاب﴾ أي: كان شديدًا ﴿وكذلك حقت كلمات[1] ربك﴾ أي: سبقت.

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ۝١٠ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ۝١١ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ۝١٢﴾

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾ أي: ومن حول العرش ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ يقولون: ﴿ربنا وسعت كل شيء﴾ أي: ملأت كل شيء ﴿رحمةً وعلمًا فاغفر للذين تابوا﴾ من الشرك ﴿واتبعوا سبيلك﴾ يعني: الإسلام.

﴿ومن صلح﴾ أي: من آمن ﴿من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾.

﴿وقهم السيئات﴾ يعني: جهنم هي جزاء الشرك ﴿ومن تق السيئات﴾ أي: تصرف عنه ﴿إن الذين كفروا ينادون﴾ وهم في النار: ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ أي: لمقت الله إياهم في معصيته أكبر من مقتهم أنفسهم في النار، وذلك أن أحدهم يمقت نفسه ﴿إذ تدعون إلى الإيمان﴾ في الدنيا ﴿فتكفرون﴾ ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ وهو قوله في سورة البقرة: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾[2].

يقول: كنتم أمواتًا في أصلبة آبائكم نطفًا ﴿فأحياكم﴾ يعني: هذه الحياة الدنيا ﴿ثم يميتكم﴾

(١) هكذا في الأصل: (كلمات) جمعًا؛ وهي قراءة نافع وابن عامر. ينظر: البحر (٧/ ٤٥٠)، السبعة (٥٦٧)، التيسير (١٢٢)، الإتحاف (٣٧٧).

(٢) البقرة: ٢٨.

يعني : موتهم ﴿ثم يحييكم﴾ يعني : البعث .

﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾ تفسير الحسن : فيها إضمار (قال الله : لا) ثم قال : ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا﴾ تصدقوا بعبادة الأوثان .

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾

قوله : ﴿هو الذي يريكم آياته﴾ ما أراه العبادَ من قدرته ﴿وينزل لكم من السماء رزقًا﴾ المطر ؛ يعني : فيه أرزاق العباد ﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾ يخلص لله ﴿رفيع الدرجات﴾ هو رفيع الدرجات درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذو العرش﴾ رب العرش ﴿يلقي الروح﴾ ينزل الوحي ﴿لينذر يوم التلاق﴾ [يوم القيامة](١) يوم يلتقى فيه الخلائق : أهل السماء وأهل الأرض عند الله .

قال محمد : الاختيار في القراءة بالياء ، وقرأ نافع بغير ياء(٢).

﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم﴾ يقول : لمن الملك اليوم؟ يسأل الخلائق فلا يجيبه أحد ، فيرد على نفسه فيقول : ﴿لله الواحد القهار﴾ قهر العباد بالموت ، وبما شاء من أمره قال بعضهم : هذا بين النفختين حين لا يبقى أحد غيره .

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

﴿اليوم﴾ يعني : في الآخرة ﴿تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من « ر » .

(٢) وقرأ نافع أيضًا بإثبات الياء في ﴿التلاق﴾ وصلا في رواية ورش عنه ، وقيل عن قالون عنه أيضًا . انظر النشر (٣٦٦/٢) والكنز (٢٣٢) ، والإتحاف (٤٨٤) .

سمعت بعض الكوفيين يقول : يفرغ من حساب الخلائق في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا إذا أخذ في حساب الخلائق وعرضهم .

﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ يعني : القيامة ﴿إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾ قال قتادة[١]: انتزعت القلوب فغصّت بها الحناجر ، فلا هي تخرج ولا هي ترجع إلى أماكنها .

يحيى : عن أبان بن أبي عياش ، عن أبي العالية الرياحي ، عن أبيّ بن كعب قال : « يجيء الرب - تبارك وتعالى - يوم القيامة في ملائكة السماء السابعة ، لا يعلم عددهم إلا الله ، فيؤتى بالجنة مفتحة أبوابها يراها كل برّ وفاجر ، عليها ملائكة الرحمة حتى توضع عن يمين العرش ، فيوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام . قال : ويؤتى بالنار تُقَاد بسبعين ألف زمام يقود كل زمام سبعون ألف ملك (مفتحة)[٢] أبوابها ، عليها ملائكة سود ، معهم السلاسل الطوال ، والأنكال[٣] الثقال وسرابيل القطران ، ومقطعات النيران ، لأعينهم لمع كالبرق ، ولوجوههم لهب كالنار ، شاخصة أبصارهم ، لا ينظرون إلى ذي العرش [تعظيمًا له][٤]، فإذا (ل٣٠٣) دنت النار فكان بينها وبين الخلائق مسيرة خمسمائة سنة زفرت زفرةً ، فلا يبقى أحدٌ إلا جثا على ركبته ، وأخذته الرعدة وصار قلبه متعلِّقًا في حنجرته لا يخرج ولا يرجع إلى مكانه ، وذلك قوله : ﴿إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾ وينادي إبراهيم : رب لا تهلكني بخطيئتي! وينادي نوح ويونس ، وتوضع النار عن يسار العرش ، ثم يؤتى بالميزان فيوضع بين يدي الجبار ، ثم يدعى الخلائق للحساب »[٥].

قال محمدٌ : إنما قيل للقيامة : آزفة ؛ لأنها قريبةٌ وإن استبعد الناس مداها . يقال : أَزِفَت تَأْزَف أَزَفًا ، وقد أزف الأمر إذا قرُب[٦]، وكاظمين منصوبٌ على الحال[٧]، وأصل الكظم : الحبس[٨].

---

(١) رواه الطبري (٥٢/٢٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٨٤/٥) لعبد الرزاق وعبد بن حميد .

(٢) في « ر » : مصفرّة .

(٣) واحدها النِّكْل ؛ وهو القيد . لسان العرب (نكل) .

(٤) مطموس في الأصل ، والمثبت من « ر » .

(٥) لم أقف عليه ، وأبان بن أبي عياش تالف .

(٦) لسان العرب (أزف) .

(٧) وفيه تفصيل نحوي ، ينظر : إعراب القرآن (٧/٣) ، مجمع البيان (٥١٨/٤) ، البحر (٤٥٦/٧) ، التبيان (١١/٧) .

(٨) لسان العرب (كظم) .

﴿ما للظالمين﴾ للمشركين ﴿من حميم﴾ أي: شفيق يحمل عنهم من ذنوبهم شيئًا ﴿ولا شفيعٌ يطاع﴾ أي: لا يشفع لهم أحدٌ؛ إنما الشفاعة للمؤمنين ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ قال مجاهد[١]: يعني: نظر العين إلى ما نهى عنه.

قال محمدٌ: الخائنة والخيانة واحد[٢].

﴿والذين تدعون من دونه﴾ يعني: أوثانهم ﴿لا يقضون بشيءٍ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿كانوا هم أشد منهم﴾ من مشركي العرب ﴿قوةً﴾ أي: بطشًا ﴿وآثارًا في الأرض﴾ يعني: ما عملوا من المدائن وغيرها من آثارهم ﴿وما كان لهم من الله من واق﴾ يقيهم من عذاب الله ﴿إنه قوي شديد العقاب﴾ للمشركين.

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ حجة بينة ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه﴾ أي: صدَّقوه ﴿واستحيوا نساءهم﴾ أي: لا تقتلوهن ﴿وما كيد الكافرين إلا في ضلال﴾ يذهب فلا يكون شيئًا؛ أي: في العاقبة.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ

---

(١) رواه الطبري (٥٤/٢٤).

وعزاه السيوطي في الدر (٢٨٤/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) والخائنة من المصادر التي جاءت على لفظ الفاعلة، كالعاقبة. لسان العرب، المعجم الوسيط (خون).

اللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِالْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى﴾ يقوله لأصحابه ؛ أي : خلوا بيني وبينه فأقتله ولم يخف أن يمتنع منه ﴿وليدع ربه﴾ أي : وليستعن ربه ؛ أي إن ربه لا يغني عنه شيئًا ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم﴾ قال الحسن : كانوا عبدة أوثان ﴿وأن[1] يظهر في الأرض﴾ يعني : أرض مصر ﴿الفساد﴾ .

﴿وقال رجلٌ مؤمن من آل فرعون﴾ من قوم فرعون ﴿يكتم إيمانه﴾ قال الحسن : قد كان مؤمنًا قبل أن يأتيهم موسى .

﴿وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾ ؛ يعني : الآيات التي جاءهم بها موسى .

﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ كان موسى يعدهم عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا ، وقد كان مؤمن آل فرعون علم أن موسى على الحقِّ .

﴿يَـٰقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ظاهرين في الأرض﴾ يعني : غالبين على أرض مصر في القهر لهم ﴿فمن ينصرنا﴾ يمنعنا ﴿من بأس الله﴾ عذابه ﴿إن جاءنا﴾ يقوله على الاستفهام - أي : أنه لا يمنعنا منه أحد .

﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى﴾ أي : ما أرى لنفسي ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ يعني : جحود ما جاء به موسى والتمسك بما هم عليه .

﴿إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب﴾ يعني : مثل عذاب الأمم الخالية ، ثم أخبر عن يوم

---

(١) قرأ الكوفيون ويعقوب ﴿أو أن﴾ بزيادة همزة مفتوحة قبل الواو وإسكان الواو ، وقرأ الباقون بغير ألف . النشر (٢/٣٦٥) .

الأحزاب ؛ فقال : ﴿مثل دأب قوم نوحٍ وعادٍ وثمود ...﴾ الآية الدأْبُ : الفعل ؛ المعنى : إني أخاف عليكم مثل عقوبة فعلهم وهو ما أهلكهم الله به .

قال محمدٌ : (الدأب) عند أهل اللغة : العادة[١]؛ المعنى : إني أخاف عليكم أن تقيموا على كفركم ، فينزل بكم من العذاب مثل ما نزل بالأمم السالفة المكذبة رسلهم ؛ وهو الذي أراد يحيى .

﴿إني أخاف عليكم يوم التنادِ﴾ قال قتادة[٢]: يوم ينادي أهل الجنة أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا ، وينادي أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء .

قال محمدٌ : من قرأ : (التناد) مخفَّفة ؛ فهي بلا ياء في الوصل والوقف ، وقد قرئت أيضًا بالياء في الوصل والوقف[٣].

﴿يوم تولون مدبرين﴾ يعني : عن النار ، أي : فارِّين غير معجزين الله ، في تفسير مجاهد .

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل﴾ أي : من قبل موسى ﴿بالبينات حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ أي : أنه لم يكن برسول ، فلن (ل٣٠٤) يبعث الله من بعده رسولاً

---

(١) ويقال : الدأب - بسكون الهمزة وتحريكها بالفتح . ينظر لسان العرب (دأب) .

(٢) رواه عبد الرزاق (٢/١٨١) والطبري (٢٤/٦٠ - ٦١) .
وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٨٦) لعبد بن حميد .

(٣) قرأ نافع - في رواية ورش عنه - ﴿التنادي﴾ وصلاً ، وقرأ ابن كثير ﴿التنادي﴾ وصلاً ووقفًا ، وقرأ أبو عمرو ﴿التنادْ﴾ وصلاً ، وروي عن ابن عباس ﴿التنادّ﴾ . وقرأ باقي السبعة ﴿التنادِ﴾ .
ينظر : البحر (٧/٤٥٥) ، جامع القرطبي (١٥/ ٣١١ - ٣١٢) ، السبعة (٥٦٨) ، التيسير (١٩٢) ، الإعراب للنحاس (٣/١٠) .

﴿كذلك يضل الله من هو مسرفٌ﴾ مشرك ﴿مرتاب﴾ في شكٍّ من البعث .

﴿بغير سلطان أتاهم﴾ بغير حجة أتتهم من الله بعبادة الأوثان ﴿كبر مقتًا عند الله﴾ .

﴿ابن لي صرحًا﴾ قال الكَلْبي : يعني : قصرًا ﴿لعلي أبلغ الأسباب﴾ يعني : الأبواب ﴿فأطلع إلى إله موسى﴾ الذي يزعم ﴿وإني لأظنه كاذبًا﴾ ما في السماء أحدٌ ، تعمد الكذب .

قال الله : ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصدّ عن السبيل﴾ عن طريق الهدى ﴿وما كيدُ فرعون إلا في تباب﴾ خسار .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ﴾ يُسْتمتع به ، ثم يذهب فيصير الأمر إلى الآخرة .

﴿من عمل سيئة﴾ والسيئة ها هنا : الشرك ﴿فلا يجزى إلا مثلها﴾ النار ﴿ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾ لا يقبل الله العمل الصالح إلا من المؤمن .

﴿يرزقون فيها بغير حساب﴾ قال السُّدي : يعني : بغير متابعةٍ ولا مَنٍّ عليهم فيما يُعْطَوْن .

﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ما لي أدعوكم إلى النجاة﴾ إلى الإيمان بالله ﴿وتدعونني إلى النار﴾ إلى الكفر الذي يدخل به صاحبه النار .

﴿وأشرك به ما ليس لي به علمٌ﴾ أي : ليس عندي علمٌ بأنَّ مع الله شريكًا ، ولكنه الله وحده لا شريك له ﴿وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار﴾ لمن آمن ﴿لا جرم أن ما تدعونني إليه﴾ أن أعبده ﴿ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة﴾ أي : لا يجيب من دعاه في الدنيا ، ولا ينفعه في الآخرة .

قال محمدٌ : قد مضى تفسير ﴿لا جرم﴾[١].

﴿وأن المسرفين﴾ المشركين ﴿هم أصحاب النار﴾ ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ إذا صرتم إلى النار ﴿وأفوض أمري إلى اللَّه﴾ أي : أتوكل على اللَّه ﴿إن اللَّه بصيرٌ بالعباد﴾ أي : بأعمالهم ومصيرهم .

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾

﴿فوقاه اللَّه سيئات ما مكروا﴾ أي : عصمه من ذلك الكفر الذي دعوه إليه ، وعصمه من القتل والهلاك الذي هلكوا به ﴿وحاق بآل فرعون﴾ وجب عليهم ﴿سوء العذاب﴾ يعني : شدته ﴿النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا﴾ قال مجاهد[٢]: يعني : ما كانت الدنيا[٣].

يحيى : عن حماد (عن)[٤] أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول اللَّه ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به « أنه أتى على سابلة آل فرعون ، حيث ينطلق بهم إلى النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا ؛ فإذا رأوها قالوا : ربنا لا تقومن الساعة! لما يرون من عذاب اللَّه »[٥].

﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون﴾ يعني : أهل ملته ، وفرعون معهم ﴿أشد العذاب﴾ .

﴿وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء﴾ يعني : السَّفلة ﴿للذين استكبروا﴾ يعني : الرؤساء في الضلالة ﴿إنا كنا لكم تبعًا﴾ أي : دعوتمونا إلى الضلالة فأطعناكم ﴿فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا﴾

---

(١) ينظر : (هود : ٢٢) ، (النحل ٢٣، ٦٢، ١٠٩) .

(٢) رواه الطبري (٧٢/٢٤) .

وعزاه السيوطي في الدر (٣٨٧/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أي : مدة دوام الدنيا .

(٤) تحرفت في « ر » إلى : بن .

(٥) تقدم تخريجه في آخر تفسير سورة البقرة ، عند تفسير قوله تعالى ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ وفي أول تفسير سورة الإسراء مطولا جدًّا .

أي: جزءًا ﴿من النار﴾ .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ادعوا ربكم﴾ أي: سلوه ﴿ يخفف عنا يومًا من العذاب قالوا﴾ يعني: خزنة جهنم ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ...﴾ الآية ﴿قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ .

يحيى: عن الحارث بن نبهان، عن سليمان التيمي قال: «إن أهل النار يدعون خزنة النار، فلا يجيبونهم مقدار أربعين سنة، ثم يكون جوابهم إياهم: ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ...﴾ الآية، ثم ينادون مالكًا فلا يجيبهم مقدار ثمانين سنة، ثم يكون جواب مالك إياهم: ﴿إنكم ماكثون﴾ ثم يدعون ربهم فلا يجيبهم مقدار الدنيا مرتين ثم يكون جوابه إياهم: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ .

(كل كلام ذكر في القرآن من كلامهم كله فهو قبل أن يقول: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾[١])[٢] وقد مضى تفسيره.

﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ يعني: النصر والظفر على عدوِّهم ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ يعني: يوم القيامة، والأشهاد: الملائكة الحفَظَةُ يشهدون للأنبياء بالبلاغ، وعليهم بالتكذيب[٣] ﴿يوم لا ينفع الظالمين﴾ المشركين ﴿معذرتهم﴾ .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾

---

(١) المؤمنون: ١٠٨.

(٢) سقط من «ر».

(٣) والمفرد: شاهد ويُجمع على شَهْد، مثل صَاحِب وصَحْب، ويُجمع شَهْد على شهود وأشهاد. ينظر: لسان العرب والمعجم الوسيط (شهد).

﴿وأورثنا بني إسرائيل الكتاب﴾ بعد القرون الأولى .

﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ يعني : ما وعده أن يعطيه في الآخرة (ل٣٠٥) ، ويعطي من آمن به ﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ وهي صلاة مكة قبل أن تفترض الصلوات الخمس حين كانت الصلاة ركعتين غدوة وركعتين عشية .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿بغير سلطان أتاهم﴾ بغير حجّة أتتهم ﴿إن في صدورهم﴾ أي : ليس في صدورهم ﴿إلا كبرٌ ما هم ببالغيه﴾ يعني : أملهم[1] في محمدٍ وأهل دينه أن يهلك ويهلكوا .

﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ أي : أشد ، يعني : شدّة خلقها وكثافتها وعرضها وطولها ؛ أي : فأنتم أيها المشركون تقرون بأن الله هو الذي خلقها ، وتجحدون بالبعث ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنهم مبعوثون ﴿وما يستوي الأعمى﴾ الكافر عمي عن الهدى ﴿والبصير﴾ المؤمن أبصر الهدى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء﴾ المشرك ﴿قليلاً ما يتذكرون[2]﴾ أي : أقلهم المتذكر ؛ يعني : من يؤمن .

قال محمدٌ : (ولا المسيء) المعنى : والمسيء ، و(لا) زائدة[3].

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿إن الساعة﴾ القيامة ﴿لآتية لا ريب فيها﴾ لا شك فيها ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بالساعة .

---

(١) في « ر » : إمامهم .
(٢) قرأ الكوفيون بالخطاب ﴿تتذكرون﴾ ، وقرأ الباقون بالغيب ﴿يتذكرون﴾ النشر (٢/٣٦٥) .
(٣) ينظر : البيان (٢/٣٣٣) ، الدر المصون (٦/٤٩) .

﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم ...﴾ إلى قوله : ﴿داخرين﴾ يعني : صاغرين .

يحيى : عن أبي الأشهب ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ: « المسلم من دعائه على إحدى ثلاث : إما أن يعطى مسألته وإما أن يعطى مثلها من الخير ، وإما أن يصرف عنه مثلها من الشر ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل . قالوا : يا رسول الله ، إذًا نكثر . قال : الله أكثر »(١).

الحسن بن دينار عن الحسن عن النبي ﷺ نحو ذلك قال : « قالوا : يا رسول الله ، كيف يستعجل؟ قال : يقول قد دعوت الله فما أجابني وسألته فما أعطاني الله »(٢).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ يعني : تستقروا من النَّصَبِ ﴿والنهار مبصرًا﴾ أي : مضيئًا ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ لا يؤمنون ﴿فأنى تؤفكون﴾ فكيف تصرفون عن الهدى؟!

---

(١) لم أقف عليه من مراسيل الحسن .

ورواه الإمام أحمد (١٨/٣) والبخاري في الأدب المفرد (٢٤٥ - ٢٤٦ رقم ٧١٠) وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٢٠١ رقم ٩٢١٩) وعبد بن حميد (٢٩٢ رقم ٩٣٧) وأبو يعلى (٢٩٦/٢ رقم ١٠١٩) والبزار - كشف الأستار (٤/ ٤١ رقم ٣١٤٤) - والطبراني في الصغير (٩٢/٢) والحاكم (٤٩٣/١) وأبو نعيم في الحلية (٣١١/٦ - ٣١٢) وابن عبد البر في التمهيد (٣٤٣/٥ - ٣٤٥) والبيهقي في الشعب (٤٧/٢ - ٤٨ رقم ١١٢٨ - ١١٣٠) وغيرهم عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرجاه عن علي بن علي الرفاعي .

وقال المنذري في الترغيب (٤٧٨/٢ - ٤٧٩) : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وفي الباب عن غير واحد من الصحابة ، انظر الترغيب (١٧٨/٢ - ١٧٩) .

(٢) روى مسلم (٢٠٩٥/٤ رقم ٢٧٣٥) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول : قد دعوت ربي فلم يستجب لي » .

﴿كذلك يؤفك﴾ يصرف ﴿الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾ .

﴿الله الذي خلق لكم الأرض قرارًا﴾ مثل قوله : ﴿بساطًا﴾(١) و﴿مهادًا﴾(٢) ﴿والسماء بناءً﴾ كقوله : ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾(٣).

قال محمد : كل ما ارتفع على الأرض فالعرب تسميه بناء(٤).

﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ أي : جعل صوركم أحسن من صور البهائم والطير .

﴿ورزقكم من الطيبات﴾ قال السُّدي(٥): يقول جعل رزقكم أطيب من رزق الدواب والطير والجن ﴿فتبارك الله ﴾ تبارك من البركة .

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾ يعني : خلق آدم ﴿ثم من نطفة﴾ نسل آدم ﴿ثم لتبلغوا أشد كم﴾ الاحتلام ﴿ثم لتكونوا شيوخًا﴾ يعني : من يبلغ حتى يكون شيخًا ﴿ومنكم من يتوفى﴾ من قبل أن يكون شيخًا ﴿ولتبلغوا أجلاً مسمى﴾ الموت ﴿ولعلكم تعقلون﴾ لكي تعقلوا .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا

---

(١) يريد قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ نوح : ١٩.

(٢) يريد قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾﴾ النبأ : ٦.

(٣) الذاريات : ٤٧.

(٤) والجمع أبنية ، وجمع الجمع : أبنيات . ينظر لسان العرب (بنى) .

(٥) في « ر » : قال الحسن .

فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات اللَّه﴾ يعني: يجحدون بآيات اللَّه ﴿أنى يصرفون﴾ كيف يصرفون عنها؟! ﴿فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون﴾ تسحبهم الملائكة؛ أي: تجرُّهم على وجوههم ﴿في الحميم ثم في النار يسجرون﴾ أي: توقد بهم النار.

﴿أين ما كنتم تشركون من دون اللَّه﴾ كقوله: ﴿أين ما كنتم تعبدون من دون اللَّه﴾[1] ﴿قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئًا﴾ ينفعنا ولا يضرنا، قال اللَّه: ﴿كذلك يضل اللَّه الكافرين﴾ ثم رجع إلى قصَّتهم فقال: ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ الفرح والمرح واحد؛ أي: بما كنتم بطرين أشرين ﴿فبئس مثوى﴾ منزل ﴿المتكبرين﴾.

﴿فإما نرينَّك بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب ﴿أو نتوفينك﴾ فيكون بعد وفاتك[2] ﴿فإلينا يرجعون﴾ يوم القيامة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن اللَّه﴾ أي: حتى يأذن اللَّه له فيها، وذلك أنهم كانوا يسألون النبيَّ ﷺ أن يأتيهم بآية وأن الآية إذا جاءت فلم يؤمن القوم أهلكهم اللَّه.

قال: ﴿فإذا جاء أمر اللَّه﴾ قضاؤه[3] ﴿قضي بالحق﴾ أي: أهلكهم اللَّه بتكذيبهم ﴿وخسر هنالك المبطلون﴾ [حين جاءهم][4] (ل٣٠٦) العذاب ﴿المبطلون﴾ المشركون.

(١) الشعراء: ٩٢ - ٩٣.

(٢) أي: فيكون عذابهم بعد وفاتك.

(٣) في «ر»: العذاب.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

﴿ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم﴾ يعني : الإبل والحاجة : السفر ﴿ويريكم آياته﴾ يعني : من السماء والأرض ، والخلائق وما في أنفسكم من الآيات ، وما سخر لكم من شيء ﴿فأي آيات الله تنكرون﴾ أنه ليس من خلقه .

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ يعني : علمهم عند أنفسهم هو قولهم لن نبعث ولن نعذب ﴿وحاق بهم﴾ وجب عليهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي : عقاب استهزائهم .

﴿فلما رأوا بأسنا﴾ عذابنا في الدنيا ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ أي : بما كنا به مصدقين من الشرك .

قال الله : ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ عذابنا ﴿سنة الله التي قد خلت في عباده﴾ المشركين أنهم إذا كذبوا رسلهم أهلكهم بالعذاب ، ولا يقبل إيمانهم عند نزول العذاب ، قال : ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ .

قال محمدٌ : ﴿سُنَّةَ اللَّه﴾ منصوبٌ على معنى : سنّ الله هذه السنةَ في الأمم كلها ؛ ألاّ ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب .

تفسير (حم السجدة)(١)

وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ① تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ② كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ③ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ④ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ⑤ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ⑥ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ⑦﴾

قوله: ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ يعني: القرآن ﴿كتاب فصلت﴾ أي: فُسِّرت ﴿آياته﴾ بالحلال والحرام، والأمر والنهي ﴿قرآنًا عربيًّا لقوم يعلمون﴾ يؤمنون ﴿بشيرًا﴾ بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ من النار.

قال محمدٌ: ﴿تنزيل﴾ رفعٌ بالابتداء، وخبره ﴿كتابٌ﴾ وجائز أن يرفع بإضمار هذا تنزيل، و﴿قرآنًا عربيًّا﴾ نصْبٌ على الحال(٢).

﴿فأعرض أكثرهم﴾ أي: عنه ﴿فهم لا يسمعون﴾ الهدى؛ سمع قبول ﴿وقالوا قلوبنا في أكنّة﴾ أي: في غُلُفٍ(٣) ﴿مما تدعونا إليه﴾ يا محمدُ؛ فلا نعقله ﴿وفي آذاننا وقر﴾ صَمَمٌ عنه فلا نسمعه ﴿ومن بيننا وبينك حجابٌ﴾ فلا نفقه ما تقول ﴿فاعمل إننا عاملون﴾؛ أي: اعمل بدينك؛ فإنا عاملون بديننا.

قال الله للنبي: ﴿قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليَّ﴾ غير أنه يوحى إليَّ ﴿أنما إلهكم إلهٌ واحد فاستقيموا إليه﴾ أي: فوحِّدوه ﴿واستغفروه﴾ من الشرك ﴿وويل للمشركين﴾ في النار.

---

(١) في «ر»: «سورة فصلت».

(٢) ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٦/٥٥).

(٣) في «ر»: غفلة.

﴿الذين لا يؤتون الزكاة﴾ أي: لا يوحِّدون الله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١﴾

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجرٌ غير ممنون﴾ تفسير الحسن: أي لا يمنُّ عليهم منّ أذى.

﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ يقوله على الاستفهام؛ أي: قد فعلتم ﴿وتجعلون له أندادًا﴾ أعدالاً تعدلونهم به؛ فتعبدونهم دونه ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها﴾ يعني: فوق الأرض، والرواسي: الجبال حتى لا تحرك بكم ﴿وبارك فيها﴾ أي: جعل فيها البركة؛ يعني: الأرزاق ﴿وقدّر فيها أقواتها﴾ أرزاقها ﴿في أربعة أيام﴾ في تتمّة أربعة أيام، يعني: خلق الأرض في يومين، وأقواتها في يومين، ثم جمع الأربعة الأيام فقال: ﴿في أربعة أيام سواء للسائلين﴾ يعني: لمن كان سائلاً عن ذلك، وهي تقرأ (في أربعة أيام سواءٍ)[1] أي: مستوياتٍ[2] يعني: الأيام.

قال محمدٌ: من نصب ﴿سواءً﴾[3] فعلى المصدر استوت استواءً[4].

﴿ثم استوى إلى السماء﴾ **قال محمدٌ**: يعني: عمد لها وقصد ﴿وهي دخانٌ﴾ ملتصقة بالأرض؛ في تفسير الحسن ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا﴾ على وجه السخرة والقدرة؛ قال هذا لهما قبل خلقه إياهما ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ يعني: بما فيهما.

---

(١) قرأ بالرفع - أي: رفع ﴿سواء﴾ - أبو جعفر، وقرأ بالجر يعقوب والحسن وزيد بن علي وغيرهم. ينظر البحر (٧/ ٤٨٦)، الإتحاف (٣٨٠)، جامع القرطبي (١٥/٣٤٣)، النشر (٢/٣٦٦).

(٢) لسان العرب (سوى).

(٣) وهي قراءة العامة. ينظر: الإتحاف (٣٨٠)، النشر (٢/٣٦٦)، البحر (٧/٤٨٦).

(٤) قاله مكي وأبو البقاء العكبري. ينظر: إعراب القرآن (٣/٢٨ - ٢٩)، البحر (٧/٤٨٦)، الدر المصون (٦/٥٧) وفي الأصل: استوت سواء.

قال محمدٌ : ﴿طوعًا أو كرهًا﴾ بمنزلة : أطيعا طاعة ، أو تكرهان كرهًا[١].

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾

﴿فقضاهن﴾ يعني : خلقهن ﴿سبع سمٰوات في يومين وأوحى في كل سماءٍ أمرها﴾ قال مجاهد : يعني : أمره الذي جعل فيها مما أراد ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ يعني : النجوم ﴿وحفظًا﴾ أي : جعلنا النجوم حفظًا للسماء من الشياطين لا يسمعون الوحي ، وذلك بعد بعث محمدٍ عليه السلام.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فإن أعرضوا﴾ يعني : المشركين ﴿فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عادٍ وثمود﴾ يعني : العذاب ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أي : أنذروهم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

﴿قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾ أي : يخبروننا أنكم رسل الله ؛ يقوله كل قوم لرسولهم . قال الله : (ل٣٠٧) ﴿فأما عادٌ فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشدُّ منا قوةً﴾ عجبوا من شدتهم ، قال الله : ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾ .

﴿فأرسلنا عليهم ريحًا صرصرًا﴾ يعني : شديدة البرد ؛ وهي الدبور[٢].

قال محمدٌ : الصرصر : الشديدة البرد التي لها صوتٌ ، وهي الصِّرَّة أيضًا[٣].

---

(١) ينظر : إعراب القرآن (٢٩/٣) ، مجمع البيان (٦/٥) ، البحر (٤٨٦/٧ - ٤٨٧) ، البيان (٣٣٧/٢) .

(٢) وهي ريح تهبُّ من المغرب ، وتُقابل القَبُولَ ، وتُسَمَّى ريحُ القبول : الصَّبا . والجمع : دُبُر ، ودَاباِئر . لسان العرب (دبر) .

(٣) وقيل (صرصر) أصلها : صَرَّر ؛ من الصِّرِّ ، فأبدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل . ينظر لسان العرب (صرر ، وصرصر) .

﴿في أيام نحساتٍ﴾ أي: مشئومات، وهي الثمانية الأيام التي في الحاقة[١]، كان أولها يوم الأربعاء إلى الأربعاء الآخر.

قال محمدٌ: قراءة نافع (نحْسات) بتسكين الحاء[٢]، واحدها نَحْسٌ[٣] المعنى: هي نحساتٌ عليهم.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ أي: بيّنا لهم سبيل الهدى وسبيل الضلال ﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾ أي: اختاروا الضلالة على الهدى ﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ من: الهوان[٤] ﴿فهم يوزعون﴾ قال قتادة[٥]: لهم وَزَعَةٌ تردُّ أولاهم على أخراهم.

قال محمدٌ: وأصل الكلمة من: وزعته إذا كففته[٦].

﴿يوم يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم﴾ جوارحهم.

قال محمدٌ: وأصل الكلمة: أن الجلود كنايةٌ عن الفروج.

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

---

(١) يعني قول الله - تعالى - : ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧٠].

(٢) وهي أيضًا قراءة أبي عمرو وابن كثير. ينظر: السبعة (٥٧٦)، البحر (٧/٤٩٠)، التيسير (١٩٣)، النشر (٢/٣٦٦).

(٣) ويجمع (نَحْس) أيضًا على نُحُوس وأنْحُس. ينظر لسان العرب (نحس).

(٤) يقال: هان فلان يهون هُونًا وهَوَانًا ومَهَانة؛ أي: ذلَّ. ينظر لسان العرب (هون).

(٥) رواه الطبري (٢٤/١٠٦).

وعزاه السيوطي في الدر (٥/٣٩٨) لعبد بن حميد.

(٦) يقال: وَزَعَ يَزَعُ وَزْعًا. لسان العرب (وزع).

﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ انقطع ذكر كلامهم ها هنا ، قال الله : ﴿وهو خلقكم أول مرة﴾ يقوله للأحياء ﴿وإليه ترجعون﴾ .

﴿وما كنتم تستترون﴾ أي : تتقون ؛ في تفسير مجاهد(١) ﴿أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم﴾ حسبتم ﴿أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾ أهلككم ﴿فأصبحتم﴾ يعني : فصرتم ﴿من الخاسرين﴾ .

﴿وإن يستعتبوا﴾ أي : يطلبوا إلى الله أن يخرجهم من النار ؛ فيردّهم إلى الدنيا ليؤمنوا ﴿فما هم من المعتبين﴾ أي : لا يستعتبون .

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وقيّضنا لهم قرناء﴾ يعني : شياطين ﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ قال الحسن : ما بين أيديهم ، يعني : حب ما كان عليه آباؤهم من الشرك وتكذيبهم الرسل ، وما خلفهم : تكذيبهم بالبعث ﴿وحق عليهم القول﴾ أي : وجب عليهم الغضب ؛ في تفسير قتادة ﴿في أمم قد خلت من قبلهم﴾ أي : مع أمم .

﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ قال السُّدي : نزلت في أبي جهل بن هشام كان يقول لأصحابه : إذا سمعتم قراءة محمدٍ ؛ فارفعوا أصواتكم بالأشعار حتى تلتبس على محمدٍ قراءته ﴿لعلكم تغلبون﴾ لعل دينكم يغلب دين محمدٍ .

قال محمدٌ : اللغو في اللغة : الكلام الذي لا يُحصل منه على نفعٍ ولا على فائدة ، ولا تفهم حقيقته ، يقال منه لغا ، وفيه لغةٌ أخرى : لغي(٢).

---

(١) رواه الطبري (٢٤/١٠٨) .

(٢) يقال : لغا يَلْغُو لَغْوًا ، ولَغِيَ يَلْغَى لَغًا بمعنى واحد . لسان العرب (لغو) .

﴿وقال الذين كفروا﴾ في النار ﴿ربنا أرنا﴾ يعني : الرؤية ، ومن قرأها (أرْنا) بتسكين الراء[١]، فالمعنى : أعطنا[٢] ﴿الَّذَيْن أضلانا من الجن والإنس﴾ يعنون إبليس ، وقاتل ابن آدم الذي قتل أخاه ﴿نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ في النار يقولون ذلك من شدة الغيظ عليهم .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾

﴿إن الذين قالوا ربنا الله﴾ مخلصين له ﴿ثم استقاموا﴾ عليها ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ عند الموت ﴿ألا تخافوا ...﴾ الآية .

تفسير الحسن : أن قول الملائكة لهم : لا تخافوا ولا تحزنوا ؛ تستقبلهم بهذا إذا خرجوا من قبورهم ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا﴾ أي : نحن كنا أولياءكم إذ كنتم في الدنيا ، ونحن أولياؤكم في الآخرة ، قال بعضهم : هم الملائكة الذين كانوا يكتبون أعمالهم ﴿ولكم فيها ما تدعون﴾ أي : ما تشتهون ﴿نزلاً من غفورٍ رحيم﴾ .

قال محمدٌ : (نُزلاً) منصوبٌ بمعنى أبشروا بالجنة تنزلونها نزلاً[٣]، ومعنى نُزلاً : رزقًا[٤].

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وابن عامر ، وعاصم من رواية أبي بكر عنه . ينظر : السبعة (٥٧٦) النشر (٢/٢٢٢) ، التيسير (١٩٣) وتفسير القرطبي (١٥/٣٥٧) .

(٢) ورد في الكشاف : أرِنا بالكسر للاستبصار ، وبالسكون للاستعطاء ونقله عن الخليل . ينظر الكشاف (٣/٤٥٢) .

(٣) ينظر : البحر (٧/٤٩٧) ، البيان (٢/٣٣٩ - ٣٤٠) ، إعراب القرآن (٣/٣٩) ، مجمع البيان (٥/١٢ - ١٣) .

(٤) وقال الأخفش : هو من نزول الناس بعضهم على بعض ، يقال : ما وجدنا عندكم نزُلاً . لسان العرب ، مختار الصحاح (نزل) .

﴿ومن أحسن قولاً ...﴾ الآية ، وهذا على الاستفهام ؛ أي : لا أحد أحسن قولاً منه ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ الحسنة في هذا الموضع العفو والصفح ، والسيئة ما يكون بين الناس من الشتم والبغضاء .

قال محمدٌ : المعنى : ولا تستوي الحسنة والسيئة و(لا) زائدة[١].

﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ (ل٣٠٨) يقول : ادفع بالعفو والصفح القول القبيح والأذى ، كان ذلك فيما بينهم وبين المشركين قبل أن يؤمروا بقتالهم .

يحيى : عن فِطْرٍ ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن أبي الأحوص ، عن أبيه قال : « قلت : يا رسول الله ، إن لي جارًا وإنه يسيء مجاورتي ؛ أفأفعل به كما يفعل بي؟ قال : لا ، إن اليد العليا خير من اليد السُّفلى »[٢].

﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ أي : قريب قرابته ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾ فيقول : لا يعفو العفو الذي يقبله الله إلا أهل الجنة ، وهي الحظ العظيم ﴿وإما ينزغنك من

---

(١) ينظر : تفصيل ذلك في الدر المصون (٦/٦٧) .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/٢٨٠ - ٢٨١ رقم ٦١٧) من طريق فطر بن خليفة عن أبي إسحاق بنحوه .
وروى الإمام أحمد (٣/٤٧٣) والترمذي (٤/٣٢٤ رقم ٢٠٠٦) والطيالسي (١٨٤ رقم ١٣٠٤) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/٤٦٢ رقم ١٤٦٢) وابن حبان (١٢/٢٣٤ رقم ٥٤١٦) والحاكم (٤/١٨١) والطبراني في المعجم الكبير (١٩/٢٧٦ رقم ٦٠٦ ، ١٩/ ٢٧٧ رقم ٦٠٨ ، ١٩/ ٢٧٨ رقم ٦١٠ ، ١٩/٢٧٩ رقم ٦١٣ ، ١٩/٢٨١ رقم ٦١٨ ، ١٩/٢٨٢ رقم ٦٢١) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/٢٤٥٩ رقم ٦٠٠١) والبيهقي في السنن (١٠/ ١٠) وفي الشعب (٦/٢٥٩ - ٢٦٠ رقم ٨٠٧٥) وغيرهم من طرق عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن أبيه قال : « قلت : يا رسول الله ، أرأيت رجلاً نزلت به فلم يكرمني ولم يقرني ، ثم نزل بي ، أجزيه بما صنع أم أقريه؟ قال : اقره » .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو الأحوص اسمه عوف بن مالك بن نضلة الجشمي .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .
وروى الإمام أحمد (٣/٤٧٣) وأبو داود (٢/٣٦٨ رقم ١٦٤٦) وابن خزيمة في صحيحه (٤/٩٧ - ٩٨ رقم ٢٤٤) وفي التوحيد (١/١٥٨ رقم ٨٨) وابن حبان (٥/١٠٥ رقم ٣٣٦٢) والحاكم (١/٤٠٨) والبيهقي (٤/١٩٨) وغيرهم من طريق أبي الزعراء ، عن أبي الأحوص ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « الأيدي ثلاثة : فيد الله العليا ، ويد المعطي التي تليها ، ويد السائل السفلى ؛ فأعط الفضل ، ولا تعجز عن نفسك » .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

الشيطان نزغٌ﴾ قال قتادة: النزغ: الغضب(١).

﴿ومن آياته﴾ من علامات توحيده ﴿الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن﴾ خلق آياته ﴿فإن استكبروا﴾ يعني: المشركين عن السجود لله ﴿فالذين عند ربك﴾ يعني: الملائكة ﴿يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ أي: يملُّون.

قال (مجاهدٌ)(٢): سألت ابن عباس عن السَّجْدة في «حم» فقال: اسجدوا بالآخرة من الآيتين. قال ابن عباس: وليس في المفصَّل سجود.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾

قوله: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة﴾ يعني: غبراء متهشمة ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ يعني: انتفخت [فيها تقديم ﴿ربت﴾](٣) للنّبات ﴿واهتزت﴾ بنباتها إذا أنبتت ﴿إن الذي أحياها لمحيي الموتى﴾ وهذا مثلٌ للبعث ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا﴾ قال الكلبي: يعني: يميلون إلى غير الحق.

قال محمدٌ: معنى يلحدون يجعلون الكلام على غير جهته، وهو مذهب الكلبي، ومن هذا اللحد؛ لأنه الحفر في جانب القبر، يقال: لحد وألحد [بمعنى](٤) واحدٍ(٥).

﴿أفمن يلقى في النار خيرٌ أمّن يأتي آمنًا يوم القيامة﴾ أي إن الذي يأتي آمنًا خيرٌ ﴿اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ وهذا وعيدٌ ﴿إن الذين كفروا بالذكر﴾ يعني: القرآن.

---

(١) وقيل: نزغ الشيطان: وساوسه ونخسه في القلب بما يُسَوِّل للإنسان من المعاصي، يعني: يُلقي في قلبه ما يفسده على أصحابه. لسان العرب (نزغ).

(٢) في «ر»: محمد. وهو خطأ. وانظر الدر المنثور (٥/٤٠٢).

(٣) من «ر».

(٤) في الأصل: في معنى.

(٥) ينظر لسان العرب (لحد).

﴿وإنه لكتابٌ عزيز﴾ أي : منيع ﴿لا يأتيه الباطل﴾ يعني : إبليس ﴿من بين يديه ولا من خلفه﴾ تفسير الكلبي لا يأتيه من بين يديه يعني : من قبل التوراة ، ولا من قبل الإنجيل ولا الزبور ، ليس منها شيء يكذب بالقرآن ولا يبطله ، ﴿ولا من خلفه﴾ لا يأتيه من بعده كتابٌ يبطله ﴿تنزيل من حكيم﴾ في أمره ﴿حميد﴾ استحمد إلى خلقه ؛ أي : استوجب عليهم أن يحمدوه .

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ يعني : ما قال لهم قومهم من الأذى ، كانوا يقولون للرسول : إنك مجنونٌ ، وإنك ساحرٌ ، وإنك كاذبٌ ﴿إن ربك لذو مغفرةٍ﴾ لمن آمن ﴿وذو عقاب﴾ لمن لم يؤمن .

﴿ولو جعلناه قرآنًا أعجميًا لقالوا لولا﴾ هلا ﴿فصلت آياته﴾ أي : بُيِّنت ﴿أعجمي وعربي﴾ أي : بالعجمية والعربية على مقرإ من قرأها بغير استفهام ومن قرأها على الاستفهام مدّها ﴿آعجمي وعربي﴾[1] أي : لقالوا : كتاب أعجمي (ونبي)[2] عربي يحتجون بذلك ؛ أي : كيف يكون هذا؟!

قال محمدٌ : من قرأها بلا مدٍّ فالمعنى : جعل بعضه بيانًا للعجم ، وبعضه بيانًا للعرب[3].

قال الله : ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاءٌ﴾ لصدورهم يشفيهم مما كانوا فيه من الشك والشرك ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر﴾ أي : صممٌ عن الإيمان ﴿وهو عليهم عمى﴾ [يزدادون

(١) قرأ حمزة والكسائي ﴿أأعجمي﴾ وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ، وأبو عمرو ﴿آعجمي﴾ وقرأ ابن عامر ﴿أَعْجمي﴾ . ينظر : البحر (٧/٥٠٢) ، السبعة (٥٧٧) ، التيسير (١٩٣) ، الإتحاف (٣٨١) .

(٢) في « ر » : ولسان .

(٣) ينظر : تفصيل هذه القراءة وتوجيهها في الدر المصون (٦/٦٩ - ٧٠) .

عمًى][١] إلى عماهم إذ لم يؤمنوا ﴿أولئك ينادون﴾ بالإيمان ﴿من مكان بعيد﴾ تفسير بعضهم [بعيد من][٢] قلوبهم .

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿فاختلف فيه﴾ عمل به قوم ، وكفر به قوم ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ ألا يحاسب بحساب الآخرة في الدنيا لحاسبهم في الدنيا ، فأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النارَ ، وهذا تفسير الحسن ﴿وإنهم لفي شكٍ منه﴾ من العذاب ﴿مريب﴾ من الريبة .

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمراتٍ من أكمامها﴾ تفسير الحسن هذا في النخل خاصة حين (ل٣٠٩) يطلع لا يعلم أحدٌ كيف يخرجه الله ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ (يقول : لا يعلم وقت قيام الساعة ، وما تخرج من ثمرات من أكمامها ، وما تحمل من أنثى ولا تضع ؛ إلا هو لا إله إلا هو)[٣].

قال محمدٌ : الاختيار في القراءة « وما يخرج » بالياء ؛ لأن ما ذكر مذكر ، المعنى : والذي يخرج[٤].

قوله : ﴿من أكمامها﴾ يعني : المواضع التي كانت فيه مستترة ، وغلاف كل شيء كُمُّه ، ومن هذا قيل : كم القميص[٥].

---

(١) سقط من الأصل.
(٢) مطموس في الأصل.
(٣) سقط من « ر ».
(٤) هكذا في الأصل ، ولم أجد هذه القراءة ، أما قراءة العامة فهي على وما (تخرج) بالتاء وينظر البحر (٧/٤ ٥٠) ، مجمع البيان (١٨/٥) ، إعراب القرآن (٣/٤٦) .
(٥) ويجمع على : أكمام وكِمَمَة . لسان العرب (كمم) ، وقيل : الكم بكسر الكاف : ما يغطي الثمرة ، بضم الكاف : ما يغطي اليد من القميص . كذا ضبط الزمخشري والراغب . ينظر الدر المصون (٦/ ٧١) .

﴿ويوم يناديهم﴾ يعني : المشركين ﴿أين شركائي الذين زعمتم﴾ أنهم شركائي ﴿قالوا آذنَّاك﴾ سمعناك ﴿ما منا من شهيد﴾ يشهد اليوم أن معك آلهة . قال اللَّه : ﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل﴾ في الدنيا ؛ ضلت عنهم أوثانهم التي كانوا يعبدون ، فلن تستجيب لهم .

قال محمدٌ : (آذناك) حقيقته في اللغة : أعلمناك[1].

﴿وظنوا﴾ علموا ﴿ما لهم من محيص﴾ من ملجأ .

﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ أي : لا يملُّ ﴿وإن مسّه الشر فيئوسٌ قنوط﴾ فالخير عند المشرك : الدنيا والصحة فيها والرخاء ﴿وإن مسّهُ الشر﴾ في ذهاب مالٍ ، أو مرضٍ لم تكن له حِسْبة[2]، ولم يرجُ ثوابًا في الآخرة ، ولا أن يرجع إلى ما كان فيه من الرخاء ﴿ولئن أذقناه رحمة﴾ يعني : رخاء وعافية ﴿من بعد ضراء﴾ أي : شدّة ﴿مسته﴾ في ذهاب مالٍ ، أو مرض ﴿ليقولن هذا لي﴾ أي : بعلمي ، وأنا محقوق بهذا! ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ أي : ليست بقائمة ﴿ولئن رجعت إلى ربي﴾ كما يقولون ﴿إن لي عنده للحسنى﴾ للجنة ؛ إن كانت جنة .

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه﴾ أي : تباعد ﴿وإذا مسّه الشر﴾ الضُر ﴿فذو دعاءٍ عريض﴾ أي : كبير .

﴿قل أرأيتم إن كان من عند اللَّه﴾ يعني : القرآن ﴿ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق﴾ في فراقٍ للنبي وما جاء به ﴿بعيدٌ﴾ من الحق ، أي : لا أحد أضل منه .

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ قال الحسن : يعني : ما أهلك به الأمم التالفة في البلدان ، فقد رأوا آثار ذلك ﴿وفي أنفسهم﴾ أخبر بأنهم تصيبهم البلايا ، فكان ذلك كما قال

---

(١) ومنه : أذان المؤذِّن الصلاة ؛ أي نادى بها وأعلم ، وأيضًا أذَّن بالصلاة ، بتشديد الذال . لسان العرب (أذن) .

(٢) في « ر » : حسنةٌ .

فأظهره الله عليهم، وابتلاهم بما ابتلاهم به.

قال يحيى: يعني: من الجوع بمكة، والسيف يوم بدر.

﴿حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ يعني: القرآن ﴿أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ أي: شاهدٌ على كفرهم وأعمالهم، أي: بلى كفى به شهيدًا عليهم.

قال محمدٌ: المعنى: أو لم يكف [بربك][1].

﴿ألا إنهم في مرية﴾ في شكٍّ ﴿من لقاء ربهم﴾ يقولون: لا نبعث ولا نلقى الله ﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾ أحاط علمه بكل شيء.

---

(١) من «ر»، ولعل المراد: أو لم يكفك ربُّك، والباء مزيدة في الفاعل. ينظر أصل هذا المعنى من الدر المصون (٦/٧١).

تفسير سورة «حم عسق»(١)
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦﴾

قوله: ﴿حم عسق﴾ قد مضى القول في حروف المعجم ﴿كذلك يوحي إليك﴾ أي: هكذا يوحي إليك ﴿وإلى الذين من قبلك﴾ من الأنبياء ﴿الله العزيز﴾ في نقمته ﴿الحكيم﴾ في أمره ﴿يكاد(٢) السموات يتفطرن﴾ أي: يتشققن ﴿من فوقهن﴾ يعني: من مخافة من فوقهن، وبلغني أن ابن عباس كان يقرؤها ﴿ينفطِرْنَ من فوقهن﴾(٣).

﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ أي: من المؤمنين.

﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ يعني: آلهة يعبدونها من دون الله ﴿الله حفيظٌ عليهم﴾ أي: يحفظُ عليهم أعمالهم؛ حتى يجازيهم بها ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ بحفيظ تحاسبهم وتجازيهم بأعمالهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ

(١) سورة الشورى.

(٢) في الأصل و «ر»: ﴿يكاد﴾ بالياء، وهي قراءة نافع والكسائي. ينظر: السبعة (٥٨٠)، النشر (٢/٣١٩)، التيسير (١٥٠)، جامع القرطبي (١٦/٤).

(٣) وهي قراءة أبي عمرو وعاصم من رواية أبي بكر عنه. ولم أر من نسبها إلى ابن عباس إلا المصنِّف. ينظر: الإتحاف (٣٨٢ - ٣٨٣)، التيسير (١٩٤)، الحجة لابن خالويه (٢٣٩، ٣١٨)، السبعة (٥٨٠)، النشر (٢/٣١٩).

فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾

﴿لتنذر أم القرى﴾ مكَّة منها دُحِيتِ الأرضُ ﴿ومن حولها﴾ يعني : الآفاق كلها ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ يوم القيامة ؛ يجتمع فيه الخلائق : أهل السلوات ، وأهل الأرض ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ على الإيمان ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته﴾ يعني : في دينه ؛ وهو الإسلام ﴿والظالمون﴾ المشركون ﴿ما لهم من ولي﴾ يمنعهم (ل ٣١٠) من عذاب الله .

﴿أم اتخذوا من دونه أولياء﴾ أي : قد فعلوا ﴿فالله هو الولي﴾ يعني : الرب دون الأوثان ﴿وهو يحيي الموتى﴾ وأوثانهم لا تحيي الموتى .

﴿وما اختلفتم فيه من شيء﴾ يعني : ما اختلفتم[١] فيه من الكفر والإيمان ﴿فحكمه إلى الله﴾ فيدخل المؤمنين الجنة ، ويدخل المشركين النار ﴿ذلكم الله ربي﴾ يقول للنبي ﷺ قل لهم : ذلكم الله ربي .

قال محمدٌ : ذكر ابنُ مجاهد أن الياء ثابتة في ﴿ربي﴾ لأنها إضافة قال : ولمْ يختلف القراءُ في ثبوتها[٢].

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

---

(١) في « ر » : ما اختلفوا .

(٢) أي : لأنها مضافة إلى ياء المتكلم ، وهي قراءة العامة . ينظر : إعراب القرآن (٣/٥١) ، البيان (٢/٣٤٥) ، البحر (٧/٥٠٩) ، التبيان (١١٣١) .

﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ يعني: النساء.

﴿ومن الأنعام أزواجًا﴾ ذكرًا وأنثى، الواحد منها زوجٌ[(١)].

﴿يذرؤكم فيه﴾ أي: يخلقكم فيه نسلاً بعد نَسْل ﴿ليس كمثله شيءٌ﴾.

قال محمدٌ: هذه الكاف مؤكدة؛ المعنى: ليس مِثْلَه شيءٌ[(٢)].

﴿له مقاليد﴾ مفاتيح؛ في تفسير قتادة.

﴿شرع لكم﴾[(٣)] أي: فرض؛ في تفسير الحسن ﴿من الدين ما وصى به﴾ ما أمر به ﴿نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به﴾ أمرنا به ﴿إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين﴾ يعني: الإسلام.

﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ من عبادة الله وترك عبادة الأوثان. ﴿الله يجتبي إليه من يشاء﴾ أي: يختار لنفسه؛ يعني: الأنبياء ﴿ويهدي إليه﴾ إلى دينه ﴿من ينيب﴾ من يخلص له.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿وما تفرقوا﴾ يعني: أهل الكتاب ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم﴾ أي: حسدًا فيما بينهم، أرادوا الدنيا ورخاءها؛ فغيّروا كتابهم، فأحلوا فيه ما شاءوا وحرموا ما شاءوا، فترأسوا على الناس يستأكلونهم؛ فاتبعوهم على ذلك.

قال محمدٌ: قوله: ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ المعنى إلا عن علم بأن الفرقة ضلالة، ولكنهم فعلوا ذلك بغيًا؛ أي: للبغي.

---

(١) الزوج في اللغة: كل واحد معه آخر من جنسه والجمع: أزواج، وزوجة. لسان العرب، المعجم الوسيط (زوج).

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٣/٥٢)، البحر (٧/٥١٠)، مجمع البيان (٥/٢٤)، البيان (٢/٣٤٥).

(٣) إلى هنا انتهت المقابلة على نسخة المتحف البريطاني ٤ ر ٤٤ حيث لم نعثر على بقية النسخة.

﴿ولولا كلمةٌ سبقت من ربك إلى أجلٍ مسمى﴾ يعني : القيامة أُخروا إليها ﴿لقضي بينهم﴾ في الدنيا ؛ فأَدْخَلَ المؤمنين الجنة ، وأدخل الكافرين النار ﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾ يعني : اليهود والنصارى من بعد أوائلهم ﴿لفي شك منه﴾ من القرآن ﴿مريبٌ﴾ من الريبة ﴿فلذلك﴾ لما شكوا فيه وارتابوا من الإسلام والقرآن ﴿فادع واستقم كما أُمرت﴾ على الإسلام .

﴿وأُمرت لأعدل بينكم﴾ أي : لا نظلم منكم أحدًا ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ تفسير مجاهد[١]: لا خصومة بيننا وبينكم في الدنيا ﴿الله يجمع بيننا﴾ يوم القيامة ﴿وإليه المصير﴾ المرجع ؛ نجتمع عنده فيجزينا ويجزيكم .

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾

﴿والذين يحاجون في الله﴾ يعني : المشركين ؛ يحاجون المؤمنين ﴿من بعد ما استجيب له﴾ يعني : من بعد ما استجاب له المؤمنون ﴿حجتهم﴾ خصومتهم ﴿داحضة﴾ باطلة ﴿عند ربهم﴾ قال مجاهدٌ[٢]: طَمِع رجالٌ بأن تعُود الجاهلية .

﴿الله الذي أنزل الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق والميزان﴾ يعني : العدل ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ .

قال محمدٌ : ﴿قريب﴾ يجوز أن يكون على معنى : لعل مجيءَ الساعة قريبٌ ، وقد يكون بمعنى : لعل البعث قريب[٣]. والله أعلم بما أراد .

﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ استهزاءً وتكذيبًا ﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾ أي :

---

(١) رواه الطبري (٢٥/١٨) .
وعزاه السيوطي في الدر (٦/٥) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .
(٢) رواه الطبري (٢٥/١٩) .
وعزاه السيوطي في الدر (٦/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا .
(٣) وقيل : ذكَّر ﴿قريب﴾ في معنى الوقت ، وقيل غير ذلك . ينظر الدر المصون (٦/٧٩) ، البحر المحيط (٧/٥١٣ - ٥١٤) .

خائفون ﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة﴾ يكذبون بها ﴿لفي ضلالٍ بعيد﴾ من الحق.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ٢٠ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢١ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٢٢﴾

﴿الله لطيفٌ بعباده﴾ أي: فبلطفه ورحمته خُلِقَ الكافر ورُزق وعوفي وأقبل وأدبر.

﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ يعني: العمل الصالح ﴿نزد له في حرثه﴾ وهو تضعيف الحسنات؛ في تفسير الحسن ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة﴾ يعني: في الجنة ﴿من نصيب﴾ وهو المشرك لا يريد إلا الدنيا وقوله: ﴿نؤته منها﴾ يعني: من الدنيا وليس كل ما أراد من الدنيا، لا (...)[1] يؤتى، كقوله: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾[2].

﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ هذا على (ل ٣١١) الاستفهام - أي: نعم لهم شركاء؛ يعني: الشياطين - جعلوهم شركاء فعبدوهم؛ لأنهم دعوهم إلى عبادة الأوثان ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ لا يعذب بعذاب الآخرة في الدنيا ﴿لقضي بينهم﴾ فأدخل المؤمنين الجنة، وأدخل المشركين النار ﴿ترى الظالمين﴾ المشركين ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما كسبوا﴾ عملوا في الدنيا ﴿وهو واقع بهم﴾ أي: الذي خافوا منه - من عذاب الله.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ٢٣ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٤ وَهُوَ ٱلَّذِي

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) الإسراء: ١٨.

يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا﴾ يبشرهم في الدنيا بروضات الجنات .

﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودَّة في القربى﴾ تفسير الحسن[1] قال : إلا أن يتقربوا إلى الله بالعمل الصالح .

قال يحيى : كقوله : ﴿قل ما أسألكم عليه من أجرٍ إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾[2] بطاعته .

﴿ومن يقترف﴾ أي : يعمل ﴿حسنة نزد له فيها حسنًا﴾ يعني : تضعيف الحسنات ﴿إن الله غفورٌ﴾ للذنب ﴿شكور﴾ للعمل ﴿أم يقولون افترى﴾ محمدٌ ﴿على الله كذبًا﴾ أي : قد قالوه ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ فيذهب عنك النبوة التي أعطاكها ، هذا على القدرة ؛ ولا ينتزع منه النبوة ﴿ويمح الله الباطل﴾ فلا يجعل لأهله في عاقبته خيرًا ﴿ويحق الله الحق بكلماته﴾ فينصر النبي والمؤمنين .

قال محمدٌ : ﴿ويمحوا﴾ الوقوف عليها بواو وألف ، المعنى : والله يمحو الباطل على كل حالٍ ، وكُتبت في المصحف بغير واو ؛ لأن الواو تسقط في اللفظ ؛ لالتقاء الساكنين على الوصل ، ولفظ الواو ثابت[3].

﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ إذا تابوا .

﴿ويستجيب الذين آمنوا﴾ أي : يستجيبون لربهم يؤمنون به ﴿ويزيدهم من فضله﴾ يعني : تضعيف الحسنات .

﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ

---

(١) رواه عبد الرزاق (١٩١/٣) والطبري (٢٥/ ٢٥، ٢٦) .
وعزاه السيوطي في الدر (٩/٦) لعبد بن حميد .
(٢) الفرقان : ٥٧.
(٣) وقرأ بالوقف على ﴿يمح﴾ بالواو : يعقوب ، وقنبل وابن شنبوذ . ينظر : إتحاف الفضلاء (٣٨٣) .

بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿ولو بسط الله الرزق ...﴾ الآية .

يحيى : عن الخليل بن مُرّة أن عليًا قال : « إن هذا الرزق يتنزَّل من السماء كقَطْر المطر إلى كل نفسٍ بما كتب الله لها » .

﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾ المطر ﴿من بعد ما قنطوا﴾ يئسوا ﴿وينشر رحمته﴾ وهو المطر ﴿وهو الولي الحميد﴾ الرب المستحمد إلى خلقه ﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ يعني : أنه يجمعهم[1] يوم القيامة ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ فبما عملت أيديكم ﴿ويعفو عن كثير﴾ .

قال محمدٌ : قرأ يحيى ﴿فبما﴾ وأهل المدينة يقرءون ﴿بما﴾ بغير فاء[2].

﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ يقوله للمشركين ما أنتم بسابقي الله حتى لا يبعثكم ثم يعذبكم ﴿وما لكم من دون الله من ولي﴾ يمنعكم من عذابه ﴿ولا نصير﴾ ينتصر لكم .

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

---

(١) أي : أن (على) في الآية بمعنى اللام .

(٢) قرأ نافع وابن عامر ﴿بما﴾ ، وقرأ الباقون ﴿فبما﴾ .
ينظر : السبعة (٥٨١) ، البحر (٥١٨/٧) ، التيسير (١٩٥) ، النشر (٣٦٧/٢) .

﴿ومن آياته الجوار﴾ السفن ﴿في البحر كالأعلام﴾ كالجبال .

قال محمدٌ : ذكر ابن مجاهد أن نافعًا قرأ ﴿الجواري﴾ بياء في الوصل وبغير ياء في الوقف(١).

﴿إن يشأ يسكن الرياح(٢) فيظللن﴾ يعني : السفن ﴿رواكد﴾ سواكن ﴿على ظهره﴾ على ظهر البحر ﴿إن في ذلك لآياتٍ لكل صبَّارٍ شكورٍ﴾ أي : لكل مؤمن ﴿أو يوبقهُنَّ﴾ يغرقْهُن ؛ يعني : السفن ﴿بما كسبوا﴾ عملوا ؛ يعني : أهل السفن .

﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا﴾ يجحدونها ﴿ما لهم من محيصٍ﴾ أي : ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله .

قال محمدٌ : يقال : حاص عن الشيء ؛ أي : تنحّى عنه(٣)، وتقرأ : ﴿ويعلمُ﴾ برفع الميم ، وتقرأ بالنصْب ، وقراءة نافع بالرفع(٤).

﴿فما أوتيتم من شيءٍ﴾ يعني : المشركين ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ ينفد ويذهب ﴿وما عند الله خيرٌ وأبقى﴾ يعني : الجنة .

﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾ أي : ويجتنبون الفواحش ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ يعني : يغفرون للمشركين ، وهو منسوخ نسخه القتال ، وصار ذلك العفو بين المؤمنين .

﴿والذين استجابوا لربِّهم﴾ أي : آمنوا ﴿وأقاموا الصلاة﴾ كانت الصلاة يوم نزلت هذه الآية ركعتين غدوة ، وركعتين عشيَّةً قبل أن تفرض الصلوات الخمس ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ تفسير الحسن أي : يتشاورون في (...)(٥) ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ ولم يكن يومئذٍ شيء مؤقتًا .

(ل٣١٢) ﴿والذين إذا أصابهم البغي﴾ إذا بغى عليهم المشركون فظلموهم ﴿هم ينتصرون﴾ بألسنتهم لم يكونوا أُمروا بقتالهم يومئذٍ .

---

(١) قرأ ﴿الجواري﴾ وَصْلاً - نافع وأبو عمرو ، وقرأها (الجواري) وصلاً ووقفًا نافع وابن كثير وأبو عمرو .
ينظر : البحر (٥٢٠/٧) ، التيسير (١٩٥) ، النشر (٣٦٨/٢) ، السبعة (٥٨١) .

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر ﴿الرياح﴾ بالجمع ، وقرأ الباقون ﴿الريح﴾ بالإفراد . النشر (٢٢٣/٢) وإتحاف الفضلاء (٤٩٢) .

(٣) يقال : حاص يَحِيص حَيْصًا وحَيَصَانًا ومَحِيصًا . لسان العرب (حيص) .

(٤) قرأ نافع وابن عامر بالرفع ، وقرأ الباقون بالنصب . ينظر : البحر (٥٢١/٧) ، السبعة (٥٨١) ، النشر (٣٦٧/٢) .

(٥) كلمتان غير واضحتين في الأصل .

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ يعني: ما يسيء إليهم المشركون أن يفعلوا بهم ما يفعلون هم.

قال محمدٌ: قوله: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ فالأولى سيئة في اللفظ والمعنى، والثانية سيئة في اللفظ وعاملها ليس بمسيء ولكنها سميت سيئة؛ لأنها مجازاة لسوءٍ على مذهب العرب في تسمية الشيء باسْم الشيء إذا كان من سببه(١).

﴿فمن عفا وأصلح﴾ يقول: فمن ترك مظلمته ﴿فأجره﴾ ثوابه ﴿على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ المشركين ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ بعد ما ظُلِمَ ﴿فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ أي: من حجَّةٍ.

﴿إنما السبيل﴾ الحجة ﴿على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ يعني: بكفرهم وتكذيبهم ﴿أولئك لهم عذابٌ أليمٌ﴾ موجع ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ وهذا كله منسوخٌ فيما بينهم وبين المشركين نسخه القتال.

﴿فما له من ولي من بعده﴾ من بعد الله يمنعهم من عذاب الله ﴿وترى الظالمين﴾ المشركين ﴿لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد﴾ إلى الدنيا ﴿من سبيل﴾ فنؤمن.

﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ﴿٤٧﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا

---

(١) وهو ما يعرف بالمُشاكلة، وهو مبحثٌ من مباحث علم البديع، حيث يُذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صُحْبته، كقوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾ التوبة: ٦٧. وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ آل عمران: ٥٤.

ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ينظرون من طرف خفي﴾ أي : يسارقون النظر ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ خسروا أنفسهم أن يغنموها ؛ فصاروا في النار ، وخسروا أهليهم من الحور العين ، وقد فسرناه في سورة الزمر(١) ﴿ومن يضلل الله فما له من سبيل﴾ إلى الهدى ﴿استجيبوا لربكم﴾ أي : آمنوا ﴿من قبل أن يأتي يومٌ لا مرد له﴾ يوم القيامة ، أي : لا يرده أحدٌ بعد ما حكم الله به وجعله أجلاً ووقتًا .

﴿وما لكم من نكير﴾ أي : نصير ﴿فإن أعرضوا﴾ أي : لمْ يؤمنوا .

﴿فما أرسلناك عليهم حفيظًا﴾ تحفظ عليهم أعمالهم ؛ حتى تجازيهم بها ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ وليس عليك أن تكرههم وقد أمروا بقتالهم بعد .

﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان﴾ يعني : المشرك ﴿منا رحمة﴾ وهذه رحمة الدنيا ، وما فيها من الرخاء والعافية ﴿فرح بها﴾ كقوله : ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾(٢) لا يقرون بالآخرة ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ من ذهاب مالٍ ، أو مرضٍ ﴿بما قدمت﴾ عملت ﴿أيديهم فإن الإنسان كفورٌ﴾ يعني : المشرك ليس له صبرٌ على المصيبة ولا حسبة ؛ لأنه لا يرجو ثواب الآخرة .

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿يهب لمن يشاء إناثًا﴾ يعني : الجواري ﴿ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم﴾ يعني : يخلط بينهم .

قال محمدٌ : المعنى : يجعل بعضهم ذكورًا وبعضهم إناثًا ؛ تقول العرب : زوجت إبلي إذا قرنت

---

(١) عند قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الزمر : ١٥.
(٢) الرعد : ٢٦.

بعضها إلى بعض، وزوَّجت الصغار بالكبار إذا قرنت كبيرًا بصغير[١] وهو الذي أراد مجاهد.

﴿وما كان لبشرٍ أن يكلمه الله إلا وَحْيًا أو من وراء حجاب﴾ فكان موسى ممّن كلمه الله وراء حجاب ﴿أو يرسل رسولاً﴾ جبريل ﴿فيوحي بإذنه ما يشاء﴾.

قال محمدٌ: قيل ﴿إلا وحيًا﴾ يعني: إلهامًا، وتقرأ ﴿أو يرسلُ﴾ بالرفع والنصب؛ فمن قرأها بالنصب فالمعنى: ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بأن يوحي أو أن يرسل، ومن قرأ بالرفع فالمعنى: أو هو يرسلُ[٢].

﴿وكذلك أوحينا إليك روحًا﴾ يعني: القرآن ﴿من أمرنا﴾.

قال محمدٌ: معنى ﴿روحًا﴾ أي: ما يهتدي به الخَلْق؛ فيكون حياة [من الضلال][٣].

﴿ما كنت تدري﴾ قبل أن نوحيه إليك ﴿ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه﴾ يعني: القرآن ﴿نورًا﴾ أي: ضياء من الظُّلْمة ﴿وإنك لتهدي﴾ لتدعو ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم صراط الله﴾ طريق الله ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ يعني: أمور الخلائق.

(١) لسان العرب (زوج).

(٢) قرأ بالرفع نافع وابن عامر، وقرأ الباقون بالنصب. ينظر: البحر (٥٢٧/٧)، السبعة (٥٨٢)، النشر (٣٦٨/٢)، التيسير (١٩٥).

(٣) غير واضحة في حاشية الأصل، ولعلها كما أثبتها.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة